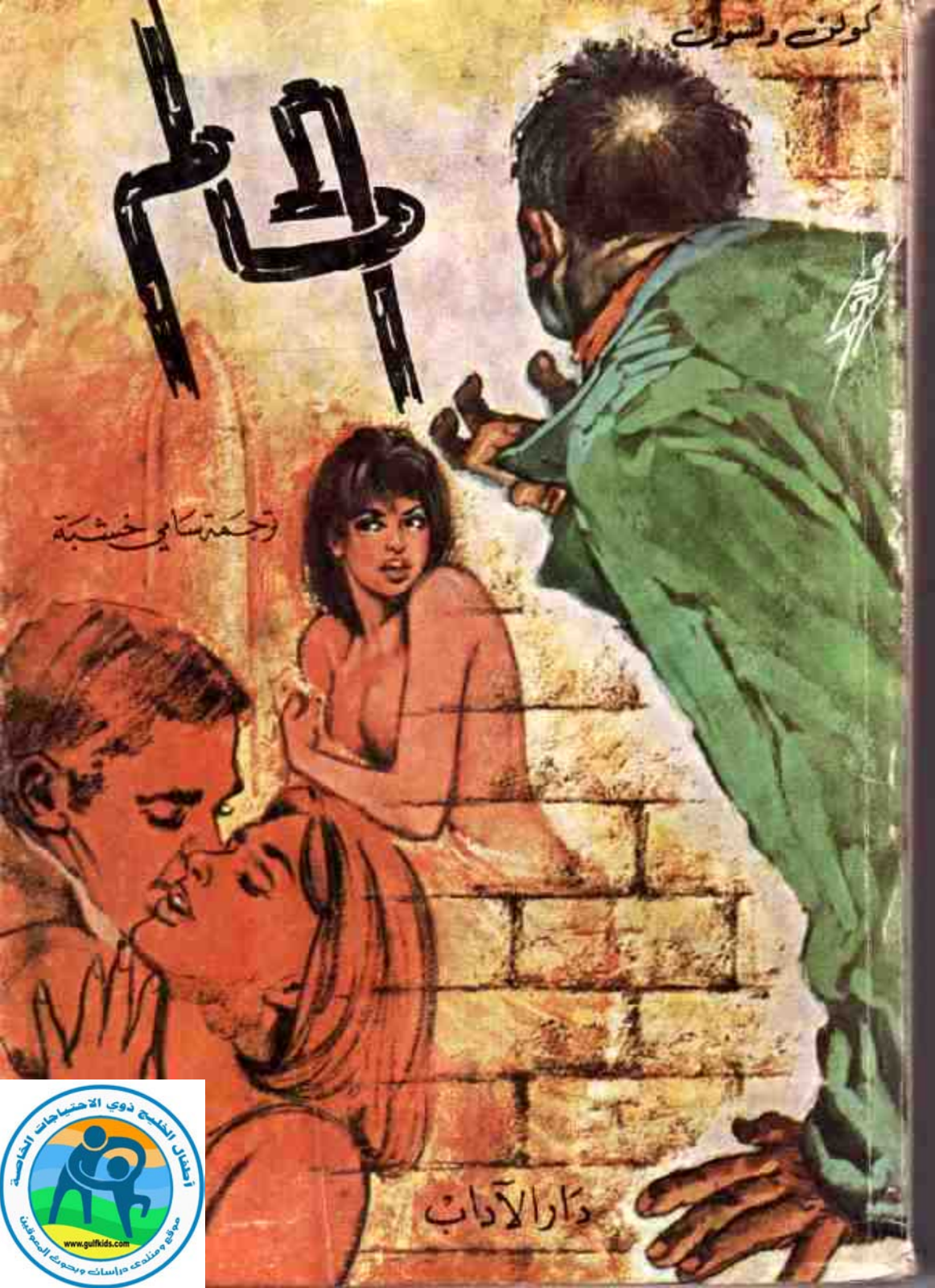


کولتے ولسوت

کولتے ولسوت

رحمتہ سائمی خشبہ



دکارالآداب



## المقدِّمة

كُتبت في عام ١٩٦٣ مسرحية بعنوان « ٧١ شارع ميتمازستراس » ، وكانت تدور حول « بيتر كورتن » القتال الجماعي في مدينة « دوسلدورف » ، وكنت قد كتبتها خصيصاً لفرقة « ثيتر إن ذا راوند » Theater in the Round في مدينة « سكاربورو » . وقد رأى المرحوم « ستيفن جوزيف » في هذه المحاولة في كتابة المسرحية - غير - القصصية شيئاً بالغ الأذى لأعصاب المتفرجين القادمين في عطلاتهم . ولست أعرف الآن ما إذا كانت هناك نسخة من هذه المسرحية حتى الآن أم لا . ولكن الفكرة ظلت ملتصقة برأسي : أن أبدل محاولة لنقل الحقيقة حرقاً ونحويلها إلى شكل قصصي ، وفي هذه الحالة تأتي الحقيقة من الكتاب الكلاسيكي الذي ألفه « بيرج » حول « كورتن » بعنوان : « الصادق » .

وحيثما ظهرت رواية « كابوت » بعنوان : « القتل مع سبق الاصرار » In Cold blood ، شعرت بأن حديثه عن « الرواية غير القصصية » ليست سوى حديث من قبيل صرف الانتباه عن الموضوع الحقيقي . كانت « الرواية غير القصصية » بالصورة التي قدمها بها « كابوت » شيئاً لا يختلف في جوهره عن الموضوع غير القصصي المكتوب بصورة روائية - مثل « الترجمة » التي كتبها « فولوب » و « ميلر » لحياة « راسبوتين » ( ولو كان قد حاول أن يطبق طريقته على أي مجال غير مجال الجريمة ، فإني أشك في أن يصبح ذلك واضحاً ) . ولكن شعوري بقي بأن « الرواية غير القصصية » ينبغي أن تكون عملاً في حيز الامكان . ولقد أطلعنا « البروفيسور بيرج » على الطريق .

لقد كان هو الطبيب النفسي الذي وكل إليه أمر فحص «كورتز» في السجن .  
 وكنيته الذي ألمه عن «كورتز» لا يقل في استحواده على المشاعر عن الرواية .  
 ولكنه ينتج أيضاً بغير من الواقعية الطبية (التشخيصية) تمنحه التأثير العيب  
 والنفسي الذي يتجاوز أي تأثير يستطيع الفن القصصي أن يتبعه . ولقد حاولت  
 أن أفضل هذا النوع من التأثير إلى منحة المسرح ، ولكن كان من الواضح أن  
 التجربة لم تصادف النجاح . وفي هذه الرواية التي بين يديك ، بذلت محاولة  
 أخرى للوصول إلى التأثير الذي أنتجه كتاب «بيرج» عن «كورتز» .  
 لم أشيد شخصية «آرثر ليجارد» بطل هذه الرواية ، على أساس مأخوذ  
 من أي قائل مرد ، رغم أن شخصية «بيتر مانويل» كانت هي النموذج  
 القائم في خلفتي عقلي حينما بدأت تأليف الكتاب . ولكن قصة طفولة «آرثر»  
 أكثر قرباً إلى تاريخ حياة «كورتز» . وكانت أعمال السطو والسرقة  
 و«ميشية» الملايسر الداخلية أقرب إلى شخصية «ويليام هيريز» القائل  
 من شيكاغو ، وكان «هنري ريجل» و«آرثر» وعدم ثباتها راجعاً إلى شخصية  
 «هانز فان رون» القائل الهولندي الحديث الذي يبدو أنه قد عاش في حياته  
 حياة القائل القديم «والتر مينيئش» . ولقد أخذت تفاصيل التحليلات النفسية  
 منها من الكتاب الذي ألفه «ميلارد بوس» بعنوان : «تحليل النفس  
 وحيل الوجود» وكتابت «ليرون ستراوس» بعنوان : «علم النفس الظاهري»  
 وكتاب «روبرت ليندر» بعنوان : «الساعة ذات الحسنيين» دقيقة .  
 وكتاب «فرينريك ويرثام» بعنوان : «استعراض العنف» (رغم الأخيرة  
 والبسبب التي تحتوي على بعض الملاحظات الهامة حول «سبيل» قاتل  
 المرحمات التالي في شيكاغو) . وكتاب «لودفيج بيستونجر» بعنوان  
 «قصة إين ويست» . حقاً ، لقد فمت تعلية «انتقام» من بين كل هذه  
 المادة . ولكنني لم أحاول أن أضوعها في نسج قصصي أو أن أخفف من  
 وقعها . وفي معالجة فنرات «ليجارد» على التورم المناطيسي فقط أتممت

\* في البند المكتوبه المشتركه بيننا - الوعد - التي أتت قد على تحريرها فليبارك

إلى إعادة صياغة المادة المستقاة من كتاب «بول» ج . رايفر» بعنوان «التورم  
 المناطيسي والأعمال الاجرامية أو المعادية للمجتمع» (دار نشر مونكجاره .  
 كونيهاوس) . وقد توجهت إلى ذلك لأن بعض التفاصيل بدت صريحة إلى  
 درجة لا تصدق . ووأنا لا أوحى هنا بأنها كانت كذلك ، فأنا أعرف في الحقيقة  
 أنها لم تكن مثل هذا النحو .

إنني لا أعرف إن كانت نتيجة ذلك «رواية غير قصصية» أصيلة وحقيقية  
 أم لا . ولكن هذا العمل هو أقرب ما استطعت الوصول فيه إلى هذا الهدف  
 و«لا استطاع أي إنسان أن يشت أنها لا تصدر صوتاً إلا ما يشبه صوت العملة  
 المعدنية المزيفة» . وأنها أعدد ما تكون عن «الرواية غير القصصية» فإني لم  
 أختلف معه ولم أتأقنه . فالعمل هذا العمل . والعمله المعدنية المزيفة ليس ما  
 لا يمكن الجمع بينهما .

ولكنني لا بد أن أت هنا دياً جوهرياً أدين به لكتاب «أ. ي. فان  
 فوجت» . يعلم أكثر الناس كأننا القصص العلمي الخيالي . ولكن أكثر كونه  
 أهميه . وهو «الرجل العتف» ، بما هو «رواية حقيقية» . ولقد سأ في أثناء  
 كتابته ما دأها سوف ساء فهمها . فوقع في مشكلة أعداد كتب صغير أشبه  
 «البيان» يقع في أربع عشر صفحة قصيره . شرح فيه نظريته الأساسية  
 ولكن الكتاب لم يلق سوء الفهم المتوقع ، وإنما عامله الناس بوصفه كتاباً  
 علمياً . ألفه كتاب لتخصص العلمي الخيالي . ثم تعدهوه . بيد أن البيدي أو  
 الكتب الصغير يعط واحداً من أكثر العروض الثورية في علم النفس أهميه .  
 يكتب «فان فوجت» فائلاً «في عام ١٩٥٦» . حينما كتب قد أعربت  
 بدقة بأخص ملوك الرجل العيب . ورغم خطوئه أجازحه . سألت بعدها  
 من الأملداه العسرين أن خص علي فعدة أي علاقة علم «عاشة» بين «رجل وروحة»  
 يكون قد لاحظها . مع التأكيد على السلوك الأدهي الدائم . فأجبت في قصة  
 «رجل كان قد جاء بروحته السابقة كالملايح منه . حينئذ نسوات» .

«وإنما خص قصة هذا الرجل تأبيرها على الطبق العصبي في أنه

كان قد حصل على الطلاق ، ثم أسكن زوجته في إحدى الضواحي . وكان دورها ، كما خطط له ، هو أن تكون طوال ما بقي لها من الحياة الأم المثالية لولدها ، ولم يكن لها - في خطته - أن تزوج من جديد ، ولم ير الرجل تجاراً في أن تقوم المرأة بهذا الدور .

وكانت وجهة النظر هذه أحادية الجانب إلى حد بعيد ، حتى أن الطبيب النفسي لم يدهش لزام قصة خضوع الذكر التي سردتها الزوجة عليه .

وقد كانت ممرضة ، وكانت قد مرت بعلاقتين مع طبيبين قبل زواجها .

وحينما تقدم الرجل الذي أصبح زوجها لحظيتها ، أخبرته بما كان من أمر هاتين العلاقتين . وأصيب الرجل بالحنون تقريباً بتأثير العبوة والشعور بالمرح الذي من كبريائه ، فحاض إلى بيتها في اليوم التالي لاعترافها حاملاً وثيقة قانونية - من ثلاث نسخ - لكي توقعها . ورفض أن يسمح لها بأن تقرأ ما كتبه على الورقة ، طالباً إليها أن توقع على أساس أنها مديونة له بهذا الحق .

كان من الواضح أنه في حالة من التوتر والقلق العنيف . وكانت هي تشعر بالآثم ، حتى لقد وقعت في النهاية حسب إرادته ، دون أن ترى شيئاً . وبعد توقيعها يوقت قصير - تم الزواج .

ومضى يلحق أرجاء البلاد ، بعد أن أصبح متزوجاً ، ولا يعود إلى البيت إلا حينما يشاء . كان يصطحب الفتيات من سكرتيراته ، من العمل وإليه في سيارته ، مستغرقاً في ذلك وقتاً طويلاً لا حساب عليه ، أو يقوم بريادة واحدة أو أخرى من النساء العاملات لديه في مساكنهن الخاصة ، وكان أي تساؤل من جانب زوجته يدفعه إلى حالة من الهياج والغضب التي كانت غالباً ما تتضمن استخدام العنف ...

ويعد مزيد من التصوير لهذا السلوك العصبي الأحادي الجانب ، يقول :  
« إن السنوات التي قضيتها في ملاحظة الذكور الآخرين من هذا النوع ، يعزيني بأن أتوكل إنها ( في الوثيقة ) قد وافقت على أن تكون بعباً أو عاهرة : وأنه يزواجه منها ، فإما كان يرفعها من مستوى المرأة الساقطة ، ولكنها يجب

أن توافق على ألا يكون لها حقوق كزوجة ، باستثناء تلك الحقوق التي يمنحها هو لإيهاها .

هذا هو « الرجل العنيف » كما يقول « فان فوجت » ، وهو يعصف أيضاً بأنه « الرجل المحن » ، لأنه يتخضع لفكرة وهمية عن كونه « على حق » ولن يعترف تحت أي ظرف من الظروف بأنه مخطئ . الشخصية في هذا الجانب ، متصلة مزمنة . ويشير فان فوجت إلى أن هذه الحالة إنما هي صورة مبالغ فيها للموقف العادي الذي يتخله الذكر من الأنثى ، وهو الموقف الذي جاء كنتيجة لملايين السنين من التطور كان الرجل هو السيد في أثنائها . وقد حدث في إيطاليا عام ١٩٦١ أن حكم على امرأتين بالسجن لمدة عام لكل منهما بتهمة الحياة الزوجية . وقد أثبت المرأتان أن زوجيهما قد اعتزلا بارتكاب الحياة من جانبيهما ، ولكن المحكمة العليا أوقفت الحكم ضد الزوجين على أساس أن هناك مستويين للحكم معتزلاً بهما في إيطاليا .

وبمضي « فان فوجت » في الإشارة إلى حالات عديدة تصور « الرجل المحن » : رجال تتضمن علاقتهم بزوجاتهم معايير مزدوجة فاجرة للسلوك ثم يعصف بهم الغضب إذا حاولت الزوجة أن تتحجج . ولكن ما زال أغرب قسم من التقرير أمائنا . يعتقد « فان فوجت » أنه إذا حدث أن هجرت زوجة « الرجل المحن » زوجها - وهي الصبي الذي يقوده بالوسط - فإنه قد يموت أو يمرض مرضاً خطيراً ، أو يصبح مدمناً على المخدرات أو الكحول . ولأن عالم السيطرة الذي يعيشه ، ولإرادة السلطة التي يجارمها ، قد قاما على جسد امرأة ، فإن البنين كله يبدأ في الزرع إن هي تحملت من تحت أو نفضته عن كاهلها . يقول : « إنها إذا تركته أو شرحت في اتخاذ إجراءات الطلاق ، فإنه يقع على الفور فريسة لحالة عاطفية جنونية . وتبدأ فكرة الموت في الظهور : الدموع ، والناشيدات المتوحشة ، والقلق البائس : لا تتركيني ، أحبك أكثر مما أحب حياتي » . ولا تستطيع نسبة معينة من الزوجات أن يرفضن قبول هذا الحنون بوصفه نوعاً من الحب إلا بعد تجارب

« فاذا هجرته هجرنا بشم منه أنه الفراق النهائي ، فان أفكار القتل تختلط بأفكار الانتحار في عقله غير المستقر ، لأنه من الضروري له أن يسيطر على أمراته أو يموت ، إلا إذا استطاع أن يهجرها هو ويعيش . فاذا استطاع أن يهجرها بالفعل ، فانه قد يستمر في محاولة السيطرة عليها . ويشير « فان فوجت » إلى « سيد من الحالات التي قتل فيها « الرجل المحق » زوجته أو حاول أن يقتلها .

وتستع نغريته عن « الرجل المحق » بأهمية خاصة حين يصل في حديثه إلى شخصية الديكتاتور ، وذلك لأن الميزة الأساسية « للرجل المحق » هي أن يرفض أن يقنع بأنه قد وقع في أي خطأ على الإطلاق . ثم تلقى انفجارات غضبه المتوحش التبرير فيما بعد على أساس أنه قد تحمّل قبل الانفجار أكثر مما يطيق احتماله ، وأن أكثر الناس طيبة وهدهوأ ورقة كانوا سيفعلون نفس ما فعل .. إلخ ، وسوف يبرر الديكتاتور أفعاله بعذوبة مقنعة مشوهاً الحقائق كلما كان ذلك ضرورياً ، ثم تكون تلك الشبهات أساساً لأفعال مقبلة - وقد تكون تلك الأفعال في حالة ديكتاتور مثل هتلر . هي حمامات الدم . إن : « الرجال الذين يمرضهم الشك » يصبحون عصائيين إذ يحصلون على السلطة ، وقد يصبحون مجانين جنوناً مطلقاً ، كما حدث في حالة « كاليجولا » . وأنا أشك في أن أكثر الذكور من قراء هذا التعليق سوف يشعرون إلى مدى معين بأن « القبة تناسيم » . لكل امرئ احترامه لذاته amour propre .

وحينما يتدنى على هذا الاحترام للذات ، فانه حدير بأن يمنطي سهوة أعلى جياذه لكي يفرض تفسيره هو الخاص على « الحقائق » . ولكن هذا الموضوع يستع بأهمية خاصة عندي ، طلالاً أنني قد عالجت من زاوية مختلفة في كتاب « اللامتني » . فان إحدى النقاط الرئيسية في ذلك الكتاب تشير إلى أن من الصعب غالباً أن نرسم الخط الفاصل بين الرجل الرفيع الموهبة الذي يشغل في التكيف مع واقعه لأنه يرى الأمور إلى حرجة أكثر عمقاً من معظم الناس

وبين الأحق غير الموهوب صاحب المقطرة على أن يمنح حماقة صورة الجبرية . يقول أي فان كامل الفرد ، بصورة أساسية : « إني محق » . وهذه هي الصورة الحقيقية للحياة . « وطلالاً تمتد ألوان الطيف الضية من الزرقة الشاذة التي ترى نموذجها عند « بليك » و « شوا » و « ويسان » و « تشترتون » عن الظلمة السائدة عند « أندرييف » و « جرين » و « بيكيت » و « سيلين » . فانه من الواضح أنه من الصعب أن يكونوا جميعاً « محقين » أو على صواب . وهذه ليست سوى واحدة من غرائب الفن . وحينما يقول سيلين : « لا يكون الإنسان نفسه إلا في المرحاض أو على سرير موته » وليس كل ما يقى سوى صور زائفة . « فاننا قد نرفض ما يقوله بينما نظل مفتونين بقوة كتابه : « رحلة في قارب الليل » . وربما كان من المناسب أن نقول إن « فان فوجت » نفسه إنما هو رجل رقيق ومتواضع . علم النفس هو اهتمامه المحوري . وعلى ذلك فانه يستطيع أن يخصص « الرجل المحق » دون اتصال من خلال علمته المكبرة دون الكثير من التأثير الشخصي بموضوعه . أما أنا شخصياً فلت بهذا القدر من الاعتدال أو التواضع أو التباعد الذي كنت أحب أن أتبع به . ولذلك فإني لا أرى إلا المبهجات الغامضة حيث يرى هو الخطوط الواضحة الحادة . والمشكلة . كما أراها . هي ما يلي : إني . في لحظة ما ، قد أكون قادراً على التصرف بالعصب المنطلي . باليقين الذاتي والقدرة على التبرير العقل الذي يتصف به الرجل العنيف . ومن المحتمل أيضاً أن يتبع عغصي من أنه قد يحدث لي أن أكون . نالسة لموضوع معين . في وضع عقل قصة « ويلز » المعروفة « بلاد العميان » أي أنني « أرى » بالفعل شيئاً يرفض الآخرون الاقتناع بمجرد وجوده . إن الدافع إلى تأكيد الذات بشكل صفة مميزة هروورية للعملية والموهبة الأبداعية تقدر ما نراه صفة مميزة أيضاً لرجل العنيف . لقد كتب « مارتن حاردار » كتاباً ممتعاً بعنوان : « بدع » و « أكاذيب تتحد » اسم العلم « يناقش فيه كل أنواع النظريات الخشفاة . ولكنه يبدو كما لو كان يشير إلى أنه « مادي » و « متبعة » وسليطة ساطعة كاملة يستطيع أي شخص عاقل

باستخدامها أن يميز بين النظرية المخبولة والعلم المقبول . وهو يشير أيضاً إلى أنه : « إذا كان الجميع مثلي : رؤوسهم مرفوعة ، شكاكين ، منطقيين ، سوف يكون العالم قادراً على أن يتطرق إلى الأمام بسرعة أكبر » . ويبدو لي هذا الافتراض فرضية يشوبها الشك . ففي العلم ، مثلما في الفن والسياسة ، يكون الخالقون العظام واضعوا الأصول مباليين غالباً إلى تأكيد ذاتهم ، صخابين أعناقهم ملوية تحت رؤوسهم ، وتؤدي هسة الصفات أحياناً إلى ومضات ساطعة ملهمة . لقد كان « نيوتن » نفسه رجلاً شكاكاً متجهماً نكداً . وقد بلغ من ندالة « فاجنر » أن أصبح من الصير أن نكتشف كيف استطاع أن يبرر سلوكه السيء . إزاء النساء والأصدقاء الذين أضفوا حمايتهم عليه .

قد يكون هذا مما يستحق أن يقال ، ولكنه لا يوضح الفكرة توضحاً كافياً . ذلك أنني ، بوضوح ، لا أقول بأن « الرجل المحق » هو بالفضل « محق » . وإنما أقول بأنه ينبغي أن تكون ملاحظات « فان فوجت » أساساً لمزيد من الاستقصاء والمناقشة . إنها أساس جور ، ولكنها ليست نظرية كاملة حول العنف الذي يحركه الشعور بالصواب والمحق . إننا لا نحتاج فحسب إلى تعديلها لكي تتناسب مع « نيوتن » و « فاجنر » ، بل إننا نحتاج أيضاً إلى تعديلها لكي تتناسب مع « هنتر » وأمثاله من الدكتاتوريين . وأياً ما كان شعورنا إزاء « هنتر » مثلاً ، فإن المرء لا يستطيع أن ينكر أنه كان واحداً من أكثر السياسيين العالميين حيوية في عصره . ولقد تضمنت رؤى « هنتر » السياسية الفاجرية إيمانه بأن اليهود والزوج يتسمن إلى نوع منحن من الجنس البشري ، وأنهم يتآمرون ضد النوع الأسمى . وهذا التبرير يقفمه صورة نموذجية للرجل المحق . وقد يعزو أي معاد ذؤوب لتنازية « كلل » ودوافع هنتر ونظرياته إلى الميل الجنوني لتأكيد الذات الذي يتميز به « الرجل المحق » ولن يكون هذا التصير من قبيل الهراء . إننا نحتاج إلى نظرية متكاملة وعميقة للرجل العنيف تستطيع أن تميز بين تأكيد الذات الخلاق وبين الأناية العصابية .

والاجابة المنتظرة لا تقول بأن تأكيد الذات الخلاق معتدل دائماً أو مقبول باستمرار .

• • •

إن نظرية « فان فوجت » عن « الرجل العنيف » هي مفتاح روايته « القاتل » . ورواية « القاتل » أيضاً ، بحث للنظرية في شكلها الذي عبر عنه واضعها في روايته وفي كتيبه الصغير . إنني أقبل بوجود نوع الرجل العنيف . بل إنني قد أقبل تأكيد القاتل بأن السيطرة القديمة للذكر على الأنثى توفر في ثقافتنا حواً نفسياً « أكثر معزى بألف ضعف من أي عامل بيئي آخر » : ( أي عقدة أوديب ، أو الدوافع الاقتصادية ، أو الحرب الطبقة ، أو صراع الذكر مع الذكر ، أو العقائد الدينية ، وما إليها ) . والأكثر أهمية من كل هذا ، هو أنني أقبل بأن انسحاب الأنثى أو تخليها عن الذكر إنما يسبب نوعاً من الصدمة النفسية التي تؤدي إلى بروز الرغبة في الموت ، الموجهة إلى صاحب الرغبة نفسها أو إلى الآخرين . ولكن النقطة الأساسية فيما يتعلق بالرجل المحق هي أن أحد دوافعه الأساسية هو الدافع الذي يحثه على أن يجعل من « عالم حياته » بناء متمسكاً ومنطقياً . وقد يقول المرء إنه يتسا يدفع — أو يتساق — أكثر الناس في حياتهم يابتهاج من يوم إلى يوم ، قابلين بالحياة بوصفها شيئاً « أعطي لهم » ( مثلما تفعل في الطفولة ) فإن « الرجل المحق » يشعر بدافع علمي يلزمه بأن يشك وأن يتساءل . والمشاكل الشخصية لا تعالج واحدة بعد واحدة ، تبعاً لظهورها ، وإنما يتم التعامل معها بوصفها جزءاً من كيان متماسك أكبر . ولا يمكن التنبؤ بنتائج هذه المحاولة التي تسعى إلى « صناعة كيان مخطط وتماسك » . ولقد حدث أن عرفت رجلاً ذكياً وجذاباً لم يكن ناجحاً في مهته التي اختارها كمثل ( وهناك صورة كاملة له في روايتي « ضياع في سوهو » ) . وكانت أول استجابة له إزاء افتقاره إلى النجاح هي أن يضع نظرية تقول بأن المجتمع الحديث ليس سوى « قميص مجانيب » من « مقاس

• لهذا في الفرنسية أن تطابق على الرواية اسم « الخاتم » ( ص . ج ) .

صحيحاً لو وضع فيه الأرواح الخرة . وأن الوجود البوهيمي من الناحية الأخلاقية هو إجابات الوحيد على هذا المجتمع . وحينما ازدادت مشكلته حدة وتعبداً أصبح عصبياً يشعر بأنه لا يوجد لمواجهه مكان في الجحيزا ، لأن اختياره أخذ أصبحها ، البروج nips ، (وسواهم من الذين كانوا مسؤولين أيضاً عن المحطات التي تعرضت لأعماله) . وقد فشل الرجل نفسه في ويون حول ، في العام الماضي . بعد أن ألقى القبض عليه لتهرب حشيش القنب . ولقد حررت لساعات حر مونه . ولكني لم أستطع - بأمانة - أن أفكر في أي طريق كان يمكنه من خلاله أن يكيف نفسه مع حقيقة العالم الذي عاش فيه .

إن الإحراج إلى تثبيت وخرس بناء منطقي لا يحتاج إلى هذا النوع من التأكيد النفس الثاني . ولقد وصف «إفوارد أبورده» في روايته : «في الثلاثينات» كيف بدت مختلف المشاكل الشخصية كما لو كانت غير قابلة للحل من خلال الفن أو الشعر ، وكيف وصل إلى القبول بالعقائد الماركسية القاتلة بآثار البناء الاقتصادي للمجتمع كان المسؤول عن تعاطفه هو الشخصية . وقد أدى به هذا القبول - كما يعرف - إلى نوع من العقم الفني . فإن اختيار «البناء المنطقي» لا يقوم على التساؤل عما إذا كان هذا البناء يعبر المرء على التكيف مع أنواع الاحتمالي . وإنما يقوم هذا الاختيار على التساؤل عما إذا كان «البناء المنطقي» مساعداً بصورة مطلقة على التعبير عن أفضل إمكانات الإنسان .

ولقد حاولت في شخصية «آرثر لينجارد» أن أصور تطور «الرجل الحق» الذي هو أيضاً «لاستمر» في تصوري ، أي أنه إنسان ، في جوانب معينة ، أكثر موهبة وقادرة على التحليل من كل من حوله . ويمتلك من الإرادة والقدرة أكثر مما يمتلكون . إن حياته ليست تراجمية بالمعنى الاغريقي القائم على المصير الذي لا يمكن الإفلات منه ، وإنما هي حياة تراجمية فقط بمعنى وفوق صاحبها في الاختيارات الحظ التي اختارها بحرية والتي تسهي عبوط قدراته الخلاقة . إنه لا يتطابق مع تحطيط «فان فوجت» للرجل العيب . أو مع «اللاستين» الذين رسمتهم أنا ، الذين كان أكثرهم خلاقين حقيقيين .

ولأنه يقع بين هذين الطرفين فإن أحده بالغ الأهمية - وهو نفس الشيء الذي عظمي أرى أن مشكلة الطفلة الإحرامية مشكلة «الغالب الأعمى» . ويرجع ذلك عظمي إلى هذه الرواية باعتبارها الجزء الثالث من ثلاثة للدراسات المحرمة مع الروايتين السابقتين - «لقوس في الظلام» - «القصص الرجائي» - ليس أكثر المحرمة من «الرجال المحققين» - «وليام هم» - «مسافرون» - ولكن أسلوب المحرمة «رجال محققون» والفعل «مسور» من «كونن» أو «مانويل» أو «جان» - «تغوك» «فان فوجت» - «يستحق أكثر» «الرجال المحققين» «العالم» بأنهم يقضون عود صدق في ذاتي يكاد لا يمكن تصديقه . «وإنما لا عمل بالملاحظة الأخيرة هذه أي مشكلة مملأ» - «فإنها تنجح عملاً» «هنا» «الساعة» - إنه يؤمن بأن نظاماً ميسباً «بجرائمياً» سيكون التأمين الأول «عبد» «الرجال المحققين» . لأنهم يستطيعون أن يعرضوا «المطوية» في يومهم . أو حتى في مشاكلهم إذا حدثت وكان أحدهم رئيساً لعلم ما . ولكنهم إن عرضوا مثل هذه السيطرة في الميدان السياسي - حيث سيكون عليهم أن يصلحوا «بشخص» «تفرون» من ذوي العزم والقوة ويؤدي هذا «بمور» إلى التأكيد الذي يسوقه «فان فوجت» بأن الاعتراض الحقيقي على كل العلم الشمولية إنما يكمن في أنه من المعتاد - وليس على الدوام - في مثل هذه النظم ألا يصل إلى السلطة سوى «الرجال المحققين» - وهذه فكرة عامة تقول بأن أكثر اختلافات أهمية بين الإنسان هو الاختلاف بين الأشخاص المستقرين المعقولين الذين هم بصورة مطلقة «متحكما» أفضل في مواجهة المشاكل «الوهابيات» - وبين «الرجال المحققين» الذين يبرهنون أنهم «براب» «جوية» - ثم يترلقون نحو العنف العصابي «فإنها كان» «فان فوجت» على مساواة - كان مشكلة «مدممة» الأملية هي أن يتعلم كيف يبر «الرجال المحققين» - «وغير» هم - لكني تعلمهم كيف يسون في أنفسهم أنواع «وسائط» «داخلية» وقد يطر إلى «الرجال» «الاعتراض» تعقيداً حسن البناء للمشكلة - «محاولة» «لاستين» أن «الرجال المحققين» «سواء» «المفروضة» «ولا» «تصور» «كاملة» على «محاولة»

كولين ويلسون

## الفصل الأول

لم يكن أكثر من رأيتهم من المجرمين خطورة حبس زنزانة في جناح الأمن الأقصى من سجن « دورهام » : وإنما كان نزيراً في سجن « روزهيل » التجريبي بالقرب من « سيدجفيلد » - وهو سجن مفتوح يدار وفقاً للأماليب السويدية ، حيث لا يخضع النزلاء الخمسة والسبعون إلا لأقل قدر من الرقابة . لقد كان هو « آرثر جيمس لينجارد » الذي كان يقضي السنوات الأخيرة من حكم بالسجن لمدة ثمانية أعوام بتهمة قتل من الدرجة الثانية : فقد قتل عرضاً رجلاً عجوزاً في أثناء محاولته السطو على منزل العجوز . وكان لينجارد قد قضى ثلاث أحكام سابقة بالسجن ، مرتين بتهمة كسر الأبواب والدخول عنوة ، ومرة بتهمة الاحتيال . كان ينظر إليه بوصفه معتدل الذكاء ، وإن لم يظهر ذكائه إلا بصورة متقطعة ، كذلك كان يمثل حالة معاناة منذ الطفولة لنوبات الصرع . وبقدر ما أعلم ، فإن أحداً لم يشك في أنه مرتكب جريمة القتل التي تمت في سيارة صغيرة ، وأنه قاتل الضحية التي وجدت في لدير ترندي جوارها البيضاء ، وأنه الرجل المسؤول عن جريمة القتل التي وقعت في حديقة مدينة « دونكاستر » في عام ١٩٥٧ .

لقد وضعني لينجارد في أغرب أزمات حياتي العملية كلها وأكثرها إثارة للتحيرة . إنني بوصفي طبيباً نفسياً للسجن ، فمن الواضح أن يكون ولائي الأول وواجبي في خدمة الجمهور وسلطات السجن . ولكن ولائي وواجبي كطبيب إنما يتجه إلى مرضاي . والأكثر من هذا هو أنني اعتقدت دائماً بأن أعظم فرص النجاح تتاح للطبيب النفسي إذا استطاع أن يتعامل مع مريضه



وكانت النظرة البادية على وجهه قائمة وثابتة . كان يشبه حيواناً يائساً يرتشم من البرد .

كان لينجارد يتمتع بوجه أقرب إلى الجمال . رغم أن قلة النشاط في حياة السجن قد جعله سيباً . وكانت جبهته مرتفعة دائرية في تاسق ؛ فالأنف متقاربي يكاد يكون مستقيماً والوجه دائرية . وكان الفم حسياً دقيقاً يتهدل تضعف عند الركبتين . وأعطته العينان الملاحظتان مظهر السحاب المذمور وكان الشعر قائم اللون مجعداً . ولسب ما . آثار شفقي على القور .

احتبت فوقه وقرقت بأصابعي أمام حبيبه . وظلت العينان رجاجيتين . دون أن تطرفا . جذبت جلد الخمن التحتي إلى أسفل ؛ كأننا متورمتين وقد احمرنا بالدعاء المحبسة . تماماً كما كان يوسعي أن أتوقع من التركيز الشديد الظاهر على نظرتيه المندفة الثابتة .

قلت : « آرثر . أنا « كاهن » . « صامويل كاهن » طبيب السجن . أنا هنا لكي أساعدك . ما الذي يزعجك إلى هذا الحد ؟ »  
كان ذلك دون أمل في نتيجة : فانه قد يكون أشبه بمن ينفرد بنفسه فوق قمة جبل مرتفع .

فرحت مؤخرة رأسه . وصفقت بيدي أمام وجهه . ولكن كان من الواضح أنه لا يشعر بوجودي .

كان ذلك مما يدعو إلى الارتباك . سألت الحاكم إذا كانت النوبة قد سبقتها صراحة المصروع . وما إذا كان قد أبدى علامات على الاضطراب أو عدم التركيز والنشئ في القسم الأول من اليوم . فأجابني بالنفي . ولم يدلغني ذلك . فقد كانت حالته أقرب إلى الاعماء التحشي منها إلى الصرع . ولكن تاريخ حالته كان سلبياً تامشناه نوبات الصرع العارضة والتي كانت نهاجته على فترات طويلة . أي مرة كل أربع أو خمس سنوات .

لم يكن هناك الكثير لكي أفعله . فعدت أن أتركه لا أفي من فتره بعد الظهر . وأحسرت الحارس بأن يرافقه معاملة . لكي يلاحظ إن كان سيستمحي

وأن يدخل عالمه : فالعلاقة المثالية بينهما يجب أن تكون علاقة حب . ولكنني سرعان ما اكتشفت أن شخصاً مضطرب العقل إلى درجة الخطورة قد عولج وعومل باعتباره شخصاً جديراً بالثقة وغير مؤذ إلى حد ما . ولقد كنت أعرف أن واجبي هو أن أحذر حاكم السجن . ولكنني عرفت أيضاً بأنه إذا ما فعلت هذا ، فإني أكون خائلاً لروابط الثقة المثبتة التي برزت بين لينجارد وبيتي . وقررت أن يوسعي أن أقبل المخاطرة : وكانت نتيجة ذلك أن استطعت أن ألقى نظرة فاحصة ونافذة ، مفرعة ومضرة ، داخل عقل واحد من أكثر المرضى العقليين تعقيداً في القرن العشرين .

\*\*\*

في التاسع عشر من شهر يونية - حزيران - عام ١٩٦٧ لم يكن قد انقضى على عملي في سجن « روز هيل » سوى شهر واحد ، ولم أكن قد رأيت « آرثر لينجارد » بعد . وحينما وصلت إلى السجن بعد ظهر ذلك اليوم أخبرني الحاكم ، « ستر فراثك سليسور » بأن لينجارد قد أصيب بتوبة من نوع ما ، وبدأ عليه أنه في حالة من الانقباض الشديد . وصحني سليسور إلى حجرة لينجارد - فمن الصعب أن نسميها زفرانة - ورأيت هناك للمرة الأولى . كان جالساً في زكن من أركان الحجرة النظيفة المبهجة . وقد تشنجت قبضته . وبدأ عليه كما لو كان يريد أن يدفع نفسه إلى الخلف لكي ينفذ من الجدار . كان وضعه شبيهاً بوضع الجنين داخل الرحم ، وقد اثنت الركبتان إلى أعلى نحو الصدر ، وكل من القمصين تنضخت بقوة على إحدى الركبتين . ولم تد عليه أية علامة على الاهتمام بوصولنا ، محدقاً في القضاء بتوتر بلغ من شدته أنني ظننت أنه سيكون من المستحيل أن يستمر طويلاً . وأخبرني الحاكم بأن هذا الوضع كان هو المرحلة الثانية من مراحل النوبة . كانت النوبة قد بدأت في الثامنة من مساء اليوم السابق ، حينما ترك مشاهه لكي يسقط في حجره . ثم بدأ عليه الارتباك بعد ذلك ، غير متيقن من المكان الذي يوجد فيه . اقتربت منه فرائت أنه كان يرتحف رجفة خدمة .

عندما تنصرف . وفي طريقني خارجاً من الباب ، لاحظت الصورة الموضوعة على المنضدة الصغيرة - وكانت صورة بنية مشرقة الاضاءة . التفتلها وحلقت فيها ، كانت صورة لمجموعة عائلية ، وكانت المرأة جميلة جداً ملحوظاً ، مرتدية « الفستان » ذا الأكتاف المرشعة الذي كان شائعاً في أواخر العشرينات . وكان الزوج رجلاً عصبياً مربع الوجه له فم غضوب في شكل القمح . ورغم أن نواحي الشابه كانت قليلة جداً ، فقد استطلعت أن ألمح في الصورة آثاراً من ملامح آرثر لينجارد .

كانت الفتاة ذات السنه أو السبعة أعوام - التي كان من الواضح أنها الابنة - جميلة جداً يلفت الانتباه كاملها ، تمتع بتلك الأسنان الدقيقة المنتظمة اللبنة ، والعينين الداكنتين الكبيرتين والشعر المجعد الذي تمتع به أمها . وأخيراً ، كان هناك آرثر ، الذي يصعب أن يكبر عن طفل رضيع . لقد بدا - مثل أكثر الأطفال - خائلاً من أي تعبير في ستره الباردة التي يرتديها ، محديقاً في الكاميرا باهتمام قليل . وكان وجهه أيضاً يشبه وجه أمه ، رباناً ، صادقاً . ولكنه لم يكن في مثل جاذبية وجه شقيقته . دفع وجه الأم إلى ذهني بذكرى قديمة : ذكرى ممرضة كنت قد عرفتها قبل التخرج ، وأردت أن أتزوج بها . ولكن طالما كان الحاكم واقفاً إلى جوارني ، فاني لم أحقق في الصورة المدة الكافية التي كنت أتمناها . وغادرنا الزنزانة ، وحينما ألقيت نظرة سريعة إلى الوراء ، كان آرثر لينجارد ما زال يبدو متوتراً عصبياً .

أمضيت الساعات الثلاث التالية في الحديث مع الزلاء الآخرين حول مشاكلهم . ولم يكن أحد منهم مصاباً بمرض خطير ، باستثناء واحد رقيق مصاب بانقباض عقلي بسيط . كانوا يريدون أن يتحدثوا عن عائلاتهم وعمما يمكن أن يفعلوه حينما يخرجون من السجن . كانوا يستمعون بتبادل الحديث معي ، لأنه كان مما يثير زهوهم أن يتحدثوا مع طبيب تسمي كتب كتاباً شبيهاً ناجحاً في هذا الموضوع . وكان يعاملهم بوصفهم بشرأ مهديين جادين . وليس بوصفهم مرضى . بوجه عام ، كانت الأمور تسير سيرا حسناً في « روزهيل » .

ولقد راق لي هذا المكان وسكانه ، وخاطموني شعور بأنني أقوم بعمل جيد وطيب . ولكن مشكلة آرثر لينجارد أزعجتني ، فقد بدا لي أن الأمور لن تسير بهدوء بعدها . وفي الساعة الخامسة ، عدت إلى حجرته ، وكان ما يزال في الوضع نفسه .

لقد أزعجني توتره . كنت أخشى أن يتحول إلى توتر مزمن خطير ، سيكون هو البداية لانهايار بنائه النفسي . وقد تؤدي هذه الحالة إلى الموت عن طريق الاجهاد ، الموت دون أي سبب جسائي محدد . وقررت أن أحقنه بمهدئ . قبل أن أترك السجن . أمسك به حارسان ولكن ذلك لم يكن ضرورياً . لقد ظل ساكناً تماماً بينما انغرت الابرة في الجرح العلوي من ذراعه ، وبعد ذلك قلت للحراس إن يوسعهم أن ينصرفوا . ثم جلست على الفراش . جلست هناك محديقاً في الصورة القائمة على بعد عدة ياردات قليلة فوق المنضدة . لماذا شغلني هذه الصورة واستأثرت بتفكري ؟ لأنها بدت لي صورة لأسرة كاملة تمتع بالصحة والسعادة . فلا بد أن الزوج كان يشعر بفقر كبير من القناعة والرضا حينما كان ينظر إلى زوجته الناعمة الجميلة ، ثم نظرت إلى صورتها . وحلقت في صورة الابنة التي كانت تبدو فحاشة بقدر ثابت وكبير من الحوبة الخالصة . كان الصبي الصغير متحنياً إلى الخلف على ركبة والدته ، وقد استقرت يده على كتف شقيقته . ولو طلب مني أن أقم تنبؤاً بتعصير أصحاب هذه الصورة . وعصير هذا الطفل - لقلت إنه لا بد قد كبر سعيداً في أمان . مزوداً بكل ما كان يحتاجه من حنان تمنحه إياه قربيته الحريصات عليه . ومزوداً بمعرفة أن والده قريب منه دائماً من أجل حمايته . فما الذي حدث لكي يحول الطفل الآمن إلى الحيوان المرعف المتكوم في الركن ؟ ومجأة تارك كل فضولي الانساني والعلمي - لقد أردت أن أعرف .

أرسلت واحداً من الحراس إلى مكتب المدير في طلب الملف الخاص بلينجارد . وحامى الملف مع قفصامة كتب عليها « تعال إلى مكنتي واشرب كأساً قبل أن تنصرف » .

لم يخبرني التقرير المرفق بالملف إلا بالقليل مما لم أكن أعرفه بالفعل . كانت جرائم آرثر لينجارد جرائم صغيرة : حوادث سطو في حداته . ثم محاولة غير مخططة للاختيال . وقد وقعت الجريمة التي حكم عليه بشأن سنوات - حالياً - بسببها في شهر فبراير عام ١٩٦٣ . كان قد تسلل إلى منزل في مزرعة نائية ، بالقرب من مراعي يوركشاير . وطعن كلياً هاجمه قتلته ، وشرع في تفتيش الأثاث - وكان من الواضح أن ذلك كان بحثاً عن النقود . وسمع المزارع - وهو رجل في الثالثة والسبعين الضخمة - فهبط من الطابق العلوي مسلحاً ببندقية صيد مشحونة . وقد حاول الرجل أن يقاوم لينجارد وأن يجعله يرفع يديه . وبينما كان المزارع يطلب الشرطة بالتليفون - هاجمه لينجارد وحاول أن يتزعم منه البندقية . وقد زعم في أقواله فيما بعد ، أن البندقية انفجرت وأطلقت رصاصها في أثناء العراك . كانت الماسورة تحت وحة المزارع في تلك اللحظة فأطاحت بنصف وجهه . وكان يوسع رجال الشرطة فعلاً أن يستمعوا إلى المعركة من التليفون ، ولكن وصولهم إلى بيت المزارع استغرق منهم نصف ساعة . كان السارق قد فر هارباً ، دون أن يترك أثراً يدل عليه ، ولكن زوجة المزارع أنه بوضوح وهو يتدفع في اتجاه الباب ، وكان صوت انطلاق رصاصة البندقية قد أيقظها . وقد مدت له وصفاً يقول إنه رجل ضخم الجثة . في حوالي الخامسة والعشرين ، له وجه مستدير وعينان جاحظتان . وكانت العينان الجاحظتان هما المفتاح . فقد تذكر أحد رجال الشرطة السرية أنه رأى وجه مثل ذلك الرجل في الملف المطلوب . وتعرفت زوجة المزارع على لينجارد بوصفه السارق المهاجم . وتم القبض عليه في مانشستر ، في اليوم التالي ، حينما كان يطلب توصيلة من سيارة شحن . وأنكر هو التهمة . في البداية ، وأصر على إنكاره حتى أبلغه محاميه أن رجال الشرطة قد قرروا أن لديهم من الأدلة ما يكفي لإدانة دون اقرار بأنه مذنب ، أي دون اعتراف من جانبه . وهنا أقر بأنه مذنب . وخضع الاتهام إلى القتل الخطأ . وكان موضوع المناقشة الأساسي في المحاكمة هو البحث عما إذا كان

قد انفجر قاتلاً : « كان ينبغي علي أن أقتلها ، هي الأخرى ، حينما قبلت له إن زوجة المزارع هي التي تعرفت عليه . وقال طبيب نفسي في المحاكمة : « هذا رجل ذو شخصية غير متكاملة وليست قادرة ، وأمثال هؤلاء الناس لا يقتلون لكي ينجحوا أو يتخلصوا من جريمة . »

وقد قال التقرير النفسي الذي أدى إلى نقل لينجارد من « سجن سترينج وايز » في مانشستر إلى « روزهيل » قال إن سلوكه كان طبيعياً بشكل ثابت ودام . بمعنى أنه لم يتشاجر أبداً مع المسجونين الآخرين ولم ينسب في أية مشاكل مع ضباط السجن . كان معظم المسجونين يحقون الحراس ويردوهم . وكانوا شديرون إليهم بكلمة « المتقويين » ( أي المستعملين جنسياً ) . وكان لينجارد مهدياً دائماً مع « المتقويين » ولم يعرف عنه أبداً أنه كان يستحب للإناث أو للاستغزاز . ويقول التقرير : « لا يتبع بالنسبة العاطفي الكافي . وهو أقل من المتوسط العادي في الذكاء . يرفض أن يشترك في أي نوع من النقاش . ومن الواضح أن هذا راجع إلى العجز عن التركيز . ولا يقرأ أبداً . » ولكني لاحظت أن هذا كان يتناقض مع تقرير طبي آخر جاء من سجن « سترينج وايز » وقال إن لينجارد قد عمل في مكتبة السجن لفترة ما ، وأثبت هناك أنه عامل كفء . إلى درجة متوسطة في شؤون المكتبات . ولا شك أن هناك الكثير من العاملين في المكتبات لا يتمتعون بالكفاية العقلية المتوسطة . ولا يقرأون أبداً . ولكن كان بين التقريرين ما يوحى بالتناقض . وكان هناك أيضاً ما ثبت أن لينجارد قد بدت عليه علامات الاضطراب العقلي في سجن « سترينج وايز » . فقلد سحب من العمل في المكتبة حينما ضغط وهو يطلع كتاباً بالبراز بأصابعه . ولم يكن هناك ذكر لاسم الكتاب .

كان المهدي . الذي حقته به بعمل عمله . فكان لينجارد قد كلف من الارتعاف . وأصبحت نظراته المحلقة أكثر عنامة . كانت الساعة نصف بعد الخامسة . فوجهت إلى مكتب المدير . وقبلت منه كأماً من الويسكي واللحج وخرجنا إلى الشرفة المغلقة على مساحة السجن الرئيسة . كانت حرارة ما بعد

الظهور تأتي بسبب منقشة وطازجة من المرامي الواقعة وراء السجن . وكان كثير من الزلاء يتجهون للفرصة للقيام ببعض العمل في الخديفة ، أو الجلوس بالخارج تحت أشعة الشمس . كان سجن « رورهيل » يستوعب بموقع مثالي ، بقعة تلي جرداء من خلفه في أحد الاتجاهات ، ثم بالظهر يتلوى من تحته خلف الغابات المغروسة حديثاً . ولم يكن الحدار المكهرب من حوله يتحتم الأفتظار . وكانت الأكواخ الخشنة النصبية والبئر المحصورة في وسط الساحة تجعله أكثر شيهاً مغمسكراً للاضطراب أو تقضاء العطلات منه سجن معلق .

كنت مسروراً بالفرصة التي أتتني لي لتبادل الحديث . فأخبرت المدير بأنني قد حققت المزيض بالهيدى . وبأنني لا أملك فكرة عما قد يكون سبب الأزمات .

أيمكن أن يكون السبب عضوياً - شيئاً من الاضطراب في الدماغ مرتبطاً بالصرع ؟

قلت : « أشك في هذا » ثم شرحت له باختصار حالتين أخريين من الاعضاء التناسلية واجبتها في أثناء التمرين الطبي . وكيف كانت الأعراض في الحالتين متشابهة مع أعراض حالة لينجارد . ولكن ، كانت في الحالتين خفيفة سابقة على التشنج العصبي . كانت كافية لكي تنشأ وتخلو تماماً نوحشك أن نواجهه . أما ما كان يرتكبي فهو عدم توقع نوبة لينجارد ووقوعها بشكل مفاجئ .

سألته : « ألم بهم الدكتور فاسي » - الذي سبقني هذا في العمل - به أي اهتمام ؟ كان الدكتور المذكور قد انتقل إلى لندن ليشارك في دورة تشريعية .

« آه - هذا محتمل . ما زلت أحتفظ بأكثر ملفاته في المكتب الملحق » .  
 دخل إلى مكتبي ، وخرج بعد دقائق قليلة حاملاً ورقة واحدة . كانت مكتوبة بخط اليد . الأمر الذي كان سبباً في عدم إرفاقها حتى الآن خلف لينجارد . ولم يكن ما كتب عليها سوى بضعة سطور تقول :

أ. آر. جيمس لينجارد . ولد في « بارنيت » شمالي لندن . عام ١٩٣٧ . أصبح عمالاً في السنوات الأولى من الحرب . وتذهب ليعيش مع بعض أقرانه في « بنجود » . وضع تحت مراقبة الضابط الاحتياقي للتجريات قبل عام ١٩٥١ بسبب حوادث الممرقة ، والتسرد العام وعدم الطاعة . حاول القيام بحم عصبي حين كان في السادسة عشرة - تلاه محاولة الانتحار . قام مسي سطو في العام التالي ونصبت الأشياء المسروقة سراويل نسائية داخله . مع تحت المرافعة بسبب ذلك وأدخل سجن الأحداث . حكم عليه في عام ١٩٥٥ ستة أشهر من السجن بسبب السطو . في عام ١٩٥٦ قام بخاطرة لاإحسان المتعلقة بألة الغسيل . حكم عليه ستة أشهر أخرى . ١٩٥٩ ستة أشهر بسبب السطو . ١٩٦٣ ثمانية أعوام بسبب السطو والقتل الخطأ . في مقابلة « باريس بوروا » - حادثة قديمة للصرع . قابل للتعليم وسهل الانقياد . بلغت مستوى الذكاء العادي .

كانت هنا ثلاثة عناصر اجتمعت الساهي على الفور . لقد أصبح شيئاً في من الخامسة أو نحوها . ويقدم هذا خطوات واسعة حياءً ضمن ما حدثت له من التجربة الأمامية المتعددة . ولقد حدثت محاولة متدبرة للهجوم الجنسي في سن السادسة عشرة . وتصبر عائلته من أعمال السطو السراويل الداخلية الساتية . ويمكن أن تكون هناك أسباب عديدة للاهتمام على روج من السراويل . فإنا نكتفقد أحدها من ملابس أخرى . يفصده أن يعوها . فإنا كان قد أثار أو قادها نهاية لتبديدها له . ولقد حدث مرة أن عرفنا أيضاً من أوسع النمل . وقد توجه إلى حدائق الملاعب الداخلية المسروقة من فور من خلال العنسل . ولكن مع معرفة المحرمات الجنس الاستي بهذا . فقد سألني أن أقوم بتبديل الاحتياط من الاعراف الجنس الذي سمي بالفتحة .

أنا في ذلك سلك ، كما مسح من هذه السطور . وقد لم لأحفظ لم التي قد وقعت . فبعد ذلك قال :

عاشت هناك ، إنها ضاحية بهجة للسكنى والاقامة . ولا بد أنها كانت في عام ١٩٣٣ تقع تماماً في وسط الريف . فإذا كانت أسرته قد عاشت هناك ، فمن المحتمل تماماً أنهم كانوا أسرة ميسورة الحال - وربما كانوا يسكنون في « فيلا » من مساكن الضواحي المتباعدة . ومن ناحية أخرى فإني أفطن أن « وورينجتون » مكان من نوع بالغ القذارة والبؤس ، وأستطيع أن أتخيل أنه لم يكن شديد السعادة .

عدت فدرست ملف الحالة كله مرة ثانية .

« إنني بحاجة إلى أن أعرف عنه المزيد . ولن يكون ثمة أمل إلا إذا استطعت أن أحمله على الكلام . » فرغت من كأسي ثم عدت إلى حجرة لينجارد . كان قد غرق في النوم على أرض الحجر ، وكان الحارس قد غطاه ببطانية أحدها من فراشه . وكان تنفسه ما يزال ثقيلاً وغير طبيعي حتى وهو تحت تأثير المهدى .

وحيثما كنت أجلس في سيارتي ، في انتظار أن يفتح الباب لي للخروج : جامعي حارس البوابة وقال :

« بود المستر سليسور أن يقول لك كلمة يا سيدي . إنه في مبنى الإدارة . » افترضت أن ثمة عملاً آخر كان قد غفل عنه أو نسيه . ولكنني حينما عدت إلى مكنتي ، وجدت حارساً من حرس أقسام الشرطة جالساً فوق أحد المقاعد . قال سليسور :

« أعتقد أنني قد حصلت على شيء لك يا سام . إن المذكور من مقاطعة « نارييس بورو » قد هتف لي بالتلقين . وهذا هو « ماستر جينكز » الذي يمشي في « نارييس بورو » .

صافحت يد الرجل المتوسط العمر الثقيل البنيان الذي كان يبدو في هيئة المزارعين ، وسألته :

« هل تعرف شيئاً عن آرثر لينجارد ؟ »

« لقد سمعت حكاية عنه يا سيدي . ولا يمكنني أن أقول إنها توسي بأني

شيء . يؤخذ عليه . لقد كنت صادقاً حقيقياً لرئيس الحراس في قسم الشرطة في « نارييس بورو » . وحينما ألقي القبض على هذا القبيح بسبب قتل « بنسون » العجوز ، الجبرتي رئيس الحراس انه كان بين من كانوا موضع الشك في قضية قتل أخرى - وكانت القضية فتاة بالقرب من « ستوكسبريدج » - ولا أستطيع أن أتذكر اسمها . »

مدت سليسور يده في جرح مكنتي وقال : « من السهل تماماً أن تعرف اسمها . تقول بالقرب من « ستوكسبريدج » ... ؟ وأخرج ذليلاً مزدوجاً لأرقام التليفونات وأضاف قائلاً : « وبمكنتنا أيضاً أن نكون في منتهى الدقة » ثم طلب من القائم على الاتصال الهاتفى للسجن أن يوصله بقسم شرطة ستوكسبريدج . وبعد لحظة كان يقول : « أيمكنني أن أتحدث إلى السيرجنت القائم بأخدة من فضلك ؟ أنا سليسور ، مدير سجن « روزهيل » . واستمرت المحادثة لمدة عشر دقائق بينما كان يسجل بعض الملاحظات في كراسة مذكراته . وحينما وضع الساعة في مكانها قال للحارس : « لقد كنت على حق . كان لينجارد موضع شبهة في تلك القضية » وراح يقرأ من ملاحظاته المسجلة : « كان اسم الفتاة « إيلين ماركيز » . عمر عليها في فبراير عام ١٩٦٠ بالقرب من « إيودين » في « ميدلهورب مورز » . ومن الواضح أنها كانت ابنة رجل يدعى « جراجا » للسيارات . وكانت من حين إلى حين تساعد والدها في أعمال سيارات الأجرة . وفي وقت متأخر من مساء أحد أيام الجمعة . أجابت على مكالمة هاتفية لكي تصطحب رجلاً بسيارتها إلى « ليدز » - على بعد ما يقرب من عشرين ميلاً . وذهبت فأخذته بالسيارة من أحد الفنادق في الساعة العاشرة والنصف . وفي الساعة الثانية من صباح اليوم التالي ، كان رجل على « دراجة بخارية يمر فرأى سيارة تحترق على بعد خمسين ياردة من الطريق . وعمر على الفتاة راقدة بجوار السيارة ، وهي وثيابها تأكلها النيران . وكانت قد فلتت بصرته عتقة على مؤخرة الرأس . »

« وهل كانت قد اغتصت ؟ »

« أجل . لقد أثبت التقرير الطبي أنها كانت علواء قبل أن تتعرض للهجوم . »

« ولماذا وضع لينجارد في قائمة المشبه فيهم ؟ »

« لقد ظن والد الفتاة أنه كان الرجل الذي رآه يتسكع حول « الخاراج » - وكان يقود سيارة صغيرة من سيارات اصلاح اجهزة التليفزيون . وقد تم استجوابه مرتين ، ولكن لم يكن ثمة أي دليل . ولا بد أنهم قد قرروا أنه كان بريئاً لأنهم ألقوا القبض فيما بعد على رجل يدعى إيفانز . »

قال جينكينز : « هذا شيء . لم أكن أعرفه . »

« ولكن هذا الرجل لم يقدم أبداً إلى المحاكمة ، بسبب الافتقار مرة أخرى إلى الأدلة . »

اثباتي الدهشة بسبب رد فعلي لإزاء كلمات : « لا بد أنهم قد قرروا أنه كان بريئاً . » فعل أي حال ، فإنه لا اختلاف بالنسبة لي ، بين ما إذا كان لينجارد مذنباً أو لم يكن . إنه لم يكن سوى « حالة » . وعلى العكس ، فإن احتمال أن يكون قاتلاً جنسياً قد يقدم لي مفتاحاً لأزمته وانهاره الحالي .

أخذت ملاحظات الحاكم معي إلى البيت . وكنت قد قررت أنه قد حان الوقت لفتح « ملف » جديد لأرثر لينجارد . وفي ذلك المساء كتبت خطاباً إلى الطبيب النفسي الذي كتب التقرير الوارد من سجن « سترينج وايز » لأسأله إن كان يوسعه أن يذكر لي شيئاً عن الكتاب الذي ضبط لينجارد وهو بملطحه بالسراز .

طلعتي فرانك سليسور قبل الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي بالتليفون ، وقال لي : « لقد قلت لي أن أعرقك بأي تغير يحدث . إنه يكاد يكون قد عاد إلى حالته الطبيعية هذا الصباح . وهو لا يريد أن يتحدث إلى أي مخلوق ، ولكنه تناول طعام افطاره . »

« حسناً حاول أن تعطيه قلماً وبعض الورق . » كنت أعرف من تجربتي السابقة أن هذه الطريقة تشر دائماً مع المرضى الذين يكونون ما زالوا متاعدين

إلى داخل قلوبهم إلى حرجة تمنعهم من الاتصال بالآخرين عن طريق الكلام . إن منطقة « ويست هارتبول » التي كنت قد اشترت فيها منزلاً ، تبعد عن السجن مسافة تقطعها السيارة في ساعة واحدة . ولم يكن هناك في « روزهيل » ما يكفي من العمل للقيام بالخدمة لمدة يوم عمل كامل كل نهار بالنسبة لطبيب نفسي ، وقد اعتدت أن أمضي ساعتين أو ثلاث ساعات في فترة بعد الظهر كل أسبوع هناك . عاملاً على تقسيم ما بقي من وقتي بين المصحة العقلية المحلبة وبين عملي الخاص . ورغم أنني لم أكن ملتزماً بالعودة إلى « روزهيل » حتى اليوم التالي ، فإن مشكلة آرثر لينجارد ظلت تؤرقني وتلح علي طيلة الصباح ، فقلت سيارتي مباشرة بعد الغداء .

لمحي بنظرة خاطفة دون أن يتعرف علي حينما دخلت الحجره ، وتعاملني حينما وجهت إليه الحديث . كان منهكاً في الرسم بقلم من الحبر الجفاف الأحمر . وكانت صفحات عديدة من الورق مطروحة على الأرضية متناثرة إلى جوار السرير . التقطت الأوراق . فبدأت كل ما خط عليه من الرسوم متشابهاً تقريباً : كتل متفحمة مثل السحب أو البلال المنخفضة إذ تنعكس صورتها على صفحة المياه . وحينما أمنت التحديق فيها بدا لي أيضاً أنها تشبه الأمعاء . أسكت بواحدة منها ومددتها أمامه وسأله : « ماذا يفترض أن تكون ؟ » توقف عن الرسم بأدب . بينما ظلت منتظراً إلى جواره ، بينما ظل هو على صمته . وحينما أبعثت الورقة . عاد إلى الرسم . فسألت الخارص :

« من الذي أعطاه قلباً أحمر ؟ »

« هو الذي اختاره نفسه يا سيدي . » وأشار إلى غلبة رخيصة من الأقلام المختلفة الألوان ، وضعت فوق سطح صوان الأدرج ؛ كان لينجارد قد اختار القلم الأحمر من بين سبعة أقلام مختلفة الألوان .

جلست ورحت أراففه لمدة عشر دقائق . كان نوتره ما زال قائماً ، مظهره أبيض صمغ على سن القلم . ولو كان يستخدم قلماً من أقلام الرصاص لما صمد في يده أكثر من ثوان معدودة . وكان وجهه ما زال متحشياً مشدوداً .

تجاهلي لينجارد في جلستي في مكاني ، ولكن حينما وقعت لكي أنصرف حصلت على نظرة طويلة فاحصة متسائلة من العينين الجاحظتين ، شعرت بالنتشيج ، كان هذا على الأقل شكلاً من أشكال التواصل .

نظرت إلى ما بين يديه مرة أخرى قبل انصرافي . كان قد غطى عشرين - أو نحو العشرين - من الأوراق الجديدة بالرسوم . بدا لي أن الرسوم كانت تلقى المزيد من العناية بالتدريج : ويبدأ عليه أنه يستمد نوعاً من اللذة الحسية من الحركات التلقائية للخطوط . جلست على الفراش لمدة عشر دقائق أخرى . وبينما كان على وشك أن يلقي بأحد الرسوم على الأرض ، مددت يدي وأخذت الورقة . رفع نظره إلي ، وحدثتني عيني عناه التان لا تطرفان . بدت عيناه خاليتين من التعبير ، ومع هذا فقد شعرت في الوقت نفسه بأنه كان يحاول أن يغير نظرتي المحدقة على الانكسار ، بل وأن يحاول حتى أن يتومي مغناطيسياً . ظل يحدق في عيني لمدة دقائق ، غير مدرك بوضوح لمرور الوقت ، ثم عاد إلى رسمه .

قلت : « أخبرني بشيء » ، يا آرثر . أحب أن تأتي شقيقتك بولين لربارتك ؟ « مقبي بعينين في لحظة سريعة دون اهتمام ومضى يرسم . ومضيت فحريت مطلقة أمثلها في الظلام : « وماذا عن إيفلين ماركيز ؟ « ومرة أخرى نظر إلي دون تعبير : ثم فجأة قفزت عيناه لتستقرا على نقطة ما تقع فوق كتفي ، وعبرت وجهه نظرة حذر سريعة . نظرت حولي ، ولم يكن هناك شيء : لم يكن ثمة سوى جدار خال لا يشوبه شيء . انحيت إلى الأمام وسألته : « هل تعرف إيفلين ماركيز ؟ « وبينما كنت أهدق في العينين الكانيتين ، خيل إلي - أو بدا لي - أن ثمة استجابة : نظرة حذر ومكرر . ولكنها انحضت على الفور . وبعد ذلك تجاهل وجودي كلية . وتركت رسالة أطلب فيها من المدبر أن يتصل بي ، إذا كان هناك أي تطور آخر . ثم قادت سيارتي إلى البيت .

• • •

في الثامنة والنصف من ذلك المساء ، كان أحد الحراس يحمل العشاء إلى آرثر لينجارد ، فوجده يحدق بيات في الجدار المواجه لفرشتي ويرتجف . وسأله الحارس عن المشكلة ، فتمتم لينجارد بشيء ، عن شخص ما ينظر إليه . وذهب الحارس إلى النافذة وقال : « ليس هناك أحد » . فقال لينجارد بازعاج « كلا ، هناك » وأشار إلى الجدار ، فقال الحارس : « لا أستطيع أن أرى أحداً » . فأجاب لينجارد : « إنه قناع ، قناع كهربائي : فأعطاه الحارس طعمه ونقل تقريباً بالحالة إلى المدبر . وقرر سليسور ألا يتصل بي ، طالما أن لينجارد لم يكن عبقراً بالفعل . وفي الصباح التالي كان لينجارد ما زال يتحدث عن الأقمعة الكهربائية : وكان يرسمها أيضاً . وكان ما يرسمه وجوهاً مقلصة مقلوبة كوجوه الزبانية .

وفي اليوم التالي وقعت إلى جوارده وراحت أراقبه وهو يرسمها . كان القلم يحوم لبرهة قصيرة فوق منتصف الصفحة ، ثم يصنع به قطعة لافذة مفاجئة ، ثم يبدأ يرسم الحاجب أو الأنف ، ثم يتحول إلى العينين أو الفم . وأحياناً كان القلم يتوقف في حالة من الحيرة وعدم الثبات من اتجاهه . كما لو كان غير واثق من أين تكون البداية ، ثم تحدث الطعنة السريعة ، ثم يظهر خط آخر جديد . كان الشيء الغريب هو أن آخر ما يكتمل من أقسام الوجه كان هذا الخط الخارجي للرأس . وما يكاد يكون غريباً ومخيفاً ، الطريقة التي كان هذا الخط الأخير يستطيع بها أن يغير مجموع شخصية الوجه وطيبعته جامعاً إياه معرراً عن التهديد ، أو ذاعراً إلى حد كبير ، أو ناعساً غارقاً في النوم .

وفي لحظة مفاجئة - ألقى نظرة سريعة نحو النافذة ، وكانت نظرة مليئة بالذعر . سألت : « أهناك قناع كهربائي ؟ « فهدر رأسه - فأضفت : « فماذا سيحدث ؟ « رفع إلي عييه بكأنة سامعة ثم تمتم بشيء بدا لي أنه يقول : « كلب » .

وحينما غادرت الحجره سألت الحارس إن كان لينجارد قد ذكر الكلاب من قبل فقال الحارس : « أوه - أجل - إنه يتحدث عنها من حين لآخر .

يبدو أنه يظن أنها نظارده ... كنت أعرف أن لينجارد قد تحدث مع الحراس ، ولكنه لسبب ما كان أكثر حرصاً وحذراً معي .

وبينما كنت أسير نحو مبنى الإدارة ، برقت في ذهني صورة معينة . كانت صورة المزارع المعجور الميت التي كانت مرفقة ضمن ملف لينجارد . كان وجهه قد طمس وأزيل من مكانه بفعل انفجار ملطقة بندقية الصيد . وكان جداران من جدران الحجارة ظاهرين خلف الجسد المسجى ، وكانت هناك صور لكلاب معلقة على كل من الجدارين . أيمكن أن يكون هذا مفتاحاً لحالته المرضية النفسية - أي أنه قد كُتبت في داخله صورة ذلك الرأس المخيف الذي فقد وجهه ، فأصبح هذا هو جلد الاضطراب العقلي الذي يتأبى ؟ بدا لي هذا التحليل معقولاً - فهناك صور الأوتمة التي تُهدف إلى تغطية الوجه المشوه الباعث على الغثاس ، وهناك كلاب الحراسة التي كانت تحتمي أثره لكي تنتم لموت المزارع المعجور .

كانت هذه واحدة من تلك الأفكار التي تستميل الانسان بساطتها المغربية . ولكنني حينما عرضتها على فرانك سليسور ، بدا لي متشككاً . ضغطت عليه لكي يفسر شكوكه ، فقال أخيراً : « إن ما يزعجني بشأنه هو أنه أكثر ذكاء مما يسمح بأن يديه . »

« ماذا يجعلك تظن هذا ؟ »

« لقد تحدثت مع المسؤول عن المكتبة حول الكتب التي قرأها منذ جاء إلى هنا . ثم ناولني ورقة منترعة من مذكرته ، ونظرت إليها غير مصدق ما أراه . قلت له :

« وأنت واثق من أنه ليس نحة خطأ ؟ »

« واثق تماماً . »

كان هذا مما يعسر على التصديق . كان لينجارد قد أمضى في « روزهيل » مدة لا تتجاوز الستة أشهر ، وكانت الكتب التي قرأها في غضون هذه الفترة تتضمن كتاب فرويد : « الحضارة ومساوئها » وكتاب آردري « أصول

الأجناس الأفريقية » ، وكتاب داوئي : « صحراء العرب » وكتاب لورينز « حاتم الملك سليمان » ، وكتاب سي . و . كار : « الميثاق الرومانتيكية » . وكتاباً عن تاريخ الحرب الأهلية الإسبانية وكتاب جون كابرير بوز : « أوبن جيلينور » بالإضافة إلى ما تضمنته القائمة من أسماء بعض القصص والروايات العلمية الخيالية .

قال سليسور : « هذا هو الرجل الذي وضعه طبيبان نفسيان بأنه تحت المستوى العادي من الناحية العقلية . »

قلت : « هناك تفسيران محتملان . فلماذا أن يكون الطبيبان النفسيان لم يعرفا عن يتحدثان . أو أن لينجارد كان تحت المستوى العادي في سجن « سترينج وايز » . ثم تحسنت حالته منذ جاء إلى هنا . وربما كان هذا تفسيراً معقولاً لانهيار الأخير - أي النشاط والفعالية العقلية المتزايدة ، الأمر الذي أدى إلى اصعاف عوامل الكبت السابقة ... »

« هناك بالطبع تفسير آخر محتمل . وهو أنه قد قصد أن يصدق الطبيبان النفسيان بأنه تحت المستوى العادي . »

« ولكن لماذا ينبغي عليه أن يفعل ذلك ؟ »

« هو المدير كتفيه . »

نزلت من مكتب المدير لكي أرى المسؤول عن المكتبة - وكان رجلاً شيطناً ضئيل الحجم يقضي عايمه الأخير من حكم بعد سنوات بسبب الاعتصاب . وقد أكد لي أن لينجارد كان يستفيد دائماً استفادة كاملة من التصريح المعطى له باستخدام المكتبة . واستعارة كتابين منها كل أسبوع منذ وصوله إلى « روزهيل » حتى قبل انهياره بأيام قليلة . وسألته عن انطباعه عن لينجارد فقال : « إنه قبيح النوع الواضح الذكاء . ولكني لا أقول إنه شديد الذكاء . سألته : « هل حادثته أبداً عن الكتب ؟ » فأجابني : « كلا . كان الشيء الوحيد الذي قاله : « هذا واحد من أفضل الكتب عندكم في هذه المكتبة . » فسألته أي كتاب كان هذا الكتاب . فذهب إلى أرفف الكتب ، وناولني كتاباً



من سلسلة «النجوى» . كان الكتاب هو «الماني الرومانتيكية» الذي ألفه  
 ي . ه . كار . وقال : «لقد راق له هذا الكتاب بالتعل ، وقد استعاره مرة  
 أو مرتين» . وكان هناك عنوان فرعي للكتاب يقول : «مجموعة من الصور  
 الشخصية بلساعة من الهاريين من الاستبداد القيصري في القرن التاسع عشر» .  
 وافتتح الكتاب بين يدي من تلقائه عند الفصل الرابع عشر ، وكان عنوانه :  
 «قضية ناتشايف» . أو الراهب الأول» . ورحب أنظر في صفحات الفصل  
 نظرة سريعة ، كان شخص ما قد وضع بعض العلامات على الهامش بالقلم  
 الرصاصي . على الصفحة الأولى من الفصل كتب عبارة تقول : «في حياة  
 عملية خاطئة في سرعة الشباب» . انتهت في سن الخامسة والعشرين ، لم ينجز  
 شيئاً على الإطلاق» . معنى الكلمة» . وكانت الجملة مرقمة بعلامتي تعجب  
 وعلامة استفهام . ولكن الفصل المكتوب عن «ناتشايف» كان يحتوي على  
 علامات وتخطيطات أكثر من غيره . استعرت الكتاب وأخذته معي إلى البيت .  
 وأخذت معي أيضاً كومة من الرسوم التي رسمها لينجارد . كان خدس زوجتي  
 يبدأ في العمل غالباً حينما يهبط مؤشر عقلي إلى درجة الصفر .

قرأت معظم الكتاب في ذلك المساء . وفي أثناء القراءة بدأت صورة تخطيطية  
 ذات شكل ما تبرز في ذهني . فحينما كان المؤلف يصف الثورين المثاليين :  
 كانت علامات التعجب تشير إلى عدم الموافقة أو إلى السخرية والنهكم . وكانت  
 هناك جملة تقول : «يقول هررد إن القبلة في الحب الإنساني برهان على نيل  
 الإنسان» . وكانت أمامها علامة تعجب وعلامة استفهام . وكان هناك سهم  
 صغير يشير إلى أسفل الصفحة ، حيث كان شخص ما قد رسم كلمتين ، وأحدهما  
 يشتم مؤخره الآخر .

كان الفصل المكتوب عن ناتشايف يقدم الدليل على العناية في القراءة .  
 إن ناتشايف هو أكبر الثورين قسوة وبعداً عن الاخلاق ، وهو الرجل الذي  
 ملن أن الثورة هدف في حد ذاتها ، وآمن بأن أية جريمة مبررة باسمها . لقد  
 كان ناتشايف هو الذي رتب عملية قتل أحد أتباعه لكي يوحد صفوف جدياته

الثورية . وفي الصفحة الأخيرة من الكتاب ، كان هناك تعليق كتب بالقلم  
 الرصاصي يقول : «أكثرهم بلهاء» .  
 سجلت في ذهني ملاحظة لكي أراجعتها في ملف لينجارد في اليوم التالي .  
 لكي أرى إن كان خط توقيعه بمائل خط الكتابة أم لا . ولكن لم تكن هناك  
 حاجة إلى ذلك . فقد كانت زوجتي تجلس أمامي تنظر في الرسوم فقالت لي  
 وهي تتاولي أحد الرسوم : «هذا رسم غريب» . في الركن العلوي الأيمن  
 كان لينجارد قد كتب عبارة تقول : «هذا شيء مفرف» . وقارنت خطه  
 بالخط الموجود في الكتاب . كان خطه هنا أكبر وأكثر حدة في زواياه .  
 ولكن بدأ واحدة كانت هي التي كتبت الخطين .

لاحظت أيضاً أن الرسم نفسه قد اختلف في جانب أسامي من جوانبه عن  
 الكتل المتبعة الأولى . كان هذا أكثر ميلاً لتحديد الروايات . وزواياه تمائل  
 في حداثها زوايا الخط الذي كتب به عبارته . لسبب ما . أراد أن يهرب من  
 المنحنيات الناعمة . أراد شيئاً أكثر تنظيماً وتجريداً . وبدلاً من كتل الامعاء .  
 كان هذا الشكل يبدو أكثر شيئاً بالجمال المعكسة صورتها على صفحة المياه  
 في إحدى البحيرات .

«ها هي واحدة أخرى» . وتناولني رسماً لأحد «الأقنعة الكهربائية» . وقد  
 كتب عبارة كلمات تقول : «لقد خلق الله العالم» . ولكنه انزعج من بين يديه .  
 كان الأمر أكثر المارة للاهتمام في العبارة الأمريكية . «هذا شيء  
 مفرف» . فهل كان يعني أن الرسم كان من الرذالة لدرجة أنه لم يستطع أن  
 يتحمل النظر إليه ؟ ثم تذكرت أن المرضي النفسيين غالباً يقولون ما يقولونه  
 حرفياً إلى درجة غريبة . لماذا يعني أن يكون الرسم مفرفاً ؟ وما هو الذي  
 مفرف ؟ كان الخواب واضحاً . البراز ؟ ممدت يدي وأخذت رسماً من  
 الرسوم الأخرى من فوق ركنه زوجتي الآد حصلت على النتائج : وكان  
 واضحاً . كانت تلك الامعاء الملتفة المتقنصة الماركة كلاً تقريبية الشكل من  
 الماركة . ولكن إلى الذي حرره الانحصر الصريح الحس لا يكون واضحاً

ولا ملتويًا . إن افراز الشخص المصاب بالاسماك وحده هو الذي يخرج في صورة هذه الكتل الدائرية الشكل . كان لينجارد يرسم برأز شخص مصاب بالاسماك - رمزاً لتصلبه وتجمده الداخلي . ثم حدث التردد . « هذا شيء مقرف » ثم أصبحت الخطوط غامضة حادة الزوايا . ثم حدث على الفور ، وبعد تمرده الناثر مباشرة ، أن جاءت الأقمعة الكهربائية . وربما كانت قائمة أمامه على الدوام - وتذكرت نظرة الخوف التي ألقاها فوق كتفي حينما سألته عن « إيغلين ماركيز » . ولكنها الآن كانت تنتصب أمامه طول الوقت .

قد يبدو كل هذا تفسيراً ذاتياً متصفاً : ولكنني كنت أحاول أن أستفيد من أنواع الحدس التي كونتها عبر ثلاثة وعشرين عاماً من العمل التطبيقي . والسبب : لم أدرك أنا نفسي ، لماذا خلب لينجارد لي . وشعرت بأثني مثل طفل استغرقه الفضول وحب الاستطلاع . أردت أن أعرف سره . وبدأت في تلك اللحظة كما لو كنت أحصل على اشارات أو لمحات غير مباشرة للدراما من نوع ما كانت تتشكل وتدور في داخل عقله . ثم يكن هذا الرجل أبله . إن مشكلة آرثر لينجارد لم تكن مما يمكن تلخيصها بكلمات الضعف وعدم الكفاية . كان هذا الرجل رازحاً تحت نوع من أنواع الشياطين . وقد حاول هو أن يفلت من قبضتها بالراجع نحو عالم السلب الذي يكونه الانقسام التشنجي ، ولكن جزءاً من كيانه قد رفض أن يستسلم . وكان الآن يقاوم مرة ثانية في عالمه الخاص الغريب ، مثل رجل حاصرته الوحوش وأوقعت به داخل بونقة زجاجية مغلقة . كانت مهمتي هي أن أحطم الزجاج ، وأن أحاول الوصول إلى وهدته العميقة لكي أعاونه .

ولكن أي نوع من الرجال كان هذا الذي أقتع طبيبين نفسيين بأنه كان تحت المستوى العادي من الناحية العقلية وبأنه لا يتمتع بالكفاية العاطفية ، والذي قد رادته بالفعل أحلام الثورة العنيفة - والذي رأى نفسه شيئاً كل الشبه بالموحد المجهول ناشاييف ؟ كان هذا رجلاً يفكر في الناس بوصفهم كلاباً ، وفي التعاطف الإنساني العاطفي في صورة كلبين يتشمم الواحد منهما

مؤخرة الآخر . ولقد أقتنه الآن شيء . بأنه في خطر من « الكلاب » . وكان حائضاً .

وقد طرأ لي ، في وقت متأخر من تلك الليلة ، وقبل أن أدخل فراشي للنوم مباشرة ، أنه ربما كان قتل المزارع العجوز عملاً متعمداً تماماً . كان رجل عجوز يرتدي قميص نومه قد سقطه في هذا الموقف السخيف ، وكان الرجل العجوز قد عزم على أن يسلمه للشرطة مثل صبي ضبط وهو يسرق التفاح من حديقة الجيران .... وقد انتظر هو فرصته ثم هاجم الرجل . ولقد أسكت الرجل العجوز بمثل السرعة والقوة اللتين أسكت بهما كله ، ثم خرج وسط ظلمة الليل . متجاهلاً صرخات المرأة العجوز التي كانت تقف عند أسفل درجات السلم .

وإذا كان قد قتل المزارع متعمداً ، فقد يكون من الممكن إذن أنه قد قتل « إيغلين ماركيز » .

ويزرع في داخلي في تلك اللحظة شعوري بأن « آرثر لينجارد » قد يكون رجلاً بالغ الخطورة .

في ذلك المساء ، بدأ لينجارد في الصراخ . كان مفتعاً بأن شيئاً ما كان يحاول الهجوم عليه بالداخل من خلال النافذة . وتطلب الأمر استخدام ثلاثة من الحراس للسيطرة عليه والناسه قيصاً من قنصان المجانين . وأعطاه طبيب السجن جرعة قوية من عقار مهدى . ولكنه استيقظ ثابة بعد ساعات قليلة ، صارخاً مستنجداً من رجل يهدده سكين . وفي الصباح التالي نقلوه إلى أكثر غرف السجن تطرفاً حيث كانت صرخاته أقل صخباً من أن تسمع الآخرين . وأرسلوا في طلبني . كان الطبيب قد اقترح نقله إلى مستشفى للأمراض العقلية . وعارفت أنا هذه الفكرة بصراحة . مشيراً إلى أن هذا العمل لن يؤدي إلا إلى إيداعه بسب وسعه في « عنبر » مزدحم بالآخرين من الرمنس العقلان . وتذكرت حادثة كانت قد أثمرت في عدد من المناسبات السابقة

مع المرضى ذوي حالات الاضطراب الشديد ، فاقترحت عليهم أن يقدموا له اللبن الدافئ في زجاجة من زجاجات ارضاع الأطفال . كان عدد كبير إلى درجة عربية من المرضى العقليين يتسكون بارتياح عميق بهذا الاقتراح الذي يوحى لهم بأنهم ما زالوا أطفالاً يرضعون اللبن . وحينما وصلت إلى «روزهيل» بعد ساعتين اكتشفت أن الحيلة قد بدأت تأثرها . كان لينجارد قد شرب ثلاث زجاجات من الحليب المحلى . وكان يرقد الآن على أرضية حجرته ، معلقاً في سقفها .

صنعتي منظر وجتية ومقدار ما أصابهما من تحول . كان الوجه قد أصبح أصفر اللون مجهداً . وعلى جبهته كانت هناك كدمة كبيرة - وأخبرني الحارس بأنه قد تخرج فسقط من فوق السرير وهو في قبض للمجالين . كانت هناك آثار دماء على وجته . وأخبرني الحارس بأنه كان يغمغم بكلمات عن رجل كهربائي يهدده بسكين .

ولما كان يبدو هادئاً لدى دخولي حجرته ، فقد حلت أريطة قميص المجالين الذي يقبذه . وظل هو يلعب شفتيه وينتلع لعابه ، ويتنم بأشياء لم أستطع أن أدركها . ساعدته على الوقوف على قدميه والتمدد فوق الفراش . وكان هناك فوق المائدة كومة من ورق الرسم وقلم أحمر ، وضعتها جميعاً على طرف الفراش وغادرت الحجره .

وبعد ساعة واحدة ، سمعت صرخاته تتعالى من الطرف الآخر للسجن . أسرعت عائداً إلى حجرته . كان يتلوى تحت السرير ، وهناك حارسان يحاولان اقتاعه بالخروج . وحينما رأيته بدا أنه قد أصبح أكثر هدوءاً . جلست على أرضية الحجره وسألته من أي شيء يخاف . تجاهلي في البداية ، ثم أشار فجأة إلى النافذة وقال : « أنظر ! الرجل حامل السكين . سألته : « وماذا يريد ؟ » صرخ لينجارد : « إنك لن تنزل بهذه فوقي . »

التحطت بعض الأوراق التي كانت مبعثرة على الأرض . أظهر الرسم لأول بدأ تمسك بعضو تناسلي لرجل ، تقطعه إلى نصفين بسكين ضخمة الحجم

ذات نصل مثلث ومدبب الطرف من النوع الذي يستخدمه القضاة أحياناً . وتجسدت السكين في عدد من الرسوم الأخرى . وفي بعض الرسوم كانت السكين تقطع أطراف أنوف الأقمعة . شبيهة بالزبانية . وفي أحد الرسوم فقط ، كانت السكين تحترق عين القناع .

استطلعت بعد نصف ساعة من الكلام المهديء أن أقمعه بالصمود ثانية فوق السرير . قدمت إليه زجاجة لإرضاع الأطفال ، ولكنه أزاها بعيداً نافذ الصبر . وحينما أعدت كرامة الرسم والقلم ووضعتهما فوق ركبتيه . قبض على القلم وشرع يرسم السكاكين .

وضعت في جيبي خلسة رسم السكين التي تقطع العضو التناسلي المذكور . بدا لي أنه رمز فرويدي بالغ الوضوح - إنه الخوف من الخصى واستئصال الأعضاء التناسلية ، وهو نتاج نوع من الخوف المجلل بالشعور بالآثم . ولكن ماذا كانت علاقته برسوم البراز والأقمعة الكهربائية ؟ « إنك لن تنزل بهذه فوقي » ، من الذي هدده بسكين ؟ ظل السؤال معلقاً في حلقة غفلي طوال حديثي مع المسجونين الآخرين . طرأ لي الشكل الخارجي لاجابة ما ينمسا كنت أعبر باحة صغيرة مشمسة ، فجعلني هذا الموقف لكي أجدق في الحشايش . لقد ذكرني النصل المثلث للسكين بالنهايات المحددة المدببة التي حلت محل المنتخبات الناعمة لرسوم البراز . كانت هذه النهايات المدببة تمثل العدوان والتمرد ضد سلبته نفسها . فلنفرض أن السكين أيضاً تمثل العدوان - العدوان ضد العضو التناسلي لشخص آخر ؟ ماذا لو فرضنا أن عبارة « إنك لن تنزل بهذه فوقي » كانت تشير إلى العضو التناسلي لهذا الآخر وليس إلى سكين ؟

كان علي أن أقوم بزيارة أخرى بعد ظهر ذلك اليوم - لشخص يدعى « بيرت » وهو رجل ضئيل الحجم متصلب الوجه من أهالي لندن . كانت الكوابيس تنهجمه في لومه وتعمله يستيقظ صباحاً مبتلاً بالعرف . وكان « بيرت » قد استجاب بشكل جيد للعلاج الاعياني العادي ، فان مجرد التأكيد الصادق من طبيب ما أن كل شيء سوف يكون على مايرام كان كافياً لكي تبدأ

عملية الحسن . كان داعراً ولا أخلاقياً بطريقة ضاحكة مكشوفة ، وكان علي أن أصل إلى الاعجاب بهذا الفاسق الصغير الذي لا يمكن تقويمه ، بينما أترف بأن هذا قد يوفر على البلاد تكاليف « إعدامه » الكامل مثل كلب يقتل صغار الدجاج . كان من نوع المجرمين الذين لا يسمع عنهم الجمهور إلا قليلاً ، لقد كان محتالاً مثلما يكون رجال آخرون ساكنين أو تجارين ، ولم يكن فيه شيء مختلط أو غير مكتمل أو دون الكفاية . وحينما سأله إن كان قد عقد العزم على أن يسير في الطريق المستقيم بعد أن يخرج قال لي : « ولماذا يجب علي هذا ؟ ما الغرض من وجودك هنا إذا كنت تتوي أن تسير في الطريق المستقيم ؟ إنني هنا لأنني أمل أن أقوم بعمل كبير في أحد تلك الأيام — عمل أستطيع أن أتقاعده وأنا ميسور الحال من دخله . إن لي حقاً في الحصول على قدر من الراحة حينما أتقدم في العمر . » لم يكن يشعر حينما يخطط لعملية سطو بأنه يعادي المجتمع أكثر من شعوره بالعداء للمجتمع لو كان يخطط لصفقة في البورصة ( سوق الأسهم والأوراق المالية ) أو في مصرف المراند ناشيونال . كانت فلسفته قائمة على الجهل والغباء المطلق ، ولكنها كانت فلسفة ثابتة على هذا الأساس . ولو كان المدير قد عرف بموقفه ، لكان من الممكن أن يؤدي به هذا إلى حرمانه من إطلاق سراحه إذا حسن سلوكه ، ولذلك حرصت ألا أذكر عنه هذا .

وحينما همت بمغادرة « بيرت » سأله : « ألا تعرف شيئاً عن آرثر لينجارد ؟ »

مز كتيبه وقال : « لا أعرف عنه الكثير . »

« كيف يفكر فيه الآخرون ؟ »

« إنه فني عادي تماماً وهادئ — ليس شديد الذكاء أو الألبعية . »

« ويمكن أن نظن أنه أكثر مهارة مما يبدو عليه ، فمثلاً ، أن يكون من قبيل النصوص أو المحتالين الدعاة ؟ »

جفل بيرت ، وقال : « لن يكون هذا في حياتك أبداً . لا مؤاخذه على

هذه الكلمة يا سيد ، ولكنك لا تعرف النصوص ولا المحتالين الدعاة . إنهم ليسوا كزهرة ورق الحائط المتواضعة . إنهم إذا كانوا في قمة انتصارهم ومجدهم ، لجعلوا الآخرين يعرفون عنهم كل شيء . »

« وماذا عن حياته الجنسية ، أتعرف شيئاً عن ذلك ؟ »

« كان هذا — بصراحة — سؤالاً لا عدل فيه . لقد كان هناك قدر معين من التمثالية الجنسية في السجن ، مثله في ذلك مثل كل السجن . ولكن لم يكن من حفي بوصفي ممثلاً للجانب الرسمي أن أتوقع منه أن يزوج بما يجري داخل السجن . ولكنه وثق في حسن الحظ . وقال :

« لم أسمع عنه شيئاً أبداً . فليس له رفاق خصوصيون . »

« وماذا عن الحراس ؟ ألا تعرف الشئوة عن أي واحد منهم ؟ »

« لا أريد أن أزع أي إنسان في مشكلة . »

« لن يزع بأحد في أي مشاكل . »

« طيب ، اسمع ، هناك هاري نيبان . إنه شاذ مثل ورقة التسعة ذات النقطة الحمراء . ومع هذا فلا يبدو عليه أنه من النوع الشرير . »

عزمت له بعيني وقلت : « شكراً لك يا بيرت . »

• • •

كان لينجارد جالساً في سريره ، وقد وضع كراسة رسمه فوق ركبتيه . لم يكن يرسم . وإنما كان جالساً يحديق في الجدار المقابل للسرير بعينين ضيقتين ، متحركاً إلى الأمام والخلف في حركة منسابة كما لو كان يدقق النظر . حلت على السرير إلى جواره ونظرت إلى ما فرغ منه من رسوم . كان هناك المزيد من السكاكين التي تقطع أعضاء التنازل الذكورية أو تستأصل المصبيين . وفجأة جعل رأسه . وحديق نحو الألفه مثل حيوان مدغور . وسال حيط من ألعاب أبيض اللون على جانب قبة . سأله :

« ما ذا هناك يا آرثر ؟ أهو قناع كهرماني آخر ؟ »

« ودون أن يبعد عني عن الألفه أو ما رأسه موافقاً ولكن دون أن ينسج إلى . »

سأله : « ما اسمه ؟ »

فهز رأسه بصفت كما لو كنت ذبابة مزعجة .

سأله : « هل اسمه هاري تيبان ؟ »

ولم يكن رد فعله مما يمكن الشك فيه أو تفسيره تفسيراً خاطئاً . بدا كما لو كنت أغرقته بماء البارد . ارتفع صوت تنفسه إلى درجة حادة ، وتقلصت عضلاته ، ورمقني بنظرة مرعبة .

قلت مهدداً : « لن يسمح له بأن يزل به عليك مرة ثانية . »

ولم يبد عليه الكلمات أي تأثير ، ولكنني مضيت في ترداد نفس المعنى بصياغات مختلفة ، ببطء وهذوء ، وظللت أراقبه وهو يسخرخي بهدوء .

أغضض عيني وتنفس بعمق . ثم امتدت يده دون هدف بحثاً عن القلم حتى أسكت به . وبدأ يرسم خطوطاً على صفحة الكراسة الموضوععة على ركبتيه .

كان القلم يتحرك ببطء شديد ، وقد راح سنه يخطئ المتحنيات المنعجة الناعمة التي كنت أعرفها ، وللمرة الأولى منذ دعيت لرؤيته ، شعرت بظفرة من

الابتهاج والفرح ، ودعشت حين شعرت بهذه الظفرة تمزج بما يكاد يكون إحساساً أليفاً قريباً من الشعور بالرغبة في حمايته . نهضت وغادرت الحجر .

\*\*\*

وجدت هاري تيبان خارج فترة الخلعمة ، وعبرت عليه بخنسي الشاي في مقصف الحراس . كان رجلاً ضخم الحجم وسيم الشكل في الثلاثينات من

عمره ، له كتفان قويان وصلبر عريض . لم يكن الوجه جذاباً للوهلة الأولى - فقد كان ناثماً العظام يكاد يتم عن العصبية الشديدة ، وقد برز منه أنف

يشبه الفأس . وكانت العينان الكبيرتان الناعمتان التيبانان مما يثير الاهتمام القليل في الرجل ؛ ورغم أنهما كانا يجتهدان الاهتمام . وعلى الفور أدركت كيف

يمكن أن يكون شعور آرثر لينتجارد إذا اعتقد أن هذا الرجل يحوك حوله حياته . ويستطيع أن يعرف هذا الإحساس أي شخص عرف امرأة مثقفة في السن

تتمتع بأي نوع من اللامع الجنسية الخديانة - سابقين جميلين له لم حسي

شهواني ، بل وحتى عيين جميلين . فالساقان الجميلتان تدفعان التفكير أوتوماتيكياً إلى الفراش والنم الجميل يدفع المرء إلى التكبير في تبادل القبلات :

ولكن فكرة ممارسة الجماع الجنسي مع امرأة مثقفة في السن توحي بالأمومة المهيمنة . هي فكرة متفردة بغيضة ، وقد أثار هاري تيبان المخيف - على الأقل

في داخلي أنا - هذا المزيج من الانجذاب والرفض .

وجهت كلامي إلى الموضوع مباشرة .

« هناك قدر معين من الكلام عثك في السجن . »

شحب وجهه رغم ما بذله من جهد لكي لا يبدو عليه الاتزعاج .

« حقاً ؟ عن أي شيء ؟ »

« أنظك تعرف عن أي شيء ؟ »

وحيثما شرع في الاحتجاج ، قاطعته قائلاً : « إسمع ، ليس لي أن أتدخل فيما تقعله مع من يقبل من الرجال . هذا شيء . اعترف به القانون الآن . »

وبدا عليه الارتياح مع الكلمات السابقة ، ولكنني استنطردت أقول : « طالما أنك لا تستخدم وضعك كحارس لكي تعرض نفسك على المسجونين . »

وبدا حينئذ يبتلع ثانية ، فقصبت قائلاً : « وأنا لا أشك في أنك أكثر ذكاء من أن تفعل ذلك . » وانهم في ارتياح .

« إذن فلماذا كنت تريد أن تراهي ؟ »

« أريد منك أن تخبرني عن شيء معين يصدق . فإذا أحسنتي بأمانة ، فاني أشك بأن هذا لن تكون له أية نتائج ضارة علي وظيفتك أو عملك . إنني أريد

أن أعرف ما يبيلك وبين آرثر لينتجارد . »

نهضت واقفاً بعد هذا وقلت له : « فكر في الموضوع بينما أحضر نفسي قهراً من الشاي . »

عدت إليه وحاسيت في مراحله وسألته بعدد من : « هيه ؟ » ودخل بعض الحراس الآخرين فلم يعد وحيداً .

قال : « تعال إلى الخارج وسوف أخبرك بالحكاية . »

سرنا إلى الخارج ، نحو الأسلاك الشائكة . قال : « اسمع ، هناك شيء يبني أن تصدغي فيه . إنني لم أحاول أن أفرض نفسي على آرثر » .

« إنني أصدقك . والآن أخبرني كيف حدث أن تعرفت به . »

« لقد تار اهتمامي بالكتب التي كانت في حجرته . إنه فني ذكي كما تعرف . لم يشأ في البداية أن يتكلم . ولكنه فتح نفسه بعد قليل ، وثرثرنا قليلاً في السياسة والكتب . و... حسناً ... حدث ذات يوم في حجرته ... طيب ... بنا لي أنني فهمت أنه كان يطلب مني أن أدخل إليه . »

« هل تارت بينكما مناقشة حول التماثلية الخسبية ؟ »

« قليلاً . لقد تحدثنا عن الانحراف الجسدي . وقد برز في عقلي الطباع بأنه قد ... حسناً ، بأنه قد عاش عديداً من التجارب ، إذا شئت أن تقولها بهذا الشكل . »

« إذن فماذا فعلت أنت ؟ »

نظر إلي بقلق ثم قال بعصبية : « اسمع ، إنني لا ... ولكن تعبير وجهي المتصلب أوقفه ومنعه من إتمام كلامه . لم أكن أمثل دور القاضي والمحقق ، ولكنني كنت مصمماً على أن أعرف . قلت : « تذكر أنني طيب ، وأخبرني بكل التفاصيل . »

كان ينظر إلي بإرجم أصابعه الضخمة المنتظمة وقد أعلق قبضته وراح يتأملها بالقلوب . قال : « طيب ، لقد قبكت » ثم استطرد مندفعاً : « ثم ... ثم لمونا ولعب كل مناع الآخمي ، وصعدنا إلى القراش . ثم بلغ كل منا ذروته . » هل بلغها هو ؟ « كنت مهتماً بهذه النقطة اهتماماً خاصاً . »

« آوه ، أجل . لقد بلغها بالفعل ، وفدلف مثل القبلة تخرج من المدقع . »

« فماذا حدث بعد ذلك ؟ »

« لا شيء ... في هذه المرة . »

« ولكن أكانت هناك مرات أخرى ؟ »

« مرة واحدة . ففي اليوم التالي ، عدت إليه وصنعنا ما صنعناه بالأمس . »

« ولكنك خلطت خطوات أبعاد في هذه المرة ؟ »

« كان قد فرر أن يتحدث عن الموضوع بصراحة وقال : « خامرني إحسان بأنه أراد هذا . وهكذا فقد طلبت منه أن يتخلى فوق السرير . ولقد عرفت من الطريقة التي فعل بها هذا أنها لم تكن المرة الأولى . »

« أولم تثر مسألة رغبته في أن يلوط هو بك ؟ »

« كلا . »

« فماذا حدث حينما انتهيت ؟ »

« قال : « انصرف ودعني الآن بمفردتي » قلت له : « وماذا عن الغد ؟ »

« فقال : « كلا ، لن يتحدث هذا أبداً . » فتركت الأمر عند هذا الحد . »

قلت : « حسناً ، شكراً يا تيبان . » وعدت إلى المصنف لكي أشرب فودج الشاي ، ولكنه لم يتبعني . وحافظت أنا على وعندي له فلم أبلغ المدير بشيء . مما عرفته . إذ ما كان هناك هدف يمكن تحقيقه من ذلك . لقد صدقت تيبات حينما قال بأن لينجارد قد قبل اللعب . لقد كان تيبات حارمه بالطبع ، ولو أنه كان سجيناً آخر ، فأعتقد أن رد فعل لينجارد كان سيصبح إيجابياً ورافضاً . ولكن سواء كان تيبات حارماً أم لم يكن ، فإن شيئاً لم يكن يمنع لينجارد من رفض تيبات . لقد كانت قصة ، أو كان موقفاً فذراً . لقد اعتاد لينجارد أن يحافظ على نفسه لنفسه . ثم وقع في خطأ السماح لنفسه بالتخاذ

صديق واحد . وتحولت هذه الصداقة فجأة وبسرعة إلى خيانة ، بالإضافة إلى مهانة أن يلام به فوق القراش .

« ولقد أحسست بالارتياح بعد شهرين . حينما ضبطت تيبات خلف دار محبة لسيما ، متعساً في بعض اللهو الجسدي مع صبي في الثانية عشرة . والمخد الحماكم اجراءاته ، ونقل تيبات إلى جهات غير معلومة . »

...

مشيت ببطء عائداً إلى حجره لينجارد . ظهر لي أن هذا بالتأكيد هو المصالح لهمم النهار . - أو أنه على الأقل أحد ممانح فهمه . إن المربص العسبي

يعيش في حالة ظاهرة وملحوظة من الخوف ، إنه يسبح في الخوف كما تسبح السمكة في الماء . والخوف يفرق كل ما يراه أو يفكر فيه . ويستطيع كل ظل يراه على الخاطئ أن يولد لديه شعوراً بسقوط معدته في أمعائه ، والقطيب النفسي المعالج يصبح موضوعاً عن موضوعات الخوف مثله في ذلك مثل أي شيء ، أو شخص آخر . والمشكلة هي كيفية النفاذ إلى عالمه المغلق ، وكيفية عكس ذلك التيار لكي يسير في الاتجاه المعاكس على الأقل في نقطة أو لحظة واحدة . كنت أملك الآن وسائل الولوج إلى عالم لينجارد الداخلي . وكانت تمتلكني في هذه اللحظة رغبة ملهوفة لاستخدام مفتاحي . ولأن آرثر لينجارد كان « مريضاً » ، وكنت أنا قد اكتشفت المفتاح ، فقد شعرت بالحساس دائم من الرغبة في حمايته . لم يكن احتمال أن يكون قائلاً مندبراً لبرائمه وعامداً إليها مما يثير أي اختلاف في هذا الاحساس . لم يكن ذلك أكثر من جانب آخر من جوانب مرضه .

جلست عند طرف فراشه . وجعلت أرقب يده وهي ترسم نصل مكين . تجاهلني حينما تحدثت إليه . رسم شكلاً أقرب إلى العضو التناسلي المذكور . أشرت إلى الشكل الجديد وسألته : « لمن هذا العضو ؟ » فتجاهلني . فقلت : « إنه عضو هاري نبيان ، أليس كذلك ؟ » إنك تريد أن تثير عضو هاري نبيان ؟ » اهتزت يده وتخرج الخط الذي كان يرسمه . ثم أسقط القلم . جرى على جلده الرمادي فجأة خيط عريض من العرق . قلت له : « لمن يهتم أحد إذا أتت يثرت عضو هاري نبيان . إنه يستحق هذا ، أليس كذلك ؟ » لأنه يفعل أشياء لا تحب أنت أن تفعلها ؟ » هبط رأسه إلى الخلف حتى لامس الوسادة وقد أغضض عينيه . بدأ مريضاً وطاعاً في السن . جعلتني همسائي أشعر بأنني مثل شيطان يقوي ناسكاً من القرون الوسطى . كنت أقول : « هيا . اقطعه ، لا تخف . » فجأة ، استدار رأسه بعنف ، ومضى تقياً فوق الرسوم المشورة على القعد القائم بجوار السرير . تصاعدت من فيه رائحة عذبة وحامضة . شعرت أنا أيضاً بالغثبان . ولكن اللحظة لم تكن لحظة الافرامد .

في الحسابية . جعلت أرقب تقلصات كتفيه . انظرت لمدة خمس دقائق أو أكثر حتى اتضح لي الخلف ، والقيء يسيل على خده . قلت له : « هذا أفضل . إنك تتخلص منه وتخرجه من كيانك الآن . » شعرت بأن جزءاً منه كان ما يزال يقاومني ! ولكن هذا الجزء كان يضعف باستمرار . تحدثت إليه بهدوء . وفي كل مرة أذكر فيها اسم « نبيان » ، كان رد فعله يظهر على الفور . اتصلت قبضته فقلت له : « هيا . أمسك بالسكين في يدك . أجل ، هكذا اقضي عليها . أمسكها جيداً . » رأيت يده الأخرى تقرب وتتقاطع مع حركة اليد الأولى . قلت له : « أجل ، هكذا . اقطعه . لا تخشى شيئاً . » ترتعت يده اليسرى ، اليد المسكة بالسكين الوهمية . قلت بجدة : « هيا ، الآن . » كانت الحركة التي تلت هذا عنيقة ومنوحشة لدرجة جعلتني أجتعل . ارتفعت وتم الوجه العارفي في عرقه عن البغض المروع . ونزلت اليد المرتفعة بكل قوتها لكي تحيط ركبته بعنف . اللحظة واحدة مليئة بالملهونة ، بدا لي أنه يسك بالفعل سكيناً في إحدى يديه وعضواً ذكورياً مقطوعاً في اليد الأخرى . قلت : « هاك هو . لقد فعلتها . » تقيض وجهه وتقلص مع تحققت ثوبه ، وجرى فوفه العرق . بدأ مثل عذاه مجهد بعد سباق طويل . مضيت في كلامي . ببطء بجمل بالنعاس : « هاك ، لقد انتهى الآن كل شيء . يمكنك الآن أن تطلووه بعيداً . . . » لم أكن أعتمد أن الفعل الوحيد العنيف الذي قام به الآن قد خفف بشكل ما من كل كراهيته لنبيان . لماذا كان ينبغي ذلك ؟ لقد كان يعبر عن الكراهية منذ أن بدأ يرسم السكاكين ، أما ما كان ينبغي فهو أنه قد سمح لي بالولوج إلى عالم خياله ، سمح لي بالولوج إلى عالمه الخاص . وكان من الممكن الآن أن يحدث شيء من الشيبين . فر بما أصبح جزءاً من خيال آخر من خيالات الكراهية ، أو ربما يتقلبي بومسي شخصاً رعباً الخبير ، بومسي قوة من قوى الخير . وحالا يحدث ذلك . فسوف أكون قد كسبت نصف المعركة . قد يحطم حينئذ ذلك المحيط السليبي . معصبت أعدادت لمدة نصف ساعة أخرى . متمسكاً لا يقطعاً أحد . أخذت أرقب وجهه وهو يسبح ببطء . كان النعاس يمليه بالترديج .

وبعد قليل بدأ يتسم : « أجل ، إنه خنزير ، خنزير قذر . كانت هذه الكلمات  
تلفظ من شفيتين نائمتين ، ودون كراهية ... وشعرت بومضة انتصار . لقد  
تعطلت البونقة الزجاجية . كان - في هذه اللحظة - قد عاد مؤقتاً إلى عالم  
الناس .

• • •

حينما غادرته بعد نصف ساعة أخرى ، كان ينام في سلام . وبعد الراحة  
التي ، السنة ، كنت مسروراً باستشاق عيب الزهور .

## الفصل الثاني

يصبح من الصعب أحياناً بالنسة للتطبيب الذي يعمل مع المرضى العفليين  
أن يحافظ على أي احساس بالكاهنة . ولكن كان لا بد أن أتسم في اليوم التالي  
حينما ذهبت إلى حجرة آرثر لينجارد . كان موضوع رسومه قد تغير . بدلاً  
من السكاكين التي تعوض في أعضاء الذكور التناسلية . كان يرسم الآن شفرات  
حلقة طويلة تعوض في أعضاء الإناث . كانت رسوم لينجارد تبت أن لديه  
موهبة فنية أساسية . فقد بدت الأوجاد المتعادلة وشعر العانة واقعية تماماً .

قلت له : « كيف حالك ؟ » فرجع إلي عينييه وأومأ برأسه . سألته : « هل  
رأيت الرجل الكهربائي اليوم ؟ » أجابني لينجارد دون أن ينظر إلي أو يرفع  
عينييه من فوق كرسيه . « لقد احتسني . » وقد قلنا بلهجة حاسنة وقاطعة .  
جلست على حافة الفراش والتفتت أحد رسومه وسألته : « ومن هذا ؟ »  
فأشار إلى منطقة العنق الأنثوي كله وقال : « هذا هو العالم . وهذه شفرة  
الله . » ولكن لماذا يعبر الله العالم بشفرته فينتحه ؟ أجبني :  
« لكي يسمح بالخروج . » « ما بحث عن الكلمة المناسبة ثم قال . ولكن  
سمح بالخروج للمياه المحملة بالطين . » سألته : « الماء المحملة بالطين ؟ »  
فقال : « أجل . الماء التي تظلم ، فهنا مادة خضراء . » وسعاه الصفار ، والطين  
الذي شبه الصبح السائل .

بعد ذلك رجسا إلى حيناً حينما سمعته حين يده الفرقة . « هو أملاً مرة  
أخرى مع الأمر . » « نعم أنه كان من الواضح أنني ما كنت بعداً جداً من  
مخافة . » ثم العالج الثاني . من الجوهر في مع الأمر . « هو من الجلي أو عصي .



أن تركه يتكلم، وأن تصغي إليه باهتمام، متظراً أن يمدك بالفتاح الذي أنت  
م حاجة إليه. إنه غالباً ما يحاول أن يتجنب الموضوع القائم في مقدمة ما يشغل  
ذهنه، وأن يخفيه أو يخفي معاملة، وأن يغطيها بلفائف كثيرة طياتها من الكلمات  
المتبادلة الغامضة. ولكن لم يكن أمامي إلا أن أحقق في رسومه لكي أرى  
كم كان علي من مسافة أقطعها.

وفي فترة بعد الظهر من ذلك اليوم، وقبل أن أذهب فأنضم إلى فرانك  
مليسيور لمشاركته في جلستنا المعتادة لمراقبة الغروب، جلست على حافة فراش  
آرتور لينجارد، محاولاً أن أحصل على استجابة ما ذات مغزى. قلت له:

« إنك رجل ماهر، أليس كذلك؟ أتعرف بمن نذكرني؟ إنك  
تذكرني بناتشايف.»

لم تحدث أي استجابة لهذا الاسم فضيبت مكملاً: « إنك تعرف سيرجي  
ناتشايف، ألا تعرفه، التوضوي الروسي؟ »  
رفع إلي عينيه وقد بدت عليهما الدهشة.  
« أوه، تفصّد نيتشيف! »

كانت طريقة تعقّي للاسم هي السبب في عدم ظهور رد فعله على الفور:  
فقد كان هو قد صاغ لنفسه نطقه الخاص للاسم « ناتشايف » (الذي كنت أنا  
أنطقه مقطعاً إلى ثلاثة مقاطع: نا-نشا-بيف). وعاد ثانية إلى رسومه  
— فرسم قناعاً كهربائياً — ولكنني لاحظت أن يده كانت مترددة غير حاسمة.  
قلت:

« أجل، إنك مثل نيتشيف بشكل من الأشكال، إنك تؤمن بضرورة  
الثورة بأي ثمن، أليس كذلك؟ »

ابتسم مكشراً عن أنيابه: أحست بأنه قد سر من كلامي. ولكن كان  
كل ما قاله: « ربما كنت أؤمن بذلك.»

« أعذا هو السبب الذي يجعلك تريد أن يظن الناس فيك الغباء؟ »  
« من قال إنني أردت هذا؟ »

« دكتور ماس (وكان ماس هو سلفي في سجن روزهيل) لقد قال إنك  
حاولت أن تمنع الناس بأنك عبي، ولكن الحقيقة هي أنك بالفعل فوق  
مستوى الذكاء العادي.»

نظر نحوي مستغرباً وقال: « هل قال ذلك حقاً؟ »  
« أجل.» (لم يكن الدكتور ماسي قد قال ذلك حقاً، ولكنني كنت  
أتخسس طريقي.)

« أنت والى من هذا؟ »  
« كل الثقة. أتود أن أطلعك على التقرير؟ »  
وبدا هذا كافياً لاقناعه. إذ بدا عليه الافتتاح بالفعل. فقلت:  
« لماذا تريد من الناس أن يظنوا فيك الغباء؟ »

لم يكن لدي هدف خاص من طرح هذا السؤال. وإنما أردت ببساطة  
أن أهدد علاقة بيننا ذات اتجاهين، من ناحيتي إليه، ومن ناحيته إلي. ومقني  
بظفرة سريعة مأكرة. وقال: « أنت تعرف السبب.»  
« كلا، لا أعرف. أخبرني أنت.»

رفع بصره نحوي، ثم أخذ قصاصة من الورق فمزقها وتناول منها  
قصاصة صغيرة استند بها على كراسة الرسم، وكتب فوقها شيئاً ثم ناولني  
القصاصة. فقرأت: « لولا ذلك لوصلوا إلي.» فسأته:

« من الذين سيصلون إليك؟ » فقال بسرعة:  
« هش ش، واحتفظ القصاصة من بين أصابعي، ودعمها في فمك  
ليضمعها. ومضعها بالفعل ثم ابتلعها. فأخذت أنظر حولي بطريقة توحي بأننا  
مبتركان في مؤامرة، وقلت له هامساً:

« من الذين سيصلون إليك؟ »  
« انصت بوجهي حتى التصلق بوجهه، فهمس من زاوية فمه:  
« رجال الحرس الأسود.»  
« ماذا، حرس السجن؟ »

« كلا . وابتسم باشفاق على غياوتي وقال : « لماذا تظن أنني هنا ؟ »  
« لا ، لا أعرف . لماذا أنت هنا ؟ »  
« لكي اختبي . منهم . إن حرس السجن هنا من أجل حصاتي . »  
« ولكن من هم رجال الحرس الأسود . »  
« ألا تعرفهم ؟ » وظهر عليه عدم التصديق .  
« كلا . لا أعرفهم . »  
فهمس بصوت خفيض للدرجة أنني لم اكده أسمعه :  
« لقد أرسلهم الزعيم الأسود . »  
« ومن هو الزعيم الأسود ؟ »  
« ألا تعرفه ؟ » اشتدت دهشة هذه المرة ، للدرجة أنه أشعرني بأحسامه  
بالعار من أجلي . جعلت أزر رأسي يحاول أن أبدو بمظهر الغي . فقال :  
« كلا . أعتقد أن كثيراً من الناس جاهلون في مثل جهلك . »  
وأخذ يمدق في وجهي كمن يحاول أن يتغذى إلى أعماقي ، ثم كف عن محاولة  
الاحتفاظ بانخفاض درجة صوته وقال :  
« اسمع ، هناك حرب مشتعلة . الكون كله مشترك في حرب ضروس ! »  
« ولكن من الذي يشترك في القتال ؟ »  
« هناك قوى سوداء من خارج الكون تحاول الوصول إلينا . وأنا أعرف  
عنهم كل شيء . » ولذلك فاهم يسعون إلى تمعيري . وهذا هو السبب في مجيئي  
إلى هنا ، لكي أخفي عن أنظارهم . « بدأت أهتم لماذا كانت حياة نيات له  
موجعة إلى هذا الحد : لقد تحول أحد حماته ليقتضه ضده . وتساءلت بيني وبين  
نفسى عن طول المدة التي عانى فيها لينجارد من هذه الأوهام .  
وتطلب الأمر نصف ساعة لكي أقتعه بأن يسرد علي حكاية « الحرب  
العظمى » التي يشترك فيها الكون كله . « كانت أقواله المتقطعة تشير إلى أن  
قوى معينة ذات قدرة هائلة على الشر قد دخلت العالم ، وأنه يستطيع أن يرى  
هذه القوى وأن يحس بها ، وأن « الحقيقة القديمة » قد أوشكت أن تصل إلى

نهايتها ، أو أن الزمن كان يوشك أن يتجاوزها ؟ أما الآن فهناك حقيقة جديدة  
مفرزة تهدد الجنس البشري بأسره . ولن يفيد في شيء . اختبار الناس بأمرها ،  
لأن ذلك لن يؤدي إلا إلى إفراجهم ، وإلا إلى نشوب اقتتال الدموي في  
الشوارع .  
ومع ذلك ، « فانه » هو . آرثر لينجارد يملك الحل السري للمشكلة .  
إنه واحد من فصيلة جديدة من البشر تستطيع أن تطور في داخلها  
قوى غير عادية ، منها قدرة النظر إلى أكثر الغيران والمهاوي المظلمة عمقاً ،  
وإدراك أكثر الأسرار رعباً ، ومن ثم ، القدرة على تدمير « الزعيم الأسود »  
شخصياً . ولقد قال لي بثقة كاملة إنه يستطيع أن يهلك رجلاً بأن يشير إليه  
بإصبعه . وهنا خاطرت بالثارة عدائه بأن سألته لماذا إذن ، والحالة هذه . لم  
يهلك هاري تيبات . فابتسم لي باشفاق على مقدار عياني . وقال :  
« لا أريد أن يعرف الناس حقيقي . ولا من أنا . فاهم ، الحرس  
الأسود ، قد يكتشفون مكان اختبائي . »  
كان خياله متكاملأً بصورة غير عادية ومفرغاً . فقد كان يوسع ملك  
المخلوقات التي تحدث عنها أن تغير شكلها بإرادتها ، ولكنهم . في الأغلب ،  
يجيئون في صورة سحابة كهربائية . تتخذ بغموض شكل إنسان حي . مليء  
بقاطع براقه حمراء من الطاقة ، مثل طوفان من البراعات اللامعة . وقال إنهم  
يجيئون في بعض الأحيان إلى حجرته . ولكن هذا لم يكن إلا من قبيل التفتيش  
الروتيني ، ولم يهلك هو في أيهم تشككوا في هويته . أما « الزعيم الأسود »  
فنه قد كان وحشاً شبيهاً بالأمطوط مثلاً أو قنديل البحر . ولكن كان  
باستطاعته أيضاً أن يتخذ أشكالاً وصوراً مختلفة ، وكانت الصورة التي يفضل  
أن يبدو فيها هي صورة الرجل المنحج . وكان عالم الحرس الأسود هؤلاء  
متخلفاً عن عالمنا في كل شيء . ولم يكن يوسع العقول الأرصية حتى أن نشرع  
في فهمه .  
كانت التفاصيل التي حددها لينجارد لعالم أعدائه مدهشة ، فوجدت

نفسى أفكر . بينما كنت أقوم بمقابلتي مع عدد من المرضى العصبيين ، في  
لهم لو كان يمتلك القدرة على تنظيم خيالاته . لاستطاع أن يحوّلها إلى مؤلفات  
جوية من القصص العلمي الخيالي .

وأخيراً سألته : « ومتى في ذلك ستقع هذه المعركة العظمى ؟ ( أي المعركة  
التي سيصير فيها الله ، بمعونة آرثر لينجارو ، على الرعم الأسود ! ) .

أجاب بقول : « حالاً » . سريعاً جداً . نظر إلى الخارج من النافذة  
وتصلب جسمه . تبعت اتجاه نظره ف رأيت أحد رجال الشرطة من راكبي  
الدراجات البخارية يسير بلواجه بسرعة . كان يرتدي نظارات سميكه سوداء  
جذبها بقطعة من المطاط حول رأسه إلى أعلى حتى جبهته . وفوقها خوذة لحماية  
الرأس من المصاصات . قلت : « ماذا هناك ؟ »

أشار إلى النافذة وقال : « الآن فقط رأيت واحداً منهم ، واحداً من الحرس  
الأسود . »

ها ، كان في تقديري ، ظهرت فرصتي أن أضع أول شرح رقيق من  
الشك في بناءه المجنون :

« أنت واثق من هذا ؟ »

« واثق تماماً . »

« ولكنني أعرف الرجل ، إنه «كونستابل» الشرطة هاميت الذي يقوم  
بالدورية بين سيدجفيلد ودارلينجتون . »

« أنت نظمته الرجل ، ولكنه متتكر . »

مرت نحو الباب ونظرت إلى الخارج وناديت :

« هاميت ! كونستابل هاميت ! »

نظر الرجل حوله ، ورآني ، وعاد إلينا . قلت :

« أسمع بالمجيء إلى هنا دقيقة واحدة من فضلك ؟ »

« بالطبع ، بالتأكيد يا سيدي . » ثم تبعني إلى الحجره . قلت لآرثر  
لينجارو : « هاك هو . إنك تعرف كونستابل هاميت . أليس كذلك ؟ »

طلبت من هاميت أن يخلع نظارته وحوذته ، بعد أن عمّرت له بعيني عمرة  
خفيفة . وأذعن الرجل . ثم تبادلت معه بعض كلمات ودية ، لكي أتحب  
ملاحظة لينجارو المضحكة . فسألته هاميت إذا كان طفله قد شفي من إصابته  
بالسعال الديكي ، إلى ما هنالك من مثل هذه الموضوعات . ولعب هاميت  
دوره بطريقة تدعو إلى الإعجاب . كان رجلاً ريفياً من الغرب جاء لكي  
يعيش في الشمال . وكان يتمتع ببشرة يعلوها شمس بني لطيف ، ويتكلم بطريقة  
مباشرة بلهجة الفاطمة كفلاح يتحدث إلى أرضه . وكان أي شخص يظه  
واحداً من رجال الحرس الأسود ، بحاجة إلى طاقة كبيرة وقذرة على إقناع  
نفسه عن طريق التوهم والايحاء .

وحيثما التصرف هاميت التفت إلى لينجارو ، وسررت حينما رأيت أن  
اشتمته المستعجلة قد احتضت . سألت :

« هيه !؟ رأيت !؟ »

أوما برأسه وقال : « من الممكن أن أكون قد أخطأت . إنه يشبه ليافيل  
شبهاً كبيراً ، إن « ليافيل » هو رئيس فرقة « مراقبي الموت » من الحرس  
الأسود . »

شعرت بأن هذه الفرصة كانت أحسن من أن أدعها تمر . فسألته :

« ولكن هل أنت واثق من أن « ليافيل » موجود حقاً ؟ هل رأيته أبداً ؟ »  
« عدة مرات . »

« ولكن كيف يمكنك أن تكون واثقاً من أنه لم يكن الكونستابل هاميت  
أو أي فرد آخر من أفراد الشرطة من راكبي الدراجات ؟ يمكنك أن تحطى .  
فقطه ليافيل ؟ »

هو رأسه ثانياً وقال : « ليس هذا من المؤكد . ربما كان هو ليافيل . إن  
تكرهم كامل ودقيق غالباً . »

« ولكني أظن أن بوسعت دائماً أن تكشف هذا التكره . »

أرعبته هذه الملاحظة . جعل يفكر لبعض لحظات . كان شديد الأصرار

على قدرته على كشف الالعب أنبىاع الزعيم الأسود وأساليب خداعهم . رحبت  
أوسع من النقطه التي كتبها . قلت :

« إنك رجل رفيع الذكاء قوي العقل والقدرة على التفكير . ومن المؤكد  
أنك لابد أن تعرف بأنك من المحتمل أن تكون قد أخطأت بشأن الحرس  
الأسود . »

راح يفرك عينيه ، ثم قال بصوت ملؤه الصخر :

« إنك تريد أن توحى إلي بأن الحكاية كلها من وحي خيالي ، بمعنى أن  
دواعي غير الواعية المكونة قد شوهت مدركاتي الطبيعية ؟ هل تظني مريضاً ؟ »  
كان هذا دوري لكي أراجع قليلاً . لم يكن من الممكن أن تزيد دهشتي  
لو أن « شيطاني » قد وجه الحديث فجأة إلي . لم يكن لينجارد قد ترك لدي  
أي انطباع عن ثقافته ، ولكنه كان يتحدث الآن عن « الدوافع التي شوهت  
مدركاتي الطبيعية » كما لو كان معاداً على استخدام مثل تلك المصطلحات  
تعوداً تاماً . بدأت أسأل - في داخل - إذا لم يكن هذا الرجل يحاول أن  
يظهرني بمنظر الأبله . ولكنني حاولت ألا أظهر دهشتي أو إحاسمي بالمفاجأة .  
قلت :

- « تماماً . لماذا لا نفترض - كجهد افتراض جدي ، أنك ربما كنت  
تعاني من الهلوسات المرئية والمسموعة - البصرية والسَمعية . »

كنت قد قررت أن أعمل على أساس افتراض أنه لن يزجج من الكلمات  
الكبيرة - بل إنه في الحقيقة قد يشعر بالرضا لأنني أتعامل معه بوصفه متفقاً  
مساوياً لي واستطردت أقول :

« ولكن هذا لا يتضمن أنك مجنون . إنني على استعداد تماماً لأن أعترف  
بأن عقلي اللاواعي يستطيع أن يتدخل في حياتي اليومية دون أن أكون مدركاً  
لهذا التدخل ولا واعياً بهذا العقل اللاواعي نفسه . ولقد عانيت أنا نفسي - في  
الحقيقة - من الهلوسات والتخيلات الوهمية في أثناء الحرب بعد أن أصيب  
الميزل الذي كنت فيه بقنبلة . كنت أسمع صوت أمي بناديتي بوضوح كامل . »

رغم أنها كانت قد ماتت قبل هذا بعشر سنين . »

كنت هنا أحاول تجربة منهج الاقتناع الذي ابتدعه بولي تشارلز ديبيوا -  
الذي يقوم على إقامة علاقة انسانية وثيقة مع المريض . ثم أضفت قائلاً :

وبنفس الطريقة عانيت ذات مرة من صلعة عنيفة بعد حادث اصطدام  
وقع لسبارني ، وقد تطلب الأمر مني بعض الوقت لكي اكتشف السبب الذي  
جعلني أشرع في الارتجاف فجأة وأشعر بالضعف . إن اللاوعي ، على كل  
حال ، يختلف عن عيوننا وراء ما هو محدود وواضح . »

أصغى لينجارد إلى هذا الحديث كما يصغي القاضي الوقور ، وقد أمال  
رأسه إلى جانب ، واستقرت أصبعه على خده ، ثم أوما برأسه بحركة بطيئة  
وقال :

« إنني أفهم وجهة نظرك بالطبع . وأنا أفهم لماذا تفكر بهذه الطريقة .  
ولكن لماذا لا تضع في اعتراك الفرضية المعاكسة - وهي أنني قد أكون على  
حق ؟ إنك تعرف بأنك لا تفهم مني قد يتدخل لاوعيك في حياتك اليومية .  
ولكنك سوف توافق على أنك تفضل ألا تفكر في الأشياء غير السارة ؟ وعلى  
سبيل المثال ، لا تفضل أن تفكر في أن حسدك في غضون ثلاثين سنة من الآن  
قد يكون في سبيله إلى أن يتحول إلى مسائل تنشره الأرض تحت سطحها ؟ »  
« هذا حقيقي . »

« إنك تعرف بأنه حقيقي . ولكن هل تفكر فيه حقاً ؟ هل يمكنك حقاً  
أن تنظر إلى يديك ، ثم تتصور كيف سيكون شكلهما دون جلد يكسو العظام ؟ »  
نظرت إلى يدي بالفعل ونعمرت له بعيني . فاستمر يقول :

« إنك لا تفكر في هذه الصورة بطريقة طبيعية . لأنك بهذا التفكير قد  
نسقت تصوراتك العقلية الثانية وأوهامك . وانه لمن الضروري للسماعة الإنسانية  
أن تجاهل الناس كل ما قد يهدد بالمحط تصوراتهم العقلية الثانية وأوهامهم .  
توافق على هذا ؟ »

أحس أنه نعم . فاستطرد يقول : « في هذه الحالة - ألا يكون الأكثر

احتمالاً هو أنني على حق أكثر منك ؟ إنني أحاول أن أواجه الحقائق التي  
تفضل أنت أن تجاهلها . عليك أن تعترف بأنك بالتأكيد تفضل لو كان  
الزعيم الأسود . وهما من أوهام خيالي ، ألا تفضل ذلك حقاً ؟ كيف تعرف  
إذن أن تفضيلك هذا لا يعيبك عن وجوده الحقيقي ؟

بدأت أشعر بالحساس بعد كل البعد عن الارتياح . فمن المفترض أن  
العلاقة بين الطبيب وبين مريضه إنما تقوم على أساس شعور بالتفوق . ولكن  
لينجارد كان يجعلني أشعر بأنني في موقف الدفاع ، وأني أوشك أن يتحجر  
غضبي . بينما استمر هو في كلامه بحكمة عقلية متباعدة :

« إن مشكلة معظم الناس هي أنهم لا يستطيعون أن يركزوا تفكيرهم .  
أليس هذا هو ما كنت تشعر به حينما رحمت تسع صوت أمك باستمرار ؟  
هل شعرت بالاضطراب وبعدم الثقة في نفسك ؟ وكيف استطعت أن تتخلص  
من ذلك الشعور ؟ ألم يكن ذلك عن طريق التركيز على المشكلات اليومية  
الشاغلة وتسيان كل شيء . عن محاولتك ؟ ( كانت هذه ضربة في الصميم يوجه  
خاص : فإني كنت قد تمكنت من استعادة توازني في الحقيقة عن طريق تعلم  
من الرسم ) أظن أن هذا من الأمانة حقاً : أن تحاول تسيان ما يزعجك بدلاً  
من مواجهته ؟ إنني لم أهرب أبداً من مشكلة ما . ولقد قررت أن أتعلم كيف  
أركز تفكيري أكثر من كل الآخرين من الناس . وحينما تعلمت كيف أركز  
تفكيري ، بدأت أشعر بوجود رجال الحرس الأسود . »

كان يعرض حججه بطلاقة ومنطقية عاقلة . كانت حججه من الناحية  
الأساسية - من النوع الذي لا يمكن الاعتراض عليه . إن بوسع أي إنسان أن  
يشبث بأي شيء إذا ما أشار إلى أن الكون مليء بالأشعة التي لم تحصل على إحاطة  
لها وأنها لا تكاد تعرف شيئاً عن هذا الكون . قلت هذه العبارات لأرتسر  
لينجارد فأجابني قائلاً :

« بالضبط . إذن فكيف يمكنك أن تكون واثقاً من أنك على حق وأنا  
المخطئ ؟ »

« ولكني لا أستطيع أن أرى حرسك الأسود . ولو أنهم كانوا موجودين  
حقاً ، أما كان بوسعني بالتأكيد أن أراهم ؟ »

« إنهم لا يريدون أن تقع عليهم الأنظار . ولو أنك تعلمت كيف تركز  
تفكيرك إلى الدرجة الكافية ، فسوف تكون قادراً على رؤيتهم . ولو كان  
لديك المزيد من الخيال لأمكنك أن ترى أن كل ما أقوله محتمل وفي حيز  
الامكان . »

كانت هذه أول مرة في حياتي أوضع فيها في هذا الموضوع : وفداً حاضري  
مريض حصاراً كاملاً . كمن حوصر ، ملكة ، في لعبة الشطرنج . ومات  
ولقد طرأ لي في تلك اللحظة أن ثمة شيئاً مشكوكاً في أمره جداً في الأماليب  
العادية التي يتبعها الأطباء النفسيون . فلو أنك قلت لمريض إنه لا يستطيع أن  
يفكر تفكيراً مستقياً لأن عوامل لا وعية التي لا يدركها بشيء أحكامه وحروف  
سائر تفكيره عن الطريق المستقيم . فسوف يكون لديه الحق الكامل في أن  
يجب عليك بأن الحالة نفسها تعطين عليك . وإن علاحك له برمه فداً يكون  
فإنما على امر اقتاتك أنت المرعبة التابعة من ضغط ما يكث داخلك دائماً .

ولكن على الرغم من أنه بدا واضحاً أنني لا أستطيع أن أتصر في هذه  
المناقشة . فإني كنت أتصر تعني آخر . كنت قد أصبحت أكثر فزلاً من  
لينجارد . وكان هو يتحدث معي بحرية . كانت هذه هي أولى الخطوات  
الكبيرة . وإذا كنت أفكر في تلك الخطوة ذلك المساء - بعد أن وصلها بعد  
ظهر اليوم نفسه لروجن إيجلب - طرأ لي أنه ربما كانت أزمة لينجارد رابعة  
أو جزءاً منها إن وجدته . كنت قد أطلقت فإني سائتة مهمة في الظلام . حينما  
قلت له إن الدكتور ماسي قد أخبرني من الأكتباء المنقبين . كان هذا هو اللداع  
الذي وضع عقله أمامي . فقد كان بالتفصيل وكذاً لا معة . أو على الأقل - رابع  
الذكاء - فأكان قد أمضى في السجن مدة تزيد من خمس سنوات - معلماً  
بعض بل بضعه . محظوظاً بل وجدته . حينما أفكره في الآخرين . ولقد رأيت  
أن هذا كان هو الصواب . فكانت سلة . كان سائت . وكذاً وكذاً أيضاً . وفداً

اكتشفت ذلك في حديث مع مدير السجن ، وكان هذا هو السبب الذي دفع لنجارد إلى تشجيعه . كان قد قرر المخاطرة باتشاه علاقة وثيقة مع شخص آخر سواه . وكانت الحياة هي النتيجة . وكان أن ألقى به مرة أخرى وحبلاً إلى برتبه الموحشة .

ولقد جسد هذا الحادث أكثر الأسئلة أهمية على الإطلاق . لماذا يحق الجحيم كان مصصماً على أن يخلق على نفسه ، وعلى أن يحافظ على ذاته لذاته كل هذا التصميم ؟ لم يكن هذا طبيعياً . إن شخصاً ذكياً يحتاج دائماً - أكثر من الشخص العيبي - إلى تبادل علاقة إنسانية مليئة بالتعاطف والقيم .

\*\*\*

ولقد حدثت عند هذه النقطة أن ضربت ضربتي الثانية في هذه الحالة . وقد ذكرت سابقاً أنني كتبت إلى سجن « سترينج وايز » لأرى إن كان يسعهم أن يكشفوا إسم الكتاب الذي كان لنجارد قد ضبط وهو يلونه بالوحدل . كانت اجابتهم الأولى سلبية . كان الكتاب قد أحرق إذ لم يكن من الممكن أن يقرأه أحد بعد تلوينه . ولكن حدث بعد يومين أن تسلمت كتاباً من الكتب الشعبية ( ذات الأغلفة المصنوعة من الورق المقوى ) وصلي بالبريد . كان إسم الكتاب « الصبي القادم من لوبزفيل » بقلم « إدريس . ت . مدروني » . وقد بدا عليها أنها رواية عن الملائكة من النوع الذي يصدر منه الآلاف كل عام . وكان الخطاب الذي أرفق مع الكتاب موقفاً باسم « الدكتور آلان باكل » وكان يقول إن مساعد المسؤل عن المكتبة كان واقفاً للفتة أن هذا هو عنوان الكتاب الذي سألت عنه ، وأنه تصادف أن كان لديهم منه نسخة ثانية ، طلبوا مني أن أعيدها إليهم . ولم يكن لديه بالطبع فكرة عن الصفحة التي كان لنجارد قد لوئها . بقيت في المنزل ذلك المساء وقرأت الكتاب . كانت الرواية تحكي القصة المعتادة عن الملائكة الذي يصعد إلى قمة النجاح ، وكان التأليف والأسلوب تحت المستوى العادي . وفي منتصف الطريق ، يقابل بطل الرواية مدير أعمال البطل العالمي السابق ، ويقابل أيضاً عشيقته بولين . وكان جلدها

الداني . يشع بالصحة . ونحت الصفحة السوداء الناعمة لثوبها ، كانت حلماتها تنصبان مثل قمتين صغيرتين . وحينما سارت مبتعدة عنه متجهة نحو البار ، استطاع أن يرى الخطوط الخارجية لسراويلها الداخلية الصغيرة تحت الحرير الناعم ..... ثم يحدث فيما بعد ، حينما ينفردان ، أن ينحني البطل « نكسي » إلى الأمام وبعض حلمة ثديها من فوق الثوب . ثم يرفع ذبل الثوب إلى ما فوق وسطها . كان الفم الناصح الأحمر قد انفتح مع أنه توحى بالارتياح ، واعمضت عينها تماماً . انحنى إلى الأمام وأخذ شفتيها بين أسنانه ، وعصها حتى تفجر منها الدم . ثم يجلبية واحدة من يده الكبيرة مزق السروال الرقيق وألقاه إلى نار المدفأة ، ومضت يده الأخرى تمتد وتحوّل تحت الثوب ، وتخرق حمالة الجوارب السوداء لكي تحلها . كانت تنحني في مواجهته بضعف ، كما لو كان ساقاها قد تحولاً إلى ماء . أبعدها للحظة قصيرة لكي يجرد لحمه المنتصب ثم جلبها وحملها إلى الأريكة . همست تقول : « الباب .. » ولكنه تجاهلها . همست ثانية « أرجوك .. » . وهنا انقطع احتجاجها إذ تحول إلى أنه نلذذ بينما كان عضوه القوي يتدفع إلى الأمام لكي يشق إلى تصفين وصادة اللحم التي تنتظره . ...

كان هذا المشهد هو نقطة اللزوة في الكتاب الذي رحلت أقب بسرعة صفحاته الباقية . وأكدت لخصي أنه لن يكون هناك المزيد - على قدم المسا - أستطيع التنبؤ - مما يمكن أن يثير لنجارد . وعلى أية حال ، كنت قد شعرت برحفة التعرف حين قرأت اسم الفتاة . كان اسم شقيقة آرثر لنجارد هو « بولين » . نسخت الققرة السابقة وأعدت الكتاب بالبريد .

وبعد يومين جاءت مفاجأة أخرى . فإن الدكتور باكل كان قد راح يفحص ملفات سلطه ، فوجد نسخة بالكربون من تقرير عن حكم صلب عام ١٩٥٣ في قضية سلطو . وقد أرسل إلى الدكتور باكل نسخة مصورة من هذا التقرير . كان التقرير مكوناً من ثلاثة صفحات كتبت بالآلة الكاتبة ، وقد رأيت على الفور أنها تمثل محاولة واعية لافشاء أثر تطور لنجارد وتحواله إلى

لص صغير معناد على السرقة .

ولد آرثر لينجارد في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٣٧ . هذا التاريخ المشؤوم المحمل بالنذر ، وسحب الحرب تتجمع بالفعل فوق أوروبا . وفتحت أمه في غارة جوية على شمالي لندن في عام ١٩٤١ ، وقد شاهد لينجارد وشقيقته بولين التي تكبره بخمس سنوات الجثمان وهو يسحب من بين أنقاض المبنى المحترق . وقد قال لينجارد للطبيب النفسي إنه كان يوسعه أن يستعيد كل تفاصيل المشهد ، رغم أنه لم يكن قد تعدى الرابعة من عمره في ذلك الوقت . وكانوا جميعاً في طريقهم إلى المخبأ الذي يجتمعون فيه من الغارات الجوية حينما سقطت القنبلة على المبنى .

وأجلبت الأسرة مع بقية المتكويين إلى « وورينجتون » في مقاطعة « لانكشاير » ، ليسكوا في بيت شقيق والد آرثر . وبعد ستة أشهر قتل والده أيضاً . واحتفظ عمه وزوجه بذلك السر ، ولكن واحداً من أبناء عم الطفلين أخبرهما بالحقيقة عندما اقتربت الحرب من نهايتها .

وكانت والدتهما تمتلك عقاراً صغيراً شرقي لندن ، وقد اشتراه « مجلس لندن الحنسي » لقاء مئاة قنبلة من الجبهات ، وأقيم فوق الموقع مبنى كبير يضم عدداً من الشقق السكنية . وورث كل من بولين وآرثر ذلك المال . وكان العم ديك لينجارد قد أصبح الرئسي الرسمي عليهما حينما علم بأمر ذلك المال . وكان كل ما تبقى من المبلغ الذي ورثاه ، حينما بلغت بولين سن الرشد ، اثنتان وعشرون جنيهاً .

وقد بدأ آرثر يواجه المتاعب منذ كان في الرابعة من عمره ، حينما ذهب إلى مدرسة الحضانة ، كان يبدو عليه أنه يحتاج احتياجاً قاهراً إلى تحطيم الأشياء . الدمى والتواليف والزجاجات وآنية الزهور . كان يتلقى الكثير من الضرب . وفي عام ١٩٥١ ، حينما كان في الثالثة عشرة ، طلب عمه من أحد ضباط شرطة الأحداث أن يتكفل بوضعه في إحدى مدارس التهذيب لأنه كان غير قابل لأي سيطرة . وفر آرثر من المدرسة بعد ستة شهور . وأصدر قاض

رحيم إلى عمه أمراً بأن يأخذه إلى البيت لكي يبذل معه محاولة أخرى . وبعد بضعة شهور ألقى القبض على عمه ، وكانت بولين حاملاً ، وزعمت أن ذلك لينجارد كان هو والد الطفل ، وأنه كان يمارس الاتصال الجنسي معها منذ كانت في الثانية عشرة . وحكم على الرجل بالسجن لمدة ثلاث سنوات . وفي من السادسة عشرة ، وقع آرثر فريسة حالة من الانقباض العميق استمرت فترة طويلة ، ربما كانت مرتبطة بالخوف من عودة عمه من السجن . وكف حينئذ عن الطعام وأخبر أحد المشرفين الاجتماعيين بأن طعامه يندس فيه السم تائماً . ثم هاجم تلميذة في العاشرة من عمرها يقضيها من الحديد ، وحاول اغتصابها . ثم تبع هذا الحادث محاولة للانتحار عرقاً . وأمرت إحدى المحاكم البدائية بإحاطته إلى طبيب نفسي . وخلال العام التالي ، ضبط مرتين وهو يحاول السطو على المنازل ، وفي المرتين أفلت من السجن بعد أن وجه التحذير إليه تسابط التحقيق لأنه كان أصغر من أن توجه إليه التهمة في المحكمة . وفي المرة الثانية ، كانت أسلابه تضم ساعة ذهبية ، وسكيناً ، وخمسة أزواج من السراويل الداخلية النسائية . وحينما بلغ الثامنة عشرة ، حكم عليه أحد القضاة بالسجن مدة ستة شهور بسبب السطو على أحد المنازل . وفي عيد ميلاده التاسع عشر ، حاول أن يعرب طريقة جديدة لكسب المال ، فقد حصل من مكان ما على كومة من المساحات التي تستخدم في آلات الفيل ، ومضى يطرُق الأبواب ، مقدماً مساحاته مقابل مبالغ زهيدة إلى درجة غير عادية ، وكان يقبل الهبات من ربات البيوت . وازدهر هذا العمل بين يديه ، ومرت ثلاثة شهور قبل أن يلقى القبض عليه ، فحكم عليه بمدة قصيرة أخرى يقضيها في السجن . وبعد الإفراج عنه مباشرة تقريباً ضبط متلبساً باقتحام محل تجاري ، واعترف بأنه مذنب باقتحام المحل عبوة ودخوله دون إذن ، فحكم عليه بستة أشهر أخرى . وبعد ذلك استطاع أن يظل بعيداً عن المشاكل مع الشرطة لمدة تقرب من أربع سنوات ، حتى وقعت حادثة السطو على بيت المزارع الريفي . وخلال هذه الفترة استدعي للتحقيق معه بشأن حوادث سطو عدة مرات ،

كما استدعي مرة واحدة للتحقيق بشأن حادثة القتل التي ذكرتها ، ولكنه لم يحاكم أبداً ولم يصدر عنه أي حكم . كذلك إنهم زوج شقيقته بولين بالمجيء إلى منزلها بعد ظهر أحد الأيام ففصرها ضرباً قاسياً مبرحاً . ورفضت شقيقته أن تنجم ضده الدعوى ، فأسقطت المسألة ، وصرف عنها النظر .

بدأ لي هذا التقرير تاريخاً للحالة عادلاً ومبياً عن مقاصده ، هناك نيم ميكر صحبته صدمة قاسية ، ثم هناك « والد بالنيابة » له أسرة كبيرة . ( وقد كان ذلك لينجارد منغمساً باستمرار في المشاكل مع الشرطة بسبب استخدام العنف بعد أن يفقد وعيه من السكر ) . وكان سجل المدرسة أحسن بكثير مما كان متوقفاً ، ولكنه من الجانب الآخر ، كانت كل العلامات المدرسية تشير إلى غلام يفر من المجتمع نفوراً شديداً ويغضبه . ولقد تساءلت إلى أي مدى كان مسؤولاً عن دفع شقيقته إلى اتهام ذلك لينجارد في مسألة حملها ؟ أم من المحتمل أنه كان هو الذي يشعر بالغيرة من عمه ، بعد موت أمه . كانت أخته بولين هي كل ما تبقى له في العالم ، وكانت أمأً بديلة عن أمه . فإذا كان عمه قد ارتكب فعلاً جنسياً مع بولين حينما كانت في الثانية عشرة من عمرها . إذن فإن آرثر كان في السابعة في ذلك الوقت . ألم يكن ذلك تمهيداً ومبرراً لأعمال التدمير والتحلدي العديدة التي بلغت ذروتها في طلب ذلك لينجارد أن يرسل آرثر إلى مدرسة لتتهذيب ؟

كانت المشكلة هي أن سجلات الحالة لم تكن تضم ما يكفي من المعلومات . كنت بحاجة إلى أن أعرف قدرأ أكبر بكثير من المعلومات عن تطور آرثر لينجارد . ولم يكن هناك سوى شخص واحد يستطيع أن يخبرني بتلك المعلومات هو آرثر لينجارد نفسه .

• • •

كنت أنا وآرثر قد أقصنا في تلك المرحلة علاقة ممتعة . كنا قد اتفقا على أن نختلف . وكان هو قد أدرك أنني اعترت رؤاه الوهمية عن الرجال

الكهربائية هلوسات خيالية ، وأدركت أنا أنه قد اعتبر كلامي معقولاً ومرصفاً وإن كنت عبيداً عصبياً على الاقتناع . وفي بعض الأحيان ، كان يرفض الوصول باقتناعه إلى درجة تجربة افتراض أن رؤاه لم تكن حقيقية ولا واقعية . وفي لحظات أخرى ، كان يبدو متوتراً ومزعجاً . فكنت حينذاك ألقت إليه بجدية ، كما لو كنت مقتنعا بأن هناك حقاً ما يحدث به أن يزعج بسببه . وبعد أسبوع من محادثتنا الأولى حول « الزعيم الأسود » حدث أن وجدته وقد بدأ عليه الوجوم والاجهاد . وقال لي إنه قد وصلته أخبار تقول بأن الغزو لا بد وأن يحدث على الفور تقريباً . وأن الآلاف من رجال الحرس الأسود يتدفقون على إنجلترا من مناطق نائية في شمال اسكتلندا ، وأنهم يبدون كل شيء حيا يواجهونه . والأكثر من هذا هو خشية من أن يكون هو نفسه هدفهم النهائي ، لأنهم يعرفون أن يوسعوا أن يدمروهم ويبرمهم . وفي اليوم التالي عثرت على مقال عن وحش بحيرة « كوشينيس » وكان المقال قد كتب من مدينة « إينيريس » في اليوم السابق .

أخذت المقال معي لكي أطلع عليه . حتى أثبت له أن أحداً لم يلحظ وجود الحرس الأسود حتى الآن . وحينما رأيت المقال وقرأه اكتفى بأن هو كتيبه صامتاً . ثم قال :

« من الطبيعي ألا يلحظهم أحد . فإن لديهم منظمات هائلة وعظيمة ، وكلما دمروا قرية من القرى ، خلفوا وراءهم بعض الأشخاص لكي يرقوا على المكالمات التليفونية ولكي يجيبوا على الرسائل . فلا يعرف أحد ما فعلوه . »

« ولكن ماذا يفعلون في الناس الذين قد يلحظون المنطقة ؟ »

« إذا كان هناك أي خطر من اكتشاف الأمر ، فإنيهم سيقتلون على الفور أو يسجونهم . »

وإعاد قراء الفص في الصفحة بعناية . ثم أشار إلى عدد من الأخطاء المطبعية وقال : « رأيت ١ منهم يكتشفون من أنفسهم من خلال بعض الأشياء العديدة . إنيهم لا يستطيعون بعد هجماء الكلمات بطريقة صحيحة . »



«أظن أن هذا المقال قد كتبه رجال الحرس الأسود أنفسهم ؟»  
«إني أعرف أن هذا هو ما حدث . فقد أثاروا على مدينة «إينغريس»  
يوم الأحد الماضي .»  
«وكيف عرفت ؟»

«جاءني شخص ما وأخبرني ليلة أمس . امرأة كهربائية .»  
«ما شكلها ؟»

«إنها مجرد رأس فقط . إنها تعرف أنها لو ظهرت لي يمسها لراودني  
عنها أفكار سيئة . ولذلك فإنها تترك جسدها في الخارج حينما تأتي لمقابلتي .»  
«وإزادت حالته سوءاً في اليوم التالي . كان مقتنعاً بأن رجال الحرس  
الأسود قد تسللوا إلى المعسكر . ومزودين بتعليمات تنص على تسليم طعامه .  
وإذا أمكن . أن يوقفوا بعض قلبه بارسال موجات كهروستاتيكية .» وقال  
إنهم يظهرين له خلف الحارس الذي يحمل له طعامه . ينظرون إليه شراً  
نظرات حيية . ولأحدهم عضو تناسلي هائل متصب داخماً . يزيد طوله عن  
قدم كاملة . وكان هذا الحارس الأسود الأخير . يقوم بحركات خيرة واقصة  
يأردفه . موحياً بأنه يتوي أن يقتصب لينجارد لما تنح له الفرصة . وحدث  
ذات مرة . حينما كنت أنتظر لينجارد خارج المراض . ان اطلق صرخة  
عالية . وانطلق حارباً خارج المراض وسرواله حول حنويه . فقال لي إنه  
كان يمد يده لينظف نفسه حينما اكتشف أنه كانت هناك يد أخرى بالفعل  
بفتحة شرجه . وثلثت فوجد رجل الحرس الأسود ذا العينين الخبيثين ممسكاً  
بعضوه التناسلي باحدى يديه . وكان لينجارد مقتنعاً اقتناعاً كاملاً بأن هذا  
الحرس الأسود كان موجوداً حقاً . وكان علي أن أعود فأنتظر إلى المراض  
لكي أؤكد له أنه لم يكن هناك . ثم أقف إلى جواره حتى ينظف نفسه  
ويضبط على مغسلة المراض . وكان ما زال يرتجف حينما عاد إلى الفراش .  
ويكاد يكون على وشك البكاء .

«كان أوان المناقشة قد انقضى إلى غير رجعة . فجربت طريقة أخرى  
للعلاج .»

بدأت فقلت له :

«إسمع لماذا لا تكف عن حوض القتال بهذا الحماس ؟ لماذا لا تسرحي  
ببساطة . وتكف عن القتال ؟ إنهم لا يمكن أن يكونوا قاسدين إيماناً .  
أو ربما إنهم لا يراقبونك بالدقة التي تتخيلها . إنهم فقط يضعونك تحت  
الملاحظة . لماذا لا تدع نفسك ببساطة تنضج وتواجه الناس بوضوح . قل كل  
شيء . تصرف كما لو كنت مجرد مراقب . تراقبهم فقط .»

«ولشدة ذهني . أتمر هذا الكلام تمرته . فوعدني بأن يحاول ذلك  
وبينما كنا ما يزال تبادل الحديث . رأيت عينيه تتجولان فوق كسفي . فساله  
إن كان قد رأى شيئاً بالفعل .»

«أجل . إنه هناك . خلفك مباشرة . إنه ما يزال يشتم لي ابنتامته الكثرية  
مكشراً عن آياته . ملوحاً بعضوه .»

«حساً . اتركي . لا يهمن إن كان يصغي إل ما يقوله أو لا يصغي لكلامنا .  
أليس كذلك ؟ عامله كما لو كان شيئاً طبيعياً تماماً . كما لو كان قطعة من الأثاث .  
وسجل ملاحظاتك عن كل ما يقوله لك .»

استرحي على القور بطريقة ملحوظة جداً . بل إنه عرف نظيره بالفعل  
وسط الوسائد . وترك ركبته اللينيين لكي تنسجما مسوطين . مرة أخرى .  
هدني خبريني إلى أن أتقدم له بالاقتراح الصحيح . وفي الحقيقة . كانت هذه  
هي نقطة التحول في الحالة كلها . فقد كف عن الماء أي رد فعل لإزاء حيلانه  
الوهبية . لقد مضى ببساطة يراقب تلك الحيلالات . ويحملها باعتبارها أشياء  
لا مفر منها . ثم يكتبها حيناً بعناية ناعمة . كان يكتب قائله إن كلباً  
أسود اللون ساجحاً جلس تحت نافلته . يرعمر هادراً كل هبة . وقد  
استطحت المرأة التي نأزبه بأفكار تقدم الحرس الأسود . اصططحت جسدها  
معها حينما جاءه آخر مرة . كانت رلدي نيات برصة . وكانت تحمل معها  
مصرفاً من الخشب . وقد نقل وجودها نقلاً كاملاً حتى بدأت تغف بدهود  
إلى حواء فراشه . وتتم له بطريقة موحية قلب له

« لماذا لا ترى ما قد يحدث إن أنت حاولت التقرب إليها ؟ »

« ربما أخافها ذلك فتصرف دون عودة . »

« وحينما رأيته في المرة التالية قال لي : « لقد فعلتها . »

« ماذا حدث ؟ »

« لقد فاقني دهاء . لقد وضعت يدي على فخذهما ، فلم تحاول أن تمنعني ،

فرفعت ذيل ثوبها وأزلت سروالها ، ولكن لم يكن هناك شيء تحت السروال .

كان السروال فارغاً . »

قلت له : « هذا شيء ساحر . أتري كم تتعلم حينما أصبحت مراقباً

فحسب ؟ »

أوما يראسه بجديفة وقد بدا عليه التفكير . كنت أعرف أن علاقتنا قد

تغيرت . كنت مرة أخرى قد أصبحت الطبيب ، وأصبح هو المريض . وكان

هو قد قرر أن يتقني . وقد قام بناء على طلبي برسم كل من يظهر له ، وللكلب

القابع تحت نافذته . ولشدة دهشتي ، كان هذا الرسم الأخير رسماً سريعاً ممتازاً

لكلبي المدلل من نوع « السانان » الذي أسميه « سكيتر » ، وكان الرسم أسود

اللون فاحماً ، ولكن لا يمكن الخلط فيه أو الشك بشأنه . ولم يكن لينجارد

قد رأى كلي أبداً . وأنا لا أستطيع أن أقصر هذه المصادفة ، ولا أحاول الآن

تفسيرها ، باستثناء القول بأنه أحياناً ما يستطيع الطبيب والمريض أن يقيما فيما

بينهما علاقة وثيقة إلى درجة غريبة .

كانت نتيجة كل هذا أن تحسنت صحة آرثر لينجارد العامة تحسناً هائلاً .

قد شرع ثانية في التجول في ساحة السجن وفي الاهتمام بالمساحة المخصصة له

من الحديقة ، بل إنه استطاع أن يدخل مع المسجونين الآخرين في محادثات

طويلة طبيعية ، رغم أنه كان مرعاباً ما يشعر بالضجر ثم يقطع المحادثة فجأة

ليبتعد عن كان يتحدث معه . وأصبحت علاقته بي هي العلاقة المعتادة

بين الطبيب والمريض العصبي . سجلت أحلامه وناقشت خيالاته المحمومة

وأصبحت إلى عاوفة - عاوفة التي تراوح بين أن يهاجمه كلب - تخمليق ، أو

أن يتحول إلى سلحفاة بحرية ( وهذا رمز آخر لعصاب الخوف من الأماكن

المغلقة ) ، أو أن يتسلق ثعبان ظهره وهو جالس في المرحاض ( وهذا رمز

آخر واضح ) . وهنأني الحاكم على نحاسي . ولكنني كنت أعرف أن هذه

التهمة سابقة لأوانها . كان لينجارد قد وثق بي ، ولكن كان ما يزال هناك

الكثير الذي يمنعه عني . كان ما يزال لغزاً - من النواحي الجوهرية - بالنسبة

لي .

وذاث يوم ، بعد أن غادرت حجرتي - وكان ذلك بعد بداية العلاج بما

يقرب من خمسة أسابيع ، اجتاحني بقوة هذا الاحساس بالاحاطة .

احساس من التي نظرة على جانب واحد من لغز غير دون أن يراه كله أو أن

يفهمه ، وكان هذا الاحساس من القوة بحيث أنني رحت أعذبه طوال طريقتي

إلى البيت ، ثم ناقشت هذا الاحساس بالفعل مع طبيب من زملائي يعيش في

« لانكشاير » واتصل بي ذلك المساء . وكان أكثر ما لفت نظره وشغله في

الموضوع هو تحول لينجارد المفاجيء من حالة القرب من البلاءة إلى مستوى

الشخص الشديد الفصاحة والقدرة على الإبالة . ووصف لي الزميل حالة مشابهة

كان قد عرفها لرجل مصري كان قد عانى من الأوهام الذاتية التي اجتاحته

بعد حادثة عتيقة ، فأصبح يبدو كما لو كان عدة أشخاص متبصرين ومختلفين

تماماً ، أحدهم كسول بلبذ ذكائه متوسط ، والآخر متفتك ذكي . وبدلت أنا

كل جهدي لكي أضع بلدي على بعد داخلي مراوغ لم أكن قد استطلعت أبداً

أن أسلك به . قلت له :

« ولكن حالة لينجارد ليست من نفس هذا النوع ، أو أنها لا تشبه هذه

الحالة مطلقاً . إن عباوته - أو عباوته المرعومة - تبدو لي كما لو كانت نوعاً من

التنكر الدائم ، قرر هو أن يتخلى عنه أمامي . »

« أعني أنه يخاف خوفاً طليعياً من أن يظهر ذكائه ؟ »

« إذا شئت ، فلنسي أعني شيئاً من هذا القبيل . »

« إذن فانه حالة معقدة جداً تحوطها العوائق الشائكة . لقد عرفت أشخاصاً

أضيقوا كل حياتهم في سبيل أن ينداروا غداوتهم ويخوضوها عن الأنظار ، ولكنني لم أعرف من حاول العكس أبداً .

وبينما كنت مستلقاً على فراشي في تلك الليلة ، عاد لي ذهني ذلك التعبير الأجر . فقلت مستلباً على مرقي وقد زالت رغيتي في النوم . شعرت بالرغبة في أن أصرخ هاتفاً بالسؤال : لماذا يريد لينجاره أن ينداري ذكائه ؟ ليس هذا الموقف مما يفتق مع عقبة المحرم . فالمحرمون بحوث المهابة والتفاخر مرة بعد الأخرى يفسدون جرعة متعة كاملة بس الرغبة في أن يحجب بهم المحرمون الآخرون . فهل يقع به الإشمزاز والصبر من يحيطون به . ومما يحبط به ، في السجن إلى الدرجة التي جعلته يسقط في هوة خافية أغلقها على نفسه ، أم أنه كان على الدوام معروفاً داخل هذه الهوة ؟ لم يكن هناك سوى طريق واحد لاكتشاف الاجابة : أن أعرف على أماكن نشأته وأقاربه الذين نشأ بهم على الطبيعة .

## الفصل الثالث

لست من المعرّمين بمدين « بوركشاير » الصناعية . فقد قدمت سيارة في عهد جبال « التاين » إلى « إيترلي » ومن هناك أتجهت جنوباً إلى « انتس » . كان المطر قد حط في الليل ، وكان صباح شهر يوليو ( تموز ) مطارحاً مديناً زرقاً وبنج الصيف . وبينما كنت أقود السيارة عبر حقول الريف الخضراء والدعيرة ، استمعت إلى تسجيل من موسيقى إنجار وديليوس من راديو السيارة . وحسبني جمال هذا النهار أدرك ما في موسيقاهما من حين عميق إلى العبد والمفقود والعبادة . ثم أخلت اللال مكانها لأكثر الأوصاح ونقاء الفحم المبرك شالاً ولاكتشافها . وكانت مداخن مصانع « برغلي » تحت دخانها ، وفجاج الهواء الممتعة السباح الثقيلة . وفي مشارف « مالستر » . رأيت إحدى علامات الطريق شر أدر الجهة مدينة « سادلورث » فذكرتني بالحالة التي عاينتها في قصة جرائم هيل « مور » . وفتحة شعرت بأنني مهنتها . كان كل هذا الخطم القدر حمراء من يريق الحصى ومن أي سحر جذاب كانت الفناء ذات « الخرافة الفصاة الجذراء والساقين الطويلين والتي سارت عبر الطريق من مكان حور المشاة . كانت تشكو من فطرت جليبتها وراء مسألة لارفض في التان عشرة من عرها . وفي غضون نضع سنوات متتبع أمامها برة أطفال هها طفل ربيع على هذا الطريق نفسه . وانجلى لي حوارها فلعل أتم شكراً

داكاً

أصبحت مله متوقفاً وسط ازدحام المور في فاك « مالستر » . وقد بدأت أشعر بالعباس نبت حرارة يوانو « بلون » و « بورجون » . فلعل

منتصف النهار بقليل . أوقفت سيارتي واحتسبت قدحاً من البيرة في حالة قبل الشروع في البحث عن شارع « بينكيث » ، وهو الشارع الذي نشأ فيه آرثر لينجارد . ولم أكن قد جئت إلى « وورينجتون » من قبل ، ولكنها كانت - بشكل ما - تشبه ما كنت قد توقعته ، بلدة صناعية أخرى من مقاطعة « يوركشاير » ، تقطع شوارعها عطوط السكك الحديدية والقنوات ، بينما يبدو « ميرسي » بنياً تحت سطح الزيوت العائمة فيه . وعلى جدار مراض محومي للرجال . رأيت رسماً لفتاة جالسة على مراض ، نفتح عضوها الجنسي العاري بكلتا يديها ، وقد كتب تحنها تعليق مسج ووقع . وبدت لي هذه الصورة - صورة الأعضاء التناسلية الأنثوية والمراض - بدت لي في ضوء علاقة شوهت من ذهني كل الانطباعات العديدة التي تركتها في نفسي الساعة السابقة أو ما يقارب من الساعة .

كان الأطفال في شارع « بينكيث » ، بلعبون « الحجلة » . وكان الشارع يمتد بين أحد الطرق الرئيسية وبين « قناة شيب » في « مانشستر » ، وكانت هناك كتبة « ميثودية » صغيرة . فأت واجهة صفراء تنتصب في نهاية الشارع . وكان على البقالة الحديث الذي يعتمد على نظام « اخدم نفسك » والقائم في الناحية المقابلة ، كان يبدو غريباً كل الغريبة في ذلك المكان . كان هذا أحد الشوارع التي لم تتغير منذ عام ١٨٨٠ ، وكان من الممكن أن يمثل في إحدى أعمال « آرنولد بينيت » التي تتحدث عن مصانع وصناعات الفحم أو في أحد أعمال « د. د. لورنس » ، بكل ما يملأه من شطابا الفحم التي استخدمت في رصف الشارع أو رائحة معامل الغاز والقناة الملاحية ، أو الضجة البعيدة الصادرة من القطارات إذ يسوقونها إلى مواقفها على الأرصفة ، أو التعليقات الديدئية المكتوبة بالطباشير على جدار إحدى الحدائق . كان الباب الأمامي للمزول رقم « ١٧ » معطى يقع من « الوريث » ربما كانت موجودة منذ طفولة آرثر لينجارد .

رقت مطرقة الباب ، فصدرت عنها حبطة زاعفة . ولم أسمع إجابة .

طرقت مرة ثانية وانتظرت ، ثم هبطت في مدخل ضيق تفوح منه رائحة فضلات القطة ، ومنه إلى باحة خلفية . تطايرت الذبابات من حول صندوق القمامة ، كان مشروع الحديقة القديم قد بدأ وقد تحول إلى مخزن للفضلات والخطام . كان الباب الخلفي موارباً قليلاً ، ولكن الطرقي المتكرر لم يأتي بأي إجابة . وبعد لحظات فتح الباب ، وخرجت منه امرأة تحمل حقيبة مما يستخدم في حمل الحاجيات من السوق . كانت المرأة ضئيلة الحجم ، ذات وجه لحيم لا يبدو عليه الصحة . وقد اجفلت عندما رأيتني ، بل بدأ عليها الانزعاج ، وأسرت فقدمت نفسي باسم « دكتور كاهن » وسألته إن كانت هي « مسز لينجارد » ، فقالت إنها هي .

قلت : « إنني من السجن . وأريد أن أتكلم معك عن آرثر ، ابن أسمي زوجك » ثم تبعته إلى المطبخ الذي كان مليئاً بالخيار ، كانت غلاية للماء بطلق فيها الماء الساخن في الزاوية ، تفوح منه رائحة الملابس المغلية .

قالت : « كان علي أن أجلب غداء زوجي . ولهذا لا أستطيع الجلوس . هل آرثر يواجه المشاكل ثانية ؟ »

أخبرتها باختصار بحكاية انهيار آرثر العصبي ، وثار اهتمامي حينما لاحظت الطريقة التي بدت بها البهجة على وجهها حينما أخبرتها بذلك . كنت قد وصلت إلى اعتبار هذه العلامات كوسيلة مفيدة في اختيار الشخصية فكلمها زاد ما يعرف فيه الناس من اجهاد وهزيمة ، كلما انتهجوا لآثار الكوارث . لقد بدت لي « إيزي لينجارد » باعتبارها شخصية عرفت في المزرعة حتى عتفها ، ثم وصلت في النهاية إلى نوع من الثبات اليائس . راقبتها وهي تعمل موقد الغاز ، ثم وهي تلقي عمود الثقب الذي استخدمته في وعاء ضخم لأعواد الثقب المستخدمة كان يقف إلى جوار زاوية مضادة المطبخ . كانت الحدران مطوية بلون بني قذر . كان لا بد أنه قد لزم المرأة صباح يوم بأقله مع وعاء كامل من الغلاء الرخيص لكي تنظف هذا المكان حتى تجعله على هذه الصورة التي لا يمكن تخيل فدارتها . ولكنها ما كانت لهم بذلك . كان « المشع »

القدر الذي يغطي المتضدة بلا لون تقريباً ، وكان مليئاً بالقطعات في كل مكان  
استخدمته لتقطع البصل والبطاطس دون أن نهم بأن نتخذهم صحناً تحت  
السكين . كانت رائحة الدهن تطفو فوق كل شيء . تناولت مقلاة كانت بقايا  
الدهن ولحم الخنزير قد تركت فوقها لتصلب وتجف ، فوضعتها على  
نار الموقد الغازي لامتلاء المطبخ برائحة خفيفة اللدح . تناولت بيضة من حقيبة  
حاجياتها وكسرت على حافة المقلاة ، انفجر مع البيضة بينما كانت تجذب هي  
بدها ، فسأل في وسط المقلاة .

« هل زوجك في المنزل ؟ »

« أجل . إنه في الفراش . »

« أهو مريض ؟ »

« أعتقد أن بإمكانك أن نصفه بذلك . هل يوضعون آرثر في مستشفى  
للشجائين ؟ » ( كانت قد لفظت عبارة « مستشفى للمجانين » كما لو كانت كلمة  
واحدة ) .

« ربما لم تكن هناك حاجة إلى ذلك . إنني آمل أن أعالجه . »

« أوه » وكان من الواضح أنها قدت اهتمامها بالموضوع .

كان من الصعب أن يتخذ المرء خلال لأميالها . سألتها : « ما شعورك  
إزاء آرثر الآن ؟ »

« لا يمكنك أن تتوقع مني أن أشعر بالكثير . أجمكتك ذلك ؟ »

« لا يمكنني ؟ لماذا ؟ »

« ألا تعرف ما فعله أرينشارد ؟ » ( زوجها ) .

نظاهرت بأني أجهل ما تشير إليه .

« كلا . لا أعرف ، ماذا فعل به ؟ »

« وشي به للشرطة . »

« أعتقد أن حكاية شقيقته ؟ »

« أجل . لقد كان هو الذي جعل « بوللي » تدعب إلى الشرطة . »

كان هذا هو ما ظننته من قبل . سألتها : « ألم يكن أحدهما يجب الآخر ؟  
أعني زوجك وآرثر ؟ »

« لا أظن أنها أجا بعضها . كان أكثر مهارة من أن يبدى حقيقته  
مشاعراً . لم يكن يمكنك أبداً من أن تحسن ما يفكر فيه . كان كنوماً . »

قطع حديثنا وصول فتاة في نحو الثامنة عشرة من عمرها ، قدعت نفسها  
باسم « جين » . بدت كما لو كانت واحدة من أولئك الفتيات اللواتي يولدن لكي  
بعثن حياةً كلها « فوق الرف » ، ذات وجه كتيب كان يمكن أن يكون جميلاً  
لو أنها كانت تتبع يومضة من الحبوبة . ذات شعر رمادي مستقيم ،  
ذراعها وساقها كالصفي وليس لها نهدان . بدت عليها هي الأخرى تلك  
اللمحة المميزة للانتهاج حينما سمعت بأسيار آرثر العصبي . وقالت : « أجل ،  
كنت أظن دائماً أن رأسه مليء بالوظاويط . » قالت مسز ليتجارد مؤبنة :  
« هس يا بنت ، لا يجب أن تقولي ذلك للدكتور . »

تساءلت بيني وبين نفسي إن كان من اللائق الآن أن أستمع في بحث موضوع  
الفترة التي قضاها ديك ليتجارد في السجن بسبب سفة بابتة أخته .  
قلت بحذر :

« كنت أتحدثين عن موقف آرثر تجاه زوجك . »

« قالت جين : « كان بكره رائحته . »

« ولكن لماذا ؟ »

« ألا تعرف لماذا ؟ لقد رباها وعاملته كما يعامل ابنه . وكل ما فعله له هو

أنه عمل على إرساله إلى السجن . »

« أعتقد أن شقيقته بولين كانت هي المسؤولة . »

« كلا . كان هو دائماً من حلقها يدعها . »

قررت أن أحاطر بطرح السؤال الذي كنت أنوي أن أطرحه على مسر

ليتجارد قبل وصول الفتاة .

« وهل كان مبدأ ذلك ؟ »

نظرت إلى احدهما ثم إلى الأخرى . كنت أقل عيني بينهما حينما هزت  
جين كفيها وقالت :

« هذا يعتمد على ما تعبه بكلمة مذنب ، ليس كذلك ؟ »  
« بأي معنى ؟ »

كانت مسز لينجارد تكوم قطع البطاطس المكعب بعد أن تشرح كل ثمرة  
إلى شرائح طويلة تقسمها بعد ذلك إلى مكعبات بنعابة غير عادية . قالت : « إنه  
لم يكن الأول . »

قالت جين : « بالطبع ، لم يكن هو الأول . »  
« لم يكن هو ؟ إذن فمن كان الأول ؟ »

قالت جين : « يمكن أن يكون أي رجل . فقد كانت من هذا النوع ،  
كان يمكن أن تعملها مع أي شخص . كان على أي أن يضربها بالخزام «دسته»  
من الضربات و «دسته» من المرات في كل مرة . لقد اعتادت أن تنضي بالإولاد  
في منخل البيت . »

« هل كان آرثر شديد الانجذاب إليها ؟ »  
ضحكت جين ضحكة كالصرخة .

« أوه ، أجل . كان منجذباً إليها بشدة . كان منجذباً إليها لدرجة أنه لم  
يكن باستطاعتك أن تفصل أحدهما عن الآخر . »  
« هل نظنين أن آرثر كان أحد هؤلاء الأولاد الذين ... الذين حصلوا عليها  
في مدخل المنزل ؟ »

« لم يكن عليه أن يلجأ إلى هناك . هل تفهم ؟ لقد كانا يتامان في فراش  
واحد . »

ربما كان الاحساس بالعراق قد ظهر على وجهي ، لأن مسز لينجارد قالت  
بسرعة : « لم يكونا يتامان بفردهما بالطبع . كان معهما دائماً أولاداً الثلاثة ،  
ألبرت وتيد وآجي . »  
« كلهم في فراش واحد ؟ »

« لقد كان سريراً كبيراً جداً . وما يزال هناك بالطابق العلوي . »  
رأيت أن يوسعي أن أعرف من جين كل ما يمكن أن أعرفه من مسز  
لينجارد . فاقترحت أنه يمكننا أن نترك الأم لكي نطهو الطعام بهدوء . فقبلت  
الاقتراح بانتهاج وخفة .

قالت جين : « أجل ، تعال واحلوس . » بدت غرفة الجلوس كما لو كان  
الصوص قد اجتاحتها منذ قليل . قالت : « هذه الغرفة غير مرتبة  
قليلاً . تعال إلى الغرفة الأمامية . » نبعثها عبر قطعة من الجلد المجفف علفت  
حول اطار فتحة مثل الباب فدخلت إلى ما كان من الواضح أنها « أحسن  
العرف » في المنزل . كانت هذه الغرفة مرتبة بما فيه الكفاية ، ولكن طبقات  
التراب ، ورائحة الرطوبة والعرق جعلتها غرفة مقبضة . لم تكن حرارة بوليو  
قادرة على الوصول إليها . كانت غرفة باردة إلى درجة محسوسة .

حينما جلسنا في المقاعد ذات المساند الرطبة الملبدة سألتها :

« أين كنت القول بأن آرثر في صباه كان صبياً ماهراً ؟ »  
« كان يحاول أن يكون كذلك . »

« ولكن هل كان ماهراً ؟ »

« كلا . لقد كان مترماً وجامداً . وقد أحب أن يحيف الأولاد في الشارع  
تخكباته عن الأشياح والوحوش . »

فتحت دولاباً صغيراً إلى جوار مقعدها وقالت :

« هذا هو نوع الأشياء التي كان يقرأها ... »

وناولتي إحدى المجلات : « حكايات الرعب » . ظهر على الغلاف رجل  
سأل لعاهة ممسكاً بسوط . وعدة فتيات في ملابس داخلية ممزقة قيدن إلى الجدار  
وتعليق تحت الصورة يقول : « كان يعذب النساء لكي يشبع شهوات مرمية . »  
فتحت المجلة . كانت هناك صورة لغتاة قيدت إلى سرير . وقد فتحت ساقها  
وباعدت بينهما ، ونفس المجنون الذي بسبل لعاهة يقترن منها وقد أشرع  
في يده قصباً من الخشب المحمي

نظرت إلى اللولاب . كانت هناك أكوام من تلك المجلات ، بالإضافة  
 من نسخ من : « قصص القضاء العجيب » ، « حكمة الخاتم » ، « المخبر السري  
 الخفي » ، « اعترافات حقيقية » . كان هناك أيضاً عدد من الكتب  
 الشعبية ذات الغلاف الورقي . جذب احدها انتباهي على الفور . كان عنوان  
 الكتاب : « مارغو الساحر » ، وظهرت على الغلاف صورة لرجل في عباءة  
 حمراء تبدو عليها علامات فلكية مختلفة ، وقد انحنى إلى الأمام فامتدت يده  
 صوب فتاة جميلة ظهر عليها أنها تحت تأثير النوم المغناطيسي . وعلى الأرض  
 عند قدميه ، تكوم رجل في وضع حيوان مذخور . ونحت الصورة جملة  
 تقول : « إنه يحول الناس إلى كلاب » . نظرت جين إلى الكتاب وقالت :  
 « أوه ، أجل ، كان هذا أحد كتبه المفضلة . يمكنك أن ترى كم من المرات  
 قرأه » .

وكان قولاً صحيحاً ، فصفحات الكتاب قد أصلحت بعناية والصفحة  
 الشرائط اللاصقة (السلوبيب) والأوراق المصغرة ، وكان غلافه قد دعم  
 بقطعة من الورق المقوى انترخت من علبة مما تعبأ فيه البلور المهياة للمطبخ .  
 قلت :

« لا بد أن أسأل والدك إن كانت تسمح لي بأن أستعير بعضاً من هذه  
 المجلات والكتب ؟ »

« أوه ، إنها لن تنهم بهذا أبداً . إنها لا تقرأ مطلقاً . »

سألتها : « وأين بولين الآن ؟ »

« لقد تزوجت سائق شاحنة . إنها تعيش في ستوك بورت »

« ألا ترى أنها أبداً ؟ »

« كلا ، ولكنني أسمع بأخبارها أحياناً . »

قالت ذلك بطريقة ذات معزى . رفعت حاجبي . وقالت :

« إنها عاهرة بكل معنى الكلمة . وكانت كذلك دائماً . زوجها يخرج في  
 الليل . ويمضي أبداً خارج المنزل . وأنه لمن الخبير أنه لا يعرف ما يدور من وراءه . »

« ماذا يدور من وراءه ؟ »

« إنها تمام مع أي شخص . سأحكى لك حكاية أعرف أنها حقيقية . إنها  
 تحب صالات الموسيقى المرحية . وهناك في أعرفه يدبر الصلاة القرزية من منزلها .  
 ذهبت إليه ذات مساء ، ودخلت مكتبه . قالت : « ليس لدي أي نقود ،  
 ولكن يمكنك أن تأخذ حقلك من هذا ؟ » ثم خلعت قميصها . وقد قال لي  
 الرجل إنها كانت ترتدي ثياباً داخلية « مكشكشة » . وكانت قد وقفت أمامه  
 مدة كافية بحيث ألقى عليها نظرة طويلة .

« وحل فعل معها شيئاً ؟ »

« كلا . » بصقت الكلمة القصيرة بإزدراء ، ثم أضافت تقول : « لم يجب  
 أن يخاطر بهذا . يمكنك أن تنزع من هذا النوع أي شيء . تريد . »

بدأت أشعر بأن جين لينجارد فتاة مقبضة للروح ، وكانت قد تكلمت  
 بتلقائية كافية ، ولكن كان كل ما قالته مشعباً بأهوائها وحسدها ، والأكثر من  
 هذا أنها كانت تشعر بأن من المسلم به أن كل الناس يشعرون مثلما تشعر هي  
 ويفكرون مثلما تفكر . وربما كنت أنا أبعدو شديد التعاطف معها والشجع لما  
 شعرت بأنني قد حققت أهم اكتشاف لي في هذا اليوم - المجلات . شعرت  
 بالارتياح حيساً صاحت مسر لينجارد تنادي : « جين ، تعالي ، خذي  
 غذاءك . » عدنا إلى العرقة الأخرى . كانت المرأة قد أبعدت بعض صحون  
 الاقطار من فوق المنضدة . ووضعت بدلاً منها وجبة منتصف النهار لايتها  
 - البيض والبطاطس المقلية . وكلها فقدت لونها بسبب الدخان البني الرخيص  
 الذي استخدم في طهيها . سمعت خبطة ثقيلة على السقف فصرخت مسر  
 لينجارد قائلة : « طيب ! » في صوت جعلني أقفز من مكاني . قالت جين :  
 « هذا دادي . أظن أنه جائع . »

وحسب عبرت مسر لينجارد معرفة الجلوس خاملة مسحاً أنعم من البيض  
 والبطاطس المقلية ، قلت لما « هل يمكنك أن أرى زوجك ؟ »  
 حلت وبدأ عليها الانزعاج ثم قالت

« إذا راق لك ذلك . ولكن الأحسن أن تدعي أخيره أولاً . »  
قالت جين بشفة كمن بسر لي بأمر خطير : « إنها تريد أن ترتب الغرفة العلوية . »

وبعد بضع دقائق صاحت مزز لينجارد قائلة : « يا الله ، بإمكانكما أن تصعدا الآن . »

صعدت الدرج الذي كان مظلماً للدرجة أنني رحت أتحمس طريقي بيدي . كانت غرفة ديك لينجارد تطل على الباحة الخلفية . وكانت النافذة مفتحة بأحكام ، وكان المكان يفوح برائحة العرق والبول .

كان ديك لينجارد جالساً في الفراش . وكانت أول نظرة مني إليه مفاجأة لي . كنت أعرف أنه رجل قوي ، ولكن لا شيء من قوته هذه كان قد بقي له . كان يبدو كمن تجاوز السبعين من عمره ، كان الوجه في بياض ولبونة العجين الذي لم يجذب ، وكان القم غائراً (كانت أسنانه الصناعية عارقة في كوب من الماء على المائدة) . كان يرتدي صدرأً ذا رباط ، متنصق من الحصر بالبنطلون اللذي يشبه سروال الداخلي الطويل . منحه هذا الرداء شيئاً بالأحدث ، ولكنني تحققت بعد لحظة أن هذا المنظر كان يسبب أنه سمح للكفتين اللتين كانتا قويتين في يوم ما ، بأن تنهدلا في ارتخاء كامل .

قالت مزز لينجارد : « هذا هو الدكتور . » نظر إلي وأوما برأسه . ثم بدأ في تناول قطع البطاطس المقلية بأصابعه لكي يضعها في فمه . قلت له : « لا تدعي أزعجك ، ولكنه تجاهلي . كان يمتص طعامه أكثر مما يمضغه . قطعت مزز لينجارد بيضته إلى نصفين ، وقدمت إليه أحدهما على ملعقة . فتح فمه لها . لكي يظهر لثته المتضخمة وقطع البطاطس المقلية التي لم يتلعبها وتركها تدفع بالملقعة إل داخل فمه المنفوخ . حاولت أن أنتقل إلى جوار النافذة . خلف السرير الذي كان يحتل معظم مساحة الغرفة . اصطلمت قلبي بوعاء مما يستخدم في غرف النوم للنوم ، فانقلب فوق حداثي . قلت شاعراً بالخرج : « لا أريد أن أزعجك الآن . سأهبط إلى الطابق السفلي . »

أومات مزز لينجارد دون أن تتكلم . وعثرت على طريقي عائداً من حيث صعدت إلى الغرفة السفلية . كانت جين ، ونعسى ، والدهن السائل من صحنها بالخيز . قالت :

« يمكنك الآن أن ترى ما فعله آرثر به . »

« ما حكايته ، مم يشكو ؟ »

« لا اعرف ، ويبدأ من صوتها أنها تريد أن تقول : « أنت الطبيب لا أنا . »

« ألا يتكلم أبداً ؟ »

« لا يتكلم إلا إذا شرب قليلاً . »

« وأمن المسوخ له أن يشرب ؟ »

« إنه يشرب سواء كان ذلك مسوخاً به أم لا . »

كنت قد بدأت أشعر بالضيق من هذا المكان المغلق . وبعد عشرين دقيقة حينما لم تكن مزز لينجارد قد ظهرت ثانية بعد ، قلت :

« أظن أن الأفضل لي أن أنصرف . »

« أجل ، فأنا نفسي علي أن أعود ثانية إلى العمل . »

« أمن الممكن أن تكوني عارقة بعنوان يوليو ؟ »

« أوه . أنتوي أن تراها هي الأخرى ، اليس كذلك ؟ »

« أود هذا . »

فتحت دولاباً صغيراً ، وأخذت منه حقيبة يد صغيرة قديمة . أخرجت من الحقيبة بعد الخطابات القديمة ومزقاً من الورق وبعض الصور . نظرت إلى هذه الأخيرة بشيء من الاهتمام .

« ألدلك صورة لآرثر ؟ »

« أمئن هذا . »

لم تبدل أية محاولة للعثور على واحدة . فبدأت أنا في البحث عنها بنفسي . كانت هناك منورة قديمة مبنية اللون لأزواج في حطبات وطاقمهم ترجع إلى نهاية القرن ، وكانت هناك صورة أخرى لمعاينات من الناس ينسمون



وهم يرفعون كؤوساً قرمزية . وجدت نفسي أمسك بصورة لفتاة ممثلة ذات جمال لافت للنظر في نحو الخامسة عشرة من عمرها . سألت :

« من هذه ؟ »

« هذه بوللي . »

حادثت فيها باهتمام . كانت استدارة الوجنة لائمه ، وقد ارتفع الصدغ إلى أعلى . كانت صورة لفتاة ممثلة بالحوية ، لم تحمها المزجحة . كان يوسفي أن أرى لماذا كرهتها جين وأبغضتها . وسرعان ما عثرت على صورة أخرى لبولين ، كان من الواضح أن الناس كانوا يستمعون بالنقاط صورها . وفي إحدى الصور بدا صبي كان من المستبعد أن أخطئه في اكتشاف أنه آرثر لينجارد . كان الوجه يبدو نجلاً مهزولاً ولكن العينين الجاحظتين كانتا قابلتين للتعرف في أي مكان . كان ينظر مجذبة شديدة إلى آلة التصوير . بينما كانت بولين التي تقف إلى جواره تضحك مرمح . كان يوسفي أن أقرأ أفكاره في تلك اللحظة تقريباً : « إنهم بصوروني ، ربما ذات يوم سينظر إليها الناس ويقولون « كان هذا هو آرثر لينجارد قبل أن يصبح مشهوراً ... » . نظرت جين من فوق كتفي إلى الصورة وقالت :

« أجل ، كان دائماً متجهماً بهذا الشكل . »

ولكنه لم يكن متجهماً . كان شديد الجدية قسب .

عثرت على صورة أخرى تضم أسرة كاملة بدت كما لو كانت قد انقلبت النام قيامهم بزفة خارج المدينة . أشرت إلى فتاة في سن بولين كانت تضع يدها على كتف آرثر .

« من هذه ؟ »

« أوه ، هذه ماجي ، التي تتبعنا نحن . شقيقتي . »

« أكانت تحب آرثر ؟ »

« أجل . لقد ماتت منذ زمن . »

« ما كان سب موتها ؟ »

« ذات السرقة . »

أجل ، كان يوسفي أن أرى السل في وجهها الشاحب . وجه الضحية . ولكن الصورة باحت لي بشيء آخر . كان آرثر يقف بين ماجي وبوللي : فتانين مغمرتين به . وهكذا فإن طفولته لم تكن تعاني من الجوع إلى الحنان . فإذاً كان السبب في تطوره إلى التمرد والخروج على كل شريعة ؟

سألت جين التي كانت ترتدي معطفها :

« ما كان السبب - في ظنك - الذي دفع آرثر إلى الوقوع في مثل تلك المشاكل ؟ هل كان يكره أي شخص في العائلة ؟ »

« لم ألاحظ هذا أبداً . إنما أراد فقط أن ... أن يكون زعيماً . » ذلك اللدجاج .

وضعت أصبعها على الغلاف المقوى للكتاب « مافيو الساحر » وقالت :

« مثل هذا الشيء . لقد ملأ خياله دائماً بأن يكون منوماً ... »

للحظة فشلت في إدراك ما كانت تعنيه . ثم سألتها :

« أن يكون منوماً معنانياً ؟ »

« أجل . كان يحاول دائماً أن ينوم الناس . وأنا أظن أن هذا هو ما قتل ماجي . لقد أضعفها . »

« ألم يحاول مرة أن ينومك أنت ؟ »

« كلا . كنت طفلة صغيرة بعد . ولكنه اعتاد أن يفعل ذلك مع أحمي . »

لقد كانت أمه المستعبدة .

« أنقصدين ماجي ؟ »

« كلا . أحمي . الأخرى . »

« بأي شكل ؟ »

« آسف . يجب علي أن أعود إلى العمل . إنهم يحضون سنة بسات لقاء كل

دقيقة يتأخرها العامل . هناك عنوان بوللي . »

وأسرت إلى الخارج . وتركتني وحيدة مع الصور . فتمرت باعتراف أن

أستعير بعضها ، ولكنني قررت أنه سيكون من الأفضل أن أطلب إذنًا بذلك .  
ناديت بركة ناجة أعلى السلم :

« من لينجارو ؟ »

لم أسمع رداً . ناديت ثانية ، وحينما ظل كل شيء على صهته ، قررت  
الانصراف . أخذت معي بعض المجلات والكتب ذات الأغلفة الورقية .  
وعلى عتبة الباب الخلفي للمنزل المجاور ، وقف رجل واضعاً يديه في جيوبه  
وأخذ يرمقي بقضول ، وأطلت امرأة من نافذة مطبخها . كنت أتخيلهما يقولان :  
« والآن من يمكن أن يكون هذا بحق الحجم ؟ » . الجيران فضوليون في شارع  
بينكيث .

كان من المتع أن أسبر بعد هذا في ضوء الشمس ، وأن أستشق الهواء  
المحمل بروائح الغاز وسفن الشحن في القنال . على الأمل ، كانت هذه هي  
روائح الهواء الطلق .

• • •

بينما كنت أفود سيارتي في شوارع « ستوك بورت » تخلصت من بعض  
ما كنت أشعر به من انقباض . رحمت أحل ما كنت قد رأيت ، وجعلني هذا  
أدرك كم كانت جباني موقفة الحظ ، صعبدة الطالع . إن ما يبدو فهمه  
شديد الصعوبة بالنسبة لبيئة من النوع الذي نشأ فيه آرثر لينجارو هو أنها  
شديدة « الانفلاق على نفسها » إلى درجة كبيرة . بينما كنت أجلس في العرة  
الأمامية في منزل لينجارو ، كنت قد رأيت صحيفة عنوانها الرئيسي يقول :  
« ديجمول يقول : لا » وقد بدت لي هذه الصحيفة كشيء « غير حقيقي » . وخارج  
الكنيسة عند نهاية الشارع ، كانت هناك لافتة تقول : « اهزموا الشيطان باسم  
الرب » . ديجمول ، الرب ، الشيطان ، شكبير ... هذه كلها أشياء تنسب إلى  
مملكة بعيدة من الأساطير ، من اللاخفية . « هذه » كانت حقيقة : « ما زال  
شايبا يباع بسعر أربعة بنسات للقدح الواحد » . « وأعيبوا الباكستانيين إلى  
بلادهم » . يصح هذا العالم مثل المستنقع إذا دخلته للمرة الأولى . تغرس

فلملك في أوحاله ، وكل محاولة للهروب لا تؤدي إلا أن تفوص سافك أكثر .  
وهكذا راح آرثر لينجارو يحلم بقوى خفية سرية ، بأن يكون « مارغو  
الساحر » ، وبأن يجعل الرجال يهرون كالكلاب بنظرة واحدة لاقية من عيه  
السماريتين وبعض الاشارات من أصابعه السحرية . ولكن في الحقيقة العملية ،  
كان الأسلوب المؤثر الوحيد للتعبير عن رفض هذه البيئة هو اقتحام محل بائع  
الحلويات عند الناصية ، أو رسم فتاة في وضع مزور على جدار مرحاض  
عمومي . كنت قد أطلت من كل هذا بوصفي طيبياً : لقد عشت في عالم لم  
يكن ديجمول ولا فرويد ولا داروين فيه شخصيات أسطورية ، وإنما كانوا جزءاً  
من الحقيقة اليومية . الحقيقي الذي تجسد في شارع بينكيث .

كان شارع بلدة « ستوك بورت » حيث كانت يولين لينجارو  
— التي تدعى الآن يولين سبارو — تعيش أقل انقباضاً من شارع بينكيث ،  
وكان ، من الناحية الاجتماعية ، يقع على ارتفاع درجة واحدة من سابقه .  
ورغم أن المنازل كانت تبدو متشابهة ، وكانت هناك زجاجات لين متحطمة  
في الطريق ، فقد كان لكل منزل حديقة صغيرة وراء جداره الخشبي . كان  
صبي نشيط قد ترك دراجته ذات الجمالة المليئة بأنواع الخضروات المحفوظة ،  
وأتكأ على السور ، ولو كان هذا الصبي في شارع بينكيث لما غامر بترك  
بضاعته ودراجته على هذا النحو . ورغم أن المنازل كانت صغيرة الحجم  
والمساحة ، فقد كانت متباعدة عن بعضها قليلاً .

كانت للحديقة الأمامية في بيت يولين سبارو حافة رصيف ضئيلة خاصة ،  
وكانت مزودة بممر جاف نصف ظليل . رفعت المطرقة المعلقة على الباب  
الأمامي الأخضر اللون (وكانت كل الأبواب الأمامية في الشارع خضراء  
اللون) ومقرتها طرقة خفيفة . فتحت على الفور نوافذ المنزل المجاور على  
مصاريعها ، وارتفع صوت جهاز الراديو يقول :

لقد أثارني قبلات كثيرة من قبل .

ولكن يا حبيبي لم تُرلي قبلة كهذه من قبل !

طرقت الباب مرة أخرى ، طرقة أكثر قوة ، خشية ألا تكون الأولى قد سمعها أحد . ظهرت امرأة على باب المنزل المقابل ، وكانت تجفف يديها منتشفة مما يستخدم في تقديم أقذاح الشاي . قالت :  
« إنها ليست بالداخل . لقد ذهبت إلى عملها . »  
كانت هذه خطوة إلى الوراء . سألتها :  
« متى ستكون في البيت ؟ »

« حواري الساعة السادسة . هل سأقول لها إنك سألت عنها ؟ »  
كان من الواضح أن الأمل قد داعبها في أن تبدأ عمادته . فأجبتها بأنني سأعود فيما بعد ، ورحلت .

ولما كانت أمامي ساعتان أمضيهما دون عمل ، فقد تناولت وجبة صينية ، وتسكمت داخل محل لبيع الكتب القديمة ، ورحت أنظر إلى القوارب المروضة في إحدى صالات العرض . وفي الخامسة والنصف ، شربت كأساً من الحين والليمون الحامض في إحدى الحانات . ثم قفلت عائداً بسيارتي إلى عنوان بولين . ولم يكن هناك أحد حتى تلك الساعة . وبرزت لي السيدة من المنزل المقابل لكي تخبرني بأن بولين تخرج أحياناً من العمل . لا إلى البيت ، وإنما إلى حيث تفضي أمسياتها . وأضافت تقول :

« إن زوجها سائق سيارة شحن من تلك السيارات التي تذهب إلى أماكن بعيدة ، ولذلك فليس عليها أن تنهي له عشاءه . »

جلست في السيارة لمدة نصف ساعة . ولو كان في نيتي أن أعود إلى بيتي في تلك الليلة ، لكانت تلك هي الساعة المناسبة للشروع في العودة . ولكنني كنت أنطلق إلى رؤية بولين لينجار . عدت بالسيارة ثانية إلى مركز « ستوك بورت » ، وحجزت لتفسي غرفة في أحد الفنادق . وأمضيت نصف ساعة في البار . ثم ساعة أخرى في مشاهدة التلفزيون في البهو . وشعرت بالخوف بعد ذلك فتناولت العشاء . وكانت الساعة قد قاربت العاشرة . فعدت السيارة عائداً في الظلام إلى منزل بولين . كانت الأضواء ما تزال مطفأة . ولا بد أن

الجارة القريبة كانت ترقب ما يجري من النافذة ، فقد خرجت لكي تخبرني بأن مزر سبارو غالباً ما تظلل خارج المنزل إلى منتصف الليل ، وكانت هذه فكرة محيية للرجاء . ولكنني كنت مصمماً على ألا أستسلم . ذهبت فجلست في السيارة ، ورحت أصغي إلى الراديو . أذيعت نشرة الأخبار في الساعة الحادية عشرة . ثم رأيت النور يقام في الغرفة من المنزل ، كانت قد دخلت المنزل دون أن الحظها .

ذهبت فطرقت بابها ، وأنا أشعر بالعيون التي تراقبني من المنزل المجاور . لم تأتني أية اجابة . وبعد المزيد من الطرق ، سمعت صوت المياه تتدفق من الحمام ، وصوتاً يقول : « من هناك ؟ » . ولما لم يكن يوسعي أن أصبح ياسمي من خلال فتحة البريد في الباب فقد رحمت أطرق ثانية . وهنا فتح الباب بعنف وقالت بولين لينجار :

« من أنت ؟ »

« إسمي الدكتور كاهن ، وأنا من سجن « روزهيل » وأود أن أتحدث معك حول شقيقك . »  
« ماذا ، الآن ؟ »

« لقد جئت إلى هنا بعد ظهر هذا اليوم . وظللت أحاول مقابلتك طوال المساء . »

« طيب ، إذن أظن أن من الأفضل أن تدخل . »

راحت تنظر إلي باهتمام وأنا أخطو إلى الداخل ، وكان من الواضح أن الاطمئنان قد عاددها . نعتها إلى حجرة الجلوس . كانت حجرة مربعة بما فيه الكفاية . لم تكن شديدة الأناقة ، ولكنها لم تكن قادرة أيضاً .

كانت بولين سبارو امرأة في منتصف الثلاثينات . ذات رقعين كبيرين وهدن منمليين . وكان شعرها كثيفاً وداكن اللون . كان وجهها قد فقد حطوطه الناعمة التي رأيتها في الصورة وأصبح أكثر صرامة . وكان القم ممثلاً موحياً بزرقة صاحبه الخسبة ، وكانت العينان حذائتين مدعشتين . بدت لي كجيوان

صحيح الجسم ممثل. بالحوية. تنسي إلى نوع من النساء اللواتي يظهرن في صورة طبيعية تماماً حينما تحف إحداهن ويدها على ردفها، وساقها مفرجتان يسيراً يفتق ثوبها يعنف حول فخذها. ويراجع الكتفان إلى الوراء بصورة واضحة.

سألته: «هل زرت آرثر في السجن؟»

«ليس كثيراً. إن زوجي لا يحبه. وهو لن يسمح لي بأن تكون لي به أية علاقة. كيف حاله؟»

أخبرتها بالتفصيل بحكاية انهار آرثر العصبي، وأوهام الحرس الأسود، وما إلى ذلك. أصغت إلي باهتمام، ولكن تعليقاتها الوحيد كان «الولد المسكين». غير أنني شعرت على الأقل بأن ثمة تواصلًا بيني وبين من أكلتها. أخبرتها بما كان من زيارتي لمزل أسرة لينجارو في «وورينجتون»، فقالت: «هل أخبروك بأي شيء مفيد؟»

«كلا. لا أظن أنهم يفهمون المشكلة.»

ضحكت. وكانت ضحكها كالسرير المرضع النعمة، ولكنها لم تكن خليعة أو عشة. قالت:

«كان يوسفي أن أخبرك بذلك. إن «مخ» العمة إرزي أسكت من كلتيين من خشب، ومخ جين لا يفضل مخ أمها كثيراً.»  
«ماذا من مخك ذلك؟»

«لقد طار عقله تماماً. إنه مدمن على الخمر. وكان عنيفاً دائماً، ولكنه أحرق نفسه حتى استهلكها. والطبيب يصف له العقاقير حتى يظل هادئاً.»

رحت أشرح لها ما كنت أريد أن أعرفه. لماذا كان شقيقها يحاول أن يداري ذكاه؟ ولماذا تحول إلى مجرم ضليل الشأن بدلاً من أن يحصل على منحة من إحدى الجامعات ويفوز بدرجة علمية؟ وقلت لها: «أظن أنه كان يوسعه أن يحقق حياة عملية ناجحة في المهنة التي يختارها.»

«أوه. بالطبع كان يمكنه ذلك، لو أنه أراد أن يفعله. ولكن لم تكن

هذه هي فكرته. كانت لآرثر دائماً أفكاره الكبيرة.»

«أي نوع من الأفكار الكبيرة؟»

فحنت حقيبتي يدها وأخرجت عليّ سجائر، وقالت:

«إذا كنا سنبدأ الحديث في هذا الموضوع، فمن الأفضل أن نذهب إلى الغرفة الأخرى. إنها مريحة أكثر من هنا.»

تبعتها إلى الحجرة الأمامية، وأشعلت مدغاة غازية وقالت:

«ما رأيك في كأس؟»

قللت إنني ربما كنت قادراً على أن أشرب كأساً صغيرة. ذهبت إلى المطبخ، وعادت حاملة زجاجة من البين، وزجاجة من عصير الليمون المعطر، وكأسين. وقالت لي: «قل مني أكف عن الصب؟». وقفت أنظر إلى إحدى الصور الموضوعة على إحدى الموائد. كانت إحدى الصور تجمع بين بولين وآرثر واقفين على رصيف بحري - والبحر من وراءهما. كان آرثر في الصورة - يبدو في الخامسة عشرة، كان نحيلاً شاحباً بنفس الوجه الصامت الجاد والعيين الجاحقتين. أما بولين فكانت تبدو كمعادية مليئة بحوية هائلة. وكان رجلان في حافة الصورة ينظران إليها. برعت في ذهني ذكرى سبب وجه آرثر: ما الذي ذكرني به هذا الوجه؟ ثم تحدت الذكري: صورة ظهر في فترة باكورة من حياته كنت قد رأيتها ذات مرة. كانت تبدو في عهده نفس النظرة الحامدة العميقة التي تحمل أثاراً من كتابة حزينة.

كالت هناك صورة من صور الزفاف تبدو فيها بولين طارقة في الثياب البيضاء. وكما هي العادة، كانت عيون كل الرجال الآخرين في الصورة مبنية عليها. كان زوجها رجلاً ضخماً الحجم حسن المظهر. وكان يبدو عليه أنه طيب المعشر ولا يتنعم بشخصية قوية. وكان من الواضح أنه لم يكن يشعر بالراحة الكاملة في حقله رفاة. جاءت بولين ووقفت إلى جواربي يساً كنت أنتقل إلى تلك الصورة. حدثت يدها وأشارت إلى الصورة وقالت:

«هذا هو إرني، ذاك حورج أفضل أسدفاً.»

كانت تشير إلى رجل طويل له شارب بارز ، وقد بدا مستريحاً راحة كاملة في حنقه الصباحية . بينما كانت هي تهتمه وتقول :

« لقد أراد هو الآخر أن يتزوجني »

واستراحت يدها للحظة واحدة على كم سرتي وهي تلفظ عبارتها الأخيرة . قلت :

« إنه جذاب جداً » .

كنت أشعر بأنها كانت تريدني أن أشجعها .

« أجل ... كنت أود أن أتوجه . ولكنه كان غارقاً في المشاكل إلى درجة جعلته لا يستحق المغامرة من أجله . وقد كان شيطاناً يخلب أبواب القنبات . »

« هكذا كانت بولين قد فضلت جورج ، ولكنها تزوجت إرني ، لأنها عرفت أنه كان رجلاً يمكن الاعتماد عليه . كانت امرأة صلبة عبدة تعرف ماذا تريد .

قلت : « تفصل بالجلوس » وأشارت إلى مقعد قريب من النار . رأيت عندئذ أنها كانت صبت لي كأساً بالغة الضخامة من الحين وعصير الليمون . وكانت كأسها أكثر ضخامة . جلست على الأريكة ووضعت وسادة صغيرة خلف رأسها . وقالت :

« الآن تفصل ، أسألني ما تريد من الأسئلة . » وأشعلت سيجارة أخرى .

« هل أنت مفرمة بأخيك ؟ »

« اسمع ، فليبحث هذا الأمر . »

كانت تتميز بطريقة حاسمة مباشرة في الكلام . وكانت لحنها مزيجاً مدهشاً من لكة أهالي لندن ولكنة مانستر ، ولكنها كانت لجة أكثر وضوحاً بكثير من لجة عمته . أضافت تقول :

« أعتقد أنني كنت مفرمة به جداً حينما كان طفلاً صغيراً . ولقد تغير هو كثيراً حينما تقدم في العمر . »

« ماذا كان شكل تغيره ؟ »

« صارت له أفكار شاذة . وصار ميالاً بشدة إلى التأمل . »

« أي نوع من الأفكار الشاذة ؟ »

« أوه ، لا أعرف . لم يكن يتكلم معي حقاً . وإنما اعتاد أن يتكلم أكثر بكثير مع آجي - كانت هذه هي ابنة عمه وكانت تعتقد أنه إنسان عجيب ورائع . »

« لقد وصفتها ابنة عمك ، اختها جين ، بأنها كانت أمه الرقيقة . »

ضحكت وقالت :

« أوه . أجل . كانت جديرة بأن تفعل أي شيء . لأحبه . وقد فعلت . »

ودعنتي ملتبقتها في لطق العبارة الأخيرة إلى طرح السؤال التالي ، قلت :

« أتعتين أنه كان يمارس الجنس معها ؟ »

هزت كتفها وقالت :

« بالطبع . »

« لماذا تقولين : بالطبع ؟ »

« الجميع يفعلون ذلك في تلك الأسرة . الأولاد لا يفكرون في شيء غير الجنس . وكان أكبرهم ، جيم ، هو الأكثر سوءاً . »

رشقت رشقة طويلة ، « حينما رأيتي متها مضت تقول :

« لقد نلت أكبر صدمة في حياتي حينما تبينت ما كان يجري من حولي هناك . كنت أعرف بالطبع أنهم قد اعتادوا أن يمارسوا بعض الأنواع أثناء اللهو وما إلى ذلك . كنا جميعاً تفعل هذا . وكان الأولاد ينحسون أجسامنا ويعملوننا نحس أجسامهم . ولكنني استيقظت ذات ليلة وصعدت إلى نيكى فقلت لها : « ماذا بك ؟ » فقالت : أنا خائفة . لقد جرحني جيم . »

كان جيم هو أكبر أبناء عمي . وعلى أي حال لقد انتهى لي الأمر إلى أن سللت معها إلى الطابق السفلي وأسألتها في المطبخ . كانت ترتدي جليداً أبيضاً قديماً . وكانت السماء تعطي ظهره . كنه كنا نتبادل الحديث مسأحين لا نوقف العم ذلك . قلت لها : « ماذا فعل بك ؟ » قالت : « أعلم أنه مرقق بداخلي

شيئاً ما . أنتظري إن كان بإمكانك رؤية أي شيء ؟ وهكذا فقد  
جلست على المقعد رافعة ركبتيها ، ونظرت داخلها ، ولكن كانت الدماء هي  
كل ما استطعت رؤيته . جئت بقطعة من الصوف المندوف ووضعتها فوقها  
الزئبق ومرهم زيت الخروع ، ونولت هي وضعها داخلها ، ثم عدنا  
إلى الفراش . وفي الصباح التالي كانت قد توقفت عن التزيف .

« كم كان عمرها في ذلك الوقت ؟ »  
« حوالي الثانية عشرة ، كما أظن . »  
« هل فرض أخوها نفسه عليها ؟ »

« لا طبعاً . لم يكن جيم من هذا النوع . ولكنه كان أكبر من آجي  
بعامين وكانوا جميعاً ، حالما يخرج أبوهم وأمهم ، يبدؤون لعبة الألباه  
والمرضات . هل تفهم ما أعنيه ؟ كانوا يجلسون على الفراش وكان هو يتخلع  
ببطلونه فتحلعه هي جوننتها ، ثم يبدآن في تبادل اللعب . وهكذا فقد كان من  
المقدر أن يحدث ما حدث آجلاً أو عاجلاً . أليس كذلك ؟ »

« وما الذي كان من الممكن أن يحدث لو أن والديني قد اكتشفا الأمر ؟  
» أوه ، لقد اكتشف أبوهما الأمر . فصرخا معاً بالحزام .  
» وهكذا فقد كان يرفض الأمر كله ؟ ومع ذلك فقد انتهى بأن فعل معك  
أنت نفس الشيء . »

ابتسمت وهزت كتفيها . كان بوسمي أن ألاحظ أنها تستمتع بهذا الحوار .  
قالت :

« ليس هذا هو نفس الشيء . أليس كذلك ؟ كان يجب أن يضربنا بيده  
على مؤخراتنا . وكان يوجه خاص يجب أن يضربني أنا . لم أكن أحب أن  
أشرك كثيراً في اللهو مع أبنائه ، ولكنه كان دائماً يجد شيئاً ما يأخذني علي . »  
« وأتظن أنه كان سادياً ؟ »

« ليس بالتحديد . لم يكن هذا إلا سبباً يتعلل به لكي أزرع سروالي ثم  
يضعني فوق ركبتيه عارية - الساقين والردفين . وكان باستطاعتي أن أشعر

بشهوته وهي تستثار بينما كان يفعل ذلك . »

قلت لها : « أأمل أن تصدقني حينما أقول إن كل هذا ليس مجرد حب  
استطلاع شهواني . إنني أحاول أن أفهم الجو الذي نشأ فيه أخوك . »  
« أوه ، هذا مفهوم تماماً . لا يعني الكلام في هذا الموضوع . أسألني  
عما تريد . »

« ألم يته الأمر بمعك إلى اغتصابك حينما كنت في الثانية عشرة من  
عمرك ؟ »

« أعتقد أن بوسعك أن تصف الأمر على هذا النحو . »

وقفت لكي تعيد ملء كأسها . ونظرت بسرعة إلى كأسني نظرية ثم من  
عدم الانسجام ، إذ أنها كانت ما تزال ممثلة إلى منتصفها ، قلت :  
« هل فعل ذلك أم لا ؟ »

قالت : « اسع ، سأكون صريحة معك - إنك تدرك أنه ليس بينما من  
هو ملاك . ونحن جميعاً نعرف الكثير عن الجنس في سن مبكرة . لقد خدمت  
السبب الذي كان يجعل الرجل المعجوز أن يضربني على مؤخرتي ، رغم  
أن زوجته المعجوز لم تكن تحب ذلك . ولقد أردته أن يعلم أنني عرفت ما كان  
يسمى إليه . وقد حدث في أحد الأيام . وكان بعد ظهر أحد أيام السبت ، ان  
عاد هو إلى البيت من مباراة كرة القدم ، ولم أكن قد انتهيت من غسل آية  
المطبخ - كنت وحيدة في المنزل ، وكان الجميع يتزهون في الخارج . وبدأت  
المسألة بأن قال : « أظن أنك بحاجة إلى تشييد شديد . إن حالتك تعني من هي  
إلى أسوأ ، وقد قررت أنك بحاجة إلى خدم جيد . » قلت له : « طيب ،  
إنني أعرف ما سوف يحدث ، ثم رقت جوننتي ، إلى أعلى ، وجذبت سروالي  
الطويل الطنولي إلى أسفل . وكان بوسمي أن أرى كيف كانت رغبته تبدأ في  
الحرك . وجلس هو على أحد المقاعد ، وجذب حزام بطلونه ، وجعلني  
أرقد على وجهي فوق ركبتيه . اسع ، إنني لا أحب أن أصرب بالحزام .  
إنني لست ممثلة الأحاسيس . ولذلك ، فقبل أن يمسكن من أن يبدأ في ضربني ،

مددت يدي بين سابقه ونحسته نخسة قوية في ذلك المكان . حينئذ كفت عن التظاهر . فوضع يده بين ساتي وقال : « أووه . إلك فتاة حلوة . » ثم أمرني بأن أجلس وقال : « اسمعي ، لو أنك وعذرتي بالأنا تجبري أحداً فإني سأعطيكَ خمسة شلنات . تأخذينها وحملك . » قلت : « كلا ، لن أخير أحداً . » فقال : « إذن ، تعالي إلى القرعة العلوية . » ولم أكن قد تبينت بالطبع ما يريد علي وجه التحديد . كنت أظن أنه لا يريد مني أكثر من أن أظفر معه قليلاً . تماماً كما اعتاد جيم أن يفعل . تجددت من الخوف حينما طلب مني أن أستلقي على الفراش ولكنني لم أشأ أن أجعله يشعر بخوفي . ظل يقول لي : « لن أؤذنبك ، أعدك بهذا . » وكادت أموت حينما خلعت ملابسه ورأيت مبلغ سخامته . ولقد حاول هو من جانبه جاهداً أن يكون رقيقاً ، وأنا أعترف له بهذا .

« ولكنه اعتصبتك بالفعل . »

« كلا ، أم يتم هذا في تلك المرة . كان الألم قد فاق احتمالي فظلمت منه أن يتوقف . فتوقفت بالفعل . وقد أعطاني الشلنات الخمسة أيضاً . »  
أدهشتني لمجنها فقلت : « يبدو أنك ما زلت تحبيه . رغم كل ما حدث . »  
بدت عليها الدهشة هي الأخرى . وقالت :  
« بالطبع ما زلت أحبه . ليس بوسعك حقاً أن تنغصه . لقد كان رجلاً من نوع لطيف حقاً . »

« ومنى كان بوسعكما أن تجدوا الفرصة للاقتراء معاً في منزل صغير إلى هذا الحد ؟ »

« كلا تجد هذه الفرصة أساساً في أمسيات أيام السبت . كان الأولاد والأطفال قد اعتادوا على الخروج في هذا الوقت دائماً لكي يلعبوا بالخارج . وكان جيم وتيد يعملان في توصيل الرسائل إلى أصحابها . وكانت العمدة إزي قد اعتادت على الخروج لكي تزور صديقتها في الشارع القريب . وكان من عادة العم ديك أن يذهب إلى الحانة حتى الساعة الثالثة . ثم يعود فأعد له

شطيرة . وكان من المعتاد أن يبكي إذا كان شديد السكر . »

« يبكي ؟ لماذا يبكي ؟ »

« كان يبكي بسبب شدة ما كان يشعر به من الجحيل لما يفعله من الأشياء القبيحة مع فتاة صغيرة ، إلى ما هنالك من أشياء مشابهة . »  
وحينما ضحكت قالت ببديهة :

« أظن أنه كان يشعر حقاً بالجحيل . أترى ، لقد كان رجلاً شديد النهم إلى الجنس . كما أن ... حسناً . لقد رأيت العمدة إزي . لم يكن بوسعك أن يتعمد علي فحسب . كنت مثل زوجة بالنسبة له . وسوف تشهد دهشتك إذا عرفت كم كان بوسعك أن يكون لطيفاً وطيباً . كنا نذهب إلى الفراش معاً كل يوم سبت ، تماماً مثل زوجين قديمين . وكان يتألف في بعض الأحيان سبع أو ثماني مرات قبل أن يجين وقت العودة إلى ارتداء ملبسته . وكان من عادته أن يقول إنه قد ادخر كل ما عنده طوال الأسبوع لهذه اللحظات . »

« كيف كان شعورك إزاء كل هذا ؟ ألم تشعرني بالألم ؟ »

ابتسمت ابتسامة مزعجة بالذكورية الحسنة وقالت : « أوه . في البداية فقط . أنا أيضاً سامة جداً إلى الجنس . وكانت حالتي أفضل بكثير مع العم ديك مما لو كنت أفوه لظوا لا طائل وراه مع صبي مرهق . »

« إذن ... فلم تكن لك أية علاقات مع صبيان مرهقين ؟ »

« حسناً ، ليس كثيراً . ولم تكن مما يمكن أن تسميها بالعلاقات . من الطبيعي أنه كان هناك صبيان كثيرين في المدرسة أراؤوا ذلك . وعلماً أنك بدأت في الحصول على ذلك الشيء بانتظام ، فانك تشعر بالرغبة فيه طوال الوقت وعلى الدوام . ولم أكن أنا أحصل عليه إلا مرة واحدة في الأسبوع . وغالباً ما كان هذا المعدل لنفسه بقل عن ذلك . لأن الأولاد في الشتاء لم يكونوا يرمعون في الخروج للعب . ولذلك كان لا بد لي أن أخرج مع أحد الصبيان من حين إلى حين . وقد صبغتني العم ديك ذات مرة في مدخل المنزل . وكاد أن يغتالي . وأنا أم الله . »

« ألم تشك العمة لزري في الموضوع ؟ »

« أوه ، أظن أنها كانت تعرف طول الوقت ، وكذلك كان الأولاد الكبار ، لأنهم كفوا عن محاولة أن يتالوني . »  
« أريد الآن أن أوجه إليك ... سؤالاً ... محرراً بعض الشيء . »

قاطعتني وهي تضحك وقالت :

« إنك مضحك حقاً . إنك تشبه خورياً في كتيبة . »

كنت أرى أنها امرأة لا كوايخ لديها تمنعها عن شيء . وربما كان الجين قد ساعد على ذلك . كانت في تلك اللحظة تشرب كأسها الثالثة . قلت :

« وماذا عن آرثر ؟ ماذا كان موقفه إزاءه كل هذا ؟ »

حزت رأسها بيده وقالت :

« كان هذا حقاً هو أسوأ ما في الموضوع . لقد عرف بالأمر . لقد دخل علينا ذات مرة حين كان العم ديك يقوم بمهمته معي في المطبخ . »

« تمارسان الجنس ؟ »

« حسناً ، ليس على وجه التحديد ... كان من الواضح أن ثمة حدوداً لصراحتها . استمرت تقول : « لم يكن يمكنه أن يتركني بمفردي أو أن يتعدى عني ، وكان يروق له أن يتخلل بده تحت ملابسني وأن يجعلني أتخس أيضاً . »

قلت بسرعة : « أرى ذلك . إذن فقد عرف آرثر بالموضوع . »

« أجل . »

« وكيف كانت نظرته إلى هذا الوضع ؟ »

« كان رد فعله شيئاً جدياً فيما أعترض . لقد شعر بالغيرة . ولكن كما تعرف لم يكن آرثر مثل بقية الصبيان . لقد كانوا مهتمين إلى الجنس كالآرانب . أما آرثر فكان ... حسناً . أعترض أنه كانت لديه أحاسيس جسية ، تماماً مثلنا جميعاً ، ولكنه كان يشعر بالحجل من تلك الأحاسيس . كان - ماذا تقولونها ؟ -

ملهوراً ... »

« تظهيرياً ؟ »

« أجل . تلك هي الكلمة . »

« اسمع ، هذه قصة أخرى . إنك بالتأكيد تدلني إلى الحديث . أليس كذلك ؟ »

نهضت لكي تشعل سيجارتها . وحينما عادت للجلوس ، رفعت ساقيها على الأريكة . تمت هذه الحركة دون أن تكون الاشارة هي مقصدها ، ولكن لما كانت جونتها قصيرة ، فقد كان من الصعب ألا أتبين أن ساقيها كانا جميلتين جداً . وجلستني أنظر إليها دون رغبة حقيقية . ولكن باعتبار عميق المزج فيه الجانب الحسي بالجانب العقلي . كانت هذه الفتاة شبيهة بشخصية « موللي بلوم » التي أبدعها جيمس جويس في رواية « يوليسيز » . ذكيت بطريقتها الخاصة ، حيوية ، وحسية بطريقة طبيعية . ولو أنني أردت أن أنام معها ، لما كانت قد نظرت إلى الأمر باعتباره عملاً آتماً من أعمال الحياة الزوجية ، ولكنها قد خلعت ملابسها لأجلي كما كانت تخلعها لعمها . بصورة طبيعية ودون حنجل . كانت بشكل طبيعي تنقف في وضع أعلى من جاريتها . بطريقتها الخاصة ، كما لو كانت قد وُلدت كأمة .

قلت :

« يمكنك أن ترى ، إنني كنت دائماً صورة من صور الأم بالنسبة لآرثر . كانت أُمي تنقهب إلى العمل حينما كان رضيعاً - فقد انقضت إلى الأعمال التي أفرصتها الحرب حالما نشبت الحرب نفسها . ولذلك كنت أنا من لزعج آرثر ونعطيه قبضة الرضاعة . وأعتقد أنه قد ملن أنني أُمه بالفعل . »  
« كنت قد بدأت أدرك ما حدث فجأة . كانت بولين هي الأم بالنسبة له . »  
« وقد توجهت التفكير الأوديبي عند آرثر نحوها وليس نحو زوجة عمه . ولذلك فحينما أصبح العم ديك عشيقها ، أصبح هذا الهدف الطبيعي لكره آرثر وإحسانه بالاحسان . » قلت :

« لماذا عبرت موقفك من عمك وأصبحت صده ؟ »



« ودون أن تخرج أو أن تحمل احساساً دائماً بالمهانة . كان كل شيء . بالنسبة لها طبيعياً بصورة ما . قلت لها :  
 « ولكن حديثي عن آرثر . إنك تقولين إنه كان تعظيماً - أنتين أنه لم يكن يشترك أبداً في الأعمال الخسيسة ؟  
 « كلا . كان يشترك فيها ... فلم يكن بإمكانه حقاً أن يتجنبها .  
 « ولكنه لم يكن يشترك فيها إلا مع الأطفال الأصغر سناً ؟  
 الفرجت شفتها في ابتسامة هادئة .  
 « أوه . كلا . إنما كان قد ثبت عليه علي .  
 « كيف تعرفين ذلك ؟ »

« حسناً . في البداية . كان يتعلق بي بساطة في الفراش . فإذا كان عليه أن يذهب إلى الفراش قبلي . كان علي أن أعطيه واحدة من كثر التي لكي يمسك بها أمام وجهه . وكان من عادته أن ينهج بارتداء ملابس أيضاً . وحينما كان صغيراً جداً . اعتاد أن يطالبني باحتضانه طول الوقت - وكان يضع ذراعيه حولي ويقول لأثناء عمه : « إنها شقيقتي أنا . لا شقيقتك . » ثم يخرج لسانه للأخريين . ولكنه كف عن كل ذلك فجأة . »

« في أي من كف عن هذه التصرفات ؟  
 « أوه . في حوالي السابعة أو الثامنة . لا أتذكر بالضبط .  
 « في نفس الوقت تقريباً الذي عرف فيه بأمر العلاقة بينك وبين عمك ؟  
 « أعتقد أنه من الممكن أن يكون هذا قد حدث في نفس الفترة . أحل .  
 ولكني لا أظن أنه كان يملك ما يفعله إزاء هذا الوضع .  
 « ما السب الذي دفعه حقاً في رأيتك إلى أن يتغير ؟ »

« إسمع . إن الأطفال يتعمروا وحقاً . أليس كذلك ؟ أمي أنه لا يعرف لهم أن يحرم منهم الناس وما إلى ذلك . إنه فقط لم يشأ أن يستعزم من مشاهيرهم أو أن يعمل الآخريين صرحون عليه بعد ذلك . ولكنه أحد غيرت من في الفراش أكثر من ذي قبل . وقد كانت له في الحقيقة عادة مصححة .

« أصبحت صده ؟ ولكني لم أفعل ذلك .  
 « ولكنك قدمت الدليل الذي انتهى به إلى السجن .  
 « كلا . لم أقدم أنا هذا الدليل . آرثر هو الذي قدمه .  
 « ما الذي حدث على وجه التحديد ؟  
 « حينما ظهر على العمل . أبلغ هو ضابط شرطة الآداب بالموضوع .  
 « أي ضابط لشرطة الآداب ؟  
 « الضابط الذي كان يأتي إرؤيته . كان آرثر دائماً يواجه المشاكل . كان تحت رقابة الشرطة بسبب اتهامه بالسطو . وقد أخبر ضابط الشرطة بأن العم ذلك هو والد الطفل .  
 « وهل كان هو والده حقاً ؟ »

« أظن هذا - على أي حال . لقد جاؤوا إلى المنزل - أقصد الشرطة . وأخذوه لكي يستجوب . ثم قالوا له إنني تخليت عنه - والتي أهمته بأنه والد الطفل كانوا قد وضعوني في الحجرة الأخرى المجاورة مع التين من النساء العادلات في الشرطة . وهكذا اعترف بكل شيء . »

« وماذا حدث للطفل ؟  
 « وضعته في دار لا يواء الأمهات غير المزوجات . ثم تناء بعض الغرياء .  
 « هل عرف عمك أن آرثر قد أسلمه للشرطة ؟  
 « لم يعرف هذا إلا بعد الحادثة بوقت طويل جداً . ولكنه كان يظن في البداية أن رجال الشرطة كانوا قد اكتشفوا أمر حجلي وسعوا بعض الشائعات .  
 « إذن فقد كانت علاقتك به معروفة خارج نطاق الأسرة أيضاً ؟  
 « أظن هذا . »

« اكتشفت فيها امرأة تدعو إلى الدهشة . كانت قد أصبحت عشيقه الوصي عليها وهي في الثانية عشرة من عمرها . وكانت قد عاشت في منزل ضئيل الحجم مع زوجته معها وأبنائه - ويمكنني أن أتخيل جو المنزل حينما تشرع العائلة في الضحك مما كان يجري - ولكن ذلك كله تركها دون حذر .

كان يحاول أن يرقده فوي .

« أنصفين ذلك بأنه مضحك ؟ »

« أوه ، لا أظن أنه كانت لك أية علاقة بالجنس . لم يكن هناك إلا أنه لم يكن قائماً بأن يستظفي إلى جوارى . كان يشعر بقدر أكبر من الأمان إذا كان يستخمني ككلاءة لقرائه ، تماماً مثل الجلوس على ركبي . وكنت أنا أنتظر حتى يفرق في النوم ، ثم أسحب نفسي من تحته بهدوء . »  
« هل ظهر عليه أي نوع من الاهتمام الجنسي بك ؟ »

ضحكت . وقالت : « حساً ، لقد ظهر عليه هذا النوع من الاهتمام فيما بعد . كان ذلك حينما بدأ يكبر قليلاً . اعتاد أن ينتظر حتى يظن أنني قد غرقت في النوم ، ثم يحاول أن يتحسني . أو أن يضغظ بحسه على جسي . »  
« وماذا كنت تفعلين ؟ »

« أبداً ، لم أكن أريد أن أجعله يحزن . كنت أعرف أنه يشعر بالغيرة من العم ديك . ولذلك كنت أنتظر بالتمام بالنوم . ولم يكن هو يحاول أن يوقظني . وضع في اعتبارك أنني لا أقول إن الخطأ كله كان خطأ وحده . ولاننسى أنني كنت .. أعني ، حساً ، أن بعض الأحلام كانت تتناهي . أتري ما أعنيه ؟ كنت أحلم بأنني في الفراش مع العم ديك ، ثم تبدأ عرائزي في التحرك ... »

للمرة الأولى في ذلك المساء ظهرت عليها بعض علامات الحرج ، رغم أن هذه العلامات الأولى ، لم تكن واضحة أو حادة . ومن ثم فقد غيرت الموضوع . قلت :

« كيف كانت علاقة آرثر بابنة عمه آجي ، طالما أنه كان متعلقاً بك بهذه الصورة القوية ؟ »

« أنظر ، لقد كان هذا الأمر مختلفاً . كما أن آرثر لم يبدأ في التعبير إلا فيما بعد كما تعرف . كان قد أصبح بالغ الغراية حينما اقترب من الثالثة عشرة من عمره . كان يقرأ تلك الكتب المهلكة طوال الوقت ، وقد اعتاد أن يلتهمها التهاماً . كان يقرأ كل شيء . عن القتل والتعذيب وما إلى ذلك من

أشياء مرعبة . كان هناك شيء يدعى « مارفو الساحر » ، وقد اعتاد أن يستغرق طول الوقت في قراءة ذلك الكتاب . ثم حدث أن غادرت المنزل لكي أضع فلك الطفل . ثم ذهبت إلى « بلاك بول » مع ذلك الرجل المزوج ، وعشنا معاً لمدة حوالي ستة أشهر قبل أن تفضي زوجته آثاره وتكتشف مكانه . ثم عدت ثانية إلى وورينجتون ، ولكنني تحت بعد عودتي في السرير الآخر ، مع العمّة إلزي ، ولم يظهر آرثر السعادة لروثي . كان قد أصبح بارداً تماماً ومتباعداً . وبدأ يستخدم كلمات كبيرة . أنظر ، لدي صورة له في تلك المرحلة . »

أخذت تعيث في أحد الأدراج وأخرجت منه كراماً لحفظ الصور . فتحة وأشارت إلى صورة لآرثر كتبت تحتها عبارة : « آرثر - ١٩٥١ » . كان قد غير طريقة تصفيف شعره ، بدا أن الشعر قد صغف بدهان « البرياتين » ومشط على الخلف بطريقة مستقيمة . كان وجهه قد صار أكثر تحولاً منذ طفولته . وكانت العينان الجاحظتان حاملتان في آلة التصوير . ومع هذا فقد بدت الصورة كما لو كانت الشرطة هي التي التقطتها . ومقتت بولين تقول :

« لم أهتم بأحواله الغريبة - ولم أظن إلا أنه يكبر وأنه يسمو في السن والخبرة . ثم اكتشفت ما كان يفعله مع آجي . »

« ما الذي كان يفعله معها ؟ »  
« تماماً كما قالت جين ، كان يعاملها كأمة مسترقة . كان قد بدأ خدعة التنويم الغناطيسي معها . »

« أأنت واثقة من ذلك ؟ أعني ، هل كان جاداً حقاً ، أم أنها كانت مجرد محاولة لتقليد مارفو الساحر ؟ »

« أظن أنه كان جاداً . كان يعرف كيف يجعل لعنه تؤثر في آجي . »  
« وهل حاول أبداً أن يحرب هذه الحيلة عليك أنت ؟ »  
« كلا ، ولكنه حاربها مع ألبرت ، وكان هذا هو أصغر الصبيان . »

« أليست لديك أية فكرة عن كيفية تعلمه هذه الحيلة وكيفية وصوله إليها وتطبيقه لها ؟ »

« أجل . فقد جعل ألبرت يجلس ويضع يديه على ركبتيه . ثم أمره بأن يفكر بقوة ، أن يستغرق في التفكير في ركبتيه . وقال ألبرت إن ذلك يجعله يشعر بأن ركبتيه مضطجكتان تماماً . وكان عليه أن يستمر في ذلك لمدة طويلة من الزمن . ثم راح يقول لألبرت إنه بدأ يشعر بالثعب ، فقال ألبرت إنه بالفعل بدأ يشعر بالثعب . ثم قال له إن ذراعيه أصبحتا أخف وزناً ، وأن وزنها يزداد خفة باستمرار . وأنها يريدان أن يطغوا كالبالونات ، فقال ألبرت إنه لا يستطيع أن يمنعهما من الطفو كالبالونات . »

كانت هذه طريقة غبية استخدمتها أنا نفسي من قبل . ولكنني دهشت حين عرفت أنها كانت الطريقة التي استخدمها صبي في الثالثة عشرة من عمره . سألتها :

« حدثيني عن آجي . لماذا تقولين إنها كانت أمته المسروقة ؟ »

« لقد أجبرها هو على هذا الوضع . وقد أجبرها عليه حتى يستطيع أن يجعلها تفعل كل ما يطلبه منها . وقد جعله هذا شريراً رديئاً . »

« بأي شكل ؟ »

« كان يجعلها تفعل أشياء ... حسناً ، أشياء لا يجدر بأي إنسان مهذب أن يجبر شخصاً آخر على فعلها . »

« أنتعبر أشياء حسنة ؟ »

« طبعاً ، أجل . بشكل أساسي . ولكنه لم يجعلها تأتي هذه الأشياء معه هو فقط . وإنما مع أناس آخرين . »

« أي آخرين ؟ »

« كان هذا ضوياً جديداً يلتقي أمامي على شخصية لينجارو . كنت أفكر فيه دائماً في صورة ذلك منفرد منقطع عن الآخرين . وكان عليّ أن أكرر السؤال عنها . فقد كان هذا الموضوع مما تفضل ألا تحدث فيه . قالت -

« حسناً ، أظن أنه يجدر بي أيضاً أن أحدثك عن هذا الموضوع . كان أحد هؤلاء الآخرين هو ذلك التي - الرجل الذي هربت معه أنا إلى « بلاك بول » . »

كانت طريقتها في سرد القصة شديدة التماسك والاكتمال حتى يبدو أنه من العسير عليّ جداً أن أعيدها هنا ، ولكن إليكم مادتها الأساسية . كان اسم الرجل « يوجين تيرنر » ، كان يمتلك مأوى للسيارات الموقرة في « ستوك بورت » ويؤجر سيارته الخاصة . وكان متزوجاً وله طفلان . ولكن هذا لم يمنعه من الاحتفاظ بسلسلة من العشقات . أما بولين لينجارو ، فقد وعدنا بالزواج قبل أن يأخذها إلى شقة في « بلاك بول » . حيث عاشت لمدة تقرب من ستة شهور ، وكان عشيقها يزورها كل يوم تقريباً . وكان في ذلك الحين قد هجر زوجته . ولكن كمية المال التي كان مضطراً لأن يدفعها لإعالة الزوجة . جعلته يقرر أنه سيكون من الأكثر بساطة أن يعود إليها ، وهكذا تم اقناع بولين بالعودة إلى وورينجتون . حيث استمرت في مقابلته . وذات مساء ، اشترك تيرنر وآرثر لينجارو في حوار ، وقامت بينهما صداقة متينة . وفي المساء التالي ، دهشت بولين ، حينما عرض تيرنر أن يأخذها معاً لتناول عشاء صبي . ومع آرثر وبولين ، وجهت الدعوة إلى ابنة عمهما آجنيس . ومع ذلك ، فإن بولين لم تتاورها المريفة حتى ذلك الحين . وافترخت أن هذا التصرف ليس سوى مظهر من مظاهر الكرم البسيط .

كان الطعام معتماً . وجلست آجنيس في الركن ، ولاحظت بولين أنها بدت شاحبة وممتسة . ولكنها ظنت أن مرجع ذلك إلى الخجل . وكان تيرنر وآرثر يعلسان حول آجنيس . كل منهما على أحد جنبتيها . وبعد فترة ، لاحظت بولين أن آجنيس يبدو عليها عدم الارتياح . فسألته إن كانت تريد أن تذهب إلى حمام السيدات . واحمر وجه آجنيس وقالت إنها لا تريد ذلك . وبينما بعد . وفي أثناء تناول الطعام ، خلعت بولين حذاءها وأعدلت

عن قدميها - وهي عادة كانت قد اعتادت عليها في المطاعم - فلمست قدمها شيئاً فاعلمت تحت المنضدة . انحنت بولين لكي ترى هذا الشيء ، وقد رفعت عظام المائدة ، وجيشد دهشت حينما رأت أن آجنيس كانت عارية من الخصر إلى كحل النصف السفلي من جسمها ، وأن يوجين تيرنر قد وضع إحدى يديه بين ساقها . وكان الشيء الملقى على الأرض هو سروال داخلي . وبطريقة بولين المباشرة ، سألت عما كان يجري بحق المحجم ، فزاد احمرار وجه آجنيس وراحت تشد ثوبها إلى أسفل . ولم يفعل تيرنر إلا أن ابتسم ابتسامة عريضة وقال إنهم كانوا يتلون قليلاً فحسب . وهضت بولين ومضت خارجة من المطعم . ونمها عشيقتها وقال لها إن الأمر كله كان رهاناً بينه وبين آرثر الذي كان قد قال له إنه يستطيع أن يجعل آجنيس تفعل أي شيء يريد منها ، وأنه (أي تيرنر) قد راعه على أن آرثر لا يستطيع أن يجعلها تطلع سروالها في مطعم ثم ترفع ثوبها عن ساقها .

وصدمت بولين - ولم يكن مصدر صدمتها راجعاً إلى التسلية القليلة ، بقدر ما كان راجعاً إلى ما تكشف لها من شخصية عشيقتها ، فقالت عالمة إلى البيت . وعلى الفور قطعت علاقتها بتيرنر بعد أن أخبرتها آجنيس . تحت ضغط من جانبها - بأنهم قد ذهبوا بعد تناول الطعام إلى منزله بعيد حيث مارس تيرنر الجنس معها عدة مرات . وتشاجرت بولين أيضاً مع آرثر ، وكفنا عن تبادل الحديث .

هل أجبرها آرثر على أن تسلم نفسها لأي شخص آخر ؟  
 لم أعرف إلا بأمر شخص واحد ، وهو شاب يدعى داجز .  
 شاب آخر من النوع المرلوع الفاسد ؟

أنداء . كان على العكس من هذا في الحقيقة . كان في أواخر عهدنا بالشباب . وكان قد دخل السجن وخرج منه عدة مرات طوال حياته . كان أولياً عجوزاً قبيح المنظر وكان يسكن في الشارع المجاور . عجوز قذر ، من النوع الذي قد يعري طفلاً ببعض الملوى لكي يجلسه على ركبتيه

وينحس يديه .

وما السبب - في تلك - الذي جعله يروق لآرثر ؟ إلى درجة المودة ؟  
 لا أعرف . اسمع ، إنني لم أكن أتواجد هناك كثيراً في ذلك الوقت ، كل ما أعرفه إن هذا الشخص قد وصل هو الآخر إلى آجني وفعل معها ما فعله تيرنر .

هل أخبرتك هي بذلك ؟

أظن أنها أخبرتني به ، لا أتذكر حقاً .

ثأبت . نظرت إلى ساعتني وتبينت أنها بلغت الثالثة بعد منتصف الليل . قلت لها :

لم يعد لدي سوى سورتين أو ثلاثة . ثم أتراك لتسكني من النوم . هل صلح الأمر بينك وبين آرثر بعد المشاجرة ؟  
 نوعاً ما . فقد أعطاني ذات مرة ساعة ذهبية جميلة . ولم أشأ أن أسأله من أين جاء بها .

إذن فقد كان آرثر من مديده بعض الزيتون ؟

أجل ، بالطبع . هكذا كان الأمر دائماً . ألا ترى ... وترددت قليلاً ثم أضافت تقول :

كان يشعر دائماً بذلك الشعور تجاهي .

حتى فيما بعد ؟

طبعاً . أجل . إنه لم يحاول أن يتكلم معي بعد أن تزوجت . لقد وصل حقاً إلى حالة الخنثى . بل إنه هدده قتل . وثأبت ثم قالت : والكي ضحكت منه وحسب .

أظن أني أنه لم يكن قادراً على القتل ؟

أوه . ليس هذا ما عنيت . وأنا لن أمانجأ إذا كان قادراً على القتل . إنني لم أصدق أبداً أن مسألة ذلك المربع كانت مجرد حادثة غير مدبرة . ولكنه ما كان يقضي أنا .

« كلا . اعتقد أنه ما كان يقتلك » .

نظرت ثانية إلى صورة الرقاف : كان هناك تاريخ تحت اطرافها الداخلي :  
١٠ يونيو ١٩٦١ . كانت قد تزوجت وهي في الثامنة والعشرين من عمرها ،  
وكان شقيقها في الثالثة والعشرين .

« وماذا حدث لذلك الرجل العجوز ، داجر ؟ »

« لا أعرف . لقد مات . وأظن أنه انتحر ، لت والثقة » .

« يمكنك أن اكتشف ذلك . ماذا كان اسمه الثاني ؟ »

« إيه ... انظر حتى أتذكر . انه اسم غريب .. ثيبات ، أجل ، هذا هو »  
شعرت كما لو كان شخص قد صب على ظهري نهرأ من الماء الثلج .

سألها :

« أنت والثقة ؟ »

« أجل ، بالطبع . لا يمكنك أن تسي إسمأ كهذا » .

وقفت وقلت :

« من الأفضل الآن أن أتركك . لقد كان لطفأ منك ان سمحت لي بكل

هذا الزمن من وقتك » .

« يمكنك أن تبقى الليلة إذا شئت . هناك فراش زائد » .

« لا أظن أن هذا سيكون هو الوضع الأحسن . قد يتكلم الخيران » .

« سيتكلمون على أي حال . لا يهني هذا . أفكر أحياناً في أن من  
الواجب أن أحصا . منهم على ضريبة ملاهي . أنا لا أعرف ما الذي سيفعلونه  
لو أنني هجرت هذا الاقليم . أوه ، طيب ، حان وقت النوم » .

ابتسمت ابتسامة حاملة . وقوت كفيها . ولاحظت قوة ما يقوح منها  
من إزاء جنس . كان ما يشير الاهتمام فيها هو أنها رغم القم الحسي والجلد  
الحسن التكوين ، فإنها لم تكن « واضحة » . كان بها شيء بعيد ومكوج  
لا يمكن الامساك به .

قلت بسرعة :

« أرجوك لا تقفي من أجلي . أشكرك مرة ثانية » .

ابتسمت ابتسامة عابثة ساخرة وأنا أسرع إلى الباب ، ولكنها لم تتحرك  
لكي تنهض . فتحت بنفسي الباب الأمامي ، وخرجت ثم أغلقت بهدوء .  
وحينما دخلت السيارة ، رأيت الضوء يلمع من وراء الستائر في نافذة حجرة  
النوم بالمزل المجاور .

## الفصل الرابع

وجدت النوم صعباً رغم ما كنت أشعر به من إرهاق . كانت أشياء كثيرة جداً قد حدثت بسرعة بالغة . إن آرثر لينجارد الذي كنت أكتشفه طوال الساعات الاثني عشرة السابقة بدا كما لو كان مقطوع الصلة بالمريض الذي عرفته في سجن «روزهيل» . من الخفيقي أنني كنت بالفعل قد طرحت الاحتمال - الذي أكدته بولوين لينجارد - القائل بأن قتل الفلاح المعجوز لم يكن قتلاً على سبيل الخطأ ، وإنما جريمة قتل متعمدة . وكنت بالفعل قد عرفت أن تحت السطح الساكن ، الذي دفع طبيين نفسيين إلى وصف آرثر لينجارد بأنه تحت مستوى الذكاء المتوسط ، كان هناك عقل مدبر ورغبة فاهرة تطعم في القوة والتسلط . ولكن الحكايات التي قالتها بولوين عن آجي أشارت إلى شيء أكثر خطورة بكثير - إذ بيئت نزعاً عدوانية عنيفة عنيدة . ومرة أخرى وجدت عقلي يتجه إلى جريمة قتل بولوين ماركيز .

رحت أذكر نفسي بأنه ربما كان كل ذلك محض خيال من جانبي . كان آرثر لينجارد قد ولد وسط بيت مليء بالحنان والشعور بالأمن ينتمي إلى الفئة الدنيا من الطبقة المتوسطة ، وبينما كان لا يزال طفلاً صغيراً ، فصل عنوة عن والديه ودفع به إلى بيئة شعر إزامها بالكراهية . وتحت تلك الضغوط كانت الشخصية التي تتمتع بأكثر فرصة للتطور والنمو هي الشخصية ذات الميول المعادية للمجتمع . وكان من الواضح أن مشاعره الداخلية قد تركزت حول شقيقته ، من التاجين الجنسية والعاطفية في آن واحد . أما الآن وقد

رأيت بولوين ، فقد كان من السهل أن ألحظ جوانب الشبه بينها وبين الفتاة ذات الشبق الجنسي العنيف في رواية «صبي من لويغيبيل» . ولا بد أن آرثر قد أصيب بصدمة عنيفة - بعد ست سنوات من الحرمان الجنسي في السجن - حينما قرأ وصفاً داعراً لاغتصاب فتاة ذكرته بشقيقته ، وكانت استجابته لذلك - وهي تلويث الكتاب بالبراز - في وقت واحد إشارة إلى الانتقام ، وإلى العجز عن الامتلاك . وكنت على استعداد لأن أراهن بسمعي العلمية على أنه قد بلغ ذروة جنسية حينما كان يقوم بهذا العمل . وقد ظل كل ذلك شيئاً أمكنني أن أفهمه ، بل وأن أشعر بالتعاطف لإزاهم . ومنذ أن قرأت التقرير النفسي التحليلي ذا الصفحات الثلاث الذي وضع عن حالته ، سيطر الشعور بالتعاطف والاشفاق على أحاسيسي نحوه . لقد رأيت فيه ضحية للظروف بصورة أساسية . ولكن بدا لي أن كل ما عرفته في الاثني عشرة ساعة الماضية كان يتناقض بصورة جوهرية مع هذه النظرة البسيطة .

• • •

استولى علي النوم حتى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي ، واستيقظت وأنا أشعر بمزيد من الأنتعاش . دفعت قاتورة القندق . ذهبت إلى مقهى في المبنى المجاور لكي أتناول إفطاراً متأخراً . وحلست بعد ذلك وراء الناظفة ، وأراقب حركة المرور في الشارع ، وأسجل في الوقت نفسه بعض المذكرات التي استدخل في تقريرتي عن حالة آرثر لينجارد . بدا لي الأمر أكثر وضوحاً في ضوء التهاد . إن الطفل التيمس ، الذي عاش في بيئة معادية ، بلجأ إلى عالم من الخيال يصبح هو فيه ساحراً . ليس هناك شيء غير عادي في هذا . إن «إيان برادي» مرتكب جرائم منطقة «مورد» كان قد تأثر بأفلام «سوبرمان» وروايات رجال العصابات . ولكن ذلك لم يجعل منه محرماً متفوقاً . ولقد تعلم آرثر لينجارد هو الآخر حيلة النوم الغنامطيسي - أسلوب بالغ الساطة - واستخدمها لكي يتسلط على إنة عمه ، ولكن أحسس من النوع الذي يمكن أن يصبح ضحية ، وثان آرثر سيطراً

بصورة طبيعية . كانت الرابطة التي جمعتها مفهومة بما فيه الكفاية ، خاصة إذا وضع المرء في اعتباره الجو الجنسي المشحون الذي كان يشيع في المنزل . كان النموذج المازي أو المقابل الذي ورد إلى ذهني بهذا الصدد هو « بيتر كورتين » ، القاتل الجماعي في مدينة « دوسلدورف » الألمانية ، الذي كان الفتاة الحلقي لبيت أسرته أيضاً ، أشبه بوكر أرباب شيفقة تدور فيه علاقات القسطنطينية بالمحارم والاختلاط الجنسي بين الأقارب الذين لا يحل أحدهم للآخر . ولكن رغبة كورتين في التصرف والتسلط حوله إلى سادسي . ولم يكن هناك أي دليل على أن لآرثر لينجارد أية ميول مادية .

فما الذي أبع على ذهني إذن حينما حاولت أن أصور آرثر لينجارد بوصفه ضحية أخرى للحرب التي شنها هتلر ؟ كان ذلك راجعاً - جزئياً - إلى حارس لم يتشكل بصورة نهائية بشير إلى رجل كنت أشعر في فهمه ، وكان برجع - من ناحية أخرى - إلى إحساس واضح بالقلق لزاء قضية إيفلين ماركيز . نظرت إلى خريطة لكي أرى أي طريق يمكن أن أملكه . وجدت أنني إذا سرت على الطريق الرئيسي رقم ١٢٦٨ ، إلى الجنوب تماماً من مستنقعات « ساد لوورث » ، فإني سأمر بالقرب من مدينة « ستوك بريديج » مسقط رأس إيفلين ماركيز وعمل سكانها . اتصلت هاتفياً بزوجتي وقلت لها ألا تتوقع عودتي حتى وقت متأخر . وأخذت أقود سيارتي إلى الشق في عبر جبال البياتين .

\*\*\*

« ستوك بريديج » بلدة صغيرة جميلة ، ويمكن ان تعتبر نموذجاً للندن الغرب الإنجليزي . أوقفت سيارتي بالقرب من قسم الشرطة وقدمت نفسي للحاويش القائم بالخدمة . لم يكن هو الرجل الذي خاطب قرارك سلبور منذ بضعة أيام . سأله إن كان قد اشترك في العمل في القضية فقال :

« طبعاً ، لقد اشتركنا جميعاً ، بقدر أو بآخر » .

« هل تحتفظون بملف القضية هنا ؟ »

« كلا . إنه يحفظ في الرئاسة بمدينة شيفيلد » .

طلبت منه أن يذكر لي ملخص القضية من وجهة نظره الشخصية ، ولكن ما كان قادراً على أن يذكره لي لم يصف إلا القليل إلى ما سمحت أذنيه بالفعل . لقد حدث ذلك في ليل أحد أيام الأحد ، وكان فندق « جروف » مزدحماً . ولم يلق أحد كبيراً من الاهتمام لذلك الرجل الذي سأله أين يستطيع أن يحصل على سيارة أجرة . وأوصته موظفة الاستقبال في الفندق بأن يحاول الاتصال بمأوى سيارات ماركيز في شارع « لانجست » . وأخذته لإيفلين ماركيز بسيارتها في الساعة العاشرة وخمس وأربعين دقيقة ، وانجهدت بالسيارة خارج البلدة باتجاه بلدة « دود وورث » . وبعد ذلك ساعة كان رجل يركب دراجته البخارية بالقرب من « إيوبرين » فشاهد لياً لبريان مشتتة . ورجلاً يبحر مبتعداً عن سيارة كانت تقف على بعد عدة أقدام عن الطريق . وذهب الرجل إلى السيارة فشاهد جسد امرأة شابة راكدة بالقرب منها وقد أخذت النار بملابسها . وأطلقاً راكب الدراجة البخارية السنة الذهب . فرأى أن دمها المراءة كانت تنزف من جرح في مؤخرة رأسها . ووصل رجال الشرطة بعد عشر دقائق . ولكن على الرغم من أن سيارات الشرطة أغلقت كل الطرق المؤدية إلى منطقة المستنقعات والخارجة منها . فإن الرجل الذي شوهد وهو يتبعد عن السيارة قد أملت ولم يلق التفتيش عليه . واكتشف فيما بعد أن الفتاة كانت قد تعرضت للاغتصاب . ثم اكتشف رجال الشرطة فيما بعد أن رجلاً عرف بتعرضه الجنسي للنساء ، وهو من مدينة « إيلز » ، كان موجوداً في « ستوك بريديج » في فترة باكورة من ذلك اليوم . وتعرفت موظفة الاستقبال في فندق « جروف » على صورته . ولكن تصادف ان استطاع الرجل أن يثبت أنه أمضى الليلة ذاتها في مدينة « شيفيلد » فأخذ سبيله .

سألت الحاويش إن كان قد سمع عن مشهده فيه آخر في هذه القضية يدعى لينجارد . فمهر الرجل رأسه لاهواً ذلك . كان يعرف أنه كان هناك عدد

آخر من المشتبه فيهم ، ولكنه لم يعرف عنهم شيئاً .  
ولكنه تطوع بالاتصال بالمركز الرئيسي للشرطة في « شيفيلد » هاتفياً ،  
فدعيت للتوجه إلى هناك . واستغرقت رحلة الأميال السبعة نصف ساعة ،  
وأدخلت هناك إلى كبير المفتشين « نيوتل » ، الذي كان مسؤولاً عن قضية  
« ماركيز » . كان يضع الملف أمامه في الانتظاري ، وقبل أن أتبع الملف  
سأله :

« هل تذكر واحداً من المشتبه فيهم يدعى آرثر لينجارد ؟ »  
قطب جبينه وقال : « لينجارد ؟ لا أظن ذلك ... آوه ، انتظر ، أكان  
هو الضئ صاحب العينين الشبهيتين بعين الضمعدة ؟ »  
« يبدو هذا الوصف قريباً منه » .

« أجل ، ولكنه لم يكن من المشتبه فيهم حقاً ، إن ما حدث هو أن موظفة  
الاستقبال في الفندق وصفت الرجل الذي سأله عن سيارة الأجرة بأنه ذو  
عينين بارزتين ووجه مستدير ، وأوردت جريدة « يوركشاير بوست » هذا  
الوصف في صحيفة أخرى فضالت « إن للرجل عينين جاحظتين ووجهاً مستديراً »  
وقد اتصل بنا حاوئيش الشرطة في « نارس بورو » وقال إن هذا الوصف  
يطابق على ذلك القتي لينجارد . ولذلك فقد جئنا بصورة له وعرضناها على  
موظفة الاستقبال في الفندق ، فوافقت على أن الصورة تشبه الرجل الذي  
تحدثت إليه ... فاتصلنا بشرطة مانشستر لكي يأتوا به إلى هنا ، ولكنه تقدم  
باعتد مقبول أثبت فيه أنه كان في مكان آخر ليلة الجريمة . ولا أتذكر ماذا  
كان ذلك العذر - وهكذا فقد أنحلنا سبيله . كنا واقفين تماماً من أننا قد  
وضعنا أيدينا على الرجل المطلوب بالفعل . لماذا يبر هذا الرجل اهتمامك ؟ »  
آخرته باختصار بقصة الاثبات العصبي الذي أصاب لينجارد ، وعن  
تاويلي لاكتشاف ما كان يحاول أن يخفيه . فقال :

« حساً ، أخشى ألا يكون بوسعي أن أساعدك في هذا الشأن . وأشك  
في أنك ستجد شيئاً في هذا الملف أيضاً » .

فتحت الملف اعتباطاً ، ومرة أخرى شعرت بالثقل يسلب على لساني  
الفقرية . كنت أنظر إلى صورة ليولين لينجارد . ثم اكتشفت أنها لم تكن  
ليولين حينما دقت النظر . كانت هذه فتاة تشبهها شيئاً ملحوظاً . رغم  
أنها لم تكن في مثل جمالها ودون حيويتها بكثير .

تركني كبير المفتشين لكي ألقى نظرة على الملف . رحبت أقرأ الشهادة  
الطبية . قرأت فيها : « كان الجسد مرتدياً ثياب الفتاة الكاملة . ووجدت  
كل قطعة من الثياب في مكانها الصحيح . وعلى الرغم من هذا ، فبالكشف  
على العضو الجنسي للجسد ، وحدث آثار لسائل منوي . وتحرر على آثار  
أخرى للسائل نفسه على مؤخرة الفميص الداخلي الأمر الذي يدل على أن  
السروال الداخلي قد جلب إلى أسفل في أثناء عملية الإغتصاب . بينما نشير  
لعلقة من الطين بالقرب من رباطه المطاطي إلى أنه ربما كان قد ارتفع تماماً  
وأبعد عن الجسد . وكان شعر العانة أيضاً مشعباً بآثار السائل المنوي وحينما  
تم تعبئة الجسد لفحصه قبل التشريح . اكتشفت آثار لأسنان فوق الثديين .  
ولكن حمالة الصدر لم تكن ممزقة . وكانت مؤخرة الجمجمة شظية .  
ووجدت شظايا صغيرة في الشعر ، نذل على أنه ربما كان السلاح المستخدم  
زجاجة متحطمة من زجاجات البوسكي من نوع « فات ٦٩ » في المقعد  
الخلفي للسيارة . ولكن البحث عن بصمات الأصابع كان سلبياً . السب  
المباشر للموت هو الحنجر . وربما تم ذلك باستخدام الوسادة الغطاءة بالمفاتيح  
المظفر والتي وجدت في السيارة ، وقد تعرف والد الضحية على هذه الوسادة  
قائلاً إنها كانت تستخدمها لكي تعطى لمقدم القيادة ارتداءً اصطناعياً » .

أعد قتل إيدان ماركيز في ٢٨ يولييه عام ١٩٦١ - أي بعد ما يقرب من  
ثلاثة أسابيع من زواج ليولين لينجارد ، التي كانت تشبهها . كانت في الثامنة  
والعشرين من عمرها ، أي كانت أصغر من ليولين لينجارد بعام واحد .  
وقد راحت ضحية لا اعتداء جسدي . ولكن الرجل الذي اعتدى عليها حمل  
نفسه مشقة إثباتها بعبارة بعد أن تم الاعتداء . تم أخذ فتوحها (حوالي



صحيحين) وبعض العوام التي كانت في اصابعها ، مماولاً بذلك أن يجعل سرقة هي الدافع إلى الجريمة . وقد اكتشف رجال الشرطة هذه الخدعة ، وكان هذا الاكتشاف هو أحد الأسباب التي دفعتهم إلى الاشتباه في الرجل المعروف باعتدائه الحسية ، الذي كان من الطبيعي - لو كان هو الماعل - أن يحاول اخفاء آثاره . ومن المحتمل أن يكون نفس الاكتشاف هو الذي أبعث الشكوك التي كانت تحيط بآرثر لينجارد إذ لم يكن له سجل باعتباره متعوداً على القيام باعتداءات جنسية .

عاد كبير المفتشين ، فسألته إن كان من الممكن أن أستعير صورة لإفغان ماركيتر ، ووعدهته بأن أعيدها حينما أتمكن من طبع نسخة عنها . فقال : « أجل ، وأرجوك أن تخبرني بالكيفية التي سيبدو بها رد فعل هذا الآرثر لينجارد حينما يراها . ولا تنس أن هذا المثلث ما يزال مفتوحاً » .  
« سأبذل كل ما أستطيعه . وبالمناسبة ، أتعرف اسم رجل شرطة « نيس بورو » الذي أحرك باسم لينجارد ؟ »  
« كلا . لا أعرفه أنا . ولكن ربما كنت أعرف من يعرف اسمه » .  
خرج وعاد بعد نضع دقائق وقال :

« اسمه الجاويش بينهام ، كان في ذلك الحين في رتبة « كوستابل » . شكرته وغادرت المكان . كان الوقت يمضي ، ولكن كان ما يزال أمامي شخص آخر أريد أن أرووه قبل أن أتخذ طريق عودتي إلى بيتي .

• • •

لم يكن الجاويش بينهام موجوداً في قسم شرطة « نيس بورو » . ولكن « الكوستابل » القائم بالخدمة أعطاني عنوان منزله حينما وضحت له وظيفتي . ووصف لي كيفية الذهاب إلى هناك . كان الرجل الذي قابلني على باب المنزل المساعد عن جيرانه على مشارف البلدة ، أصغر سناً مما توقعت . وجماعي الأنف الأفيطس والفك الثقيل العريض أتذكر كلمات « البول دوج » . كان قسم الشرطة قد اتصل به ليخبره بأنني في الطريق إليه . فاقدم إلى غرفة

مشرقة ، نفتح نوافدها على الحديقة الخلفية ، وقدم إلي علبة من الخبزة . ثار اهتمامي حينما لاحظت أن الكتب الموجودة على رفوف مكتبته لم تكن من الروايات المختصرة التي تصدر عادة في سلسلة « ريبازار دايمست » ، ولا من المجموعة الهابطة « مجتمع الكتاب » ، كانت هناك كتب الدوس هكسل وهبمنجواي وكتب جون حنر التي تبدأ كلها بكلمة « داخل ... »

كانت النوافذ الفرنسية تفتح على مرحة خضراء . وكان هناك طفلان جميلان بلعبان ، الكروكيت » .

رددت له قصتي عن الانهار العصبي الذي أصاب آرثر . وكنت قد حكيتها مراراً في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة للدرجة أنها كانت قد تزكرت واختزلت إلى عدة حمل قليلة . قال بينهام وهو يعطك غلبونه بأسنانه :

« إنني است مندهشاً ، وهذا ليس مفاجأة بالنسبة لي » .

« إلى أي مدى كنت تعرفه ؟ »

« إنني أعرفه بما فيه الكفاية . كنا في نفس الصف في المدرسة » .

« هل عشت في وورينجتون ؟ »

« نعم . لقد ولدت هناك . وكنت أسكن على ناصية الشارع الذي يسكن فيه آرثر ، في شارع نادجيت رود » .

كان هذا نموذجاً لاختلاف الحظوظ لم أخطئه في حينه ولم أسكن أوقعه انجهدت مباشرة إلى السؤال الذي شغل عقلي طوال يومين :

« هل نفل أنهُ مجرم خطير ؟ »

هز بينهام رأسه ، ودعشت للارتياح الذي شعرت به . قال :

« إنه يستطيع أن يكون كذلك . لو أن ظروفه كانت ملائمة . أنا أعلم أنه من النوع الذي يمكن أن يكون مجرماً . إنه معرم بالوحدة . وعلى شيء من غرابة الأمطار » .

« ما صورة غرابة أظنار ؟ »

« إنه ليس عربياً إلى درجة كبيرة . ولكنه يترك لحباله العنان ويستسلم

له . ولكنه ليس غيباً .

دفعته إلى أن يزيدني تفسيراً . مضى يبحث عن الكلمات اللاتمة . ثم وقعت عيناه على رف الكتب . وقال :

« أتعرف هذا الكتاب ؟ »

مد يده وتناول نسخة من رواية الأندلس هكسلي « اللحن والحن المقابل » وقال :

« توجد هنا شخصية تماثل شخصية آرثر » . وفتح الكتاب وقال :

« شخصية فتى يدعى سيندويل . هل قرأته ؟ »

« منذ وقت طويل » .

« إنه يتمتع بتفسير العقبة باستثناء أن آرثر يسمي إلى اللبقة العاملة ، أما هذا الفتى فمن الأثرياء . إنه يريد أن يكون مجرمًا عميقاً . الذئب الكبير الشرير . ولكن ليس الأمر كله سوى استعراض » .

« ومع هذا فأنت تقول أنه قد يكون قادراً على قتل إيفلين ماركيز ؟ »

« كان السبب في هذا الظن هو الوصف الذي جاءنا في ورقة التنبؤ . وخلال قرأته ، وهو يقول إنه وجه مستدير وعينان جاحظتان - فكبرت في

آرثر » .

« هل تقول أنه كان يستطيع أن يرتكب هذا العمل ؟ »

ظل يفكر بمتابعة قبل أن يهز رأسه . وقال :

« ولم أعد أفطن ذلك منذ أن عرفت أنها كانت جريمة جنسية . لقد كان في وسعه أن يقتلها في سورة غضبه لو أنها قاومت وهو يحاول مرققتها . ولكنني

بشكل ما لا أظنه من نوع المجرمين الجسدين » .

« لماذا ؟ »

« اللحن أنني لا أدري . ربما لأنه قد يظن أن مثل هذا العمل أقل من

قتله . إلى جانب أن الفتاة لم تكن من النوع الذي يفضل آرثر . كان يفضل التغيرات الشاحبات جداً . مثل ابنة عم آجي » .

« أكنت تعرف هذه الحكاية ؟ وهل كان الكثيرون من الآخرين يعرفونها ؟ »

« عدد قليل جداً في المدرسة . لقد كان يحاول دائماً أن ينوم الناس مغناطيسياً . وقد حاول ذات مرة أن يجربها معي ، ولكنه لم ينجح - وأنا لا

أصدق أنه ينجح في تنويم أي شخص آخر ، على أي حال . ليس بالصورة التي كان يتكلم بها » .

« ولم لا ؟ »

« حسناً ، كل الناس يعرفون أنك لا يمكن أن تخضع للتنويم المغناطيسي إذا لم تكن تريد ذلك . وأنا لا أعرف ما الذي فعله مع بعض من تلك الفتيات ،

ولكنني لا أصدق أن الأمر كان على ذلك النحو » .  
« أكملت هناك أخريات إذن ؟ »

« كذلك كان يقول . ولكنني لم أعرف إلا واحدة » .

« ومن كانت ؟ »

« حسناً ، طبقاً لما كان آرثر يقوله - وأنا لا أقول إنني أصدقه - كانت

زوجة أحد مدرسينا ، وهو رجل يدعى مستر جروز . كان يدرس الألعاب الرياضية . أما زوجته فكانت تدرّس الصبيان الأكبر سناً على الموسيقى .

كانت امرأة شاحبة ضئيلة الحجم ، ولم تكن جذابة جداً . من النوع الذي لا يمكن أن يتفلس أي مخلوق أو أن يستلقت نظر أحد . وقد فكر آرثر في

أنها يمكن أن تكون من النوع الذي ... ماذا نسموهم ... القابضين للخصوع للتنويم . كان المدرس وزوجه يسكنان في « ويندس » واعتادت الزوجة أن تأتي بالفطار . على أي حال ، لقد قال آرثر إنه ينوي أن يسافر معها بنفس

القطار لكي يرى إن كان يستطيع أن ينومها . وقد قلت له إنه يتحدث دون عقل ، ولكن جاء ذات يوم وقال إنه قد فعلها - أي أنه قد نومها في القطار .

وقلت له إنني لا أصدقه ، فأجابني : « حسناً ، لا تصدق » . وقد رأيت

يسير إلى محطة القطار معها مرة أو مرتين . ولذلك فقد طنت أنه أقام معها

نوعاً من الصداقة في القطار .

« لم تجر بك بالمزيد ، بأي شيء آخر ، عنها ؟ »

« كلا . كان يعرف أنني لن أصدقها . »

« ولكن ماذا زعم بعد هذا في روايته لك ؟ ولماذا أراد أن يتومها ؟ »

« حسناً ، كان هدفه هو الهدف المعتاد . أعني ، وهذا هو ما قاله -

وهي أنه قد ذهب إلى منزلها وأخذها إلى القراش . لقد كان أكبر كذاب

عرفته في حياتي . »

« هل زعم فعلاً أنه نام معها ؟ »

« هذا هو ما قاله . إذا سمحت لي أن أقول فإنه ليس من المستحيل تماماً

أن نسمى فتاة ما من نوح معين إلى أن تذهب إلى آرثر . ولكنني بصراحة

لا أظن أنه حدث أي شيء بينه وبين مسز جرورز . »

« وماذا حدث لها بعد ذلك ؟ »

« حسناً من المضحك تماماً أنها طلقت من زوجها . وكانت الشائعة المنتشرة

في المدرسة هي أنها قد أصبحت بائنة عن الرزق . »

« حينما رأى أنني لا أفهم هذا التعبير قال موضعياً :

« بالتسول . لا أعتقد أن هناك مستحيلاً . »

« ألا تظن أنه كان لآرثر علاقة بهذا الطلاق ؟ »

« كلا . أنا واثق تماماً أنه لم تكن له أية علاقة بهذا الأمر . ولم تكن

هذه سوى واحدة من خيالاته الصغيرة . لقد كان يجب أن يؤثر علي لأنني

كنت رئيس فريق الكريكت . » وقد كان يجب أن يقول إن أصحاب الشعر

التي لا عقول لهم . »

صنر عنه صوت يلم عن الضيق ، وراحت عيناه تحومان حول ردفوف

الكتب ثم قال :

« لم أكن أستطيع أن أتحملة . وكان يعرف أنني أظن فيه البلاهة . »

« كيف كان رد فعلك حينما عرفت أنه قبض عليه بتهمة السطو ؟ »

« أوه ، كما تتوقع تماماً . كان يعيش دائماً وسط مشاكل من نوع ما

كانت لديه أفكار كبيرة ، ولكنه لم يكن يعرف كيف يحقق شيئاً منها . »

« لم أثنأ أن أشير إلى أن هذه النقطه تتناقض مع ملاحظته السابقة التي قال

فيها بأنه من الممكن أن يكون آرثر لينجارد مجرماً خطيراً ، لو أن طريقه

كانت مناسبة . » ولذلك فقد شكرته ، وصافحته ، وانصرفت .

\*\*\*

ضمرني احساس بالسلام والرضا بينما كنت أقود سيارتي في طريق العودة

إلى « هارتل بول » عبر أضواء الغسق الصيفي . كان الخاويش بينهم قد أعطاني

جزءاً هاماً من لغز الخطوط المتقاطعة - ورغم أنه لم يكن يعرف هذا . افقد

بدأت جلسني معه بأن وجدته فرداً مقبولاً ، متوسط الذكاء من أفراد

الشرطة البريطانية ، صلب ورفيق وأكثر استنارة مما يدل مظهره . ولا شك

أن كل هذا كان حقيقياً بما فيه الكفاية . ولكن احتضاره الزمن لآرثر لينجارد

كان نوعاً من الاستعراض . كان هناك شيء ما في لينجارد حمله على الشعور

بالفلق العتيق . ومن الواضح أنه كانت ثمة صداقة من نوع غريب بينه وبين

لينجارد . أكان هذا يدافع من تجاذب الأصدقاء ؟ إن لينجارد يترك أثره في

الشعور لا يمحى . قعد عشر سنوات من زمالة أحدهم للتخبر في المدرسة .

يظن بينهم أن وصفاً معيناً لأحد الفتلة يتشابه بشكل غامض مع شكل

لينجارد . كانت هذه رمية من مسافة بعيدة ، ولكنها كانت تستحق المحاولة .

ولم تكن يدافع من مجرد الحقد الخبيث ، ولكن لو أنه كان مصيباً ، لكان في

ذلك نصر له ، وإثبات لوجوده . ثم بعد ما يقرب من عشرين سنة ، نقل

الكلمة الموجهة « إن ذوي الشعور اليتية لا عقلون لهم » لنوعي في أذنيه . وفي

الخفية ، لقد كانت « المعرفة الضليلة » التي يتمتع بها بينهم أسوأ بكثير من

عدم معرفة شيء على الإطلاق . لم يكن من الصوت القول بأن الناس لا يعضعون

للتبوير الغنائميسي إذا كانوا يرفضون ذلك . أما الحقيقة فهي أن كل ما يعتمد

عليه التبوير هو أنه يغلب الإرادة ضد نفسها . وهذا هو السبب في أن الأدوكيا

من الناس يكونون أكثر قابلية للنوم من الأحياء . فإنك إذا قلت لرجل غبي إن قدمه اليسرى منقلة . فإنه بساطة لن يصدقك . أما الرجل الذكي فإنه لن يصدقك هو الآخر ولكنه يعرف أن اقتراحك قد يثير ذلك الاحساس بالتمثيل . ومن ثم يبدأ جزء من عقله في مقاومة ذلك التأثير . بينما يشرع الجزء الآخر من العقل في الامتثال لايحاء التمثيل .

لقد تفاخر آرثر لينجارد بأنه يستطيع أن ينوم . ووجه مدرسه . ثم أخبر بينهم فيما بعد بأنه قد نح في ذلك . ثم كف بعد ذلك عن الكلام في الموضوع . وقد فضل بينهم أن يصدق أو سمعت زمينه كان راجعاً إلى أنه لم يكثر بأن يسمر في الأكاذوبة . وسألت إن كان من الممكن أن نضع احتمالاً لتفسير آخر : أن آرثر لينجارد قد اكتشف فجأة قيمة الصمت . فالتفاخر ميزة الفاشل . ورغم أن لينجارد قد وثق في بينهم وأسر له بقدرته على النوم . فإن بينهم أشاح عنه بوصفه غيباً وكذاباً . وربما كان هذا هو ما أرادته لينجارد . على المدى الطويل .

• • •

كان اليوم التالي مزدحماً . فقد كان علي أن أقوم بعدة لقاءات كنت قد ألتقيتها في اليومين السابقين . وكانت هناك مريضة ممتنة كثيرة الاحاح . اعتبرت غيابي هجراناً لها . وكان علي أن أهدئها وأن أخرجها من حالتها المستيرية . اتصلت بالسجن هاتفياً في أول فرصة أتحت لي . وسألت عن لينجارد . فقالوا لي إنه لم يكن أسوأ ولا أحسن مما تركته . باستثناء أنه أصيب بسوخ من الحمى الجلدية المؤلمة . وكان دائم السؤال عني . فطلبت منهم أن يبلغوه رسالة مني أقول فيها إنني سوف أراه في وقت متأخر من هذا اليوم . كان من الغريب بالنسبة لي أن أراه مرة ثانية . فإني طوال اليومين الماضيين كنت قد تعودت على آرثر لينجارد آخر غيره . شاب مساهم واجم كثير التفكير . تمتلكه أفكار الحرية والجنس . بدا لي أكثر تخافة بقليل مما رأيته آخر مرة . وكانت يده ملفوفتين بالضمادات فلا يظهر منها إلا أطراف

أصابعه . وكان وجهه مخضياً تحت غطاء من الثور الصغيرة الشبيهة بالدمامل . بدا عليه السرور لروثي . ولكنه لم يسألني أين كنت . انتظر حتى أصبحنا بمعدنا ثم قال :

« إنهم يقترنون . وهذا هو السبب الذي جعلني أملي . بهذه القبع . »

« ما مدى انتشارها على جسدك ؟ »

« في كل مكان . »

« الأفضل أن تتخلص ملابسك لكي أراها . »

كان الأمر كما توقعت تماماً . فقد كان بطنه . وأعضاؤه التناسلية . وباطن فخذيه . مغطاة تماماً بثور حمراء قبيحة المنظر . وكان عضوه التناسلي وخصيته مصبوعين بمحلول الثيرات الأحمر القوي . فبدت كما لو كانت لوحة سيريرية . أما باطن فخذيه فكان متضيقاً . وقد ملأ الصديد بثوره . سأله :

« ما السبب في هذه الثور في تفديرك ؟ »

« الأشعة الآتية . »

« والآن اسمع يا آرثر . إنك تعرف من العلوم ما يكفي لكي تعلم أن هذا مستحيل . الأشعة الآتية هي الأشعة العادية في حزمة الضوء التي تؤثر على لوحة التصوير الفوتوغرافي . وهذه الحزمة مليئة بذلك النوع من الأشعة طوال الوقت . »

قطب جبينه ونظر إلى يديه .

فجأة طرأت علي ذهني فكرة عشية مخيفة . قلت :

« من الذي صبغ عصمك الحنسي بثيرات القنقة ؟ »

« المرخص الطبي . ييري مان . »

« وأنت الذي طلقت منه ذلك ؟ »

« أحصل . »

« ولماذا تصعب مصورك فقط ؟ لماذا لم تصبغ كل بطنك أيضاً ؟ »

« لأنه كان . يا كاتي . وكنت أريد دائماً أن أعرشه . »

بدا لي أن شكوكي كانت بعيدة المرمى ، ولكنها لم تكن مستحيلة . إن  
تغيرات الفضة هي العصر الذي يتأثر بالضوء في لوحة التصوير الفوتوغرافي  
- أي يتأثر بالأشعة الآتية . فهل حاول أن يستخلص فكرة سخيفة عن  
احتمال أن تقوم تيارات النفس بمقاومة تأثير الأشعة الآتية ؟ كانت البثور  
تغير عن نوع من الاضطراب العميق المرتبط بأعضائه التناسلية ، ثم يمكن لتأثير  
الأشعة الآتية على تيارات الفضة أن يكمل تكروه الذي يريده . أكان هذا  
هو مسار تفكيره ؟

سألته عن أحلامه ، فأخبرني بخلاصة بعض الأحلام المرعبة عن الأشجار  
المتحركة والدينوسورات . كتبت خلاصة كل تلك الأحلام ورحت أسأله :  
« أليس هناك أحلام أخرى ؟ وماذا عن النساء ؟ ألم تحلم بأي شيء ؟  
عنه ؟ »

قلب جيبه وشعرت بأنه يحاول أن يجمع عني شيئاً من أحلامه . قلت :

« لا بد أنك تحلم بالنساء أحياناً »

غمغم بشيء . بدا لي أنه « طبعاً » فقلت له :

« احك لي واحداً من هذه الأحلام . »

« لقد صرختني بالسوط . »

« أيسن ؟ »

« تحت هنا . » وهو مت يداً عند منطفة أسفل معدته .

« على أعضائك التناسلية ؟ »

« أجل . »

« كيف كان شكلها ؟ صفها لي . »

نظر إلى يديه ولم يقل شيئاً . اجتأحي شعور بأنه كان يحاول الحفر داخل  
دماغه لكي يخفي شيئاً ، أو لكي يستخرج شيئاً من الأعماق .

« هل كانت قوية ضخمة الحجم ؟ »

« كلا . »

« إذن كانت ضئيلة الحجم ؟ صغيرة وشاحبة ؟ »

« أجل . »

« هل كانت هي ابنة عمك آجي ؟ »

نظر إليّ بسرعة . توقعت أن يسألني كيف عرفت ، ولكنه لم يقل شيئاً  
واكتفى بأن صرف نظره عني سريعاً : قلت :

« كانت تشبهها . أليس كذلك ؟ »

« فليلاً . »

أطلقت تهيدة الارتياح . كان هذا نوعاً من التقدم . لقد سمح لي بالدخول  
إلى عالم طفولته . وكانت توقعاتي الجنسية تتطابق الآن . إن ابنة عمه آجي  
- أو واحدة أخرى من النساء اللواتي ابتزهن وسيطر عليهن - قد ضرته  
بالسوط على أعضائه التناسلية . كان الماضي ينهض الآن من مكانه حينما كان  
هو في لحظة هزيمة وتراجع . ذلك أنه كان قد اقتحم السنوات وعبرها عبوراً  
سريعاً ، كان قد انطلق إلى الأمام دون روية ، باعتبار رجلاً يعرف هدفه .  
وكان عقله اللاواعي الآن يعلن تمرداً ، المخاوف التي كبتها داخله ، كل شعور  
بالإثم كان قد رفضه ، كانت الآن تمسك بخناق وتطبق عليه .

شعرت بأن هذه هي اللحظة المناسبة لي لكي أتقدم ، باحثاً عن ثغرة أفتد  
منها . جذبت مقعدتي لكي أصبح أكثر قرباً من فراشه وقلت :

« اسمع يا آرثر . لقد حانت اللحظة المناسبة لكي تصفم ما يحدث الآن  
لك . لقد كنت ذليلاً منذراً طوال سنوات عديدة . كنت تنف في جبهة بمفردي  
لا تششير غير نفسك . وأنت تشعر الآن بألك تفقد قوتك ، وكل ما وفك  
المأكونة تنهض الآن لكي تبرز من لا وعيك . وهذا هو السبب في هذه البثور .  
وليس الحرمن الأسود . ليس هناك أي حرمن أسود . »

قال يهدو . « كيف تعرف ؟ »

« اسمع لا بد لك أن تفهم . إن الطريقة التي تتحدث بها سوف تؤدي  
لك إلى انهيار كامل . لقد طالت نعت ، وحيداً لمدة طويلة جداً . أليس كذلك ؟ »

لأنك لم تجرؤ ، أبداً على أن تضع يديك في أي مخلوق . أليس هذا صحيحاً ؟  
نظر إلي بسرعة ، ولكنني استطردت أقول :  
ولكنك أصبحت الآن ضحية لواعيكك أنت ، ولا بد لك أن تتعلم أن  
تتق بشخص ما .

كان الآن قد خفض بصره وراح يحدق في يديه المفرودين فوق غطاءه ،  
كما لو كان نعلماً صغيراً يسبح توييح مدروسه وتأنيه . سأله :  
« هل تعتقد أن بوسعك أن تتق بي ؟ »  
تردد قليلاً قبل أن يقول :  
« أجل . »

« حسناً . إذن عاملني كما تعامل الطبيب الذي يحاول أن يعاونك ويأخذ  
ببديك . لا تنكر في كما لو كنت شخصاً يعمل لصالح القانون . يمكنك أن تخبرني  
بما تشاء ، تماماً كما لو كنت قسياً . وسوف يكون كل ما نقوله لي سرّاً بيننا . »  
رأيت زاوية فمه تتلوي بإتسامة واهنة . عرف أن هذه هي لحظة المقامرة  
الأعظم خطراً . مقامرة يمكن أن تؤسس بيننا اتصالاً أكثر عمقاً ، أو أن تدمر  
كل اتصال بيننا . فجأة كان علي أن أواجه حقيقة أنه قد أصبح حاجساً متسطلاً  
علي ، وأنه « لا يده » لي أن أفهمه . وضعت يدي على كتفه ، متجاهلاً إجهاله  
التلقائي . وقلت :

« سأقول لك شيئاً يثبت أنني أقول الحقيقة صادقاً . إنني أعرف أنك  
قتلت عامداً إينوش بنسون ( الفلاح الذي حكم عليه بالسجن بسبب  
قتله على سبيل الخطأ كما اعتقد المحققون والآنهام ) . وأنا أعرف أنك قد قتلت  
عامداً هذه الفتاة . »

أخرجت صورة إيفلين ماركيز من جيبي وألقيتها أمامه على الفراش .  
كان يوسعي أن أرى التأثير الضخم الذي ولدته الصورة ، رغم أنني لم  
أمكن أستطيع أن أرى وجهه . بدأت البلدان ترتعشان . وحينما رفع رأسه ،  
لم تلتق عيناه بعيني ، وإنما لبثتا على أزوار سترتي . ظهر وجهه كوجه المريض

بلونه الرمادي . استطردت قائلاً بسرعة :

« وأنا أعرف أيضاً حكاية مزج جروز ، زوجة مدرس التربية البدنية في  
المدرسة . كان علي أن أعرف عنك كل هذا لأنني طبيب . وعلمي ووظيفتي  
هو أن أعرف سبب مرضك . »

جلست على الفراش ، وأعدت وضع الصورة في جيبي . وقلت :

« إنها تشبه شفتيك بولين . أليس كذلك ؟ »

ارتجفت وجهه ، وبدأ عليه كما لو كان يوشك أن يتفجر في البكاء .  
ولكنني مضيت قائلاً :

« ولكن لا شيء . بوجب أن تززع بسببه . إذا كان علي أن أساعدك ،  
فلا بد لي من معرفة كل شيء . لماذا لا تخبرني بكل شيء . بصراحة ؟ »  
حينما نظر إلي كانت عيناه كائيتين . وكانت عبارته التالية جافة تماماً  
ومنطقية .

« .. ثم أمضي ما تبقى من حياتي في السجن ؟ »

« أنا طبيب نفسي ، ولست شرطياً . إنني مهتم بما يدفعك إلى اتيان هذه  
الأعمال . وأنا أريد أن أفهم الطريقة التي يعمل بها عقلك . »

كان هذلي من هذه الجملة الأخيرة هو أن أملتق غروره ، ولكن وجهه  
ظل خالياً من أي تعبير . وضعت يدي على ساعده وانحيت إلى الأمام وقلت :  
« لا يمكن أن يستخام ضدك أي حديث قلبي به إلي . إنك غير عاقل من  
الناحية القانونية في هذه اللحظة . »

طرق على الباب أحد المرعبين ، كان قد أحضر الشاي . كنت أبعد دائماً  
أن تناول الطعام أو احتساء المشروبات مع المرضى يؤدي إلى تخفيف شعورهم  
بالمعذاة إزاء طبيب السجن . شكرت المرض ورحت أمت الشاي لكلياً ،  
وفي نفس الوقت رحت أراف ليحاروا من ركني عيني . وحينما لاؤفته فلدح  
الشاي ، كانت يدها ترتعشان إلى درجة أنني اضطررت إلى وضع القدح على  
المائدة الصغيرة المحاوراة للسرير . كان يوسعي أن أحسن الصراخ الذي كان

يدور داخله في تلك اللحظة . كانت خمس سنوات من السجن قد حطمت مقاومته حتى أصبح لا يد له أن يراجع إلى داخل نفسه ، إلى عالمه النفسي الداخلي المعلق والعاوض ، لكي يتجنب أن يتق بشخص ما . ولقد جعله أنا بعني هذه الحقيقة ، وكنت أقدم له الآن بديلاً لها . كان كل ما أعرفه عن تحطيم التوتر الإنساني يندني على أنني لا بد أن أتبع ، فاما ذلك ، وإنما أن يراجع إلى مستوى أكثر عمقا من عالمه النفسي الكيفي : حيث لا يمكن أن يعزل إليه أحد .

طرأت لي فكرة أخرى . قلت :

« لقد كنت تفكر في أن تولي «تيات» تفنك . أليس كذلك ؟ كنت تريد أن تجعله صاحب شرك وموضع تفنك ؟ »

جئت هذه المرة ولكنه لم ينتظر إلي . حدثت فجأة أنه قد ازعج ، كنت أعرف الكثير جداً . جلست على مقعدي ، ورحت أرتشف الشاي ، ثم قلت :  
« هناك شيء واحد ، هو ما يربكي . بعد أن اغتصبت لإفباين ماركيز ، لماذا ألبستها ثيابا ثانية ؟ ألم تكن تعرف أن الطبيب الشرعي كان سيبحث عما اذا كانت قد اغتصبت ؟ »

قال : « كيف تعرف أنها قد اغتصبت ؟ »

جاء سؤاله هادئاً مليئاً بالنعقل دالاً على حسن التفكير . فلو أصغى إلينا الآن أي شخص ، لما كان باستطاعته أن يخمن أن هذا الرجل كان يتحدث عن الأشعة الأكتينية والحرس الأسود . قلت :

« لقد أثبت تقرير الطبيب الشرعي ذلك . »

« كيف تعرف أنها لم تكن تصاحب شيئاً من أصدقائها ؟ »

« لم يكن لها صديقين خاصين تصاحبه . لم تكن قد خرجت مع رجل أبداً منذ هجرها صديقها وتزوج فتاة البار التي تعمل في فندق جروف . وحتى لو كان لها عشيق لا يعرف بأمره أحد ، فإنه ما كان يستطيع أن يجامعها في ذلك المساء . فقد كانت راغبة في قرأشها طول النهار بسبب صداد شديد . »

لم يقل شيئاً . قلت :

« حسناً . اسمع لي بأن أضمن . لقد اغتصبتها لأنك كنت تتجمل أنك تغضب شقيقك . ولكنك لم تكن تريد أن تخمن شقيقك رغبتك الحقيقية . كنت تخشى أن ترى بولين صورة الفتاة في الصحف فتخمن أنك أنت المغتصب القاتل . ولذلك فقد حاولت أن تجعل الأمر يبدو كما لو كان سرقة . أذلك هو السبب ؟ »

مد يده لكي يتناول قذح الشاي ، ورأيت أن يده كانت قد كفت عن الارتجاف . وقبل أن يلمس القذح شفتيه ، قال :

« هل تعرف بولين بما حدث ؟ »

اجتاحني موجة ارتياح هائلة جعلتني أشعر للحظة بالدوار . لقد رجبت .  
\* \* \*

قال : « هل تحدثت مع بولين ؟ »

« أجل . »

عرفت الآن أنه كان عاقلاً ، لكل الأغراض العملية الممكنة . كان قد مد يده على طولها ، وأمسك ثابته بأجزاء شخصيته التي كانت قد أفلتت منه خلال سنوات السجن . إن قدرة الإنسان على التفكير العاقل لوظيفة من وظائف إرادته إلى حد كبير . ووظيفة من وظائف إحساسه بوجود غرض محدد . إنه يصبح « نفسه » إلى أقصى حد حينما يشد أجزاء نفسه بعضها إلى البعض ، حينما يركز إرادته نحو بدل مجهود من نوع ما . فإذا كان هناك رجل يشتمع بإرادة قوية ، ثم كف فجأة عن استخدامها ، فإنه يصبح مريضاً عقلياً . تماماً كما يصاب بالسمنة والرهل الرجل الرياضي الذي يكف فجأة عن ممارسة رياضته . إنه يصاب بسرع من سوء المهضم العقلي ، بإحساس الاحتراق الداخلي للقلب ، بشعور بأنه لم يعد قادراً على السيطرة على نفسه . ولكنه طالما ظل يرفض أن يفلح عن هذه السيطرة . فإنه يظل عاقلاً من الناحية المعرفية . لقد أصعب الرافض لجنسكي بتوتر عقلي جعل من الصعب أن يعيش معه أحد .

ولكنه لم يصبح مجنوناً بالفعل حتى أرسل والده زوجته بعض الرجال حاملين قبيص المجانين إلى غرفته بالفندق . ولما ارتدى قبيص المجانين ، قيل بفكرة أنه لم يعد عاقلاً ، ومن ثم فقد سقط فريسة الانقباض العصبي . أما آرثر لينجارد فقد ظل طوال سنوات مغلقاً نفسه على نفسه لا يتفتح على أحد سواء ، رافضاً أن يقبل بالهزيمة ، محتفظاً بجمود إرادته حتى سقط عقله مريضاً من التعب . وحينئذ بدأ نوع من جهاز ميكانيكي للأمان في العمل ، لكي يسمح له بأن يوضع مخاوفه بأن يحسدها في صورة أعداء غير طبيعيين ، الحرس الأسود . كان يوسع الإرادة حينئذ أن تنام ، والشخصية المتصلية أصبح بإمكانها أن تسرحي . ولكنه واجه الآن نوعاً مختلفاً من الخطر - الأعلام الغريبة التي تأتي حينما تتحلل الحقيقة . إن نومه المليء باليقظة كان نوعاً من أنواع التجمد العقلي ، وقد تحول عقله إلى مستنقع ، بركة من الماء الآسن المعطن .

كنت قد أعدته إلى آرثر لينجارد ، وكنت قد قدمت له فرصة للافلات من العذاب العقلي السيطرة . قد يكون من غير المفهوم لماذا قرر أن يبق بي . بينما كان قد عرف أن هذه الثقة قد تعني أن يفقد حريته بصورة دائمة ، ذلك أنه لا بد كان يعرف أن وعدي له باحترام ثقته إنما هو وعد في إطار حدود معينة . فإنا بوصفي موظفاً حكومياً ، لا يمكن أن يكون بوسعي أن أسمح لرجل بالعودة إلى المجتمع بعد أن أكون قد عرفت أنه قاتل غنبل العقل فقد توارثه . ولكن لا بد أن نتذكر أنه كان رجلاً مريضاً ، رجلاً أصيب حياته العقلية كلها بالتسمم . وكان جديراً بعمل إرادي واحد - وهو اتخاذ القرار بأن يوليقي ثقته - فإنه قد يستطيع أن يخفف مستنقع العقلي ، وأن يهرب من التوتير العصبي الذي كان قد شل قواه طيلة سنوات .

ولقد اتخذ القرار ، ولكنه لم يضعه موضع التنفيذ على الفور . كانت عادة الانغلاق والحفظ قد أصبحت بالغة القوة ، وأدركت أبا هذا ، فلم أبدأ أي جهود لاجباره على أن يبوب بما عنده . تركته يتكلم ، وشجعت على أن يتكلم ، ولم أبدأ أي جهد حقيقي لتوجيه تيار حديثه ، عازفاً بأنه كان يتناول أن

يكشف طريقه الخاص لتخفيف التوتير .  
 بينما كان يشرب شايبه ، سأله :  
 « لماذا نكره شقيقتك ؟ »  
 « لقد أخلت بوعدها . »

صمت ثانية فانتظرت صامتاً أنا الآخر . دون أن أبدأ محاولة أخرى لدفعه إلى الكلام . وبعد قليل بدأ يتحدث :

« قبل أن يعود ، داري ، إلى « آمين » ، جعلها تقطع وعداً على نفسها بأن تعني بي . قال لها : « عديني بأنك سوف تولين آرثر عانيتك مهما حدث . هل تعدين بذلك ؟ » وقد قالت بولاً : « أعدك بهذا ، وأقسم على ذلك . ولكنها لم تفعل . لقد حفظت وعدها لفترة قصيرة . ثم نسيت كل شيء . »  
 « ولكنكما كنتما ملتصقين جداً حينما كنتما صغيرين . »

« أجل ، في بداية اقامتنا في وورنجتون بعد تهابنا إلى هناك . كنا ملتصقين جداً . » وقفة طويلة ، صمت مشحون . ثم : « كانت فتاة جميلة ... سكتة أخرى . امتدت هذه المرة خمس دقائق أو أكثر . ثم : « كان دادي غيباً . ما كان يجب أن يدعنا نذهب إلى هناك . »

أخذ يبحث عن الكلمات المناسبة . ثم قال :

« لقد ... سحفي هذا . هرسي هرناً . كان بوسعي أن أفعل أي شيء . كنت أستطيع أن أكتفي بولاً . وكان يمكنها أن تكفي بي . أو أننا قد تركنا وشأننا . لسنا كل شيء . كل ما يرام . لم تكن لراوولي عنها أية أفكار حينئذ . ولكن سار كل شيء . منذ البداية في الطريق الخطأ ، وإرداد كل شيء . سوماً . لم نشأ الحياة أن تعطيني شيئاً على الإطلاق . ماتت أمي في البداية . ثم ماتت أبي . أم يكن قد بقي لي إنسان سوى بولاً . »

رأيت أنه كان مسافراً إلى حالة من الاشفاق على الذات . وكان هذا من وجهة نظري . شيئاً عابراً . إن الاشفاق على الذات شعور من مشاعر العقلاء الأساسية . طريقة التحقق نوع من التوازن الواحداني . وسيلة من وسائل



التطهير واحراق الخيائت الداخلة . قلت :

« أجل ، لقد مرت بك فترة عميقة تماماً نتيجة لهذا . أظن أن الحرب هي

الب . »

« كان يمكننا أن نكون في وضع أفضل في لندن ، أو في « سوري » أو

« تورسيت » . فظالمنا سنبقى معاً ، فإن كل شيء سيسير على ما يرام . كنا  
كلانا جديريين بأن نكون على خير ما يرام حتى لو كانوا قد وضعونا في ملجأ  
الأيام . »

« كان يوسفي أن أرى أنه كان يردد شيئاً كان قد فكر فيه كثيراً : كيف  
كانت سنبدو الحياة لو أهبنا لم يرسلنا للإقامة في وورينجتون . رأيت ما يرمي  
إليه وأمركت مغزى كلماته . كانت بولين هي كل ما يحتاج إليه . كانا  
جديريين بأن نشعرا معاً بالسعادة . لقد كان مقلداً عاطفياً وحساساً لم يطلب  
سوى أن يحبه الناس وأن يسمح له بأن يحب . قلت :

« حدثني عن تلك الأيام الأولى في وورينجتون . خبرني بكل ما تذكره  
من التفاصيل . كم كان عمرك حينما ذهبت إلى هناك ؟ »

« أربع سنوات . كانت بولين في التاسعة . »

« أخبرني بكل ما تذكره . ماذا كانت أول انطباعاتك عن بيك الجديد ؟ »  
« قليلاً قليلاً ، وبيطه شديد ، خرج منه الكلام . كان يتحدث بتردد  
شاعراً بالحرج ، وفي بعض الأحيان كان يجاهد للعثور على الكلمة المناسبة ،  
وأحياناً كان جهاده هذا يستمر لعدة دقائق . قاومت الاغراء الذي كنت أشعر  
به لكي أدفعه إلى الكلام بصورة أسرع وأكثر انطلافاً لأنني كنت قادراً على  
أن أرى كم يتعذب لكي يبوح بما انطوى عليه . كان يتحدث وقد أعرض عينيه  
محاولاً أن ينصير كل شيء من جديد في داخله وهو يستحضر كل  
تلك الذكريات . ولكي يستحضرها بدقة . وكان العرق ينضح من جبهته  
وينصب على وجهه وعنقه . »

« إن ما كنت أحاول أن أفعله كان أمراً بالغ الخطأ . وكنت مدركاً لهذا

باستمرار . كانت الفترة الأخيرة من حياته كلها رد فعل مضاد لظمولته ، ضد  
مشاعر العجز والغيرة والأشمئزاز . وكان قد خلق لنفسه شخصية خاتمة من  
أهل التعامل مع تلك المشاعر : شخصية عدو المجتمع ، الشريد الثغرة الذي  
يأخذ ما أراد . أما الآن فكانت تلك الشخصية قد انهارت . كان مثل رجل ظل  
يقياً حتى القلقت امعاؤه ونقباها وأوشك على الموت والاجهاد . وكنت أفاكر  
بساله أن يستعيد ذكرى الوجبة التي حملته يقياً مذاقها . هذا هو السبب الذي  
كان يجعل العرق ينضح من كل بقعة في وجهه بينما كان يتحدث عن بنوكه .  
كانت كل جملة تخرج منه كما لو كانت تسحب بعنف مؤلم من أعشائه لكي  
تتصلب تحديداً على شفثيه كما لو كانت عربة يد قديمة ملئت بكيال الاسمنت .  
لكنه كان قد وصل إلى نقطة الالعودة . وكان مثل رجل يحاول أن يصفق في  
نصفه الشجاعة اللابئة لكي يتر الكف التي سممتها والغربان في ذراع سليمة .

## الفصل الخامس

حينما ذهب آرثر لينجارد لأول مرة إلى شارع بينكيت لكي يقيم هناك ، كانت رائحة السمك تتوح من المنزل . كان اللحم نادراً في السنة الثانية من الحرب ، أما البحر فلم يكن يعد أكثر من بضعة أميال . كانت رائحة السمك المملوح الرائحة المسخرة هي الرائحة التي ظلت تتحوم فوق طفولته . وكان من سوء حظ آرثر أنه كان يفت السمك بطبيعته ، ولم يكن يأكله أبداً حينما كان طفلاً في لندن .

وبعد خمس دقائق من وصوله إلى المنزل مع بولين ( حيث تركهما والدهما الذي كان قد منح اجازة استثنائية ) عوت صفارات الانذار من الغارات الجوية ، وأخذت خطوط الأشعة البيضاء للأضواء الكاشفة تلرغ السماء في أشكال هندسية . وهرع عشرة منهم - ثلاثة كبار وسبعة أطفال - إلى اللجأ من طراز « أندرسون - الذي كان قد أقيم في القنصل الخلفي للمنزل ، وراحوا يصعدون إلى صوت قاذفات القنابل . وتعلق كل من آرثر وبولين بالأخر ، وكان آرثر يشعر بالنعاس بعد الرحلة الطويلة ، وكان يؤمنه أن يسع حديث بولين مع ابنة عمه ماجي التي كانت تعالها في العمر ( وقد ماتت في عام ١٩٤٨ ) وهما يبحثان أمور العرائس ، بينما غرق هو في النوم على حجر شقيقته . وبعد ساعات ، سمعت صفارة الأمان ، فاستيقظ وهو يرتجف من البرد ، وحمل إلى المنزل ، ثم إلى الطابق العلوي حيث كانت غرفة نومه الجديدة المشبعة برائحة سمك « القده المملوح . كان الفراش بارداً ، وقد طار النعاس من عينه . كان الصبيان الأكبر عمراً ، جيم ( في الثانية عشرة ) وتيد ( في الحادية عشرة ) يفتان لينظرا من نافذة حجرة النوم ، متطلعين إلى

الأفق الذي يصطبغ بحمرة النيران . لم يكن هناك نور في حجرة الأمدال - وكان هذا يوفر السائر اللازمة لمنع تسلل النور إلى الخارج بالإضافة إلى توفير نغم الكهرباء - ولكنه كان يستطيع أن يرى ما في الغرفة بوضوح على ضوء النار . كانت مدينة ليفربول دوكنس قد عاشت ليلة من أسوأ أليها . وفي الصباح كانت السماء المرابية إلى الغرب مغطاة مثلوية من الدخان

لم يجب آرثر أبناء عمه ، ولم يجوه هم أيضاً . وقد قابلت أبا وتيدا لينجارد ، بعد عدة أسابيع ، فقال لي إن آرثر كان ولدأ قد دلت أنه يصرح ويعزي حينما لا يخفى بينه وبين ما يريد . لم يستطع أبناء العم لينجارد أن يصلوا إلى النعاسة الوجدانية التي عاشها آرثر بسبب خسارته لأمه . وبسبب اختفاء والده . أما آرثر فقد وجد أن أبناء عمه يتخلون عنه موقف الرفص والعداء . وكان عليه أن يتحزن قدراً كبيراً من طاقته بسبب جاذبيته الحسنة وحويته . وكانت ابنتا عمه شاحيتين كالمرضى . وكانت تفوح من ماجي رائحة قبيحة ، بسبب التهاب مستمر في إحدى أذنيها . أما ألبرت الذي كان يصغره بعامين ، فكانت على إحدى عيبيه بقعة بيضاء . وكان عرضة للوبان الصرع . كان تيد وجيم ولدين أحقرين يميلان إلى الصخامة . لهذا أسنان أمامية كبيرة وشغاه ممرجة على اللوام ، وكان فيهما شيء « أخافه دائماً » . وقد دأب ألبرت على التهكم منه لأنه « مثل بكاه » وكان لديه ما يبرر تهكمه . ظل بيكي طوال أسابيع بعد رحيل والده ، حتى نفذ مبر العمة إلزي نفسها ونياها الطبية . ونفذ ما يقرب من أسبوع حاول العم ديك تجربة التعامل مع كثرة بكائه وصرخاته بأن تخلع حزامه الخلفي العريض من حول وسطه لكي يتخلده به . كانت عنته هي المرة الأولى التي ضرب فيها في حياته . وقد باعته الضرب وصدمته لدرجة أنه أنساه الكام .

زارهم والده في عيد الميلاد التالي . ولكن آرثر ، في فترة الشهور الثلاثة ، كان قد اعتاد على بيئته الجديدة ، غير أن « ابنة » والده ألبرت فيه اشتياقاً قوياً إلى العودة إلى لندن لإقامة عيد ميلاده . توصل وتكني ، وقال له إن العم ديك

بضربه بخزامه . وعقب والده والرعب وشعر بالارتباك ، وتحدث مع أخيه حديثاً طويلاً . وحينما قرر الرجل قال : « والآن كمن ولدأ طيباً ، وربما أصبحت قادراً على الذهاب للاقامة عند جدتك للفترة من الزمن . » وطوال أسابيع ظل آرثر يشعر بالارتياح لتلك التذكرة . ووذات يوم حينما كان يتوقف غصاً دون جدوى ضد أذرت ونيد - اللذين كانا يدعوانه « الطفل البكاء » - قال لهم إنه سرعان ما يمازجهم إلى الأبد لكي يعيش مع جدته . وقال أذرت : « أوه . لا . إن ترعل ، لأنها ماتت . ماتت في غارة جوية . » والدفع إلى زوجة عمه حينما علمت إلى البيت من عملها لكي يسألها عن صحة ذلك . وأجابته : « أعتنى بأن يكون ذلك صحيحاً . هكذا أغلق في وجهه طريق المهرب . وبدأ يبلل فراشه . وعاد العم ذك إلى ضربه بالجرام .

كان من الصعب أن أسعله يتحدث حديثاً متصلاً دون فترات حول هذه الفترة الباكورة من حياته . كان يصمت ثم يبدأ الحكاية من أولها مرة ثانية ، ويتناقض مع ما سبق أن رواه . وفي النهاية بدأ صوته يخشوش ويصابه يسوع من « الحقة » الأمر الذي رجحت أنه بدافع نفسي زائف . اشكى من بعض التمثيل في حلقه ، وكان يعمل حتى تنساب الدموع من عينيه . كانت هذه الأعراض تقل إذا جلست أنا في الطرف البعيد من الحجيرة ، كما لو كان حضورى هو السبب في المشكلة . حاولت أن آتي له بمجهاز لتسجيل يعمل بالمطارات الكهربائية ، وطلت منه أن يسجل ذكرياته على الشريط ، ولكنه لم يسجل على الشريط سوى سلسلة من الضغفانات المزددة .

وجاءت العبرة التي انطلقت منها مصادفة . فقد كنت كتبت لبولين لأطلب منها أن تكتب ذكرياتها عن طفولتها وكل ما تستطيع أن تتذكره عن آرثر . وبعد أسبوع بعثت لي برسالة تقع في ثلاثين صفحة . مليئة بالذكريات والحكايات والأملنة . كتبت تلك الحكايات بالآلة الكاتبة . كل حكاية على صفحة مستقلة من الورق . تاريخه مطراً خالياً تحت كل سطر مكتوب . وبالركة نصف الصفحة خالياً . مثلت تلك الأوراق إلى آرثر ليجارده . وطلت منه

أن يضع ما يراه من التصحيحات والتعليقات . وحينما علمت في اليوم التالي ، كان قد ملأ صفحة بعد صفحة بخط يده الملتصق . ومع تقدم العلاج أصبح هذا الخط أكثر انتظاماً ولكنه حافظ على شكله اللين . كان قد بدأ بتصحيح حكايات بولين ، ثم قرر أنه قد يكون من الأسهل أن يكتب نسخة الخاصة من نفس الحكايات . وكانت النتيجة تفصيلية إلى درجة مذهلة . مليئة بالأسماء ، وبسطور حقيقية من الحوار ، وذكريات مما كان قد رآه بالفعل أو شعر به بالتحديد . لقد برزت بسرعة بالغة صورة بالحمية لأحداث السياسة في طفولته .

قبل وصول بولين وآرثر . كان أبناء العم الخمسة يأمرون على نفس السرير الكبير في حجيرة الأهلالي ، أما بعد وصولها فقد انتقلت ماجي وأذرت لكي يناما على سرير صغير من أسرة المسكرات في حجيرة والديهما . وأخذ آرثر وبولين مكانهما على السرير النجاسي الكبير . كان هو ينام على طرف من بولين وأجي ، أما جيم وتيد فكانا ينامان على الطرف الآخر . ومن حين إلى حين - كان يسمع بولين أو أجي وهي تقول : « كفت عن هذا » ثم يسمع قدم أحد الصبيين متعدة عن حشد الفتاة التي مباحث . وكان هو يبعد عن دائماً أن أحد الصبيين مولوج ، « تعليبهما بالبركل والرصاص .

وكان أذرت يعجب المهجناً شديداً بأشقائه الكبار . وخاصة جيم . وقد قال لآرثر : « إن لحم أكبر عضو في القردة » فسأله : « وكيف عرفت ذلك ؟ » فأجابته : « لقد أتبع كل الصبية ذات يوم وأخرجوا أعضاءهم وقام صبي يدعى « جوني » بقياس أعضائهم بسطرونه . وكان عضو جيم هو الأكبرها . » وقد اختار آرثر شعور من الشعور المعجم باللغزات والأشياء السبب انصرفة لشيء يسلك سطراً . وبعض من أعضائه منه أعرج . وبصده . ولكنه لم يشارك أذرت اهتمامه بأعضاء الذكور المتناظرة . فقد كانت لها اشتمالته . وحينما كان الأهلالي يحدث بالجدال . وهو من اللعب على الشاطئ . مع الصناد الأخرين . « السماع هم من ذك عضو . كان لم تر

يجعل وينسبر . ولم يكن بوسعه أن يرى من أين تأتي المتعة في مثل هذا اللعب . ولم يكن قد مر وقت طويل على وصوله مع بولين إلى وورينجتون ، حينما سافر معهما مع زوجته إلى خارج المدينة في سيارة عامة على أن يتقيا طول اليوم ، تاركين الأطفال الصغار في رعاية تيد وجيم . كان آرثر يلبس في سلام بمكعبات البناء حينما تبين أنه وحيد مع ألبرت . وسأل أين كان الآخرون . جعل ألبرت عينه الخبيثة تبسم وقال : « بلعبون لعبة الأبطال والمرضات » . سأل آرثر : « أين ؟ » فأجابه ألبرت : « لن يمكنك الدخول إليهم . إنهم لا يريدون الأطفال الصغار » . صعد آرثر إلى الطابق العلوي وطرق بعنف على باب حجرة عمه المغلق . صاح به بصوت جيم : « اذهبوا بعيداً لا يمكن دخول الأطفال » .

قال آرثر : « أنا أريد أن أدخل » . وبدأ يركل الباب ويصرخ .  
قال جيم : « وهو كذلك . ولكن لا بد أن يجلس هادئاً في أحد الأركان » .  
هكذا سمح له بالدخول . كانت آجي راقدة على السرير ، وقد حلت أزرار قميصها . راقب آرثر ما كان يجري أمامه بافتنان . وكذلك فعلت بولين التي كانت هذه اللعبة جديدة عليها . اقترب تيد ، حاملاً حقيبة من حقيب السوف - وكان الممرض أن هذه هي حقيبة الطبيب السوداء ، وقال :  
« والآن ، ما هي المشكلة ؟ مم تشكو ؟ »  
قالت ماجي التي كانت تنوم بدور الراحبة الممرضة : « إنها تشكو من الاعياء المستمر يا دكتور » .

قال الطبيب : « أتوقع أن تكون مصابة بنوع من الربو . سرعان ما ستعرف حقيقة الأمر » .  
حل تيد ما تبقى من أزرار القميص وقال : « احلمي هذا » . ثم جذب قميصها الداخلي إلى أعلى . وجعل يحيط على صدرها بقطعة من الخشب ، منسماً بصوت الضربات من الطرف الآخر ثم قال : « لا شيء هنا » .  
طلت آجي راقدة في سلبية وهي تنظر إلى السقف ، بينما قال تيد :

« سوف نختبرها » .

أمرت بولين بأن تضحض « أحدهم السابقين » بينما أخذ تيد السابق الأخرى . توالت الضربات وأنواع التريبت على سمانتي ماتي آجي ومهدبا . ثم قال تيد : « أعظمت أنه من الضروري أن نخلع هذا » . وأشار إلى حوللتها ذات الخطوط المتقاطعة على الطريقة الاسكتلندية . حلت آجي « سوسنة » حوللتها ثم خلعتها . ووقدت في مكانها بقميصها الداخلي القطني المخلط ، وظل الجزء العلوي من القميص تحت ابطنها . تسع تيد أصوات معدنها ، وأعلن أن مصدر المرض لا بد أن يكون من مكان آخر ...

بعد نصف ساعة . كانت قد أجريت خلالها جراحة لماجي لاستئصال رائدتها البدوية . ثم افتتح بولين أخيراً بأن تساعد على خلع ملابس جيم . وفجأة بدأت تنكص عن الاستمرار وقالت : « لا أريد أن أسهر في هذه اللعبة » . وعمل الآخرون جميعاً على استئارة غريبتها الرياضية ، حتى سمحت لنفسها أخيراً بأن تفتح .

توقع آرثر بشقة أن بولين سترفض أن تتخذ مكانها على الفراش . كانت إذا قررت أن تفعل شيئاً ، فما من قوة على الأرض تستطيع أن تقنعها . وراح آرثر يتعجل قيام المناقشة التي ستدور حول هذا الموضوع ، وكل أبناء عمها يصغونها بأنها مفضرة إلى الروح الرياضية . وبولين تيز رأسها بعنف وتقول لهم إنها لا تهم بما يعتونها به . وتقسّم قائلة : « فلنتهشم العصي والحجارة عظامي ، إن أنا فعلت كذا وكذا ... »

حينما ارتدى جيم ملابسه ثانية قال : « هيا يا بولي . هذا غورك الآن » . وظفوا آرثر منظرأرقضها . ولشدة دهشته . هزت بولين كتفها . ثم سمعت إلى الفراش .

صاح آرثر : « لا تسمح لي بأن يفعل ذلك يا بولي » . نظر إليه جيم وتيد شرراً في لحظة واحدة . وصاح به جيم : « احمرس أنت » . وعطف آرثر من أنه قد بطرد من العرفة إذا خضع لرغبة القوة في الصراع ، ففي مكانه

سائكاً ، متعجباً ، لماذا كان قلبه يتألم في صدره . بينما اخفى تيد وجهه فوق شقيقته . يتحصانها بتدقيق .

ورغم شعوره المزاييد بالبولس والشييق . فان آرثر لم يستطع أن يمنع نفسه من الاحساس بالفخر لأن حسد شقيقته كان أحمل من حسدي ابنتي عمه . كان تيد يقول : « أجل ، إن ما تحتاج إليه هنا ، هو قطعة من المرهم . » وفي اللحظة نفسها آرثر . تقياً الطماطم التي كان قد تناولها في طعام الافطار ، وتقياً الخبز المقدد والنعن المشوي اللذين كان قد أكلهما منذ ذلك الحين . والسال بعض التي . فوق رأس آرثر ، أما الباني فقد السال فوق الفراش ، بينما كان ألبرت يصرخ فيه بخنون . أما الآخرون فكانوا في حالة استغراق كامل للدرجة أن عقل أحدهم لم يكن حاضرأ لكي يرفع رأسه فيلثت إل ما يري . جلست بولين ، وهي تبعد اليد عن فحظيها وقالت : « اذهب إل المرحاض يا آرثر ، باق عليك ! »

بذلك انتهى اللعب لهذا اليوم . شعر ألبرت وآجي بالعثيان بسبب رائحة قمي آرثر . أما بولين فقد مسحت الفراش وأرضية الحجرة ، ثم أمضت فترة ما بعد الظهر أمام وعاء كبير مليء بالماء والصابون تحاول أن تخلص الملامة والعضاء من رائحة القمي . وأخيراً ، وقبل نصف ساعة من موعد وصول والدلين إلى البيت ، سألم آرثر - الذي كان قد استعاد توازنه الوجداني وسط العاصفة التي تسبب هو فيها - سألمه لماذا لم يلقوا العضاء بمساعدة على وجهه الآخر . لم يكن أحدهم قد فكر في هذا . قال جيم باكنتاب إن هذا ما كان يعني إلى أي فرق . لأن الملامة كانت مبتلة ، ولكن بولين ، التي اكتشفت الآن طرفها للخلاص ، اقترحت أن يوسعهم أن يستبدلوا بالملامة الموجودة على سريره . كان هذا مصاد أن يمضوا ليلة غير مريحة ، ولكنه أفضل من أن يكشف أمرهم . ونسي أمر شقيقهم من آرثر . وشرعوا يعملون في عجلة ، فلقوا الحشية الكبيرة على وجهها الآخر - التي لم تكن قد ابتلت إلا بلاماً شحياً من ناحية جانبها السفلي - ثم غيروا الملامة . وانزعجت عنهم كأنهم

وإزال فوطتهم . وكان الجميع يشعرون - باستثناء آرثر - بأن الذكارة لوأ من الحكم نزل بهم جزاء لإنهم ، أما الآن فان الحكم قد رفع . وأسمحو حشياً سعدها ثانية . أما بالنسبة لآرثر . فقد انتهى اليوم على مسودة أفضل من بدايته . ولكنه حينما وقد على السرير ، واقرب من بولين ، طمأت له فكرة ما يوقد على بعد بوصات قليلة من يده . وشعر بالعثيان مرة أخرى . بدا أن شيئاً صغيراً ومحبباً قد دخل حياته ، وقد أثار هذا الشيء في داخله احساساً ربيعه هو ربيعاً طبيعياً بالديطان والقاذورات . لقد أراد أن يعمي بوابن من هذا الشيء . وأد بتأكد من أنها لن يمر مرة أخرى إلى هذا المستقع من القروح السعجة والشر . ليست هناك علاقة لأبناء عمه بصحتها وبطها . عمل هذه الأعضاء أن تظل مخبئة بشكل مهسلب تحت غطاء الريون الرقيق الذي كان معتقاً بأحكام عليها في تلك اللحظة .

• • •

لقد كرس مساحة كبيرة لما كان - على أي حال - محرد لعبة مقبولية رية . فليس هناك أي « فساد » في أن يكون للأطفال بعض الفصول بالنسبة لأعضائهم التناسلية . تماماً مثلما عرف ذلك سكان جزر المحيط السيبكي الجنوبية . إنه فصول من الأحسن شياعه . ولكن آرثر ليجار ذلك في الرابعة والنصف من عمره . وكان برباً براءة غير عادية حتى بالنسبة لس الزامعا والنصف . كان لديه بالفعل إحساس بأن في أبناء عمه شيئاً بعيداً عطلاأ . شيئاً حياً ومروعاً . وقد أصبحت إليه الآن صورة عقلية تحسد عاقبه . لقد كان آرثر لسعادة عقلية نالغ العاطفية . ولكن عواطفه لم تكن متعاقفة فوسيوحات عادية . كتاب عواطفه من نوع المشاعر التي وضعها كارل ياسرر في كتابه « عالم النفس المرعي العام » بأنها « مشاعر عطفو بحرية » وقد شرح لي أنه في مقوله الأول ، كانت تمر به حالات عاطفية عطفه دون سبب واضح . فقد عطف نادماً ، كان عطفه سعاداً لأن ذلك نوع من موهو الخط على وشك أن يحدث . عاده حاله كتاب عطفه شعراً لو كان يلقو في

الهواء ، مخاوف غريبة ملحة كانت تجعله يشعر بالغثبان (ومن الواضح أن هذه الأخيرة كانت ذات أصل جنسي) . كان طفلاً «هنك» ومصنعه العاطفي ، في الإنتاج إلى درجة تفوق احتياجاته . فلو أنه مثل الموسيقار مندسون في صباه المبكر ، كان فرداً في عائلة دافئة متسامحة وتلقى تديراً ودراسة مشيعين بالحنان والتعاطف منذ فترة باكورة ، فإن هذه المشاعر الطافية بحرية كانت متجددة وموضوعات مختلفة ، فتصبح سهلة المعالجة والتعامل . ومن المؤكد أن هذه البيئة الغريبة الجديدة قدمت موضوعاً ملائماً لمخوفه . كما قدمت لعبة الأطفال والمرضات هذه موضوعاً محدداً للزبد من العواطف . وأنا أعني عاطفة القلق المهلك ، وهي العاطفة الشائعة بين الكثيرين من ذوي الحساسية بين الأطفال . إنها عاطفة تشترك في شيء ما مع الشعر ، لأنها تميل إلى تجاهل العالم الفعلي ، هذا العالم الذي يتميز بقدر من العادية والحقيقة أكبر جداً من أن يوفر لتلك العاطفة موضوعاته المناسبة . وقد وصل إدجار آلان بو إلى الربط بين هذه العاطفة وبين موت الجنيلات من النساء ، وربطها «لي فاتو» بالأشباح ومصاصي الدماء ؛ أما بودلير فقد ربطها بالخطيئة . أما آرثر لينجارد فقد كان ما يزال صغيراً إلى درجة تمتعه من أن يشعر بأن هذه الأميرة التي دخل فيها عنوة كانت أسرة غير إنسانية وخطيرة . كان ألبرت بعينه الدوارة قد بدا له في صورة القزم الشرير أو القرد الشبيه بالإنسان . أما هو وشقيقته فقد كانا زوجاً من الأطفال الملكيين ، بلجاً عن طريق الصدفة إلى كوخ لأحد الفلاحين . وكان ما يود آرثر لأخته هو أن تنضم إليه في حلف ضد أبناء عمهما ، وأن ترتبط به ارتباطاً وثيقاً ، وأن تقول : «إننا نقف معاً وسط هؤلاء الناس المرعبين ...» . ولكنها ، بدلاً من هذا ، قد دخلت في لعبهم المقتززة . إنه حينما يستعيد كل شيء ، «لا بد» له ، أن يصدق أن كل شيء . قد حدث ضد رغبتها وإرادتها ، وأنها قد أرغمت على اتيان ما أمته أو غرس في قلبها الخوف من أجل أن تأتيه . وإلا ، فكيف كان من الممكن أن تحط من نفسها وأن تسمح هؤلاء القردة أن يتجسروا جلدًا ؟ كانت هذه صدمة طفلة

ذات تأثير عظيم ، كانت العاطفة الأساسية المصاحبة لها هي الغيرة المتفجرة بالعصب على شقيقته ، التي كانت - أيضاً - هي أمه . وبينما كان يرقد في الفراش في تلك الليلة ، ويزاعجه حول خصر أخته . شعر بقدم تتحرك تحت البطاء ، وترحف لتساق ساقها . ومد هو يده نحو هذه القدم فأحس بها تحاول أن تنسد بين فخذيها . وراح آرثر يركل القدم جنون وهو يصيح : «كفّ عن هذا ! كفّ عن هذا !» واستيقظت ، وأين وقالت : «ماذا حدث ؟» بينما كان الذي استثار غضبه يضع في مسخط : «أها الخشرة الصغيرة ، سوف أخرج تحك من دماغك !» قال آرثر : «إذا فعلت هذا فسوف أخير العمة إليّ بحكاية لعنكم من الأطفال والمرضات .» «لن نجرب على هذا .» ومن الحجرة الأخرى جاءت زجاجة رجل غاضب تقول : «ماذا حدث هناك بحق الحجم ؟» قال آرثر جنون : «سأخبره إذا جاء هنا .» وشعرت بولين بمخطورة الموقف فهدأته وقالت له أن ينام . أما جيم ، الذي أمخفته فكرة الحياة ، فلم يزد حرفاً . ووقد آرثر في مكانه . وظل مستيقظاً نصف الليل . مثلاً كيف يمكن أن يحاول جيم قتله ، وكيف يمكن أن يبدو معه حينما لا يعود داخل دماغه . وطوال أسابيع بعد ذلك ، ظل يشعر بالخوف من جيم ، الذي كان في الحقيقة قد ورت طيبة والده الطبيعية الأساسية ، والذي كان - على كل حال - لا يكاد يشعر بوجود ابن عمه الصغير . ولكن ، حتى بعد أن احتسى الخوف ، فقد خلف وراءه بقية أثر من الكراهية والقلق . سرعان ما يتكيف الأطفال . فهي خلال شهور قليلة ، كان قد اعتاد بصورة أساسية على بيئته الجديدة . (وتقدمه السريع في القراءة في المدرسة دليل على هذا ، فالأطفال المضطربون عاطفياً يميلون إلى التحلف العقل) .

ولكن شيئاً ما كان قد كمن في داخله واستقر ، لقد كفف عن أن يكون ذلك  
الغبي الصغير الحساس السهل المكسر الذي تبرز أعصابه خارج جلده . كانوا  
قد سرفخوا منه حب شقيقته ، وكان هذا حزناً ألبناً وألمياً لا شفاء منه .

وسرعان ما استقرت بولين في وورينجتون ، رغم أن موت أبيها كان  
بالنسبة لها صدمة عاطفية أصحح مما كان بالنسبة لآرثر . كانت تتمتع بذلك  
النوع من المزاج النفسي الهادئ الرصين الذي يستطيع أن يصد لأي شيء .  
وكانت أيضاً من النوع الذي لا يخشى اللعب بالنار . ولقد أخبرني فيما بعد  
بأنها قبل أن تفقد عذريتها على يدي العم بذلك ، كانت تسمح لنفسها بأن تلقى  
لقاء عارضاً بأحد الجنود ، وقد سارت مع هذا الجندي على طول صفة القتال ،  
رغم أن فتاة كانت قد وجدت مخلوقة هناك قبل ذلك بأسبوع . وقد سمحت  
له بأن يقبلها ، وأن يعبت بنهديها ، ولم تعرض أي اعتراض حدي حينما  
سكنت بيده إلى ما تحت ملابسها الداخلية . ولحسن الحظ لم يكن  
هذا الجندي من النوع المريض بداء الاعتصاب ، فحينما أخبرته بأنها علماء  
الجنسي بالاتحكاك بقصدتها حتى أشبع جوعه ، وقد أخبرني بولين بكل ذلك  
بصراحة الحالية من الحجل في زيارتي الثانية لها في «ستوكبورت» . وقد  
حظرت لي في ذلك اليوم أنها أكثر من قابلتهن من النساء حذرة بالاعجاب ،  
لأنها كانت أكثرهن تميزاً . كانت تضحك في الجنس على اللوام بأعدادها نوعاً  
من الفكاهة أو المرح ، ومع هذا فقد كانت تتمتع بقوة شخصية أساسية تمنعها  
من الانسياق والتحول إلى المومس المجردة . وسرعان ما أقنعتها أبناء عمها  
بمخاضتهم ، وكانت هي لينة العريكة ولم تر سبباً لمعها من ذلك . وقد اكتشفت  
أن تلك الألعاب تتمتع نوعاً من الاستثارة التي يمكن أن تهدئها أصابع جيم .  
وقد كان يوسعها أن تنتج التأثير ذاته بنفسها ، ولكنها كانت بشكل ما شغوبية  
ودية ومفتوحة بصورة تجعلها ضد العادة السرية . لقد فضلت أصابع رجل  
حشة وقوية . كانت في ذلك الوقت في الحادية عشرة من عمرها ، وقد  
استدارت أردافها ، وعمانهاها ، فإذا راق غامسي من الصياك - فكرت

شكل أوتوماتيكي في مقدار ما يمكن أن تشعر به من متعة لو أنها رفدت إلى  
جوارحه وشمرت بيده وهي تتحسس طريقها تحت ثوبها ودالليل وبالذات اللذات  
حول ساقها . ومن المضحك تماماً أن فكرة الجماع الجنسي الحقيقي لم تدخل  
رأسها أبداً ، فقد كانت تقترض أنها عملية لا بد أن تكون لا يستمد منها  
المتعة سوى الرجل وحده .

من الواضح أنها كانت تتمتع بالكلام معي في صراحة ، وبعدها في موضوعي  
نوعاً من المتجرب الاحتماسي ، التي تستطيع أن تصب أمامه كل الشامل  
المحببة دون أي شعور بالخروج . كان الجنس هو مركز حياتها - موضوعاً  
لاهتمام غير محمود وغير نهائي ، وكان من الممكن أن تتمتع بكثافة دائرية  
معارف في عشرة مجالات عن كل جوانبه . وحينما أريدت ملاحظتي فاللحظة  
إلدا من اللعش أنها لم تفقد عذريتها قبل ذلك ، وفضحت لي أنها كانت قد  
طورت طريقة يدوية كانت تستطيع عن طريقها أن تدفع الرميل إلى الوراء  
قرونه سواء كان يريد هذا أم لا ، في نصف دقيقة ..

يؤدي كل هذا إلى إمكان فهم الشيء دفع آرثر لينجارد إلى التطلع  
في الطريق الذي تطور فيه . لقد كان مطوراً على ذاته ، متجهماً مكتسباً ،  
وأكثر مهارة من أبناء عمه (أو من شقيقته) . وكان بشكل طبعي ، وحكيم  
تكونه المراهجي ميلاً إلى كسب مشاهره ، ولما كان قد احترف أبناء عمه ، وول  
أساس ذلك ، اعترف برفقهم الجنسية الصريحة . فقد تأكدت منها إلى  
الاستحمام والطرف في كسب مشاهره ورغباته . لقد أحب شقيقته إلى درجة  
العادة - وظلت بالنسبة له تحسداً لشخص الأم ، ومع نمو أعضاء جسمها  
الأنثوية ، صمد هذا أردافها ، ترائدت والآلة تلك الحالة وشعر بها ، وأنى  
أو كانت فداً تأت إلى السحبي الكروي في معتبرها العائدية . فقد كان هو سرفواً  
أن يعبر ما حدث ، ولكن إلى شيء كان واضحاً أمامه أبداً . تلك الأولاد  
في المدرسة يتوسلوا ، يا والدي - هي - إلى ذلك النوع الدائم منهم ، والآن  
هي على استعدادها تماماً أن تذهب إلى النسل مع كل من هو ليس معقولاً من

فئة النساء التسعة . وقد حدث ذات ليلة كانت قد عادت فيها متأخرة ،  
أن هبط آرثر إلى المطبخ لكي يشرب ، فوجدها تحاول أن تربط حزام جونتونا  
بسرعة ، ولم يكن هو بحاجة إلى أن يسألها عما كانت تفعله . ولقد اتضح بأنه  
قد صدم بسبب لآخلاقيتها ، ولكن من المحتمل أن تكون عاطفته أقل تحريداً  
من ذلك .

كان هذا مجرداً محبطاً مؤدياً إلى خيبة الأمل ، وقد وجد سطحه التعبير  
عنه في السرعة وفي تحطيم الأشياء . لقد بدأ في السرعة بانتظام منذ سن السادسة  
— ودون هدف تماماً — حتى لقد اقترح أحد المشرفين الاجتماعيين أنه يجب  
أن يقابل طبيياً نفسياً . وسوء الحظ أهملت تلك الفكرة وتم نسيانها ، وكان  
من الممكن أن توفر قفراً كبيراً من المشاكل . ولقد قال المشرف الاجتماعي  
لعمه ديك لينجارد : « يمر كل الأطفال بمرحلة من التمرد في سن السادسة أو  
السابعة ، ولكنهم سرعان ما يتجاوزونها . » وفي الحقيقة ، لقد بدأ أن آرثر  
لينجارد قد شرع يتجاوز هذه المرحلة في سنه الثامنة ، حينما تعلم القراءة .

\*\*\*

سألت آرثر ، سؤالاً روتينياً ، عن أول كتاب قرأه ؟ فأجابني :

« طرزان ، والمجلد السنوي لمجلة « باناش » . »

« أخبرني عما كان في المجلد السنوي لمجلة « باناش » . »

هو كصفه وقال : « لا شيء . يمكن أن أخبرك به . لقد ذهبت ذات يوم  
مع العمه إلزي إلى سوق المزايدات الرخيصة ، فأعطيني إياه سيدة كانت هناك . »  
ولكنني شعرت يجب استطلاع سبب ما . فان المجلد السنوي لمجلة  
« باناش » يعد شيئاً غريباً إذا أعطى لصبي في الثامنة من عمره لكي يقرأه .  
وحيثما ذهبت إلى « ستوكبورت » في المرة التالية لكي أرى بولين ، سألتها  
إن كانت تذكر المجلد السنوي لمجلة « باناش » . فقالت :

« أوه ، أجل . ما زلت أحفظ به . »

وذهبت إلى أحد الصناديق ، وأخرجت منه مجلداً ضخماً بلون الزيتون

الأخضر : « مجلد « باناش » السنوي - ١٩٣٢ . »

« لذا تعتقد أن آرثر كان يستمتع بقراءة هذا ؟ »

« أوه ، إنه لم يكن يقرأه . إنما كان ينظر إلى الصور . »

ونظرت إلى الصور . فلم أفهم شيئاً : كانت رسوماً لشباب يرتدون  
ملابس الخوفاط ، يلعبون بأشياء مختلفة داخل السيارات الرياضية أو يطلعون  
طعام العشاء في أحد النوادي . كان هناك تعليق — مثلاً — تحت أحد الرسوم  
يقول : « أنت تعرف يا بنسون ، أن تناول الطعام هكذا وحيداً في النادي  
كثيلاً بأن يدفع الرجل إلى الزواج . فحجب النادل قائلاً : « أجل يا سيدتي ،  
ولكن الزواج يدفع أكثر السادة مثلك إلى النادي مرة أخرى . » أكان هذا  
هو ما يتبر اهتمامه إلى هذا الحد ؟ حياة الطغاة الانجليزية العليا والمتوسطة  
مثلة في صور ؟ سألت بولين إن كان يمكن أن تعبرني هذا المجلد تلك الليلة .  
وأخذته معي إلى المنزل .

كنت قد أخبرت آرثر انه كان في نيتي أن أروي شقيقته . وحينما ذهبت

إليه عصر اليوم التالي أدهشني أن أحدهم مسترخياً في هدوء . أكثر من المعتاد  
سلي :

« هيه . كيف حالها ؟ »

« خير إنها تبعد إليك نحوها . »

« هذا منه الآن ما ؟ تم التفت . ثم قال :

« هل قال : « يا » . »

« أظننت أنه أنها قالت « ذلك » . فصمت متفكراً . هل أتيتك « نعم » . »

سألتني

« هل قال : « أوه » حتى « هذا الشكر » . »

« أهلي . »

« وأواجه مجلة « باناش » السنوي . هيه . هذا « نعم » . قال له كان حتى  
أن أسألني من دور بقية بعد . فوجدت هذا المجلد . والمطهرات النظير إلى



مجموعة من الأوراق أخرحتها من حقيبتي الصغيرة . ومرت عشر دقائق ثم  
قال :

« يا له من مضحك ، هذا الشعور الذي يعيده إلي . »

« ما الذي يعيده إليك ؟ »

« أوه ، كل الأشياء من كل نوع . تعلم القراءة ... »

قلت : « احك لي هذه القصة . »

حينما بدأ يتحدث لم أكن أتوقع أي كشف جديد . ولكن لم تكن قد  
مرت عشر دقائق أو نحوها ، حينما تبين أنه كان يقدم إلي المفتاح المحوري  
لفهم طفولته .

— لم تكن هناك أية كتب في منزل شارع بينكت . ولذلك ، فرغم أنه  
كان قد تعلم مبادئ القراءة حينما كان قد بلغ السادسة أو السابعة ، فإنه لم  
يكن يملك دائماً لنحسين ما تعلمه ولا فرصة لذلك . كان يحب أن ينظر إلى  
الرسوم الفكاهية في الصحف التي اعتاد عمه أن يعود بها أحياناً من العمل ،  
وفي الصفحة الأولى من مجلد « بانث » السوي . كانت هناك صورة لنادل في  
مطعم يقدم « الفاتورة » للزبون . فيقول النادل :

« هل سندفع نحن حساء البطاطس يا سيدي أم حساء الطماطم ؟ »

الزبون : « لا أعرف . كان مذاقها مثل مذاق الصابون . »

النادل : « إذن فقد كان حساء الطماطم . فإن حساء البطاطس طعمه عندنا

كطعم زيت البارافين . »

وقد بدت له هذه الفكاهة أكثر شي . مضحك وآد في حياته ، فسقط على  
أحد المقاعد يكاد يجثني من شدة الضحك . وبعد عدة صفحات ، كانت هناك  
صورة لنادل آخر يقول لسيد محترم وصين عجوز :

« كلا يا سيدي . أنا لم أحملك — كذباً — نحن الكرفس . فأنت قد أكلت

من سيقان الرجس البري . « ومرة ثانية بدت له هذه الفكاهة مضحكة إلى  
درجة لا تصدق . وكان كلما حدث في الصورة ، كلما اكتشف في الفكاهة

جوانب جديدة . فهناك أمام السيد العجوز ، تقوم زهرية حاوية من الرهور ،  
وطبق يشبه الزهرية يحتوي سيقان الكرفس . وكان الكتاب المفتوح على الصفحة  
يعسر السب الذي جعل السيد يعجز عن ملاحظة أنه كان يأكل سيقان الرجس  
الموضوع في الزهرية بدلاً من سيقان الكرفس .

وأقصى آرثر اليوم التالي في غرفة نومه ، ينظر بعناية إلى كل صورة ،  
سائلاً العمة إلزي أن تشرح له الفكاهات التي لا يستطيع أن يفهمها . كان  
معنى التقليد القديم لمجلة « بانث » الذي يؤدي إلى نشر الصور ذات التفاصيل  
الدقيقة والملاحظات الحادة للأحداث الاجتماعية . أنه كان يوسعه أن يتعلم الكثير  
جداً من الأشياء . ببساطة . من خلال التحديق في تلك الصور . وكان الأمر  
كما ظنت . فقد اكتشف علماً بأسره لم يكن قد اكتشفه من قبل . وأصبح  
هذا المجلد السوي هو أمن ممتلكاته . وحينما أخذ ابن عمه ألبرت ذات يوم ،  
أصبح آرثر عبقراً بصورة وحشية إلى درجة أن العم ذلك أملى أوامره يعلم  
تكرار هذا العمل بعد ذلك .

كان ما حلب له في البداية الفكاهات التي تضم أطفالاً في صورها .  
أطفالاً كان من الواضح أن آباءهم من الأثرياء . وقد أطلعني على صورة لفنانة  
صغيرة وتحت الصورة هذا التعليق :

إلزي : « ما هذا يا دادي ؟ »

الأم : « نقرة . »

إلزي : « لماذا ؟ »

ولكن إلزي كانت فتاة جميلة أزيقة الملبس ترتدي قبة متفحة وجوزبين  
مزودين بأغطية للكاحلين . أما أوهها فكان يرتدي حلة من صوف التويد  
الفاخر وقد وضع عصا تحت ابطة وعماله شاربت صغير

سألته . « هل كنت تحسد هؤلاء الأطفال ؟ »

« ليس بالتحديد . »

« إذن . . . إذا . . . »

إسبح . كانوا يعملونني عاجزاً عن التعميم . أنظر ...

وبدا يشير إلى بعض التفاصيل في الرسوم . بقاة الصبي الصغير التلميذ في كتبه إيرون . الظلال المتسميان إلى الطبقة العليا ليعان لعبة . حفلات الشاي . وفي حلبة الصورة دمية كبيرة تمثل خادمة منزلية ودمية أخرى سيارة أليفة . وكانت كئي الأمهات في هذه الصور - في الحقيقة - رشيقات جميلات . وكانت هناك صورة لفتاة صغيرة منتقبة على أريكة وثيرة . قرأ كتاباً . وأنها تجلس بالقرب منها على مقعد من نصفي الخيرة وان تسأل عطفها : « أهذا كتاب لطيف . يا جيني ؟ »

أوه . إنه رائع . ولكن هات حزينة .  
ماذا يحدث ؟

إنها تموت . وعليه هو أن يعود إلى زوجته . وكانت الفتاة ترفد تحت شجرة حوح . وقد أسست ظهرها إلى وسادة وثيرة . وقد رقدت عند قدميها كتبت استكلنتي أصيل . من الواضح أنه كلتها . وإلى جوار مقعد الأم الخاص بالحديقة . كانت هناك مائدة أعيدت لشرب الشاي . وعليها مجموعة من الأقداح المسطحة العريضة - من الواضح أنها صيدا - وضح كبير مملوء بالكمك والشطائر . وفي عمن الخلفية . وراء أريكة الفتاة . يستطيع المرء أن يرى المنزل والزهور غيظ بالباب . ولكنني لاحظت تفصيلاً آخر . كانت حدة الصغرة واقفة وجولتها تحيط بحصنها . وسرولها الداخلي الطويل ياتي كعبد . وقد صمت ركبتيها بقوة . ولكن قسمها كان متباعدين . وقد سقطت مرة الخلاء المترني المضروغ من الفراء والتعليقة إلى جوار قدمها . وحينما فرح أكثر من إبراز الدلالات الاجتماعية للصورة سأله :

أوماذا من أمر الفتاة ؟

سأله من أمرها . ولكن بطوره الخفية الخاطفة إلى . أو أصبحت إلى أنه مهم . كتب أعب . ولم يقل هو شيئاً . وإن كان أخذ يحدق إلى الصورة . قلت صد سمحت . حتى قال . كانت هذه هي صورتني المفضلة .

كانت الصورة لفتاة صغيرة أخرى واقفة على أريكة من نوع آخر . ورأسها في حجر شقيقها الكبرى . تسألنا : « اسمي يا مابل . هل يدعى التبعاء أم بلد . فإفقد صغيرة مثل الأراب ؟ » وكان يوسعي أن أرى لماذا سحر . هذه الصورة . إنها علامات الترف والحياة المرفهة مرة أخرى . أريكة الأريكة المستديرة المطبقة وأرجلها الرشيقة المنحوتة . وكانت الفتاتان حستان . ابتدا فهزت ساق مابل . المشتية إلى الخلف من تحتها . أطويلة حنة الاستدارة . حتى مظهر اليد المتدللة وراه مست الأريكة . تشير إلى عالم ذهبي من الزاه والرشافة . كان وجه الفتاة الكبرى حزيناً بدلاً عن التبتلل الشديد . أريكة الصغرى فكانت وجهها صريحاً وملاهيكياً .

أحك لي عن هذه الصورة .

أعدت أن أحلم لي بقطني نهاية الصائين . وأشترى ياصعه إلى صغرى الصائين وأضاعف قاتلاً . إن اسمها « الحيلياء » (أي ملك منزهة) . وقد سلبت على هذا الاسم من فكاهة أخرى .

أعاد كانت أهدم بقطك ؟

أوه . الأتباء المعادة . كيف أنني شقيقها الذي ففداه مند منه طويلة . إن هذه الحكايات أو أفقد هذه الصغرة من نور هليلج .  
أهل كانت حيلياك من الناحية العسية ؟

أفعل منحة من جرة عند أن يجعلها حنة فامه نولان

والطبع . لقد عدت أن أغير نفسي . أو أني كنت أعلمت عيا وأفواضع (مضعة عند نهاية الأريكة) فكانت يوسعي إلى أري إلى علي . وحين نولان حمر سواها الداخلي . وسجلت . وانين الناس بالفرقة التي كان يادك التلام الأحرار شيء . تعلى أشعر بأن هذه المسألة كانت أثير العسية مما أن . هو أن فمر . صعباً . فله الكر مصر في . بعض التعديل من أسلم عفة . ولفه . فالفهم من العام التاسع من . كان يفتها . والحقاً إنك اللواتي التومع . العسية من أن سحر . إن أفا شيئاً

هذا السحر والحاذية والبهجة . لقد لمس خياله كل شيء فيهن ومن حولهن .  
بل لقد لمس أيضاً مصدرأ أكثر خفاء من مصادر الاحتماد والعنف . لقد  
دفعه وضع القنطرة الرائدة على الأريكة الوثيرة إلى التكبير في بولين وقد فتحت  
ساقها حينما كانوا يلعبون لعبة الأطباء والمرضات . وعندما تحجل - للمرة  
الأولى - نفسه وهو يجذب سراويلها الطويلة . جعله هذا يشعر بالتحجل  
والغثبان . ولكن هذه الفكرة عاودته في كل مرة نظر فيها إلى الصور . كانت  
أحلام يقظته التي يتحجل نفسه فيها وهو ينقذ الشقيقتين من نور هائج أو وهو  
في صورة شقيقتها المفقود من زمن طويل . كانت هذه الأحلام تأتيه بالتبادل  
مع حلم آخر . يرى نفسه فيه قادماً نحوهما فيجدهما نائمتين على الأريكة .  
فيرفع ثيابها بجلد ليعري سيقانها . كان المحتمل أن ترندي الصغرى سروالاً  
داخلياً طويلاً وردي اللون . أما الكبرى فكانت ترندي أشياء صغيرة جداً  
مثل « جين » التي نظهرها في صحيفة « ديلي ميرور » .

شكل غامض . كان آرثر ليتجارد مليكاً أنه يقوم باختيار بين شيتين .  
كان يوسعه إما أن يعلم متيقظاً حليماً بريئاً ومثالياً يؤدي إلى أن يشاركهما حياتها  
المرفقة المرفهة ، وإما أن يسمح لتلقفه العنيف المهلك إلى الأخل والامتلاك .  
يتحجل نفسه وهو يخلع عنهما الثياب . وقد جعلته هذه الخيالات يشعر بالانتم  
والمرارة . ولكنها نقصت نوعاً من القلق الحلو المسم . وقد أعطته أيضاً  
الاحساس بأنه لم يكن يستحق أن يكون جزءاً من عالم الثراء والجمال . ومع  
زيادة هذه المشاعر . أصبحت خيالاته مرتبطة بكيفية الدخول سراً إلى المنازل  
الثرية واغتصاب مايل وأنجيلينا .

كان الاختيار حرجاً . وفي هذا العالم الذي جسده مجلد « بانث » السوي  
والذي يقطفه الأطفال المتأنقون في ثيابهم الجميلة والشبان الذين يحملون العصي  
المزخرفة . لا يفكر الناس في الجنس طول الوقت . ولقد اشتاق هو  
إلى أن يكون جزءاً من هذا العالم . ولم يكن السكان الأحملاف يفكرون في  
الجنس طول الوقت إلا في ذلك العالم الذي تفوح منه روائح الأسماك . هذا

العالم القلور العطن المتجسد في شارع بينكت . ولكنه وهو ينظر إلى تلك  
الصور ، لم يكن يستطيع أن يفكر في غير الجنس . فهو - باديء ذي بديء -  
إنما يتسنى إلى شارع بينكت . وكان مجرد رؤيته لنظافتهم وجمالهم تدفعه إلى  
الانصباب . ولقد كان في نظره هو نفسه ، فاست الطوية فذر العقل إلى درجة  
لا يشاء منها .

سأله فجأة : « متى بدأت السراويل الداخلية تسبب تحيالاتك لأول مرة ؟ »  
جفل وحذق في وجهي قائلاً : « ماذا ؟ » . فظاهرت بعدم الفهم .  
وسأله :

« هل كنت دائماً متهوراً ( فينشيا ) بالملائس الداخلية . أم أن هذه الحالة  
بدأت حينما أعطتك السيدة مجلد « بانث » السوي ؟ »  
هو كضمه حوص على أن يجيب عيني . ثم قال :  
« لا أعرف . أعتقد أنها ربما كانت حالة موجودة على الدوام . ولكنني  
لم أصبح مدركاً بوجودها إلا فيما بعد . »

كان هذا هو المفتاح . المفتاح الذي كنت أنتظر الحصول عليه . إن تومس  
الفيشي السراويل الداخلية كان هو الحيط الذي يربط بين كل نشاطاته  
الاجرامية الأخيرة . وحالما سلم هو - تسليمه بالبدبيبات - بأنني كنت أعرف  
بأمر هذه الحالة ، بدأ يتحدث إلي بمستوى جديد من الصراحة  
سوف يكون من الخطأ الظن بأن التهمة الأساسية لظفولته كانت هي  
الانشغال الدائم بالجنس . ففي محل بالسوق لبيع الكتب - اكتشف قصة  
« طرزان والقرود » ، وشرع في قراءته لأنه كان قد رأى قبلما لطرزان من تحيل  
حويلي ويسولر . وسرعان ما وقع في قبضة عاطفة جديدة لم يكن قد نسي  
من قبل أبداً أن من الممكن أن تكون قصة من القصص واقعية إلى هذا الحد  
أو حداثة . وفي هذه القصة كان يوجد شيء استطاع أن يطاق بينه وبين نفسه  
تماماً . فقد كان هو نفسه « لورد جريستوك » الصغير ، الذي نشأ وسط القرود  
في العادات . واشترى آرثر مزيداً من كتب طرزان من اليهودي السمين الرثار

التي كان يدبر عمل بيع الكعب ، وكان يدفع ثمنها تقوداً يأخذها من حبيبة  
 يد روجة عمه ، أو من جيوب العم . ذلك حينما يكون تملأ . وانتقل من طرزان  
 إلى « أميرة المريح » ، وهي القصة التي غادرته وقد تقطعت أنفاسه مرة أخرى .  
 ثم شرع يقرأ روايات « أ . ميريت » بعد أن غلبت أغلفتها الشهوانية أنظاره ،  
 وقد باعها له صاحب المحل منقطة واحدة : « عبدة القمر » ، « الوحش  
 الملعني » ، « سجنه عشائر » ، « الوجه في الحب » ، ثم الرواية الكلاسيكية  
 « سبعة آثار قدم حتى الشيطان » . وقد كان من الممكن أن تصحح قراءة هذه  
 الروايات لقطعة تحول في حياته . لأن هذا العالم المصنوع من الخيالات المثيرة  
 وقمر له مهبها مما يخاصره رغباً عنه في شارع بينكيث . وكان من الممكن أن  
 يتحول إلى حالم يتجنب العالم الحقيقي . يعبر عن حية أمه . وما أحبط في  
 داخله وما يمور داخله من رغبات عدوانية عن طريق الخيال الذي يحقق فيه  
 رغبته . ولكن القدر تدخل مرة أخرى . فقد قرر عمه أن يتدخل مستنداً إلى  
 مبدأ من مبادئه . فان آرثر كان قد أصبح شديد الهدوء فجأة وبصورة غير  
 متوقعة . ولذلك فإن ذلك لينجارد كان متى أمسك به جالساً يقرأ في غرفة نوم  
 الأطفال . أخذ منه الكتاب وأمره بالخروج للعب . على أساس أن القراءة  
 يمكن أن تدمر عييه . وسرعان ما تعلم آرثر أن يخفي كتاباً في مخزن الفحم ،  
 حتى يستطيع أن يلتقطه وهو في طريق خروجه إلى الفناء الخلفي للمنزل . وقد  
 عثر على مكان هادئ . على صفة القتال . وأقصى فترات بعد الظهر طول  
 الصيف وهو يلتهم روايات ميريت ودوك سميت . كان قد اختار لقطعة تقع  
 بين شجيرة كثيفة وبين أحد الأسوار . بالقرب من أحد الجسور . وفي أول  
 مرة ذهب إلى هناك عصر ذات يوم ، جاء جندي أميركي مصطحباً فتاة من  
 المنطقة . ثم رقدوا في حفرة حيث لم يكن من الممكن رؤيتهما من الطريق  
 الزرودج الذي يمر على طول القتال . وشرعوا في تبادل القبلات . ولم  
 يجرؤ آرثر على التحرك خشية أن يراه الجندي . ولكنهما كانا مشغولين بما هما  
 فيه تماماً . ورأى آرثر بد الفتاة تتحرك نحو بنظرون الجندي . . . وبعد لحظات ،

سحبت الفتاة رأسها . وتبادلت أيديهما بعض القود ثم نهض الاثنان ،  
 وانصرفا في اتجاهين مختلفين . جلس آرثر في مكانه ، مصعوقاً ، كمن ارتج عليه .  
 لم يكن - في كل أحلام بقطعة المنتهية - قد تخيل مثل هذا الموقف . كان هو -  
 في خيالاته - من يقوم بخلع ثياب الفتاة السلبية . ولا يتحدث أبداً أن تنفص  
 الفتاة على أزرار بنظوته . وبدلاً من بشكل ما . أنه تصرف لا حدود لاعتباطه ،  
 أن تفعل فتاة مثل هذه الأشياء للرجل .

احتاج آرثر شخصاً ما ليتحدث معه ، ولكي يخبره بما شاعده . ولكن  
 لم يكن له أي أصدقاء قريبين إلى نفسه . وحيثما عاد إلى البيت ، لم يكن في  
 المنزل سوى آجي . كانت تغسل الصحون . وكان لا بد لآرثر أن يخبر شخصاً  
 ما . فحطم العادة التي تملكته طوال سنوات . ووضع ثقته في آجي . قال :  
 « إيه .. إن تعمي أبداً ما رأيته الآن لتوي عند منحنى الشاطئ . »  
 « قل ما رأيت . »

وأخبرها . ونال ثوابه الذي كان ينتظره على شكل استماع عيبيها دهشة  
 و إعجاباً . وقالت :

« أووه . الشياطين الأقدار . لقد سمعت عن ليز مورجان هذه . ولكن  
 لم أكن أعرف أنها يمكن أن تفعل ذلك ! »  
 كانت آجي تكبره بثلاثة أعوام . وكان على الدوام يتحدثها بحالة من  
 الخادية . ولكن دهشتها كانت أعزافاً بدهته والكنيازاً لها . قال لها :  
 « يجب ألا تقول لي لأخبرين . »  
 « ولم لا ؟ »

« لأن بوسعك أن تراهي على أن تبد وجهي سوف يجيان للعجب .  
 . حينئذ سيكون علينا أن نواجه حبيبه العبير . »  
 وهنا رأيت آجي واجهة فكرته . فحافظت على السر . وكان هذا هو  
 بداية الود الحميم الغريب الذي عما فيما بينهما بعد ذلك  
 لم يكن السر الذي دفع العم ذلك إلى إخراج آرثر من المنزل هو

السبب الذي أخلته : الخوف من أن يعدم آرثر عينيه بالقراءة . فان بولين ، في هذه الفترة ، كانت قد أصبحت عشيقته منذ ما يقرب من ستة شهور ، وكانا يريدان أن يخلو لهما المنزل عصر كل يوم من أيام السبت . وقد أحس آرثر بأن شيئاً ما كان يجري من وراء ظهره ، ولكنه كان يظن أن من يحظى ببهات بولين وعطاياها إنما كان هو جيم ، ابن عمه . أو ربما أحد الأصدقاء الكثيرين من صبيان المدرسة .

وكان ما رآه على ضفة القنال قد أوصله إلى درجة عنيفة من الإدراك الجنسي والشعور بالجنس . كان يعرف الفتاة معرفة بسيطة ، وكانت معروفة في المنطقة باسم « ليز الحرياء » . وإن كتابي الآن لهذا الاسم المستعار تجعلني أعي نقطة لا بد من وضعها في الاعتبار بوضوح . متعلقة بالبيئة التي عاش فيها آرثر لينجارد في طفولته ، وهي نقطة قد نفلت من أيدينا حينما تسرد القصة وسط ركام كثير من مصطلحات علم النفس التحليلي الموضوعي وأساليبه . كان هناك موقف سائد بين الصبيان من زملائه في المدرسة ، كان هو عكس تزم آرثر وتحفظه الأخلاقي العيب ، هذا الموقف نوع من التلذذ بالبذاءة ، والابتهاج بالكلام في موضوعات من الطبيعي أن تحمل المرء يشعر بتعيان خفيف . وقد سأته ذات يوم أن يضع قائمه بالأشياء التي كرهها في طفولته ، وحينما عدت بعد ساعة واحدة ، كان قد كتب اثني عشرة فكاكة قدرة ، والنتيجة السائدة في كل واحدة منها هي أن الجنس كان يعامل بوصفه شيئاً مهيناً بصورة فعلية ، شيئاً يحط من قيمة الإنسان ، مرتبطاً بالغشيان ، وبالبراز ، وبالقاظورات والمزابل ، وأكبر الفكاكات نموذجية من بين ما كتبه . فكاكة تدور حول زوج معلوم الخبرة في شهر العسل ، حينما تلفعه زوجته إلى أن « يأتي شيئاً قديراً » أصابه الاسهال ، فتبرز في الفراش برازاً كالمخاط . وقد تقدم أحد علماء النفس الروس البارزين برأي يقول فيه إن مثل هذه القصص إنما تعبر عن موقف « ثوري » من المجتمع ، وأنها تعبر الرجل الفقير ضد من يقهروته . وأنا أميل إلى الموافقة على أن هذه القصص

تعبر عن نزعة شككية جوهرية . لا تؤدي إلى الشك في المجتمع وحده والاحتجاج عليه ، وإنما تؤدي إلى الشك في الحياة نفسها . إن الملوك والملكات يذهبون إلى الفراش ، ويأتون تقس الأفعال « القدرة » والمقرزة التي يأنها تحار تخمور في بيت من بيوت الدعارة . وعلى ذلك ، فانهم بشكل أساسي ليسوا أفضل من البحار . إن « ليز الحرياء » وهي « تمحص » جندياً أميركياً . لها بساطة الطبيعة الامتامية دون قناع . إن الوفاق الإنساني . ليس سوى وهم من الأوهام .

ولكن آرثر لينجارد كان يتميز باحساس غريزي بالتفوق على بيته ، وقد انغمس الموقف الكامن وراء مثل هذه الحكايات في جلوس احسانه بالاحترام لنفسه . وأثارت فيه رغبة خارقة في الرفض . وقد عجزت هذه الرغبة عن أن تضع في اعتبارها المشاعر التي أثارتها لديه قصص طرز آن وكاتب جون كارتر وأطفال ميريت . ولكن . كانت هذه الأشياء بالطبع مجرد قصص خيالية . أما « ليز الحرياء » فكانت حياة حقيقية ... وربما كانت شقيقته تفعل نفس هذا النوع من الأشياء مع أصدقائها الحيات الطويلة . لقد كانت بيته مثلهم تماماً ، رديئة بقدر رذامهم . وقد أثبت ما بدا على آجي من رعب غير . صدق أنها كانت تتخذ الموقف الصحيح إزاء كل هذا . ولكن رغم هذا . فان آجي . كانت أقل حاذية من بولين بكثير .

في تلك الليلة . استيقظ آرثر من أحلام حقيقة مفزعة . كان يرقد الآن على حافة الفراش . بعد بولير . أما ماجي وألبرت فكانا يتامان على الطرف الآخر . وكان العم ذلك قد تقل بيد ليام على سرير من أسرة المستكرات نصب في الطابق السفلي . ونقل جيم إلى سرير آخر مشابه في الحجارة الأخرى . ورفد آرثر في الفراش مستيقظاً . ثم فأدب عواطف متصارعة . شعور القهر والقلق . الاستمراء والارعة . كانت بولين تنام مولية بإياه ظهرها . ووضع هو يراعه . ولما . وبدأ بالمشي . وبعد لحظة . غدقت نسي . ما . واستدارت لتنام . على ما لها . كانت ترتدي فستاناً غامراً . ولما أن انتقل

تبد وجيم للنوم في مكان آخر ، كانت قد أفلعت عن ارتداء سروالها الطويل أثناء النوم . ولما كان حصرها عارياً ، فقد أدرك آرثر أن قميص نومها قد اتخذ طريقه منزلقاً فوق جسدها . أخافته الفكرة وأثارت قلقه ، وغثت معدته ... وترك إحدى يديه تتحرك ، كما لو كانت تتحرك دون إرادة منه ، لكي تستقر على فخذها . وفي نفس الوقت تحركت يدها حتى وصلت إلى فخذها ، ولمسه . وقد قال لي إن نتيجة هذا ، كانت أقوى عاطفة غلابة في سيطرتها كان قد عرفها حتى ذلك الحين . لم تكن هذه الحركة بالنسبة له نوعاً من التقدم الجنسي بل كانت إشارة إلى التعاطف وعلامة على القول صدرت من تحبب الأم التي كانت قد رفضت من قبل . لقد ابتعدت الآن عن الذكور الآخرين ، واستدارت إليه . كانت عاطفته الآن من القوة بحيث أنه أراد أن يعضر ياكياً . ورفد هو في مكانه ساكناً لمدة طويلة في حالة نشوة كاملة ، لا يكاد يجرؤ على التنفس حتى لا تصحو . لم تطلأ على ذهنه أية فكرة عن إمكانية أن يرد على ملامقتها ، فقد بدا له هذا عملاً خالياً من التهذيب . ورفد في مكانه ساكناً لمدة طويلة ، ينتص بانتظام . وبعد قليل ، استيقظت من نومها - نصف استيقاظ محجب - وتبينت ما كانت تقوم به . فأدارت إليه ظهرها مرة أخرى . ولكن هذا لم يبهه . كان الشيء الوحيد الذي أزعجه حينذاك هو كيفية مواجهته لها في الصباح . ولكن كان من الواضح أنها قد نسبت ما حدث ، ولم تكذب نظراً إليه بينما كانت ترتدي ملابسها ، وهي تئن فوق الأرضية الباردة .

كانت هاتان الحادثتان ، اللتان حدثتا في غضون بضع ساعات - المشهد الذي رآه على ضفة القنال ، ثم الملاحظة في القرائن - كأننا الحظ القائل بين طفيفة آرثر إيجارد وراهقته . حقاً إنه لم يكن قد جاوز العاشرة من عمره . ولكنه لأعراض عملية ، لم يعد طفلاً ، أو أنه قد كف عن أن يكون طفلاً بعد . لقد أصبح تعلقه المرصبي بيولين تعلقاً حسيماً بالتحديد . وقد عني هذا ، بتدوره ، أن موقفه تجاه ما كان قد رآه على ضفة القنال لم يعد موقف الرقص ، فقد

أصبح يوسع أن يعترف بوضوح بمخافته . فلو أن العم ذلك لم يعرجه من المزار . عصر يوم السبت ذلك من شهر يونيو عام 1943 . فرعما كان تطوراً ، قد المذا سبباً مختلفاً كل الاختلاف . لقد كان حديراً بأن يورغل في اتصاله داخل عالم خيالات ، ما تبين ، واستمر على رفضه لكل أفكار التسق بشقيقته . كان حديراً بأن يظل قائماً في عالم الأحلام حيث يصبح هو الكاتب جون كارل ، بقائل المحاررين القادمين من المريخ . وحيث لا مكان لأفكاره عن المشاطات بواجب الحسية .

ولكن علة الخيال لم يفظح - بالطبع - شيئاً من صحراء ولا من جاريته . وظلت « أميرة المريخ » نموذجاً أمامياً خياله : فقد كانت أحلام يفظح لها دائماً بالاستيقاظ فيجد نفسه فوق السرير المصنوع من الخشائش الصفراء الشبيهة بالطحالب ، والذي تمتد مسافة أميال عديدة . وشس ، ومارلين ، والذائفة تسطيع فوق جسده العربي كانت الفكرة قد تطلعت كل مسامحة . أن يستيقظ فيجد نفسه راقداً في خلاء جويته ، مختلف عن الأرض اختلافاً كاملاً - بحارة العربة - ومقلة العربة . وعجايبه العربة - وأكلها بعدة عدداً لهاياتها من ووريجون .

وأشرف آرثر ، حيث كان شيئاً جداً لا يمكن تحده . فالتعام الخيال قد فاده مهوت ، إذ لم يفتنه ، فمتسلعاً إلى قد أرسج القمص والأكواب آرثر إيجارد ، والعملة من الذهب . وهذا لا يكون إلا سادسها الثالث حتى في التعامل الذي كانه أدمعاً ، والتمويل كان في نفس . وتمام الأبطال من الروح - كجسده مراكه فاده ، كسباً أقدماً من القمص اللاتسي ، فطاه إلى صمغ على جسده القوي . فماتت فريديان إلى الصغار التي يمر في الخلاء . وأصبح منه بالحسن . وأرأى فاج فقد دون ، فطلاً من أرثر ، أو أن مشقوده فوريته مشقوداً . فوجع حلاله تحت الصغار التي كانت مشاطة في ، فخلقت جواهر الحس . فاحسبه بأن الخيال ، فاد ، كالمذبح المشقود في أرثر ، فاندأ من المشاطة . المشقود إلى فسخ العقل ، فذلك ، فاد ، وأثناء مزاجه لمي .

جذب ينطلونه إلى أسفل ، فوجد أن الهواء البارد وإحساسه به على جسده العاري قد زاد من استثارته . لم يكن قد وصل - حتى ذلك الحين - إلى مرحلة العبت بأعضائه التناسلية ؛ فقد كان ما يزال يشعر بشيء من التألم لزاء هذا ؛ وكان هذا هو أحد الأعمال التي يمارسها الصبيان « القذرون » في المدرسة . وكان يكفي بأن يرقد على بطنه ، وبضغط بأعضائه التناسلية على الأرض ويحرك ردفه .

ولكنه ظل حذراً فيما يتعلق ببولين نفسها ، كان خائفاً من أن تكشف أعماله - فقد كان يخافه شعوره بأنه لا بد أن يخمن كل الناس ما كان يفعل - ولذلك فإنه لم يحاول أن يتقدم بأي شكل في مجاورته لها على الفراش . ولكن استثارته الجنسية تجددت حينما اشترى العم ذلك لبولين وأجى أول « طقم » من الملابس الداخلية النسائية ؛ حمالة الصدر والسروال الداخلي الصغير . ولا شك أن آجي كانت موضوعاً لبعض الشكوك الغامضة ، ولكن صدرها كان مسطحاً تماماً . ( أما ماجي التحية الحظ فقد ماتت بتوبة ربو مزمنة في شتاء عام ١٩٤٩ ، وكانت تشكر من عدد متنوع من الأمراض منذ طفولتها ) . وكان آرثر ، في غمار نشاطاته الواسعة الطاق ، قد لاحظ أن نتيجة الجنس يصبح أقوى ما يكون حينما تلخ فناء سروالها الداخلي الطويل . أو حينما تسمح لرجل بأن يخلعه لها ، وقد بدا له هذا المشهد بوصفه مشهداً مثيراً وخالياً من الرقة أو الأدب إلى درجة تفوق بكثير أي مشهد يطلوه . إن السروال الداخلي الطويل المصنوع من نسيج القطن السميك الذي كانت بولين ترتديه منذ أيام اللذباب إلى المدرسة لم يكن يمثل أي أهمية ؛ كان هناك شيء ما في نسيج الحرير أو الريون هو ما يستثيره . وحينما شرعت بولين في ارتداء السراويل الطويلة المصنوعة من الريون - التي كان من الواضح أن العم ذلك يفضلها هو الآخر - فإن شهوة بها - بأخته - أصبح أكثر تحديداً والمجال الجنسي . وكثيراً ما كان يحدث أن يستيقظ في منتصف الليل ، متظاهراً بأنه يريد الهبوط إلى الطابق السفلي لكي يقذف إلى المراحيض . ثم يأخذ سروالها

الداخلي الطويل من فوق المقعد حيث كانت قد تركته بعد خلعهما له . وفي الطابق السفلي كان يرتدي السروال ، ثم يمر بيده فوق معدته وأسفل بطنه ، مستهتماً بإحساس التعممة الذي يطرأ على الجسم تحت ملمس الحرير ...

ولكن بولين لم تكن غائبة عن الوعي كما تصور - فقد ثارت شكوكها حينما حدثت ذات صباح أن وجدت سروالها الداخلي الطويل تحت المقعد بدلاً من أن يكون فوقه . وكان من الواضح أن آرثر قد نام وهو مرتد سروال أخته ولم يستيقظ إلا بعد أن لاح نور الصباح . وقد استطاع أن يخلع السروال وهو في الفراش . ثم ركله بعيداً وقذفه على الأرض ، آملاً ألا تلاحظ النتيجة . وذات ليلة كانت هي ما تزال مستيقظة حينما تنسلل من الفراش ، ويسأ هو في الطابق السفلي قامت لتفحص ملابسها . سألتها عن شعورها حينما اقتعدت سروالها الداخلي بين الملابس فقالت :

« اسمع . لقد أحسست بأن هذا نوع من المجاملة والتقدير لفسمي . إنه تصرف لا يؤدي إلى أي ضرر لي . أليس كذلك ؟ »

وقد حدثت في هذه الفترة تقريباً أن اكتشف أنها كانت نام مع العم ذلك . وكانت بولين قد سردت على هذه الحكاية بالفعل ؛ كيف دخل آرثر إلى المطبخ فوجدتهما في وضع يبعث على الارتباك . وانعد أحدهما عن الآخر على الفور . ولاح عليهما شعور بالأنم لم يخلف في عقله شكاً في صحة الطمأنينة الأولى عن الموقف . وطوال اليومين التاليين ، نحاشى العم ذلك أن ينظر إلى مبيه .

وارتج على آرثر وغيره عن الكلام . كان قد اعتاد على فكرة أن بولين تسمح لأصدقائها من الصبيان بأنواع مختلفة من اللسات ، ولكنه صدم صدمة حقيقة حينما اكتشف أنها تفعل نفس الشيء مع العم ذلك . وقد بلغ به السخط الدرجة أنه صر عن أرقام نفسه على ذكر الواقعة أمامها . ولكن بعد قليل ، استيقظ في الليل لكي يخد يدها فوقه مرة ثانية . بينما هي تسهم وتعدم بكلمات غامضة في نومها . ودفعته فكرة أنها نظمه العم ذلك إلى توبة

عائبة من التهبج العنيف : كان يجلس شيئاً قصد به شخص آخر . كان فخلهاها  
مفرجين وشفاها تحركان حركة خفيفة... وفي الصباح التالي نجما أن ينظر  
أحدهما الى عيني الآخر أثناء ارتدأهما ملابسهما . ومع هذا - فقد بدا  
لآرثر أن الجليد القائم بينهما قد تحطم ... ولكن تفسيره هذا لم يكن  
صحيحاً بشكل كامل . كما عرفت من بولين .

وهناك سبب آخر . مثل آرثر في أن يضعه في اعتباره . فقد كانت بولين  
في الرابعة عشرة من عمرها فحسب : وكان ذلك ليجارد يعرف أنها لو  
أحضعت لفحص طبي جسدي بواسطة جراح تابع للشرطة . لأقصى هو  
السنوات الخمس التالية في السجن . وقد كتفت فكرة أن آرثر قد يذكر للناس  
ما رآه . كلفته أرق ليلتين متواصلتين . وفي اليوم التالي للواقعة التي وصفناها  
مدا قبل سأل بولين :

« هل تكلم معك بشأنها ؟ »  
« كلا . »

« إذن فتحلتي أنت إليه . أنت تعرفين كم يقدرك ويحبك . قولي له إنهم  
سيجعلونك في اصلاحية للنبات لو أنه ذكر هذا الموضوع لأي مخلوق . »  
« على هذا . فعربسا كان آرثر يصفق المصحون ذلك المساء . انفست إليه  
بولين في المطبخ . وأخذت مشقة أخرى . لم يتكلم أحدهما برهة من الوقت .  
ثم قالت له :

« إنك لن تحير أحداً بالأمر . أليس كذلك ؟ »

ولم تكن به حاجة إلى أن يسألها عما تقصده . هن كصيه وقال : « أظنني  
إن آخر أحدنا . » فمرت هي بيدها فوق شعره . وهي علامة حب كانت  
مهددة بينهما منذ الطفولة . وقالت له :

« أنت ذاك طيب . »

سألها البنت التي كان عائقاً بينها منذ أيام

« ولكنني لم أكن ... »

استمت وقالت :

« أوه . كلا . ليس عجوزاً . »

وفينا بعد ذلك المساء . تبعها العم ذبلك إلى الخارج حياها حياها لكر  
تجمع الملابس المعسولة المعقدة على أحد الجبال . حياها :  
« ماذا قال ؟ »

« أظن أن الأمر سيكون على ما يرام . »

« هل وعد بذلك ؟ »

« حسناً . لا . ليس بالتحديد . »

« حسناً . حاولي وأجعليه بعد بذلك كوني لطيفة . »

وقد فسرث بولين تلك العبارة الأخيرة فظن بقيتها الخاصة . وقد حصلت  
ألا على بقية القصة من آرثر .

لم تكن هذه الشجيرة نائسة لآرثر . مجرد شجرة ممعة . وإنما كانت له  
في صورة تعويض . عويض سنوات اللعانة والرفض لأن قصده شرح  
بينكت . فقد تحولت إليه الأرض الأم مقلدة روحها وعاملته كعاشق حقيقي  
وكانت تشبهه خادعة خادئة هائلة . فتعد لها لو كان طاقوا فوق عمر من الشجيرة  
والغيدوه . ماذا كانت بهمة ما كان العم حدثت بعض . « أخته ؟ » « ماذا كان  
بهمه لو أن كليل . على في الشراخ كالمه يفعل نفس الشيء ٢٠ ألفاً كان طيباً  
وكانت الحياة عليه . وكل شيء . يصبح على حد . « برامج في النهاية إذا أنت  
انطرت غارة الألف . » « ناعاً يبدو . »

« كانت بولين هي الأحمق . » « مرة من تحتها كانت الأثر والله من  
له شو فيه حتى حسناً مع العم ذبلك . »



## الفصل السادس

حينما تحدثت مع بولين حول الواقعة التي وصفتها منذ قليل ، كان من الواضح لي أنها لم تراودها أية فكرة عن أهمية هذه الواقعة في تطور آرثر . لم تكن تلك الواقعة بالنسبة لها سوى إضافة أخرى الى الألعاب الخنسية التي كانت تمثل جزءاً كبيراً من أفكارها بصورة طبيعية . لم تكن واعية بأنها قد خلقت نوعاً من الانهيار الأرضي السيكولوجي عند آرثر . إن كل العقول الانسانية تسير على حبل مشدود بين التناؤل والياس ، الثقة والشك . إن العقل الصحيح ، إذ يقع في شرك ظروف سيئة ، يبحث عامداً عن الأوزان المقابلة التي توازن تمردة ورفضه . وكان آرثر قد عثر على هذه الأوزان في صورة روايات « إدجار رايس بورو » و « اميريت » . وقد شئت ذاته الأخرى « الحشرات على كوكب المريخ يصحبه جون كارتر ، ويوليسيز باكتون ، وجاسون جريديلي ، بينما ظل آرثر لينجارد الذي تعرفه أسرته وأساتذة مدرسته مغروراً في أوجال شارع بينكيت والتجسس على العشاق من وراء الأعضان المشابكة . وقد كان من المحتمل أنه كان في سبيله الى الوصول إلى شخصية منقسمة مثل « والتر ميني » الذي وصفه « تيرير » قانعا بأن يقبل ذاته « الخفية » باعتبارها ذاتاً سيئة الحظ ولا تأثير لها . ولكنني اعتقد أن علاقته الجديدة مع بولين قد غيرت كل هذا وحوته عن مساره .

ولكن ، يدخل هنا عنصر ثالث ، لم يكن حتى ذلك الحين قد لعب دوراً هاماً : وذلك هو تعرضه للاصابة بمرض الصرع . وقد كان هذا موضوعاً وجدته راعياً عن الكلام فيه ، معرضاً عنه الى درجة عميقة . وقد افترضت

أن إغراضه هذا كان بسبب احساسه ببقايا الخجل والشعور بالعار الذي حمله في داخله من أيام المدرسة : إذ لا يمكن أن يكون من الأمور السارة أن يصرخ المرء ثم ينهار في وسط ملعب مزدحم بالزملاء أو وسط درس للتاريخ ، ثم يستيقظ فيجد نفسه محاملاً بوجودها تعبير يتم عن الفضول المتزجج بالاشمزاز .

حدثت بعد بضعة أيام من مناقشتنا معاً خيالاته المتعلقة بالكائين مارتين إن اشرفت جريديلي اليومية صورة لكوكب المريخ كانت محطة القضاء الروسية قد التقطتها للكوكب الأحمر عن قرب . وأنخذت الجريدة معي لكي أطلع آرثر على الصورة . نظرت إلى الصورة العائمة نظرة عابرة . ثم قرأ العنوان الكبير بسرعة : « الروس يقولون : لا حياة على المريخ » ثم قذف بالجريدة على الأرض في اشمزاز . ثم قال :

« بلهاء . »

سألته : « لماذا ؟ هل تعتقد أن نعمة حياة في المريخ ؟ »

« أنا « أعرف » أن هناك حياة . »

كنت منذ بعض الوقت أتساءل عن مدى السيطرة التي تمارسها عليه خيالاته عن العزاة السود . وكان هذا موضوعاً انفقتنا - بلداقة - على ألا نناقشه . وبدت لي هذه الفرصة مناسبة للاقترب من الموضوع . سألته :

« كيف تعرف ؟ »

« وكان ما وصفه - بطريقة عاقلة واضحة - أشبه بنوع غريب من الحلم أو الرؤيا . »

قال إنه كان جالساً على منصة القتال عصر ذات يوم هادئ . من أيام الست . حينما كان أغلب شأن البلدة قد ذهبوا الى مباراة في كرة القدم . وكان في هذه اللحظة يرسم خريطة لقطاع من منطقة « مارتين في مملكة « جيداك » - فرسم منسلة من البحيرات المرانطة في منطقة جبلية . تربطها بحار لمياه ذات تيار مربع تسير على نهر تحت الأرض . وكان من حين الى حين : يشير إلى

واحدة من روايات مارتين المغلفة بغلاف من الورق المقوى الرخيص والتي كان يجعلها على الدوام في كبس أدواته المدرسية . وفي ذلك الأصل بوجه خاص ، كان يشعر وأحياناً يتوغل من الانغماس التميز في لعبته ، وباحساس بالصمت والتركيز . وفجأة بدأ يشعر بشيء ما . ( سأله أن يكون أكثر تحديداً في وصفه لذلك الشعور : فقال : « إنه شعور برعشة ، والارتخاف » ) . برز من داخله شعور هائل بالرضا . وحينما نظر إلى خريطة مملكة « جيداك » مرة أخرى أحتاجه إحساس غريب بأنه إنما « يتذكر » هذه الخريطة . صدم حينما نيين أن هذا كله لم يكن محض خيال : إنما كان حقيقياً . كان يحس بأن تلالاً سوداء ترتفع من فوقه ، وبمرتفعات صخرية تتخلل التلال ، وعلى سطحها علامات خضراء زجاجية لأشجار كانت أغصانها وأوراقها سوداء كبيرة الحجم . ذات ثمار عظيمة حمراء وقرمزية ؛ وفي الوقت نفسه اشم رائحة الهواء بوضوح ، وكانت رائحة متميزة ولا يمكن إخطؤها ، وسمع صوت المياه المتساقطة . أحتاجه إحساس بالكشف والتعرف . احساس بأنه يقبض على شيء « حقيقي » تماماً . وحينما خبا هذا الإحساس — أو الرؤيا — وتلاشى ، ظل لديه إحساسه بحقيقة ما رآه وشمه وسمع . وبينما كان يسير عائداً إلى شارع بينكيت ، وسط الحشوع التي ترتدي ملابس بألوان وداة فريق نادي « مانشيتر يونايتد » ظل يفكر : « إذن فإن « هذا » ليس حقيقياً على أي حال » . وكان يقصد بكلمة « هذا » الحقيقة الواقعية من حوله .

سأله : « أنت واثق من أن « المربخ » كان هو ما رأيت ؟ »  
 « أوه ، نعم لقد كان المربخ بالفعل »

« ألا يمكن — على سبيل المثال — أن تكون رؤية من نوع ما مرت بك وأنت على وشك الاصابة بنوبة صرع ؟ »

زيجر في وجهي صانحاً : « كلا ! لماذا تريدون أنها الناس أن نعدوا اكلني إلى أسفل . لا لشيء إلا لأنكم تعجزون عن فهمه ؟ »  
 قلت بنواضع : « أنا أسمع . لم أكن أفهم . أنا أحسب رأيتك إلى الأبد .

ولكن يجب أن تعرف أنه من الصعب علي أن أفهم .  
 « أعتقد أنها ... ما زالت ، أنها حن تماماً . »  
 « هل مرت بك هذه الحالة مرة ثانية ؟ »  
 « مرة واحدة ، أو مرتين . »  
 ولكنه كان قد أصبح الآن غير راغب في الكلام عنها .

ضغطت عليه بشأنها فيما بعد ، حينما كان قد نسي رفضه القديم وسخطه . وأصبح من الواضح لي أن هذه « الرؤيا » كانت حدثاً ذا أهمية عظيمة في عامه الحادي عشر . كان تفسيره الخاص هو أن قوة داخلية ما لديه قد استيقظت ، فأعطته فرصة أن يلقى نظرة عن بعد — تليثائية — على كوكب حقيقي . ويؤكد ملوكة التلمي هذا التفسير : لقد استعار كتباً عن النظام الشمسي من المكتبة ، وحرس الكثير من المعلومات عن كوكبي المريخ والزهرة — وقد شعر في البداية بخيبة الأمل حينما تبين أن « المريخ » الحقيقي لا بد أن يكون أكثر برودة بكثير من « المريخ » المذكور في الروايات والقصص . ظالماً أن يفهم عن الشمس يزيد عن بعد الأرض عنها بما يقرب من أربعين مليوناً من الأميال . ثم طرأ له أنه حتى لو كان هذا صحيحاً ، فلبس هناك من سبب يمنع نباتات المريخ وحيواناته قد كيفت أنفسها مع درجة الحرارة المنخفضة هذه حتى تلاامت معها ، تماماً مثلما أنها قد تكون كيفت نفسها مع النفس في جو مختلف . وبهدف أن يضع فرضية بديلة ، كان على استعداد لأن يعرف بأنه من المحتمل ألا تكون رؤياه مرتبطة بكوكب المريخ ، وإنما بكوكب الزهرة . ولكنه على كل حال ، لم تحالج ثقته ليرة شك واحدة في أنه قد رأى ، أو تذكر ، مكاناً حقيقياً .

من وجهة نظري ، تقدم نظرية اصابته بالصرع . أقرب تفسير إلى الحقيقة . وقد حدث بعد عدة أسابيع أن أطلعت على خطابات من خطابات دستوبينسكي يصف فيه أحاسسه قبل اصابته بنوبة الصرع : الاحساس الثقيل بمسحور النفس ، الانقراض ، تناوؤ احساس معاشي . بالسعادة المطلقة والراحة

والتحفظ من كل المصوم ، يحاطه إحساس ببصرة داخلية عارمة . ونهراً أثر الخطاب ، ووافق مستحفظاً على أن تجربته كانت ، في بعض الأحيان ، تشبه هذه التجربة ، ثم غير الموضوع . فتحققت من أنه ما زال ، من المهم له جداً أن يصدق أن «رؤياه» كانت مرتبطة بكونه حقيقي آخر . كان هذا الاعتقاد يعطيه إحساساً بالفرد المتميز ، وبأنه «مصطفى» أو «مختار» على نحو من الأسماء .

وأن أميل أيضاً إلى الاعتقاد بأن علاقته الجديدة ببولين قد لعبت دوراً معيناً في هذه التجربة . لقد تسبب قبولها له بضيان من المتعة والبهجة والتأؤل ، وبفورة من الثقة بالنفس أدت إلى تدعيم خياله ، وتقوية إحساسه بالتماثل الكامل مع أبطال مارتين . وقد اعترف صراحة أيضاً ، بأن نهوسه الحسي ببولين قد أدى به إلى نسبة قدرة غير عادية على التركيز . كان يذهب إلى الفراش أولاً ، ويظل مستيقظاً في انتظارها . وكانت هي دائماً ما تلحج ملابسها بعد أن تظفيء نور المصباح ، ولكن كان هناك غالباً شعاع من النور ، قادم من غرفة النوم في المنزل المقابل ، يجعله قادراً على رؤية جسدها . وكانت دائماً تنرك سروالها الداخلي لكي تخلعه في النهاية ، وداشماً ما أدى خلعهما الفعلي للسروال إلى نفس الرجفة اللذيذة للمرتجة بالإحساس «بعدم الرقة» التي كان يشعر بها حينما يراقب أزواج العشاق على ضفة القناة . وحينما تصعد إلى الفراش ، كان يرفد مستيقظاً ، تتابه أحياناً حالة من الاشتها المكبوت تجعله يشعر بأنه يظفو سائحاً في الهواء ، منتظراً أن يتظم تغسها لكي يدرك أنها قد عرفت في النوم . وحينئذ كان يستطيع أن يزلق خارج الفراش ، وأن يتحسس طريقه حتى تلمس يده نسيج الحرير الصناعي الناعم فوق كومة ملابسها . ولم يكن يجد صعوبة في البقاء مستيقظاً ، قوي التركيز على هدفه . وكان أكثر ما يدهشه ، هو أنه بدلاً من أن يشعر في الصباح التالي بالألم والاجهاد ، كان في العادة يشعر بالنشاط وبأنه مشحون بالطاقة ، فيلاحظ مناظر الشارع وأصواته بإحساس بالانتهاج كان غريباً عليه كل الغرابة . وقد تما لديه اعتقاد بأن أكثر

الناس يتأمون أكثر من اللازم ، وأن الإنسان الذي يحاول حقاً أن يسي ملاقاته وأن يتطورها يستطيع أن يتخل عن هذه القيود وأن يلقبها بعيداً عن نفسه . وقد لاحظت بولين أن شقيقتها قد تمت لديه ثقة جديدة بنفسه . لم يعد يخفي عنيتاً في الأركان والزوايا محلولاً أن يخفي الكتاب الذي يقرأه ، أو أن يبعد عنه بعضية أي شخص يخشك به . وقد ظن العم ذلك أن الوقت الطويل الذي يقضيه خارج المنزل يساعد على تحسين صحته . ومن الصعب أن نتوقع منه أن يضمن أن ابن أخيه الغريب كان ينتجه بالتفريغ إلى الاضائة بعدة النوريمان (عقدة التفوق على الآخرين) ، وأن يزداد إحساساً بالثقة من توقعه الساحق على من يحيط به من الناس . كان آرثر مقتنعاً بأنه — بشكل ما — يعيش في وقت واحد ، عدة أشكال مختلفة من أشكال الوجود . أو شكلين على الأقل : أحدهما على الأرض ، والآخر على المريخ أو على الزهرة . وكانت النظرات السريعة الشبهية بنظرات الرؤيا ، التي يلقبها على الكوكب الآخر تحدث حينما يكون وحيداً في حالة من الهدوء والسكينة تخفق له فليراً حاداً من التركيز ، وأحياناً ما كانت هذه المحظلات تأتي حينما يكون على حافة النوم . لقد قرأ ، وأعاد قراءة رواية «بوروز» ثم رسم خرافة شخصية وأشكالاً بحسبة لتاريخ مارتين .

وقد كان هذا الإحساس الجديد من الثقة بالنفس هو ما دفعه لكي يختار الحدود المؤدية إلى الجريمة الحقيقية : فقد أمده هذا الإحساس بالقوة الاضافية المطلوبة لتحويل الخيال إلى فعل .

كان الصيف الحار لعام ١٩٤٩ قد تحول إلى خريف ممطر ، ولم تعد الفرصة متاحة لآرثر لكي يستمع بوحده المرعة المرحة بأحلام اليقظة مع مارتين . وقد اعترض العم ذلك على مسألة أن يقرأ في حجرة النوم بحسبة أن هذا سيؤدي إلى الاسراف في استهلاك الكهرباء . وكان يذهب من حين إلى حين إلى قاعة القراءة في المكتبة المحلية ، ولكن لم تكن الفرصة متاحة هناك

للاستمتاع بالخصوصية في جو من الوحدة ، وكانت رؤية الفتيات الصغيرات ، في خروجهن ودخولهن تستثير نوعاً من الخيالات الجنسية التي تحطم قوقعة الوهم الرقيقة . وجاء شهر نوفمبر صقيعي البرد كئيباً . وقد حدث في أواخر شهر نوفمبر من عام ١٩٤٩ أن ارتكب أول عملية سطو في حياتي .

كان قد عاد من المدرسة الى البيت لكي يجد المنزل خالياً . وحينما جلس أمام نار المدفأة ، شعر بالتعب ، والنفور من كل شيء والصبر . كانت النار خابية ضعيفة ، ولكنه لم يستطع أن يبدل الجهد المطلوب للالتيان بالمزيد من الفحم - وكان العم ذلك يصير على تزويد كتل الفحم بالسخام المبلول ( تراب الفحم ) حتى تستمر الكتل في الاشتعال طوال النهار ، ووجد نفسه يمشي لو أن الفصل كان صيفاً حتى يتمكن من الخروج للتجسس على ضفة القنال . كان الصبح يبرعه أكثر من أي شيء آخر . لأن الصبح كان يبدو له كنوع من الاستهزاء بما يزعجه نفسه من قوى غير عادبة .

كان أحد أصدقاءه القلائق في المدرسة صديقاً يدعى « دنكان ماكيفور » . كان صديقاً مصاباً بقصر النظر ، وله ذراع ضامرة بفعل إصابة روماتيزمية قديمة . ولكنه كان أيضاً مدمناً على قرارة القصص العظيمة ، وكان يمتلك مجلداً يضم بعض أعمال ميريت كان آرثر يسميه بطريقة الخاصة : « الزحف ، أيها الظل ، الزحف » . وكان هو وآرثر يتبادلان اعارة الروايات الرخيصة ، وأحياناً يتقاضاها . وكان والدها دنكان في حالة مالية أفضل من غالبية أسر بقية زملائه في المدرسة ، وفي الحقيقة كان دنكان قد دخل إحدى المدارس الخاصة لمدة سنة كاملة . وقد تذكر آرثر الآن - في جلسته الصعبة تلك - أن دنكان قال له انه سيذهب إلى السينا في مانشستر بعد الخروج من المدرسة ، لأن أمه كانت ستأخذه بالسيارة إلى هناك لكي تتسوق بعض الحاجيات من السوق . وكان يعرف أن لدنكان شقيقة تدرس في إحدى مدارس السكرتارية وهي في سن تقارب العشرين ، وأن والده غالباً ما يكون خارج المنزل طول الليل . وكان معنى هذا أن هناك فرصة طيبة لأن يكون منزل ريفيه خالياً في هذه

اللحظة . وكان آرثر قد ذهب إلى هناك مع دنكان ذات يوم في عودتهما من المدرسة وقد رآه آرثر وهو يستخرج مفتاحاً للباب الخلفي للمنزل من حجرة صغيرة في جدار السلم الصغير . وكانت هناك خيملة كرز في السناء الخلفي للمنزل ، ذات أعصان متسلقة على تركيبة خشبية مرتفعة ، حتى أنه كان من الصعب أن يرى أحد الجيران في المنازل المجاورة ما يجري في هذا السناء . وكان دنكان قد أخبره بأن لديه صندوقاً للكتب في غرفة لومه ، وأن هذا الصندوق ليس من الصعب العثور عليه .

وكان بدأ آرثر في فحص فكرته ، مستمتعاً بذلك ، شعر بنوع من التهيج الربطي في معدته ، وتذكر أن حكاية صندوق للكتب يمكن أن تكون براهناً يخدم به الآخرين . إذ كان عليه أن يذهب حاملاً أحد الكتب ، زاعماً أنه قد نسي أن دنكان لا بد أن يكون خارج المنزل . كان المسن وشيكاً ، وفرص الامساك به قليلة .

اختفى الصبح على حين فجأة ، وشعر مرة أخرى بالتهيج والتوتر الذي اعتاد أن يشعر به حينما يرقد في الفراش . منتظراً أن تعرق بولين في النوم . كان منزل دنكان على بعد ميلين ، فاستعار آرثر دراجة يملكها جيم ، فوصل إلى هناك بعد عشر دقائق . ترك الدراجة عند طرف الشارع وسار إلى المنزل . لم تكن هناك مصابيح مضادة . صعد الدرجات المؤدية إلى الباب الأمامي ودق الجرس . ولم تأت أبة اجابة . دار حول جانب المنزل - تعقبه حافة السور الخشي - وطرق على الباب الخلفي . عالج « أمكرة » الباب . فوجدها مغلقة . ذهب إلى الكوة ، فوجد المفتاح معلقاً وراء بابها . كان قلبه الآن يضرب ضربات مؤلمة ، ولكنه شعر باهتمام مبهج هائل وهو يدبر المفتاح في قفل الباب ، ثم وهو يدقعه قائماً إياه .

كانت أرضية المطبخ مفروشة بأبسطة من المشمع الأخضر والأبيض . اعتت نظره . أما الآن . وقد وقف داخل المطبخ ، فقد سحرة كل شيء وحلب له . التلاحة الكهربائية الكثيرة . وفرق المطبخ الضخم ذو اللون

الأبيض اللامع ، وحوض الغسيل المزوج . أغلق الباب وراءه بعناية وهدوء ، ووضع المفتاح في جيبه . فإذا جاء أي شخص إلى المنزل ، كان يوسعه أن يجتبي . ولن يكون ثمة دليل على أنه كان هناك .

خرج من المطبخ إلى البهو . كانت ساعة حائط قديمة تدق دقائقها الرزبية بسلام في الزاوية . كان المكان دافئاً ، وكانت هناك أجهزة التدفئة المائية ظاهرة عند أحد الجدران . استرق النظر من باب مفتوح فرأى حجرة تنظفي الأبسطة أرضيتها ، وفيها « بيانو » ضخم ، ثم دخل الغرفة ونظر من النافذة . كان ضوء النهار ما زال منتشرًا ، ولكن الظلمة كانت تهبط بالتدريج . كانت هناك بعض الصور فوق البيانو ، لدنكان ، ووالديه ، وفاتة شاحبة جميلة ، من الواضح أنها لشقيقة دنكان . ذكرته بأخي .

كان احساسه بكونه داخل منزل غرب . هو أكثر ما عرفه من الأشياء إثارة في حياته ، وكان النهج الجنسي الذي شعر به عارماً . أسكرته الروائح الطيبة ، فظلاء الأثاث نفوح منه رائحة اللافندر ، وكانت هناك بعض المواد المرطبة للجو موضوعة فوق مائدة البهو . وحتى عدم وجود أية رائحة في بعض الحجرات قد أسكره ، وأدهشه كشيء رائع ، بعد الروائح العفنة المنتشرة في شارع بينكيث .

صعد إلى الطابق العلوي قافزاً درجتين في كل خطوة . وعند أعلى السلم كان باب غرفة من غرف النوم مفتوحاً - من الواضح أنها كانت غرفة نوم دنكان ، لأنه كان يستطيع أن يرى صندوق الكتب مفتوحاً وكعوب الكتب الملونة ذات الأغلفة الورقية بادية داخله . فتح باب الغرفة التالية ، فرأى غرفة نوم كبيرة مزدوجة ، كان من الواضح أنها غرفة والذي دنكان . وكان من الواضح أن أحدهم قد نام على الفراش ، ولا شك أن مسز ماكيفر كانت قد أفتت قليلاً قبل أن تخرج لكي تأخذ ابنتها من المدرسة . لم يكن في وسع آرثر ان يصلق عينيه . كان من الواضح ان الملامات مصنوعة من الحرير الأخضر . وكان للحرير معنى جنسي ( فيثيشي ) لديه . وكان الآن نهجاً إلى

درجة أن كان عليه أن يقاوم ما شعر به من إغراء يدفعه إلى أن يخلع ملابسه وأن يصعد إلى الفراش .

خرج من الغرفة ، وفتح باب الغرفة التالية . كانت هذه « حماماً » فرش على أرضيته المشمع الأخضر بلون ماء البحر وتفرح فيه رائحة عطرية . وكانت قطع الصابون وردية وزيتونية ، وقد سره هذا إلى درجة أنه غسل يديه في الحوض بالماء الدافئ . كانوا في شارع بينكيث يستخدون قطعاً ضخمة من الصابون الأخضر ، يقتطعون منها شرائح صغيرة .

قال لي إنه حين بلغ الحمام ، كانت كل محاولة قد اخضت وتلاشى معها نوتره . كانت هناك أمكنة كثيرة في هذا المنزل يمكنه الاختباء فيها إذا دخل أحدهم إلى المنزل ، بل ربما أمكنه أن يظل مختبئاً حتى يتاموا جميعاً ثم ينسلل إلى الخارج . وكان وجود الأبسطة السبكية يؤكد له ان يوسعه أن يتحرك دون أن يصدر عنه أي صوت ودون أن يسمعه أحد . اجلس نظرة إلى سلة لحفظ الملابس المستعملة قبل غسلها لكي يرى إن كانت هناك أية ملابس داخلية نسائية . ولكن لم تكن بالسلة إلا بعض أغطية الفراش .

جفف يديه بعناية في منشفة كانت معلقة في الحمام ، ثم أعادها بعناية إلى نفس الوضع التي كانت عليه فوق قصب معدني دائي . ثم خرج من الحمام لكي يجرب باباً آخر . بدت له الغرفة التالية مخصصة لنوم الصيوف . ذلك أنها رغم الفراش المزوج الذي يحتويه ، لم تكن هناك علامة على وجود من يشغلها ، وكانت أدرج الصوان خالية . ولكن حجرة النوم التالية ، التي نطل على الحديقة الأمامية ، كانت هي حجرة شقيقة دنكان بشكل واضح . مرة أخرى ، كانت الحجرة تضم سريراً مزدوجاً ( وقد دهش آرثر للاسراف الذي يدل عليه تخصيص سرير كبير لشخص واحد ) ومرة أخرى كانت أغطية الفراش من الحرير الأخضر . كان هذا أكثر مما يطيق احتماله . فخلع ملابسه وصعد إلى الفراش . وبينما كان يفعل هذا ، اجتاحه احساس وصفه لي بأنه كان « احساساً رائعاً بالانفصال » . كان هذا هو سريره ، وكانت قد

غادرته منذ ساعات قليلة . وربما كانت تنام عارية وسط ملامات وأغطية من هذا النوع ؛ وإلا فما الغرض من استخدام ملامات وأغطية من الحرير ؟ كان ملمس الفراش بارداً ، فراح يتقلب فوقه ويرتعد كما لو كان قد قفز في ماء بارد . أهاجته فكرة تصويره جلسداً العاري ، فراح يضغط بأردافه وفخذه على النطاء المبرود من تحته . وعلى حين فجأة تماماً ، بلغ ذروة نشوته الجنسية العريفة ، وبغضن القوة والتميز والوضوح ، شعر بشخصيته المستمدة من كابتين مارتين ، وأحس بالسهول الشامعة والجلال الصخرية التي كانت هي بيته الحقيقي . وقد امتزج هذا الشعور بأحاساس اشبه بالملومة بأنه يمارس الحب مع شقيقة (دتكأن التي لم يعرف اسمها) . وقد في مكانه لمدة خمس دقائق بعد أن كانت نشوته قد خبت وتلاشت ؛ شاعراً شعوراً غريباً بالثقة والأمان . دقت ساعة اليهو لكي تعلن الربيع بعد الخامسة . هبط من الفراش في حالة أقرب إلى الدوار ، وارتدى ملابس ، وبمناية فائقة ، أعاد الفراش إلى حالته الأولى ، ففرد الأغطية ونظم الوسائد .

وقد حدث بينما كان يفعل هذا أن سمع المفتاح يدور في الباب الأمامي ، فاجتاحه فجأة برد الخوف . مخرج من حجرة النوم ، وهو يشكر الله لوجود الأبسط التي خفقت صوت خطواته ، ومشي على أطراف أصابعه على طول الممر المواجه للمرفق في الطابق العلوي . سمع صوت اغلاق الباب . ولكن لم يكن يوسعه أن يرى القادم . لم يكن من الممكن أن يكون القادم هو دتكأن وأمه ؛ فانه لم يكن قد سمع صوت السيارة ؛ إلى جانب أن الوقت كان ما يزال ميكراً جداً . وأبياً كان القادم ، فقد كان وحيداً . ولذلك فمن المحتمل أنه كان إما والد دتكأن أو شقيقته . سمع صوت اغلاق باب التلاجة الكهربائية ، ثم قرقرة اللبن وهو يصب من الزجاج في أحد الأكواب . وبعد دقائق قليلة ، سمع همهمة صوت نسائي يتغنى ببعض ألحان من أغنية شائعة تدعى : «خليج جالواي» . شعر بالارتياح ، فلو أن أسوأ ما يمكن من الاحتمالات هو ما سيحدث . فسيكون بإمكانه أن يتعامل مع وفاة

حتى لو كان معنى هذا هو أن يهاجمها .

لم يتحدث شيء في الدقائق الخمس التالية ، وانخفض معدل ضربات قلبه وبدأ يتساءل إن لم يكن من الممكن أن يسير على أطراف أصابعه فيحيط السلم ثم يخرج من الباب الأمامي . فتح باب غرفة النوم المخصصة للضيوف . لكي يوفر لنفسه مكاناً يراجع إليه في حالة الطوارئ ، ثم سار على أطراف أصابعه إلى قمة السلم لكي يقدر الموقف . وكان يوسعه أن يسمع أصوات تحركاتها في حجرة الخلوص . ثم خرجت من الحجرة . وتراجع هو إلى الخلف . عبرت خطواتها اليهو وبدأت في صعود الدرجات . توقع أن تنظر إلى أعلى فراه ، وربما تصرخ . فأسرع إلى الغرفة الحالية وأغلق بابها ورامه بأسرع ما أسعفه جزأته على ذلك . عبرت الباب الذي كان يقف وراءه ، وانجهت إلى حجرتها . سمع صوت مفتاح النور ، فقد كانت الظلمة على وشك أن تظلل كل شيء . - وسمعها وهي تنزل السائر . وبعد ذلك كفت عن الاهتمام بالأصغار إلى ما يصدر عنها من أصوات ، كانت مثابته قد امتلأت بالماء ، وأصبح همه الرئيسي هو كيف يمنع نفسه من أن يفرغها في بنظلوته .

خرجت من حجرتها وانجهت إلى الحمام . سمع صوت فتح الباب والغلاقة ، وكان من الواضح أنها لم تشك في شيء . لأنها كانت ما تزال تتردد ببعض مقاطع من أغنية «خليج جالواي» . وأخيراً ، سمع صوت الغلاق باب الحمام . فشرع بارتياح عظيم . طرأت له فكرة أنها من المحتمل أن تكون الآن تملع ملابسها ، فأسرع بمخرج من الغرفة ، ووضع عينه على ثقب مفتاح باب الحمام . ولكن لم يكن يوسعه أن يرى أي شيء . فقد كانت تدف في مكان بعيد عن مجال الرؤية . عند هذه النقطة ، كان من العقل أن يعادر المنزل ، فإن أي نفس منازل أمر كان حذيراً أن يفعل هذا . ولكن هذه هي القطة التي يختلف فيها آدم إينجارو عن أنه نفس منازل عادي . كان متبهجاً حياً . وشرع يوسع من الأمان والقدرة . فلما أن باب الحمام لم يكن مغلقاً بالمفتاح أو المزلاج من الداخل . فربما حاول أن يهاجم الفتاة في الحمام . وقد ارتبط

صوت تدفق المياه بالداخل في ذهنه بصورة للفناء وهي تدعك شهديها بالصابون ،  
وجعله هذا يشعر كما لو كان حيواناً متوحشاً استبد به الجوع .

دار حول نفسه ، فرأى أن باب حجرة نومها ما يزال موارباً ، وأن  
ملابسها قد وضعت على الفراش . لم يكن قادراً على أن يصدق حسن حفظه ،  
فسار على أصابع قدميه إلى داخل الحجرة . كان قميص نوم وردي - سبق له  
أن رآه ملقى على الفراش - قد اختفى ، وفي مكانه كان هناك ثوب أزرق .  
وقميص داخلي يتدل منه جورب حريري . رفع القميص الداخلي فاستشف  
أن الجورب الآخر كان مشبكاً بفتحة ساق سروال داخلي حريري صغير ،  
وعلى الفور ، فك أزرار بنطلونه ، وراح يضغط السروال على أعضائه المتوترة .  
وتسببت برودة السروال في بلوغه ذروة نشوته بشكل سريع - على الفور  
تقريباً - وبقوة وعنق جعله يشعر بانغراء أن يسئلني على السرير .

وخالماً تلاشت نشوته ، شعر بالرعب . ولم يكن ذلك خوفاً من أن يلقى  
القبض عليه . وإنما خوفاً مما كان قد عمده لئنه عليه : أن يهاجم الفتاة في الحمام .  
أما الآن ، وقد عاد إلى الاسترخاء ، فقد شعر بسخف فكرته . وأراد أن يخرج  
من المنزل ، وأن يتركها لحمامها . ولكنه قبل هذا ، فتح درجاً من أدراج  
الصوان في غرفتها ، وأخذ سروالاً داخلياً بمائل السروال الأول الذي وجده  
على الفراش . ثم عاد إليه فأدخله بعناية في القميص الداخلي ، بل إنه طوى  
الجورب ودسه داخل فتحة ساق السروال ، ثم هبط الدرج ، فرأى أن باب  
حجرة الجلوس كان مفتوحاً والنور الكهربي مضاء . كان هناك مكتب صغير  
في أحد الأركان ، وكان هو يريد تذكراً آخر لزيارته . احتلس نظرة داخل  
المكتب فرأى صندوقاً صغيراً أزرق اللون للبطاقات وضع في حجرة صغيرة  
حفرت في الخشب ، فوضعه في جيبه ، ثم اتجه إلى المطبخ ، وفتح الباب ثم  
أغلقه خلفه وأعاد وضع المفتاح في مكانه . كان الآن أمناً . وحتى لو عاد دنكان  
وأمنه ، فإن في وسعه أن يزعم أنه قد جاء لكي يبدل الكتب . ولذلك فقد سار  
بجسارة حول المنزل حتى خرج إلى البات الأمامي . وحينما بلغ منتصف

طريقه في الشارع ، عبرت به سيارة فتوقفت أمام المنزل الذي غادره انوم ،  
وهبط منها رجل اتجه إلى الباب المزدوج الذي يؤدي إلى مأوى السيارة . كان  
قد سبق والد دنكان إلى الخروج بدقائق قليلة .

شعر بالانصرار شعوراً هائلاً حتى لم تكن به رغبة في العودة إلى المنزل ،  
ولكنه كان من الناحية المحسنية يشعر يرد الفعل . ركب الدراجة حتى ضفة القنال ،  
وجلس في تحته ، رغم أن الظلام كان قد هبط والبرد قد اشتد ، وظل جالساً  
هناك وقد أغمض عينيه ، يحاول أن يعيش التجربة كلها من جديد مرة أخرى ،  
ويبنيما كان يضغط السروال المسروق يرفق على فخذه العازرين ، شعر - على  
حين فجأة - مرة أخرى ، بالثقة واليقين من أنه ينتمي إلى عالم آخر . كوكب  
آخر مختلف .

وقبل أن يعود إلى البيت ، احتقر حفرة في الأرض الرطبة بمطواة كان  
يحملها ، وضع فيها بعناية كنز : السروال المسروق وصندوق البطاقات .  
فتح الصندوق لينظر بسرعة إلى ما بداخله ، فبدا له أنه يحتوي على ميدالية علفت  
بسلسلة ما ، أغلقه ، وجاء بقطعة مسطحة من الحجر غطى بها الحفرة وأمال  
عليها التراب ، ثم عاد إلى البيت . كانت ليلة باردة ساخنة السماء ، وكان  
يشعر بصوت زلزال غريب في أذنيه ( وقد وصف هو هذا الصوت في مرات  
أخرى بأنه : غناء ) ممزج بأحاسيس من السعادة والرحابة . لقد شعر بأنه  
يتصل بقداته الأخرى - عبر ملايين من الأميال تحتل في فضاء بلا نهاية .

لا بد أن أقامع نفسي في هذه النقطة . لكي أقول شيئاً عن وجهة  
نظري الكلية إلى ما كان يسيطر على أرواح ليشارد من أفكار ومشاعر . لقد  
مر في وقت كنت فيه جديراً بأن أحاول تفسير هذه الأفكار والمشاعر المتسلطة  
بشكل كلي على أساس التصور الحسي . الخسوف لعقدة أوديب ، وما إلى  
ذلك . ولكنني - وأنا ركبت في بداية هذا التقرير ، كنت قد وصلت إلى  
القبول المراد ، المنسحب بآراء بعض علماء النفس التي تقول بوجود قوة

ثالثة - وهؤلاء العلماء هم فرانكل وكاروزو وماسلو وكارل روجرز -  
 الذين يعرفون بأن لدى الإنسان ما يمكن أن يدعى باسم « الاحتياجات الغريزية  
 الأسمى ». إن طريقة العمل أو الحركة الأساسية للحياة بالطبع ، هي الانقباض  
 ثم الانفراج ، امتصاص الطاقة ثم بثها ، مثل الشهيق والزفير في التنفس . وهناك  
 دون شك كائنات إنسانية كثيرة ، تستطيع أن تقول عنهم إنهم لا يهتمون كثيراً  
 بما يفعلون طالما أنهم يفعلون شيئاً ما . ولكن أكثر ذوي الحساسية والحكمة  
 من الناس يفضلون القيام بالنشاطات التي « تستحق » القيام بها - أي أنهم  
 يفضلون النشاطات « الخلاقة » بشكل ما . وهذه تمثل حاجة ملحة ، تماثل في  
 قوتها قوة الدافع الجنسي .

فلنطرح القضية بهذا الشكل : إن فرويد وأتباعه يرون المرض العقلي  
 باعتباره نتاجاً للاحباط الذي تسببه البيئة لبعض الاحتياجات الأساسية .  
 والحاجة الجنسية هي الاحتياج الرئيسي بين تلك الاحتياجات . إن الكائن  
 الإنساني الكامل بالصورة المعتادة يجب أن يشبه الآلة الكاملة العادية فطبع  
 - بشكل ما - القوانين الطبيعية التي تحكم وجوده . والأمراض العصابية  
 تنبع من حبات الرمال أو الصدا التي تسلسل إلى الأجهزة الداخلية للآلة . أي  
 أنها تأتي من الخارج . ولكنني أصبحت أرى بوضوح متزايد أن نمط نوعاً  
 آخر من الأمراض العصابية ، يأتي من الداخل . إن الكائن الإنساني يشعر  
 بالحاجة إلى التطور ، إلى التضخم ، وإلى التحقق من امكانياته . « فإذا شئت  
 أمكننا القول بأنه يشعر بالحاجة إلى أن يكون أكثر شياً بالآلة ( أو بالإنسان -  
 وهو نفس الشيء ) . وإذا كان من الصديق أن يوجد في داخل كل رجل سمين  
 رجل آخر نحيف يناضل من أجل الخروج ، كذلك فإن في داخل كل رجل  
 كئيب ملول ، رجلاً آخر ، خلافاً ولامع الذكاء ، يناضل من أجل الخروج .  
 مثل هروج صغير داخل بيضة . أو فراشة داخل شرنقتها . فإذا أحبط الظروف  
 تطوره . فإنه قد يتخذ أشكالاً ومراحل غريبة .

ومن الواضح أن الدوافع الجنسية لدى آرثر لينجارو . قد امتدت دوراً

هاماً في مرضه ، ولكنني أعهد أن هذه الدوافع لم تكن سوى جزء من هذا  
 المرض . بل إنني أعهد أنه لا يمكن أن تفسر ، حتى عيادته أو تهمسه الغيبشي  
 بالسراويل الداخلية ، من خلال الأفكار الفرويدية وحدها ببساطة . وإن  
 وصفه لاتعصامه الكامل في عالم مجلد « بانث » السوي يظهر ذلك بجملة . كان  
 ما أرادته هو وجود أكسبر حرية وثراء . فضلاً عن الشقيقتين اللتين رأى  
 صورتهما في مجلد « بانث » واللتين كانتا جديرتين بأن تستخرجا منه أفضل ما  
 فيه . فحينما أشار إلى صغراهما - تلك التي دعاها باسم « أجلبينا » أي « الملاك  
 الصغير » ، هذا الإسم المشحون بالمعاني الكبيرة - قال إنه لو كان قد استطاع  
 أن يرفع ثوبها فينظر إلى ما تحته . لكان قد رآها مرتدية سروالاً طويلاً من  
 الحرير الأزرق أو الوردي . لماذا ؟ ولم لا تكون هذه السراويل - على سبيل  
 المثال ، من الحرير الأبيض . طالما أن بولين كانت ذات مرة قد ارتدت  
 سروالاً داخلياً طويلاً من هذا اللون كان ملكاً لأمها ؟ أيكون هذا ، ربما ،  
 لأنه قد ربط بين الحرير الأبيض وبين بولين ، وبين لعبة الأطفال والأمراض التي  
 أثارته غضبه إلى حد بعيد ؟ إن الأزرق والوردي هما اللونان اللذان يرتديهما  
 الأطفال الرضع ، ألوان البراعة . والحرير إذا ما قورن بالقطن أو الصوف ،  
 كان ناعماً ، سحياً ، بارداً . بل إن ذكره للسراويل القصيرة التي كانت ترتديها  
 « حين » التي رأت صورتها في جريدة « شيلي هيرور » تبين النقطة نفسها . كان  
 المجلس قد تحول عنده إلى شيء « نقي » وخال من الأذى بارتباطه بالملابس الداخلية  
 المحبلة وبالفتيات المحبيلات . وهذا هو السبب الذي جعل فراغ الانغماس  
 في خيالاته العبيبة قراراً بالغ الأهمية . لقد كان يضع « دوافعه الغريبة »  
 الأسمى « عامداً في موضع غير مؤثر . يجردتها من فعاليتها . مستخدماً حياله  
 لكي يخفف من توتراته العنوانية وعواطفه المدمرة .

كل هذا السبب الذي جعل خيالاته عن كائنات مارتين تزداد حدة  
 وإساعاً . مما يدل أن أفهام علاقة جنسية مع بولين ، بدلاً من أن تحفي هذه  
 المحاللات أو مسج أكثر مصعفاً . لقد كانت ممارسة الجنس مع بولين . يجب



أن يتضح في أذهاننا أن هذه الممارسة لم تبلغ أبداً مرتبة الجماع الفعلي -  
 مصدرها هاماً للراحة والتخفف من جانب واحد ، ولكنها كانت من جانب  
 آخر ، ممتزجة بالاحساس بالأم . لقد لعبا معاً مثل الأطفال الأشتباه . ولقد  
 أخبرتني بولين - بافتقارها المتأد إلى الاحساس بالمرحج - أخبرتني بالتفصيل  
 عما كان من أمر علاقتهما بعد تلك المرة الأولى . لقد أصبح مقبولاً أنه قد نال  
 الاذن بأن يضع يده بين فخذيهما في الفراش ، وكان غالباً ما يفرق في النوم  
 ويده في ذلك الوضع (أهي علامة تلقائية على الرغبة في حمايتها ؟) . ولم  
 تقدم هي من جانبها بأي تقدم نحوه من الناحية الجنسية ، باستثناء ما كان يحدث  
 رغماً عن إرادتها في نومها . وربما كان هذا قد حدث اثني عشرة مرة خلال  
 عمام ١٩٥٠ . ولم يحاول آرثر - في أية مرة - أن يقوم بجماع جنسي .  
 ولقد سألته عن السبب في هذا ، فقال إنه كان يخاف أن يوقظ الشخصيين الآخرين  
 النائمين معهما على سرير واحد . وأنا أعتقد أن السبب كان هو الشعور الداخلي  
 بوجود « تاسو » ، نوع من التحريم المقدس ضد الفسق بالمحارم . كانت  
 بولين تجسداً للشخص الأم ، وكانت تلاطف أعضائه الجنسية كما قد تلاطف  
 شعر طفل رضيع ، وكان هو يلمس أعضائها لأنه كانت تمثل له مصدر الحياة  
 الغامض المبهم . ولكن دوره في علاقته بها لم يكن دور الذكر العلدواني ،  
 وإنما دور الطفل . وكان معنى هذا أيضاً أنه كان من المقدر لموقفه إزاءها أن  
 يزداد غموضاً بالتدريج ، وتعتدلاً وإثارة للشكوك ، كلما تقدمت به السن .  
 كان الطفل آرثر لينجارد يتحول إلى مراهن له أحلامه الخاصة . لم تكن بالنسبة  
 له أمأ مثلت لدهنه مصلواً للحب الذي لا يوضع موضع الشك أو التساؤل .  
 وإنما شقيقة كثيراً ما أنزلت به الأذى وجعلته يشعر بالعباسة . ولقد مثلت  
 خيالاته المرتبطة بالكاتبين مارتنين - إحتياجاته الفريزية الأسمى - أما إحتياجاته  
 الجنسية العادية فقد أصبحت واقعة تحت ضغط نزعة القيتيشية - هوسه بالملابس  
 الداخلية - بصورة متزايدة . كان من المقدر له أن يتعد عنها .

وقد قالت لي بولين إن آرثر كان أكثر نقلاً وهوائية بصورة مطردة

الازدياد في خلال العام التالي . وأن موقفه إزاءها كثيراً ما كان يبدو موقفاً  
 فلماً ومتباعداً غير مستقر . وكان هذا أمراً حتمياً ولا يمكن تجنبه . كان آرثر  
 قد شرع في الاحساس بما يأخذه عليها وما يتفدده فيها . كانت قد سمحت  
 لنفسها بأن تحتصها بيئتها ، وبأن تصيح جزءاً من هذه البيئة . أما هو فكان قد  
 أراد أن يسيطر على تلك البيئة - ولكن ليس بالطريقة الواضحة - أي أن  
 يكسب المال ويصبح شخصاً ناجحاً . كان قد أصيب بأخطر أنواع القبرومات  
 القائلة . ولو أن مدرسيه في المدرسة قد عرفوا بأمر إصابته تلك ، لكانوا قد  
 سحكوا منه . ولكنهم كانوا سيفعون في الخطأ .

وبعد بضعة أيام من حادثة سطوه الأولى . فتح آرثر كتاب « ذكريات  
 شرلوك هولمز » عند القصة المعنونة : « المشكلة الأخيرة » . كان قد قرأ الكثير  
 من أعمال كونالد دويل . وكان قد وجدته مثيرة . ولكنه لم يجد فيه ما كان يند  
 في أعمال بوروز أو ميريت - من سحر أخاذ - واستمر ذلك حتى قرأ وصف  
 هولمز لشخصية « موريارتي » :

« صاح قائلاً : آي . هذا هو العبقري الأول وأعجوبة الخلق ! إن  
 الرجل يسود لندن ويتخلل كل مساهما . ولم يسمع عنه أحد . وهذا هو ما  
 يصعب بمفرده - فوق قمة سامقة في سحلات الجريمة - إنني أقول لك يسا  
 والسيون . بكل حذية ، بأنني إذا استطعت أن أهرم هذا الرجل . إذا  
 استطعت أن أحرر منه المجتمع . فإني سأشعر بأن حياتي العملية قد بلغت  
 سمئها ودرونها .. إن حياته العملية كانت من نوع غير عادي . إنه رجل من  
 أسرة طبية وقد تلقى تايماً ممتازاً . وقد حته الطبيعة موهبة ومفكرة رياضية  
 عارفة . وحينما كان في العام الحادي والعشرين من عمره كتب مقالاً عالج فيه  
 نظرية المعادلات ذات الحددين . وهي مقالة فالت شهرة في كل بلدان أوروبا .  
 وحينما تقدم في العمر . نال مقعد أستاذ الرياضيات في إحدى جامعاتنا  
 الصغرى . وأصبح أمانة مسئول عملي لامع ظاهر أكلت ذي عينين . ولكن  
 الرجل كان يسم بصفتا وراثية من أكثر الصفات شطارة . كانت خاصية

اجرامية تجري في دمه ، وهي الخاصبة التي بدلاً من أن تخفف قدراته العقلية من حدتها أو تعدل مسارها ، زادتها وطورتها بغير حدود .

إنك تعرف يا واطسون أن أحداً لا يعرف المراتب العليا من عالم لندن الاجرامي كما أعرفها أنا . ولعدة سنوات طويلة ماضية ، كتبت شاعراً على اللوام بوجود قوة ما تقف وراء العناصر الشريرة . قوة منظمة بعيدة المثال . تقف منسد الأزل في طريق القانون ، وتحسي بدروعها الأشرار مرتكبي الجرائم ... ولقد حاولت عبر السنين أن أفكّر خلال القناع الذي يخفيها ، وأخيراً جاء الوقت الذي عُرِث فيه على خطي وتبعته ، حتى أوصلي ، بعد ألف احتماة مأكرة ، إلى موريارتي ، الأستاذ السابق للرياضيات الذي يتمتع بالشهرة العريضة والاحترام الوافر .

إنه نابليون الجريمة ، يا واطسون . إنه المنظم وراء نصف البشر ، ووراء كل ما يجهل أصوله من جرائم في هذه المدينة الضخمة . إنه عبقري ، فيلسوف ، مفكر تجريدي ، إنه يمتلك عقلاً من أحسن الأنواع . إنه يجلس ساكناً دون حركة ، مثل عنكبوت قابع في مركز نسيجه ، ولكن لهذا النسيج ألف خيط وخيط ، وهو يعرف جيداً كل ارتعاش تحدث في كل خيط منها ...

كان آرثر لينجارد يقرأ القصة في العرقة الأمامية الباردة ذات يوم مطير في منتصف شهر ديسمبر . وحينما بلغ هذه النقطة ، بدأ يرتجف . وشعر بأن شعره كما لو كان يحاول أن يقف متصباً . وكان ما يصدر عن آجي من أصوات وهي ترفع صحون الإفطار في الحجرة الملاصقة له ، يذكره بأنه لا بد سيستدعي لكي يساعدها في غسل الصحون ، فتسل من الباب الأمامي للمنزل ، وأغلقه خلفه . وهرع إلى ضفة القتال ، ثم دخل إلى مبنى عاز صغير يفوح برائحة البول المتخمر . جلس وسط الزجاجات المحطمة ومواقع الحسل الخلدية المستخدمة ، زافعاً ياقة سترته لكي تغطي أذنيه ، فقرأ بقية القصة : ملتهماً كل كلمة من كلماتها . وحينما انتهى منها ، فهقه ضاحكاً . كان هولمز قد مات . لقد دفع حياته ثمناً لمواجهة العنكبوت العظيم الجالس في مركز نسيج الجريمة في

لندن . وعاد ثانية إلى بداية القصة ، وأعاد قراءته وصف موريارتي حتى حفظه عن ظهر قلب ، ولكنه في ذلك الحين ، كان البرد قد بلغ منه مبلغاً دفعه إلى الخروج لكي يسير على طول ضفة القتال ، عاقداً «كوفيته» ، حول رأسه لكي تمنع عنه التشعيرية القساسة . نظر إلى صفحة الميساء في القنال المعطاة بالفساذورات وفضلات شحم السفن ، وإلى علب الصفيح الصدئة المتناثرة فوق الطريق المزدوج - وإلى الملابس المعسولة القلدة ترفرف على جبالها في الألفية الخلفية الصيقة . لم تعد هذه الأشياء كلها تفيض صدره أو تسب له الضيق . كان نابليون الجريمة يبرد نفسه - كالتعبان - ببطء في داخله ، ناهضاً ، كاشفاً عن هويته للمرة الأولى ، ولم يعد لكل ما يراه الآن أية أهمية . لقد بدا له كثيرٌ غير قابل للتصديق أن يستطيع كاتب مثل كوثان دويل ، أن يقف بهذه الدرجة من الوضوح إلى جانب القانون والنظام ونوقير المجتمع . ثم يكون قادراً على أن يدرك نسبة هذا المجرم العبقري مثل موريارتي ... « ميول وراثية من أكثر الأنواع شيطانية . خاصة اجرامية تجري في دمه ... » فكر في تمأونه على الانتصاب الذاتي مع مراويل بولين الطويلة ، وفي عملية السطو على منزل دنكان ، وفجأة انتصح له الأمر . لقد كان مجرماً بالفطرة . رجل مجرمي في دمه ميم من نوع ما . ولكن ، أكان سأسأ حقا ما يجري في دمه ؟ كان موريارتي يمتلك ذهناً أعظم من كل مواطنيه وأقرانه . ذهناً أعظم من ذهن هولمز بالتأكيد . إن هولمز لم يكتب أبداً أي شيء أكثر من ملاحظة عادية فوق غلبة لغائف فارغة ، ولا أصعب من علامة غامضة ، على رماد السجائر في ملفضة سجائر قفزة . وقد كان باستطاعة موريارتي أن يرى حقيقة المجتمع - حقيقة انه المجتمع قد خلق من أجل حماية الأثرياء واستغلال الفقراء . وان ما يدعى قانوناً للمجتمع إنما هو قانون الغائب ، وقد كان هو إلى جانب الأثرياء . ولم يكن لدى آرثر أي اعتراض على الأثرياء بوصفهم أثرياء . كان يحصل إلى حد كبير الناس الذين يستحقون في الخامسة من مساء كل يوم على العدة ذلك وروحة العمة إلي . ولكنه كان قد تبادل الحديث مع أم دنكان ،

فلم تبد له في صورة نموذج لنوع إنساني أسى من العمة إلزي . ولم يكن الناس من حوله في نظره أفضل من الماشية إلا بقدر قليل ، كانوا جميعاً مغروسين في نفس الوحل ...

أما ما جلب له في شخصية موريارني فهي قدرته على البقاء مجهولاً من كل الناس : « الرجل يغزو لندن ويتخلل كل مسامها ، ولم يسمع باسمه أحد » وكان ولدا عمه ألبرت وتيد قد وقعا في مشاكل مع الشرطة ، تيد بسب سطوه على محل لبيع أجهزة المذياع وسرقة جهاز تسجيل صغير . وألبرت بسب تخريب الممتلكات العامة - تحطيم أحواض الاغتسال في المراحيض العمومية ، وحفر الثقوب في مقاعد الحافلات . إن هذا النوع من الجرائم ، كان نوعاً غيباً يدعو إلى الرثاء .

كان قد أصبح الآن مشعباً بالرطوبة والبرد . ولكنه كان متبهجاً للفرجة أنه لم يشعر بالرغبة في العودة إلى البيت . وقف فوق جسر حديدي ، ومضى يرقب قطرات الماء وهي تصنع دوائر صغيرة على صفحة مياه القناة في سقوطها عليها . كان عليه أن يواجه حقيقة أنه ما يزال أصغر جداً من أن يصبح على القور مثل موريارني . كان هذا شيئاً يكمن في مستقبل شديد البعد . ولكن الوقت لم يكن غير مناسب أبداً لكي يبدأ حملته . إنه ملتزم بأن يترب نفسه بعبء وعناية وحلو . لقد كان مصيره وقدره أن يصبح مجرماً فلذا لا نظير له . فما الذي يميز المجرم اللد عن العاجز العادي ؟ قوة الإرادة وبعد النظر . كان يتمتع بميزة واحدة هائلة فيما يتعلق بالمجتمع : تلك هي ميزة السرية والخفاء . كان مثل الغوريلا . قادراً على أن يضرب حيث لا يتوقع أحد . ثم ينسحب قبل أن يشعر به مخلوق .

ولا شك أن كثيرين ممن يمرون بعامهم الثاني عشر يحملون بأحلام بقفزة مشابهة . ولكن الظروف في حالة آرثر لينجارد ، قد أدت له أن يحقق أحلامه . لقد كان محروماً من الناحية العاطفية ، وكان بكره بيته ، وكان نجياً في عالم من الأحلام . وكان مدركاً بالفعل الحقيقة أنه مختلف عن كل من قابلهم في

حياته ، وأنه يمتلك ذاتين ، إحداهما تعيش على كوكب آخر . إنه لم يكن متشياً إلى « هذا الكوكب » . وقد عرف الآن السب . لقد ولد حاملاً ليول اجرامية وراثية من أكثر الأنواع شيطانية .

إن التجارب الجنسية الأولى لآرثر لينجارد قد انبثت عنه من الطفولة إلى المراهقة بقسوة زادت من حدة المشاكل العاطفية العادية . ومن الممكن التعلب على مثل هذه المشاكل في العادة ، على أساس أن للكائن الإنساني رابطة شخصية قوية واحدة - واحدة على الأقل . فكلما تأكد وضعه بوصفه عضواً متناعماً في أسرة تسودها علاقات دافئة ، كلما زادت سهولة عبوره على حل لمشاكله . ولسوء الحظ ، كانت الرابطة الشخصية الوحيدة لآرثر ، قد شرعت في التخلل بالفعل . كان قد بدأ يرفض بولين . فاتها كانت عشيقته ذلك لينجارد . وكانت قد قبلت الخلفية الاجتماعية التي نبهها وورينجتون ، وسمحت لنفسها بأن تصح جزءاً منساقاً مع هذه الخلفية . وكانت قد بدأت تعمل في سن الخامسة عشرة ، فعملت مساعدة بائع في محل قريب لبيع المسوجات الصوفية . فارتبطت في جولانها الخارجية بمجموعة من الفتيات يضحكن صحكات صارخة مرتفعة ، ويتبادلن أحاديث لا نهاية لها عن « الأولاد » والمطربين الشيعيين ، فرانكي لين ، وفيك ديمون ، وفاشي دومينو . أصحاب أغاني « بسوب » المشهورين . وذات يوم من صيف عام ١٩٥٠ ، أمسك ذلك لينجارد بولين في مدخل المنزل . في حالة جماع جنسي مع أحد أصدقائها القداماء . وكانت آثار ذلك الحادث صاخبة مريرة ، وكان من الممكن سماع كل تفاصيله في كل حجر من حجرات المنزل . كيف كان الشاب - وهو رئيس فرقة كرة القدم في المدرسة - يضع سروالها الصغير في جيبه . عصفت العبرة لديك لينجارد عصفاً جنونياً ، ولكنه لم يسمح لنفسه بأن يظهر غيرته للعبان . وظل يقول : « لم أكن لأهتم لو أنها حاولت أن تكون عشيقة . ولكن ... ولكن أن تفعل ذلك مع رقيب مرتجف الركبتين مستنلة إلى الحدار ... اليس هذا سوى فجارة ، كما لو كانا كليين . » وانتسم آرثر في

سخرية . ولكنه شعر بدفقة حامية من الغيرة سرعان ما تحولت إلى غضب ممتزج بالاشمئزاز . مستندين إلى الحافظ مثل كلين ... وقد هرب الفتى بسر والها في حية . كانت بولين تتحول لكي تصبح عاهرة المحي ...

وقد حدثت مشاجرتها الأولى بعد ذلك بوقت قصير . وكان موضوع المشاجرة هو « جون جورج هاي القاتل الذي كان يستخدم حوضاً مليئاً بالحمض » . الذي نفذ فيه حكم الاعدام في عام ١٩٤٩ . كانت إحدى صحف يوم الأحد قد بدأت في نشر سلسلة من المقالات عن القتل . وبعد أن قرأت بولين المقال المكتوب عن « هاي » قالت إنها لم تستطع أن تفهم السبب الذي يجعل القتل يبدو كما لو كانوا يصبحون بعيدين عن البشر وعن الإنسانية . فقال آرثر إنها إذا كانت نعي بالإنسانية الغياب والتخلف فإنه يظن أنها على صواب . وقال إنه على قدر ما يمكنه أن يرى فإن هاي لم يتصرف إلا بطريقة تم على حسن الذوق والتخطيط السليم . لقد كان يحب الملابس الجميلة والسيارات السريعة . وأنه لم يكن يوسع أن يحصل على تلك الأشياء بالعمل في أحد المصانع . ولذلك فقد قرر أن يتخذ من القتل عملاً له - قتل عدد قليل من أبناء الطبقة المتوسطة الذين لا قيمة لهم على أي حال . واستمر فقال إن القوانين وضعت بهدف حماية الأثرياء وقهر الفقراء . فلماذا لا يتعين على هاي أن يكبل لهم بنفس الكبل وأن يدفع لهم حسابهم بنفس العملة ؟

ووقعت بولين في خطأ رفع حرارة المناقشة وتحويلها عن مسارها عند هذه النقطة . فقالت له إنه أصغر من أن يفهم شيئاً في هذه الأمور . وأنسار هذا غضب آرثر . فأصبحت حججه أكثر جموداً وقطعية فقال لها إذا كانت الحياة مقسمة فلماذا تأكل اللحوم والأسماك ؟ وهل هي نظف حقاً أنه لا غبار على قتل خنزير أو بقرة . وأنه من الشر أن يقتل إنسان أباً كان لا يقل غناء عن الخنزير أو البقرة ؟ فقالت بولين بحرارة إن أعني الناس وأكثرهم بلافة يستطيعون أن يتسمعوا بالشفقة وحسن التقدير . فقال آرثر إنها امرأة نموذجية ، تتأقش مشاعرها وعواطفها بدلاً من الاعتماد على عقلها . وهنا أشارت بولين

إلى قضية « هيث » وسأله كيف يستطيع أن يبرر قتل امرأتين قتلاً سادياً مشعباً بالتلذذ . هل كانتا « تستحقان » ذلك ؟ وهز آرثر كتفيه . وقال إنه لم يقل بأنها كانتا تستحقان القتل . ولكنه يستطيع أن يفهم السبب الذي دفع هيث إلى فعل ما فعل . كانت إحدى الفتيات جميلة . وهناك رجل أرادها واشتهاها . فلماذا ينبغي أن يلعب اللعبة الاجتماعية البلهاء التي تقضي بأن يدعوا إلى الطعام وأن يشترى لها غلب الشيكولاتة وأن يقول لها إنه يحبها ؟ إن الرجال كانوا أساساً مثل الذئاب . إنهم قد يتعمرون فترة بأنهم يحبونها . ولكن ما يزيدونه منها حقاً هو أن يجعلوها تخلع سروالها .

وكان هذا أكثر مما تحمله بولين . لقد أدركت ما كان يرمي إليه . فقالت له إنه خنزير مقرر . وأنه ربما انتهى إلى مثل نهاية هاي وهيث . ثم اندفعت خارجة من المنزل .

وغضب آرثر وملاءة الأمي . فحتى شقيقته كانت تقف ضده . ورأى أن كل النساء متشابهات : ماشية غاطية . وقال لنفسه إنه لن يسمح أبداً بأن تستعيد إحسانهن .

وكنت أنا شغوفاً بأن أكتشف ما حدث في هذا الالتحام . كان آرثر - المتوحد الخالي من الشفقة - قد رأى لنفسه فجأة من خلال عيني شقيقته بولين - باعتبارها شخصاً أصبح مليئاً بالكبرياء . والتعصب والشر . وكانت هذه أزمة من نوع ما . وأزمة خطيرة . النسبة لصبي في الحادية عشرة من عمره سأله عما فعل . وفي البداية قال إنه لا يستطيع أن يتذكر . فسأته :

« هل عرحت ففعلت شيئاً ؟ »

« كلا . »

« هل تموت إلى أحي سخاً عن التعاطف ؟ »

« قال الهجة باعثة اللعنة مشعة تالازدراء . »

« هل أدتتتتتت ؟ »

« أملتتتتتت هذا . »

وقد أثرت الموضوع مرة أخرى في مناسبة تالية ، وفي هذه المرة اعترف بأنه أخذ كتابين من أحب الكتب إلى قلبه : « سبعة خطوات تؤدي إلى الشيطان » و « أميرة المريخ » وخرج إلى غيباه على ضفة القنال - ولبس إلى غيباه المعتاد وراء الشجيرات ، وإنما إلى غيباه أكثر بعداً ، وراح يقرأ بشكل محموم لمدة ثماني ساعات . وفي هذه المناسبة كان الاحساس بالرغبة في الهروب أكثر قوة مما شعر به من قبل ، لقد راح يتخبط بين صحاري المريخ وغاياته ، وراح يحطط المؤامرات ضد كل شيطان مرید . وفي لحظة ما في خلال تلك الساعات الثماني ، قطع الجبل السري الذي كان يربطه ببولين . كان هناك عالم من المغامرة والرحب يمتد إلى ما وراء إدراكها الأنثوي . وأنه لم يلتق أبداً بأي مخلوق كان في وسعه أن يدخل هذا العالم . فالأولاد في المدرسة الذين يقرأون روايات المغامرات هم أيضاً قد ظلوا بعيداً عن ذلك العالم ، إلى جانب أن أكثرهم كانوا ضعفاً خائري العزم . والولد الوحيد الذي كان قد قرأ كل أعمال بوروز - وهو دنكان - كانت عيناه ضعيفتين وفراعه ضامرة مشلولة . كان لآثر رصيد عظيم لأنه لم يكن ضعيفاً فاطر الهمة أو خائر العزم . وهذا هو السبب الذي كان يجعله معجباً بأصدقاء بولين الرياضيين ، بينما كان يمتق غياهم ، فلا القوة وحندها ولا الخيال وحنده يستطيع أن يكون كافياً في حد ذاته . وكان من الضروري أن يمتلك الاثنين : القوة والخيال معاً .

وجعلته القراءة حول موضوع « هاي » يقرر أنه لا بد أن يدرس وسائل مختلف المجرمين . وهكذا راح يمضي أسابيع طويلة في المكتبة المحلية . ليقرا مجلدات كثيرة من سلسلة كتب « المحاكمات البريطانية الشهيرة » . كان يستطيع أن يستعير هذه المجلدات فيحمله إلى البيت . ولكن الأسرة كانت سراها ، الأمر الذي كان سيدهمهم إلى التساؤل عما يدعوه فجأة إلى قراءة قضايا القتل الحقيقية . ولم تكن هذه هي الطريقة الصحيحة التي ينبغي أستاذ في الجريمة للاستعداد لحياته العملية . ولذلك فقد قرأ هذه الكتب على مائدة في المكتبة - فقرأ قضايا هيب . وبرينشارد ، وبورك ، وهير ، ومونسون ،

وراوز وغيرهم . وقد أصبح واقفاً من رايه القائل بأن أكثر المجرمين ليسوا سوى هواة حقيقي غير بارعين . وحتى هاي ، بدواسته دراسة فاحصة . ظهر في صورة الأبله الغر . كانت طريقته ذكية وتبعث على الاهتمام - القتل يهد في الاستيلاء على ممتلكات الضحية . والتخلص من الجسد عن طريق إذابته في الأحماض : وهذه فكرة جديدة بموريارتي . ولكن الرجل نفسه بدأ في صورة الأبله الغر ، مظهره أكبر بكثير من غيره . إلى جانب أن كان من يدعي ملكية ممتلكات ضحية عن طريق تزوير وثائق نقل الملكية ، وإنما يخلق بذلك رابطة تربطه بالضحية ، ويصبح من المقدر أن يلقي عليه القصاص أجلاً أو عاجلاً . لم يكن لدى آرثر أي اعتراض على القتل بهدف النكس . ولكن جرائم هاي ولانديو كانت حقاً غير جديدة بمن يشبه موريارتي العظيم . لقد كانا أشبه بالهواة .

ولم يكن هو يفكر في الجريمة بهدف النكس ، وإنما من أجل الجريمة في ذاتها . كانت مجرد كلمة « جريمة » . تسحره وتحلب له . كانت تشبه كلمة : « سخام » أو « غمط لزج » . وكانت طريقته للتعبير عن رد الفعل ضد هذا المجتمع الغبي الذي كرهه وأبغضه إلى حد بعيد .

وقد استطاع فيما بعد أن يعقلن هذا الاحساس إزاء المجتمع فيحواله إلى نوع من الفلسفة ، وربما كان هذا هو الموضع الملائم لوصف فلسفته . كان قد قرأ كتاباً يدعى : « ما بعد لندن » لكتاب اسمه « رينشارد جيفريز » . يصف فيه تاريخاً مقبلاً يتم فيه تدمير مدينة لندن الصناعية . لكي تحمل محلها الحقول والغابات . وقد كتب آرثر يقول في مذكراته في السجن : « حينما قرأت هذا الكتاب . أصبحت مقتنعاً بأن الحضارة كلها ليست سوى خطأ فادح » . لقد عطلت الحضارة وسع الأرض بالمدن القديمة . فهل يكون من المدعش أن تزايد في المدد أعداد القران ؟ وقد تحولت الأرض بهذا الشكل إلى مستنقع ممتد فائز مليء بالأوساخ . ثم سار كل شيء في طريق خاظم . منذ اختراع الآلة وانتقل الناس الإقامة في المدن . وتزايد عدد السكان . وأصبحت الحياة يوماً من

وقد راق لآرثر لينجارد أن يحلم بالعودة إلى العصور الوسطى - إنجلترا ريفية تتكون من الغابات وعجاري المياه الصافية والقرى الجميلة . وما كان الأمر ليهم أحداً ، إذا كان الناس أغبياء مثل ابن عمه جيم ، وأصدقاء شقيقته بولين ، لأنهم سوف يعيشون حياة صحية بسيطة ، فيلجأون إلى البيوت في الليل بعد عودتهم من الحقول . وكانت نتيجة الحضارة هي جعل الناس الذين لا قيمة لهم أقل قيمة ، يحشونهم وتغذيتهم بالمرفهات والتسالي الرخيصة . وكانت الجريمة ببساطة طريقة للاحتجاج ضد هذه الحضارة البائسة القادرة المرحمة . كان لا بد من وجود عصابات كبيرة من المجرمين - وهذا هو الوضع المثالي - يتقدم عقل فد ، وقد كرسوا أنفسهم تماماً لائقاء حيات الرمال داخل آلة المجتمع . وقد كانت هناك مجموعة كبيرة من المساكن الباذخة تشيد على حافة البلدة ، ودا ، كبيرة للسيتا تشيد ، وحانة تعمر واجهتها الأصواء الملوثة . وفي كل مرة يتجح فيها مشروع مثل هذا تتخذ خطوة أخرى في اتجاه سيادة الحياة في الضواحي الشبيهة بالمدن . وكان حتى الأبله مثل ألبرت قد شعر باحتياج غريزي إلى تحطيم المصابيح الطويلة ذات الأنوار الساقطة ، وحفر الكلمات القلوة على واجهات المساكن الجديدة ، وتزريق مقاعد دار السينما . وذات يوم . سوف يتم تنظيم هذا الاحتجاج الغريزي وقيادته على يد نابليون البحرية العفري . ولا بد حينئذ من تسف مجموعة المساكن بالديناميت في اليوم التالي لاكتمالها . ولا بد من قتل كل من سيكونون في السينما بقنبلة غاز سام حتى تتحول دار السينما إلى متحف لأنواع الرعب والتزعج . ومقدار قليل من سم السيانيد يوضع خلسة في أحد براميل البيرة سيضمن أن تفسس الحانة على الفور . ولا ريب أن كل شيء سيكون يمثل هذه السهولة ....

• • •

في سن الثانية عشرة كان آرثر لينجارد قد أصبح غلاماً يافعاً نجيفاً ، ذا عينين جاحظتين تدلان على اصابته بالغلدة الدرقية ، وبخالة خفية من التهمة

والتلعثم في اللحن . كانت الممارسة المستمرة والمسرفة للعادة السرية قد جعلته شاحياً ، وكانت بشرته دائماً تطفح بكثير من التآليل أو الدعاامل الصغيرة . لم يكن هناك من أحبه حياً كبيراً . وكان مدرسوه في المدرسة يقسرون جهامته وصمته على أنه نوع من الغباء . ولما كان يعيش أكثر ما يعيش في عالم من الخيال ، فإنه لم يتبه إلى المحافظة على نظافته إلا أقل انتباه . وكان دائماً ما تفوح منه رائحة بول عفن ، وحينما يكون وحيداً ، كان من عادته أن يعيث بالله أو فيما بين أصابع قدميه ثم يتشمم أصابعه . وكان يحلم في يقظته بأن يصبح رئيساً لمنظمة إجرامية تختطف أفرادها أجمل فتيات البلدة ، فيأتون بهم إلى حجرته ، ويتركونه لكي يتخلع عنهن ملابسهن ثم يقتصبنه واحدة وراء الأخرى .

كان نومهم بالجرمة يوماً جسياً بشكل أساسي . كانت الجريمة ، مثل الجنس . تتضمن ما هو محرّم ، ولقد تضمنت الاختلاس وأخذ ما ليس له عنة من خلف ظهر الجميع ، وتضمنت القدرة على دخول اماكن لم يكن من المفترض لك أن تدخلها أبداً . وبهذا المعنى تصارعت أسلامه بأن يكون نابليون البحرية مع رغبانه الحقيقية - أن يدخل المنازل . فقد كانت ميوله الحقيقية تتجه نحو السطو على المنازل والاعتصاب .

كيف بدأ موريارتي المستقبل في تدريب نفسه على الجريمة ؟ لقد شعر آرثر بأن جوهر الجريمة هو أن يظل بعيداً عن الأ نظار ، لا يعرفه ولا يكشفه أحد ، وأن يظل يفتقاً يتفحص ما حوله بعناية بحثاً عن الفرص المناسبة . وكان بحاجة إلى عذر مناسب يتعلل به للذهاب إلى المنازل ودق أجراسها . وفي البداية فكر في توزيع الصحف على البيوت . ثم اكتشف أن هذا لن يفي بالعرض الذي يفرضه عليه ، فموزعوا الخرائط من الصبيان يتجهون إلى الأبواب الأمامية فيدفعون الصحيفة من خلال فتحة صندوق الخطابات ، ولكنه حينما رأى إعلاناً في واجهة محرر عمل للثقافة يطلب سبي لتوصيل طلبات الزبائن إلى المنازل ، شعر بأن هذا العمل يعمل المزيد من الفرص . واشتد دهشة آل لينجارد كلهم ، مرفوا أنه قد تسلق الوطيمة .

كان العمل يتضمن ركوب « دراجة حاملة » فيأخذ عليها صناديق البقالة إلى المنزل في المنطقة . كان بطرق الباب الخلفي للمنزل ، ويتناول الثمن ، و « بقشيشاً » ضئيلاً . وفي اليوم الأول لاستلامه العمل ، وجد ورقة كتبت عليها مذكرة وثبتت بدهوس على الباب الخلفي لمنزل أحد الزبائن تقول : « أرجو أن تترك البقالة في المرحاض الخارجي . سوف أدفع الثمن فيما بعد . » وكان في هذا وعد بفرصة مناسبة . فقد كان معنى هذا أنه من المحتمل أن يكون المنزل خالياً - إلا إذا كانت المرأة تظاهرت بأنها بالخارج لكي تتجنب دفع ما عليها . حاول أن يفتح الباب بخنجر . فوجده مغلقاً . ذهب إلى المرحاض حاملاً الصندوق المصنوع من الورق المقوى . وفي منزل آل لينجارد كان مفتاح الباب الخلفي يترك دائماً على رف صغير في المرحاض الخارجي إذا ما كان المنزل خالياً . ولكن لم يكن ثمة مثل هذا الرف في ذلك المرحاض . ولكنه بالبحث الدقيق عثر على مفتاح مدمسوس في شق صغير بين مسد الباب والجدار .

كان يشعر الآن بالأحاساس المألوف - القلب يضرب بعنف . والأحشاء سائبة ، والتوتر الجنسي الذي يجعل أعضائه الجنسية تنبض . ذهب إلى الباب الخلفي ، وهو ما يزال يحمل صندوق البقالة ، لكي يجدهم أياً من الجيران إذا كان أحدهم يرقبه . وضع المفتاح في الباب ، ودخل المنزل . وعلى الفور تقريباً ، صرخ صوت طفل من الطابق العلوي يقول : « أهذا أنت يا ماما ؟ » فانسحب إلى الخلف دون تردد . وأغلق الباب ، وأخذ المفتاح - وصندوق البقالة - إلى المرحاض .

كادت محاولته الثانية في السطو على المنازل فاشلة . ولكنه استمر في البحث عن الفرصة الملائمة . وسرعان ما لاحظ المنازل التي لم يكن لها جيران يطلون عليها ، وسجل ملاحظته في ذهنه لكي يتذكر تلك المنازل باعتبارها موضوعاً لفرض محتملة . ولكن الحظ كان يقف ضده . ففي المناسبات القليلة التي لم يكن يتلقى فيها رداً على طرقاته ، لم يستطع أن يعثر على مفتاح . رغم أنه كان يجد الفرصة للبحث في المرحاض الخارجي . أو في عرك اللحم . أو في

مظلة الخديقة . وفي خلال ستة شهور قضاهما كصبي لنقل الطلبات إلى المنازل في محل البقالة ، لم يتحقق له سوى نجاح واحد في الدخول إلى أحد المنازل . وقد وصف لي هذه المرة في أثناء المرحلة الأخيرة من التحليل ، بعد أن كلف عن محاولة إخفاء الطبيعة الجنسية لدوافعه .

ففي منزل علي بعد شارعين من شارع بيكث ، كانت هناك امرأة شابة متزوجة ذكرته ببولين - ذات صدر ممثلي . وفم عريض سميك الشفتين وشعر أسود . كان لها طفلان ، في السادسة والسابعة من العمر تقريباً ، وزوجها يعمل في البحرية التجارية . وكانت دائماً حفية ودودة ، وتعطيه في كل مرة شيئاً كبقشيش ، أي ما يزيد ستة بنسات عن المعدل العادي .

وفي صباح أحد أيام السبت ، ذهب إلى المستشفى لكي يفتحوا له دمللاً صغيراً قبل أن يبدأ العمل . وفي طريقه إلى الخروج . قابل المرأة المتزوجة داخلية إلى المستشفى مع طفليها . طرأ له ، أنها لا بد ستقضي في المستشفى ما لا يقل عن ساعة - فقد كانت عرقة الانتظار مزدحمة . وملائمة فكرة قدرته على سرقة شيء من ملابسها الداخلية بتهيج محموم . أسرع عائداً إلى المحل ، فوصل إلى هناك ميكراً أكثر من المعتاد . ونظر إلى مذكرة الطلبات ، شعر بخيبة الأمل ، عندما لم يجد اسمها في المذكرة . ثم قال له صاحب المحل : « هناك طلب آخر . » وناوله طلباً مكتوباً على ورقة صغيرة . وكان هذا هو الطلب الذي يبحث عنه . كان المفروض أن يعد الطلبات حسب ما هو مكتوب في المذكرة ويترتب كتابتها ، وبدلاً من هذا أعد الطلب الأخير على الفور . لاحظ صاحب المحل ذلك فسأله :

« ماذا تفعل ؟ »

فأجاب ببراءة : « فكرت في أن أعمل اليوم من الآخر إلى الأول . لمجرد التغيير . »

وقبل الرجل هذا التفسير . ووضع آرثر طليين أو ثلاثة في سلة الدراجة الأمامية . ثم انطلق بها وكان قد انقضى ما يقرب من نصف ساعة منذ رأى

المرأة في المستشفى .

كان الباب الخلفي مغلقاً كما توقع . ولم يسمع إجابة على طرفاته . أخذ مواد البقالة التي يحملها إلى المرحاض الخارجي ، ولكنه فشل في العثور على المفتاح بعد بحث طويل . بعد ذلك ذهب لينظر في خزان الفحم .. وبالصدفة عثر على المفتاح في علبة فارغة من علب المري . وصف آرثر كيف انفجر ضاحكاً وقد غمره الارتياح . فقد كان يخشى أن تكون المرأة قد أخذت معها المفتاح .

عاد بعد ذلك إلى الباب ، ولوَّج فيه المفتاح . أدار المفتاح في الباب ، وفي تلك اللحظة سمع أصوات الأطفال بالخارج ، وأصوات الخطوات في المخلل . أخرج المفتاح ، وحينما فتحت البوابة ودخلت المرأة منها قال على الفور :

« لقد وضعت طلباتك من البقالة نوأ في المرحاض . »

« أوه ، هذا كرم شديد منك . لقد جئت اليوم مبكراً جداً . »

غمغم بيضع كلمات حول أن لديه الكثير من العمل الذي ينبغي القيام به ، وبينما أخذت المرأة تبحث في حقيبتها يدها ، اتجه هو إلى خزان الفحم وألقى المفتاح في العلبة الفارغة وهو يقول : « أوه ، ليس هذا هو باب المرحاض . » ثم دخل إلى الباب التالي وحمل صندوق البقالة . كان قلبه يندق بعنف حتى لقد وجد صعوبة في الاجابة على ابتسامتها وهي تمتحه بالبشيش . وكان من الصعب أن يسيطر على ارتجافه يده .

أمضى فترة الصباح مذهولاً بما حدث ، وأخذ يلعن نفسه وبلغتها . وجعله ابتماه بالسحر الإنتقالي يميل إلى الشك في أنها بشكل ما قد عرفت أنه كان ينوي أن يسطو على مزرعها ، فعادت مسرعة إلى بيتها . وبدلاً له الفشل في صورة علامة على أقوال نجم حظه . وشعر بالغضب وفطور الهمة .

ولكنه بعد الظهر بقليل ، رأى المرأة تتفقد عند محطة انتظار السيارة العامة ، والمظفلان يرتديان ملابس الأحد . وبينما استمر هو في مله لكي يهيء أحد

الطلبات متأملاً في هذه الفرصة الثانية . أسرعت هي نحو المخل ، وطلبت علبة من الشاي من نوع « إيرل جراي » وقالت :

« من حسن الحظ أنني تذكرت الشاي . فأنا أصطحب الطفلين إلى جدتهما حيث سيبقان هذه الليلة . وهي لا تستطيع أن تجد هذا النوع حيث نقيم . »

وفجأة . انفضح له أن الأقدار كانت تفقد إلى جواره رغم كل شيء . كان هناك الكثير من الوقت . فمن المحتمل أنها لن تعود إلى المنزل قبل ساعات . بعد ساعة واحدة . كان قد فرغ من تسليم الطلبات . فخرج عائداً إلى مزرعها . كان هناك عدد قليل من الأطفال يلعبون في الشارع . ولكن أحداً منهم لم ينتبه إليه أقل انتباه . وحينما وصل إلى الباب الخلفي . اكتشف أنه مغلق - فمن الواضح أنها غادرت المنزل من الباب الأمامي . للحظة شعر بالغضب : كانت الأقدار تعيظه من جديد . وحينئذ عادت روح الشر لكي تعيد تأكيد وجودها . لم يكن هناك أحد من حوله . ولم يكن تسلق البوابة الخلفية ليستغرق أكثر من برفة خاطفة . وكان هناك زوجان عجوزان يقيمان في المنزل المجاور - كان قد ذهب إلى هناك أيضاً لتسليم طلبات البقالة - ولم يكونا جنديين بملاحظة أي شيء .

كان يخشى ألا يكون المفتاح في العلبة الفارغة . وإذا كانت قد غادرت المنزل من الباب الأمامي فمن المحتمل أن تكون قد أغلقت الباب الخلفي من الداخل بالمزلاج . ولكن المفتاح كان في مكانه . ذهب إلى الباب الخلفي وحاول أن يولج المفتاح . ولكن كانت ثمة عقبة في طريقه . وفجأة تبين الأمر : إن المفتاح الذي وجده في خزان الفحم كان مفتاحاً أصلياً لظواري . ولكنها كانت قد تركت المفتاح الأصلي في الباب من الداخل . فكانت إذن كل محاولات لدفع المفتاح إلى التفت محاولات غير عديدة . فالمفتاح الموضوع بالداخل ثابت في مكانه .

لكن قاعدة المطبخ معلقة هي الأخرى . ولكن كان يوسعه أن يرى أن



مزلاجها لم يكن مثباً بصورة جيدة . وكان هناك مبنى آخر صغير خلف  
لمرحاض الخارجى . ذهب فظهر داخله فاكشف أنه كان مأوى لندراجة أحد  
الطفلين . وعلى الأرضية كانت هناك أعداد من أحذية الطفلين الموحلة . وإلى  
جوار الأحذية . فوق ورقة منزعة من إحدى الصحف كانت هناك سكين  
من سكانين المطبخ استخدمت في إزاحة الوحل الجاف عن نعال الأحذية .

كان يعرف كيف يفتح مزايح النوافذ عنوة - فقد كان عليه أن يفعل ذلك  
من حين لآخر في شارع بينكيث حين تكون العمة إلزي قد نسيت أن  
ترك المفتاح في المرحاض . انزلق نعل السكين إلى أعلى بين ضلفي النافذة ،  
ثم ضغط على مقبض المزلاج إلى الناحية العكسية . انفتح المزلاج بسهولة ،  
وبعد لحظة كان يقف في المطبخ ، وهو يغلق النافذة من خلفه .

لم يكن هذا المطبخ مثباً مثل المطبخ في منزل آل دلكان ، وإنما كان  
بصورة أساسية شبيهاً بمطبخ منزلهم في شارع بينكيث ، ولكنه كان أكثر  
ترتيباً ونظماً . ولم تكن نفوح منه رائحة الدهن العفن والصراصير المقتولة  
أو المخشبة . كان الأثاث في غرفة الجلوس جديداً ، وكانت هناك قطعة من  
القماش المنسوج من مادة قطيفة وضعت على المائدة .

خلع حذاءه وراح يصعد الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي - فقد كان  
يخشى أن يسمع الجيران صوت خطواته وتحركاته عبر الجدران غير السميكة .  
وكان المنزل من تلك المنازل التي تضم حجرتين للنوم . وكانت الحجرة التي  
تطل على الفناء الخلفي هي حجرة الأطفال بشكل واضح ، فقد كانت هناك دمية  
لديب لطيف ودمية أخرى على شكل عروس صغيرة راقدتين على الفراش .  
أما الحجرة الأخرى فقد كانت حجرتها ، وعلى ظهر أحد المقاعد كان هناك  
قديص ساحلي يلون الخوخ .

حينما بلغ تلك اللحظة كان في حالة تشبه حالة الحصى مرة أخرى كان  
يسبح في غرفة مثل السمكة . وحيداً في منزل أناس آخرين . أمام فراش امرأة  
عربية خداسة . كان هدفة الأول هو درج عنوان ملابسها الصغير الشبه

بالمضتدة . وكان هناك ما كان يرجوه تماماً . كانت المرأة - مثل أكسبر  
الساه الشبابات المتزوجات تهتم اهتماماً بالغاً بشكلها حين تخلع جونتها  
وملابسها الخارجة . كانت هناك سراويل وقمصان داخلية من كل الألوان  
الممكنة . أخذ هو كل ذلك من الدرج واحداً بعد واحد وبسطها على الفراش .  
ثم ذهب لكي يبحث في سلة الثياب المروكمة للغسيل . ( كان يحكي لي كل ذلك  
بعد جلوسه بسبعة عشر عاماً . وكان قادراً على أن يصف لي بالضبط تفاصيل  
حجرة النوم . وألوان السراويل ، وكان قد أغلق عينيه أثناء الكلام . وقد بان  
عليه أنه يرى كل شيء بعين خياله ) . في تلك السلة اكتشف سراويلاً من  
الحرير الأسود ، وقد قلب على ظهره . وحينما رفعه بين أصابعه . تبين أنه  
كان مثبلاً قليلاً . نفوح منه رائحة عضو المرأة التناسلي الذي عرفه من ثياب  
بولين الداخلية . رفعت هذه الرائحة حالة هييجانه إلى ما يشبه الحصى . فوضع  
السراويل على الفراش . وخلع كل ملابسه ورفد فوق السراويل . كانت نشوته  
فورية وعنيفة . وبقدر في مكانه لمدة عشر دقائق أخرى ، واضعاً جسده على  
مقبص داخلي حريري . دالماً أو كالسكران . ثم انقلب على ظهره وهو في  
غيبوبة أشبه بالخلم . كانت السماء خارج الحجرة شديدة الزرقة ، تطرف وسطها  
سحب كالزبد . ترددت في أذنيه صيحات الأطفال - الصادرة من الشارع .  
فشعر بالسلام الشامل والسكينة الكاملة بغيرانه . سعيداً سعادة سامية وطافية .  
لم يكن من المنتظر أن تعود المرأة قبل ساعات . وحتى ذلك الوقت . كانت  
حجرة النوم هذه ملكاً له . تسلل بين الأغطية . وغرق في سبات خفيف .

حينما استيقظ كان خائماً . هبط السلم وهو غار ما يزال - وكانت هذه  
لمسة أخرى من لسات الاعتصام والسطو والابتدال - فذهب إلى صواب  
المطبخ . غرر على بعض اللبن وعلبة من علب الشطائر البخارية . وكانت هذه  
الأخيرة في بطءه دعاً من أنواع الرف - فأنهم في البيت لم يكنوا يتناولون  
مثل هذه الشطائر إلا في عيد الميلاد أو في احتفالاتهم . أبعاد . بلاد أثناء الأسرة .  
أكلت و شرب - ثم أصبح الشغاف يظن مكانها معانة - و صعد إلى الطابق العلوي

عظرت له الآن فكرة أعادت إليه الحمى . كانت تلك الملابس مجرد بديل لها . ولكن ماذا لو استطاع أن يمتلكها هي امتلاكاً فعلياً ؟ إنها ليس من المحتمل أن تعود إلا في وقت متأخر . وحينما تعود ، سوف تنام بالتأكيد . يمكنه إذن أن يتظرها حتى تنام ، ثم يهاجمها . إن ضربة قوية ثقبلة واحدة بمطرقة يمكن أن تقطعها الوعي ، ثم يمكنه بعد ذلك أن يفعل معها ما يشاء ... كانت المشكلة الوحيدة هي أين يجنيء حتى تفرق في النوم . ولكن هذه المشكلة لن تكون من الصعوبة بمكان . كانت هناك حجرة نوم الأطفال ، وليس من المحتمل أن تدخل هذه الحجرة حينما تعود إلى البيت وحيدة ، بعد أن تترك الطفلين عند جدتهما .

كان الوقت يمر بسرعة . قام فأعاد كل الملابس بعناية إلى الدرج ، وقد طواها بشكل أنيق كما كانت . وفي درج سفلي ، عثر على حزمة من أوراق النقد من فئة الجنيه عبأة في قاع الدرج داخل علبة صغيرة من علب أسطوانات الشعر التي تستخدم في التصفيف . أخذ ورقتين وترك الباقي في مكانه . ثم عاد فصعد إلى الفراش ، ووجد هناك وأخذ يربق السماء وهي تصطبغ بحسرة الشفق الوردية بعد أن كانت زرقاء معتمة . هبط السلم بعد أن سادت الظلمة ، ثم خرج إلى الفناء لكي يعيد المفتاح إلى مكانه في العلبة الفارغة في مخزن الفحم . ثم دار في المنزل كله ، من الداخل ، حاملاً مشقة لكي يسمح كل شيء لمسه بيده . مستخدماً مصباحاً أخذه من الدراجة لكي يبين له طريقه . وأخيراً . وحوالي الساعة العاشرة ، دخل حجرة الأطفال . فرقد على بساط صغير فرش على الأرضية . وإلى جواره ، وضع مطرقة كان قد أخذها من مخزن الفحم .

كانت الساعة قد قاوت الواحدة صباحاً حين تبين أنها لم يكن في بيتها أن تعود إلى البيت . سأله عن شعوره حينما انتصح له ذلك فأجابني :

« شعرت بأني جددت . »

« ولكن ألم تشعر أيضاً بأنك قد تجررت من شيء ما ، تخلتصت من هم ما ؟ »

نظر إلي مدعوشاً وقال :

« ولماذا أشعر بذلك ؟ لم تكن هناك أي مخاطرة . »

« ولكنك ربما كنت قد تفتنتها بالمطرقة . »

ابتسم ابتسامة لامبالية وقال :

« أستطيع القول بأن هذا كسان محتملاً . فلم أكن خبيراً بحجرة كافية

في تلك الأيام . »

وهكذا انتهى حادث السطو الثاني دون أن يؤدي أحداً . ترك كل شيء في نظام ، وأعاد المطرقة إلى مخزن الفحم ، حيث لا بد أن تستخدمها مرة البيت في اليوم التالي غير متدركة بأن هذه المطرقة كادت تكون أداة قتلها . كانت كل غنائم سر والاً داخلياً واحداً وورقتين نقديتين من فئة الجنيه . أراد أن يأخذ السروال الأسود من سلة ثياب الغسيل ، ظالماً أنه كان مشبعاً براحة جسدها ، ولكنه عثي أن يفقده المرأة . خرج يهدوء من الباب الأمامي ، وسار على قفصيه إلى شارع بينكت حيث كان الباب الخلفي قد ترك من أحله مفتوحاً . كان هذا المنزل ، من بعض الجوانب ، منزلاً مناسباً لإقامته . فإن أحداً لم يسأله حتى أين كان ذلك المساء .

كانت الأمور تتخضع لحالة من القوضى في منزل آل لبنجاراد . وكان ذلك لبنجاراد قد أصبح معرضاً لحالات من الغضب العاصف ، وفي إحدى غصاته تلك شج جهة آجي بفضته وفي مرة أخرى ، فدف العمة إلزي بمقعد صغير ومطار المقعد من النافذة . وكانت بولين هي السب . كانت فتاة جميلة في السادسة عشرة من عمرها ، فأصبحت شديدة الجاذبية للرجال . ولما كانت لا تستطيع أن تنام مع العم ذلك إلا مرة واحدة كل أسبوع ، فلأنها لم تر فائدة من أن تظل مخلصة له ، وحاسة أنها كانت تعرف أنه مال محافظاً بعلاقته مع العمة إلزي . وأصبح الرجال منجذبين إلى القسم المحصن لسبع الفسبون في

على « ويلورث » الذي انتقلت إليه بولين ، حيث كانت تعمل . وراحوا يطلبون منها الخروج معهم في دعوتها إلى الطعام أو إلى الذهاب للسينما . وكان أحد هؤلاء الرجال . ففى أصغر الرأس . لوحته الشمس يدعى « جورج جولدهوك » كان قد عمل زمناً في المسرح . وآخر كان يدعى « ايوجين تيرنر » ، وهو مالك « الجراج » الذي استطاع في النهاية أن يقنع بولين بأن تخرج معه . وكانت بولين تنام مع الرجلين في القفزة نفسها . وقد سرها أن تختبئ رجلاً أكبر سناً منها . وقد احتال ديك لينجارد على بولين حتى دفعها إلى الاعتراف بأنها على علاقة جنسية مع جورج جولدهوك بأن وصفه بأنه « عجين عجوز » .

وحينما صاحت بولين : « كلا . إنه ليس كذلك » كشفت صحتها أنها تعرف الحقيقة أكثر من غيرها . واعتمد جورج جولدهوك على آرثر بوصفه معاوناً له في أمره . وكان يعيش في شقة فوق « جراج » للسيارات . وكانت بولين تحضي المساء معه هناك مرة واحدة كل أسبوع على الأقل .

وحينما كان يحدث ذلك . كانت الأسرة تظن دائماً أنها خرجت إلى السينما مع آرثر . الذي كان يغادر المنزل معها ، ثم يعود معها في وقت متأخر من الليل . وهما يتناقشان في موضوع الفيلم . وكان آرثر يذهب إلى السينما فيمضي أمسيته فيها وحيداً ، ثم يحكي لها قصة الفيلم في طريق عودتهما إلى البيت . وكان يوسع ديك لينجارد أن يذهب فيشاهد الفيلم بنفسه ، ثم يعود لكي يستجوبها . وفي مرة واحدة ، تبع العم ولدي أخيه . ولكن آرثر لاحظته فحذر بولين . فدخلوا إلى السينما معاً ، وبعد نصف ساعة ، تسللت من مدخل جانبي وذهبت إلى عشيقها . وسرعان ما بدأ جولدهوك في معاملة آرثر بوصفه صديقاً وموضِعاً للثقة ؛ فقد كان رجلاً ذكياً بما فيه الكفاية لكي يكشف عقلاً جيداً كامتاً وراء التآليل وحب الشباب . ولم يحاول الرجل ولا بولين أن يبديا أي جهد من أجل اخفاء الحقيقة عن آرثر . وقد حدث ذات مساء أن ذهب إليهما آرثر وكانا ما يزالان في الفراش . فجلس أمام السرير على أحد للقاعد يتبادل الحديث مع جولدهوك بينما كانت بولين ترتدي ثيابها . وفي

مرة أخرى ، بلغت العبارة من ديك لينجارد مبلغاً كبيراً وتسلطت عليه حتى رفض أن يسمح لبولين بمغادرة المنزل . فذهب آرثر لمقابلة جولدهوك ، وأمضيا الأمسية بحسب البيرة معاً ويتبادلان الحديث .

وقد كان جولدهوك ذا تأثير هام على آرثر - كما سأوضح بعد قليل . وقد قتل في حادث . حينما انزلت كتلة اسمنتية من سلسلة الرافعة التي كانت تحملها إلى سطح مبنى كان ما يزال يشيد فنسقطت على سقف السيارة التي كان يقودها . وقد رآه آرثر داخل السيارة قبل أن تنقل بعد الحادث . وقد انفصل نصف وجهه عن الرأس ، وتمزق الكتف الأيسر من شدة الصدمة . وشعر آرثر بنوع غريب من الرضا . رغم أنه كان قد أحب جولدهوك . فما هو عاشق آخر من عشاق بولين قد انتهى نهاية عنيفة ... فسان رئيس فريق كرة القدم في المدرسة كان قد قتل في صدام مع معلمات آلي . وشعر آرثر بالفرح الحسن الذي يسد خطاه ويتقم له من خصومه .

كانت عبارة ديك لينجارد قد أصبحت مصدرأ مزماً للضيق المستمر . وكانت العمة إلزي قد ضيقته كثيراً وهو يعيش بنهلي بولين أو ردها حتى لم يعد في وسعها أن تشك أدنى شك في ماهية العلاقة التي تحمهما . ولشكل غريب تماماً . استقبلت ما عرفته بيده . وذات يوم ، كان العم ديك يتشاجر مع زوجته . فأشار آرثر إلى الموضوع قائلاً : « لست أدري كيف يمكنك أن تتجاهلي ما بينه وبين بولين العزيزة ... ولكن قبل أن يتمكن من إكمال عبارته قاطعت العمة إلزي بعبدة وقالت : « اخرس أنت . إن عمك رجل علب . ولا ينبغي أن تسي ذلك . » فأجابها :

« كذلك كان هنتر . » وهو يطلق إحدى فكاهاته الثقيلة .

وأعيدت هذه الملاحظة على مسامع العم ديك لينجارد . الذي قرر ألا يرد على آرثر على الفور . وإنما قرر أن ينتظر حتى تلوح له فرصة ... وذات يوم أخبر جورج جولدهوك بولين بأنه يتوقع أن يتم طلاقه من زوجته قريباً . وأنه يقترح أن يتزوج بها . وقد سررت على بولين القصة الكاملة

للأحداث التي تلت ذلك. بصراحتها التي أصبحت متعاداً عليها. فقد قررت أن أفضل وقت تلقي فيه هذه الأخبار كالتسبلة في وجه العم ديك هو اللحظة التي تلي جماعهما الاسويحي. وفي عصر يوم السبت التالي، خرجت العمه إلي. وكانت بولين تجفف صحون الغداء في المطبخ حينما دخل عليها العم ديك. اقترب منها وراح بلاطفها بطريقته المعتادة. فحل قفل حمامة صدرها من خلال الصدور الصوفي الخفيف الذي كانت ترتديه. ثم دس يده من فتحة الصدور العلوية وراح يتحسس يديها العاريين وسألها:

« ما رأيك في الحكاية، انتهت يا حبيبي؟ »

أومات برأسها دون أن تتكلم. فقال لها:

« نعم. أنت حبيبة طيبة. » ثم رفع ثوبها، وجعلتها دغدغته متهاية تماماً. قال لها:

« ديك من الصحون. هيا إلى أعلى. »

تبعته طائفة إلى الطابق العلوي، بينما كان هو يحل حزامه ويتخلص من بنطلونه وهو في طريقه إلى أعلى. وفي غرفة النوم جامعها على الفور، في حالة من التهيج الوحشي. وبعد ذلك رقد واضعاً رأسه على صدرها، بينما راحت ترتب على صدغه غير الخلقين. قال:

« إيه، حبيبي، إنك تسبين لي الكثير من وجع القلب، كما تعرفين. »

لا أعرف ما سأفعل حينما ترحلين. »

« لا بد لي أن أتزوج ذات يوم، كما تعرف. »

قال: « إيه، أعرف، بكافة متجهمة. »

« هل ستحاول أن تمنعني؟ »

هر رأسه بحزن وقال: « إيه، لا. إنني أستطيع أن أفهم ذلك. وأعرف

أنني لا أستطيع أن أحفظ بك إلى الأبد. »

« افترض... أنني أردت أن أتزوج بسرعة شديدة. »

« بسرعة شديدة! » وهب جالساً في مكانه. وقد تحقق من أن الحوار

قد وجه عن تصميم سابق إلى هذا الاتجاه. ثم أضاف قائلاً: « بسرعة... كيف؟ »

« جورج جالدهوك يريدني أن أتوجه في أغسطس. »

« ماذا!؟ هذا الأصحح الرأس، العين! »

كان هذا أسوأ نقد ممكن. فقد كان جورج جولدوهوك في نفس سن ديك لينجار. وقد وضع ديك نفسه في وضع سيء. وكان هو يعرف ذلك. وقد كان المعتاد أن يفقد حينئذ أعصابه ثم يضربها - وقد كانت رؤيته لعجزها العاري وهو يزداد احمراراً تحت صفعاته من الأمور التي استمرت في امتناعه منذ زمن بعيد - ولكنه إذا كان قد وافق على أنه لن يقف في طريقها فقد كان من الصعب أن تراجع. فاتخذ موقف القاتل بأن جورج جولدوهوك سوف يكون زوجاً أشبه بالكارثة. فأشارت بولين إلى أنه يمتلك دخلاً خاصاً. وأنه يمتلك منزلًا يؤجره بالعرفه في بلدة « بوتل ». وكان هذا أمراً أكثر إساءة - فقد كان ديك لينجار حساساً إزاء مسألة فقره. فقال:

« طيب، إنك لن تتزوجيه ما دمت الوصي عليك. وهذا قول صريح. »

« كم أنت وصي ظريف! ومن حسن الحظ أن كل الأوصياء لا يشبهونك في شيء. »

استمرت المشاجرة لبعض الوقت. وانفجر ديك لينجار باكياً وجنا على ركبتيه. كان رجلاً بالغ القوة. وكانت بولين تعرف ما يجعلها أكثر حرصاً من أن تمنع في إثارة. فتظاهرت بالمداخلة على أن تغض الطرف عن المسألة مؤقتاً جانياً على ركبتيه محتضناً ركبتيها. أدرك ديك لينجار أنها لم تعد تنقبض بسهولة. ولكن جزءاً من تكوينه العضوي رفض له أن يحقر نفسه، وانتهى بها الأمر إلى الفرائس مرة أخرى. ولكن هذا لم يكن سوى صلح مؤقت. ذلك أنها لم ترد في طبيعتها عن الاعتراف بأنها قد كانت ترى جولدوهوك ونقابله. وحظر لديك لينجار أنه من المحتمل أن يكون جولدوهوك قد مارس امتياز أن يخلع ملابسها بأكثر مما فعل هو نفسه اجناحتها نوبة غيرة مصممة بالألم. متى كان

في مقدورها أن تراه؟ وراح الرجل يراجع تحركاتها مراجعة دقيقة. وأدرك فكرة أنه لم تكن نمة أبة فرصة لها سوى فرصة واحدة: أمسياتها في السينما مع آرثر. استجوبها عن هذا الاكتشاف، فانتهت إلى الاعتراف بالحقيقة. وكانت هذه نقطة سوداء أخرى توضع أمام اسم آرثر.

أصبح العدا المستطعب في داخل المنزل واضحاً وصريحاً. كان الجميع يدركون ما بقوه من توتر جنسي بين بولين وعمها. وكان مما يبعث على الارتياح أن يغيب أحدهما في مواعيد الطعام. وذات يوم قال العم ذلك لآرثر بتجههم إنه يعرف خديعة آرثر له فيما يتعلق بمسألة جورج جولدهوك. هز آرثر كفيه وقال:

«إنها شقيقي. ولا يصح أن توقع مني أن أقف إلى جانبك شديداً، أليس كذلك؟»

حذق ديك لينجارد في آرثر ببرود؛ لم يكن قد اعتاد أن يرد عليه ذكور المنزل وقال:

«سوف نتال ما تستحق. فاحفظ كلماتي.»

قال آرثر: «سوف أحفظها.»

وأرسلته بولين برسالة إلى جورج جولدهوك، لتشرح له ما حدث في المنزل. وقدم له جولدهوك كأساً من البيرة، وأخذ في حديث طويل من جانب واحد عن السيطرة على النفس الأمر الذي جعل آرثر يشعر بالازدراء المشع بالتعاطف. وفي النهاية قال آرثر:

«إذا كنت تريد أن تزوجها، فأنت تعرف الطريق. اجعلها تحمل.»

نظر إليه الرجل وقد امتلأ بالأمل، وقال:

«أنظن أن هذا يؤدي إلى النتيجة المرجوة.»

وكان آرثر على وشك أن يقدم أسبابه، عن أن الطفل يمكن أن ينسب إلى ديك لينجارد. وأن هذا سيجعله على استعداد لأن يفعل أي شيء. لكني يتجنب حدوث هذا - ولكنه قرر أنه قد يكون من الأفضل أن يظل جولدهوك مغضباً

عن العلاقة بين بولين وبين عمها. فانه قد يفور أن يتخلى عنها. فحسب من لا أخلاق لحم من الرجال يمكن أن يصحوا أخلاقين بصورة غريبة حيثما يواجهون القسطنطين المحارم. وبدلاً من هذا، أكد له أن ديك لينجارد قد يسبح لها بأن تزوج بدلاً من أن يعولها كأم غير متزوجة. وفي نفس ذلك اليوم في وقت متأخر، عرض آرثر فكرته على بولين، فبدأ عليها أنها رقت لها.

وكان آرثر يواجه المتاعب. فانه كان قد كبر على تخزين مقاعد السيارات العامة والسرقة من المحلات الشعبية وأصبح يسرق أشياء أكبر وأثمن قيمة. وقد قبض عليه أثناء محاولته الخروج من محل لبيع الأدوات المكنية حاملاً آلة كاتبة ذات حثية. وفي أواخر شتاء عام ١٩٥٠-١٩٥١ أصبح ضابط الأحداث شخصاً مألوفاً في منزل أسرة لينجارد. وفي هذه الفترة ارتكب آرثر خطأه الأول. كان قد غير عمله الذي يمارسه في عطلة نهاية الأسبوع من محل البقالة إلى محل لبيع آلات التليفزيون - وسوف يذكر المزيد عن ذلك بعد قليل - وسرعان ما اكتشف أنه كان من السهل أن يخلص بعض النفود من خزنة المحل. كان المحل يبيع اسطوانات الحاكي والأدوات المنزلية إلى جانب أجهزة المنباج والتليفزيون. وكان من السهل بالنسبة لآرثر أن يسجل المبلغ غير الصحيح على ورقة التسجيل في الخزنة ذات الآلة الحاسبة، ثم يضع الزيادة في جيبه.

وذات يوم، نظر صاحب المحل إلى أرقام الحسابات التي سجلها آرثر، فاكتشف أن الأخير قد سجل قيمة أقل من ثمن أنبوية من أنابيب التليفزيون كان قد باعها لاخت الزبائن. وبالصادقة، وحصل الزبون المحل مرة أخرى في تلك اللحظة فأخبره صاحب المحل بالأمر. وبالطبع ذكر الزبون المبلغ الذي دفعه في الحقيقة بالتحديد. ولم يكن آرثر في المحل في تلك اللحظة. وبدأ صاحب العمل يراقبه مراقبة دقيقة، وسرعان ما تبين أنه كان يأخذ من الخزنة مئتين تقريباً في كل يوم متتاليين. وهكذا، في عصر أحد أيام السبت، وبينما كان آرثر على وشك أن يغادر المحل طلب منه صاحب المحل أن يقلب جيبه.

ورفض آرثر يوقار من شعر بالاهاثة . واستدعى صاحب المحل شرطياً كان  
عمر أمامه ، فأفرغ آرثر جيوبه راحماً ، فتكشفت الموقف عن أنه كان يحمل ما  
يقرب من جنيهين زيادة على أجره الأسبوعي ، فأدرك الآن السب الذي دفع  
صاحب المحل إلى الظاهر بأنه يحتاج إلى بعض العملات الصغيرة فسأله في وقت  
ياكر من النهار :

« ألكديك أي نقود يا آرثر ؟ »

فأجاب آرثر :

« ليس معي سوى نصف جنيه . »

وحتى في ذلك الموقف المفاجيء ، حافظ آرثر على رباطة جأشه وعل  
صفاء ذهنه . لقد عرف أن حملته للجنيهين ليس دليلاً صدقه . كان يستطيع أن  
يقول إنه قد عثر عليهما في الشارع ، أو أنه لم يكن يعرف كم يحمل من النقود  
حينما سأله صاحب المحل ، فلا يكون يوسع أحد أن يكذبه أو أن يبرهن على  
العكس . ولكن صاحب المحل أخرج بكرة ورق التسجيل من الخزانة الآلية .  
فقد كان الرجل يراقب آرثر مراقبة دقيقة بينما كان يتظاهر باصلاح أجهزة  
الذي يباع في الحجرة الخلفية من المحل ، وكان قد سجل مذكرة بكل عملية بيع  
أو تبادل للسلع والنقود حدثت في أثناء ذلك ، وأقر آرثر بأنه قد هزم ،  
واعترف بالسرقة .

سأل الشرطي صاحب المحل : « هل تريد أن تدفع القضية إلى مرحلة  
أبعد من ذلك ؟ »

فأجاب صاحب المحل - الذي لم يكن متعصباً - بأنه لا يريد ذلك .  
ولكنه ذهب إلى ديك لينجارد وقال له إنه سيرفع الأمر إلى قاضي التحقيق إذا  
رفض العم أن يضرب ابن أخيه « علة » محترمة . وخضع آرثر للأمر الواقع  
في صمت ، وهو يغلي غضباً مالحفه من مهانة ، ولكنه كان أكثر غضباً من بلاهته  
التي وصلت إلى درجة أن يسمح لهم بوضع أيديهم عليه واكتشاف سرقة .  
وراح صاحب المحل يراقب عملية الضرب راضياً بينما كان الحزام الحلدي الثقيل

يهوي على ظهر آرثر المحني التي عشرة مرة ، ثم قال :  
« هذا يكفي . سوف يلقنه هذا درساً ناقماً . » ثم سار مبتعداً عن المنزل .  
وغادر آرثر المنزل وبني بالخارج حتى منتصف الليل ، ومضى يتمشى على  
ضفة القنال ذهاباً وعودة ، وهو يصبر على أسنانه ويلعن كل شيء . ويقسم أن  
يتنقم .

ولكن هذا لم يؤد إلى أي تحسن في الموقف المتعلق ببولين . وذات يوم  
فقد ديك لينجارد سيطرته على أعصابه لإزعاجها ، وكاد يكسر معصمها في  
فيضته ، وظل معصمها متورماً ومكدوماً طوال أسبوع بعد ذلك . وبلغ عدم  
اعتماد بولين بالأمر إلى حد أن خرجت عصر يوم السبت التالي . وأمسكت  
الأمسية في الفراش مع أيوجين تبرنر ( الذي كانت تلتقي به في علاقة منقطعة  
عازضة ، وغالباً ما كان لقاؤهما الجنسي يتم في المقعد الخلفي لسيارته ) . وبينما  
كان يصطحبها إلى البيت بالسيارة قالت :

« يمكنك أن تنزلي عند الباب الأمامي للمنزل . »

جفل الرجل وقال لها : « هل جئت ؟ »

ولكنها أجابته : « كلا . » إنما كانت في حالة عناد وتصميم على شيء ما .  
ورآها ديك لينجارد من نافذة الطابق العلوي ، وهبط لكي يقابلها لدى دخولها  
من الباب الخلفي . فانسجرت في وجهها قائلاً :

« أيتها العاهرة القلدة الصغيرة . إنك لست أفضل من بقي متهيجة ! »

« يمكنك أن تتكلم ! » كذلك أجابته وهي تحديق باحتقار في اتجاه أزوار  
بنظرونه . وكان هذا أكثر ما يمكنه احتمالاً . قبض عليها ، وجرها إلى حجرة  
الاستقبال . ورفعها ووضعها راقدة على بطنها فوق مكتبته . بينما جذب سروالها  
إلى أسفل ، توقع أن يضربها ضرباً مبرحاً ، ولكن كان كل ما فعله في الحقيقة  
هو أن أخذ يتحسس جسدها .

كان الآن يتحب وقد ملأه الغضب مفعماً بالرغبة وهو يقول : « أيتها  
الهي القلدة . انظري أن . . . وسعلت أن تفعل ما تشائين ؟ »

وقد حدث في تلك اللحظة أن دخل آرثر إلى الفناء الخلفي . نظر إليهما عبر النافذة ، وثوقف متجمداً . وآه العم ديك فصاح فيه : « وأنت ، يمكنك أيضاً أن تقودها ! » . استدار آرثر إلى الخلف ، وخرج من حيث جاء . وحينئذ جثا ديك لينجادد على ركبتيه ، وحمل يولين - العارية من خصرها حتى قدميها - تجلس على مقعد ذي مسندين ، وراح يتحب على ركبتيها . ولم ترفض هي ذلك الوضع ، فقد كانت مسرورة بأن تغفلت من الضرب مقابل عدم رفضها . ولكن حينما وقعت عيناه على سروالها ، وقد ظهرت عليه بقع لا يخفى عليه أمرها ، وهو ملقى على البساط في الحجرة ، أن في تعاسة حقيقية : « كيف أمكنتك أن تفعلني بي هذا ؟ » وقد شعر بوضوح أن شيئاً مفرغاً . لا يمكن الرجوع عنه أو إصلاحه . قد وقع . كان ديك لينجادد ، يجها حياً صادقاً ، ولكن بطريقته الخاصة .

\*\*\*

بعد يومين صدم آرثر حينما ظهر ضابط الأحداث في المدرسة وطلب أن يراه . كان الضابط ( امرأة ) رامادية الشعر ، في منتصف عمرها . وكانت هي نفسها التي تعاملت مع ألبرت . وكان ما قالته هو أن صاحب المحل قد قرر أن يقدم بأنهم ضده . وشعر آرثر بالمهانة مرة أخرى وقال :

« لا يمكن أن يفعل ذلك . لقد وعدني . » ووصف لضابط الأحداث عملية الخلاء التي خضع لها كعقاب .

قالت الضابط : « كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أنه قد غيّر رأيه . أو ربما كان شخص آخر هو من حماه على تغيير رأيه . »

أدرك آرثر الحقيقة وقال : « العم ديك ! »

وكان هذا صحيحاً . كان ديك لينجادد قد ذهب إلى صاحب المحل . وقال له إنه سيستدي خدمة عظيمة للجميع إذا هو سار في فضيته بأنهم آرثر بالسرقة . وقال له إن آرثر لا يمكن التعامل معه أو معالجه على الإطلاق . وهناك أيضاً ما يدعو إلى الاعتقاد - ولو أنه لا أمالك ما - دلالاً - بأنه قال

لصاحب المحل أيضاً إن آرثر على علاقة جنسية كاملة بإبنة عمه آجي . وقد كان هذا حقيقياً ، كما سأوضح بعد لحظة . وكان صاحب المحل رجلاً أخلاقياً أثاره فكرة الشق . فوافق على أن يقدم بأنهم ضد آرثر .

وأنا أميل إلى الشك في أن ديك لينجادد ما كان ليتخذ هذه الخطوة - مع الاعتراف بأنه كان ظالماً في اتخاذها - لو لم يكن قد أصبح نصف مجنون بسبب الغيرة على يولين ، فاعتقد بأن آرثر كان يتآمر من أجل تزويجها . وقد كانت هذه فعلة لا معنى لها ، لأن آرثر ياعتباره متهماً من الدرجة الأولى - كان سيوضع بالتأكيد في إصلاحية للأحداث ، ولكنه من جانب آخر ، كان من المؤكد أن يبوح بما يعرفه عن يولين . وربما كان ديك لينجادد قد شعر بالأمان من هذا الجانب ، ظالماً أن يولين لم تعد قاصراً ، وأنه سيكون من الصعب اثبات أنه قد أعواها منذ أربع سنوات . كان قد أصبح يكره آرثر الذي بدأ شديد التباعد مليئاً بالازدراء ، وأراد له أن يشعر بأنه آثم إلى درجة لا تطاق .

وتجسست الخطوة ، ووقف آرثر أمام محكمة الأحداث في اليوم الحادي عشر من شهر مارس ، ووضع تحت المراقبة لمدة عام . وقال رئيس المحكمة لديك لينجادد بحفاة :

« إن ولدك ( ألبرت ) تحت المراقبة بالفعل ، وربما كان المثال السيء الذي ضربه قد أثر على هذا الشاب . وإن من محمك أنت ومن واجبك أن تتصرف بالقسوة الكافية لكي تمنع المزيد من أعمال حرق القانون . » وكان ديك لينجادد قد صرح للمحكمة بأن آرثر كان غير قابل للعلاج ولا يمكن التعامل معه على الإطلاق - مسموماً ، مكثباً ، عصبياً ، عنيفاً ، متجهماً .

وامتلاء قلب آرثر بالغضب ، لم يكن بإمكانه أن يصدق أن كل تلك الاهانات الالهية كانت تلحق به حقاً . هو نابليون الجرمنة في المستقبل . أما ديك لينجادد فقد حقق نجاحاً هاماً من غرضه - فقد جعل آرثر يشعر بقوة التماسك الاجتماعي . وجعله يشعر بالأمن إلى درجة لا يمكن اغتزارها . وكانت النتيجة هي اشتعال الحرب الشاملة في منزل الأسرة في شارع

بينك - وامتلاً آرثر بغضباً ومقناً لديك لينجارد وأخذ يحلم بقتله . لم يكن سوى القتل هو ما يصلح الشعور بالمهانة . وأصابته كراهيته الجذبة بالاهمال . فارتكب خطأ لا بد أنه جعل عمه يفرك يديه في الاحتياط . فقد سرق آرثر مسلماً من شقة كان يضع فيها جهازاً من أجهزة التليفزيون . واعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك شك في أنه قد سرق المسدس لكي يقتل عمه . وقد كان آرثر متحفظاً ممي في هذه النقطة ، ولم يحاول أن أن أضغط عليه . ولكن من معرفتي بآرثر ، أستطيع أن أضمن أن نيته كانت تتجه إلى الاحتفاظ بالمسدس مخبئاً لفترة طويلة معقولة ، حتى ينسى أمره ، ثم يخطط لعملية القتل بعناية . ولكنه لم يكن يمتلك ذخيرة تصلح للمسدس .

ولسوء الحظ فقد أصحاح الشقة مسلهم بعد ساعات قليلة من السرقة . وجاءت الشرطة إلى بيته وسألته عنه . ولا بد أن آرثر قد تبين الآن أن خطته لقتل عمه قد طاشت وأخطأت هدفها . وكان لا بد له أن يلقي بالمسدس في القتال على الفور . ولكنه كان واقفاً من أنه لن يعثر عليه في مخبئه على صفة القتال . غير أنه كان يفكر دون أن يضع في اعتباره عائلة لينجارد . فان آجي ، في الحقيقة ، كانت قد زارت غياه وراه الأشجار ، وكانت قد أخبرت جيم بأمره (كانت هي وجيم على صلة وثيقة ببعضهما) . وكان جيم الآن مزوجاً وله طفلان - وهو في التاسعة عشرة من عمره - ولكن حينما جاء والده إليه لزيارته ، أخبره جيم بأمر المخبئ الذي يخفي فيه آرثر غنائه . واصطحب ديك لينجارد شرطياً ، فبحثا معاً وراء كل شجيرة على صفة القتال في مسافة تمتد ميلاً كاملاً بعد شارع بينك . وأسفر البحث عن اكتشاف حفرة كان من الواضح أنها استخدمت حديثاً وبانتظام ، فقد كانت الأرض عندها مسطحة بشكل مريب . وأسفر الحفر عن العثور على قطعة مسطحة من الحجارة . غطيت بالتراب بعناية ، وكان تحتها صندوق من الصفيح دفنه صاحبه بعناية بالغة . ويقدر عظيم من الحرص . وفي الصندوق كانت هناك ستة سراويل ، وعدة قطع من الخلي والهدايا الصغيرة ، إلى جانب المسدس المفقود . ومن بهم

الهدايا الصغيرة كانت هناك الميدالية المعلقة في السلسلة الذهبية التي أحدها آرثر في عملية سطوه الأولى ، فإنه لم يحاول أبداً أن يبيعها .

كانت ربات البيوت في المنطقة يشكين من سرقة ملابسهن الداخلية من على حبال الغسيل . وكانت السخريه هي أن واحداً من السراويل التي عثر عليها في مخبئ آرثر لم يكن قد سرق من على أحد حبال الغسيل . ولكن كان من الأسهل ألا يقال شيء في هذا الصدد . وقد تعرف بعض أصحاب أجهزة التليفزيون التي كان آرثر يصلحها في أمسيات أيام السبت . تعرفوا على بعض الهدايا الصغيرة . (ولكن الميدالية ذات السلسلة لم يتوصل أحد إلى أنها أخذت من منزل والدي دنكان ، وعلى قدر ما يعرف آرثر . فان والديين لم يفتقداهما أبداً) .

وربما كان موقف آرثر المتجهم وغير المتعاون في المحكمة عاملاً هاماً في تقرير طول الحكم الذي صدر ضده . ولو أنه كان أكثر تعاوناً ربما أفلت بحكم لا يقضي بأكثر من مدة فترة وضعه تحت المراقبة . ولكن الحكم فُصي بسجنه عامين في إيرلستاو ، وهي إصلاحية للأحداث بالقرب من مانشستر . وكانت هذه فترة رفض أن يناقشها معي . ولم أدهش لهذا . فان «إيرلستاو» تتسع بسبعة أمثالي مدرسة إصلاحية من نوعها في شمال إنجلترا . وربما كان نوع الشبان الذين قابلتهم هناك قد ملأه بالازدحام والبعض . وقد أخبرني بالفعل : أنه على الرغم من تحريم الضرب . تخرباً نظرياً هناك ، فإنه قد ضرب مرتين في الأسبوعين الأولين لوجوده هناك . ومن الواضح أن المسؤولين عن المدرسة يزعمون بأن هذا النوع من التعامل لا يؤدي إلى أي ضرر . فهو يتبرع من الطفل رغبته في القتال . ويحمله بطيح إلى أن يعا في سلام بأي ثمن . ولكن ، إذا كانت لدى آرثر لينجارد أية فرصة لكي يتوقف تحوله إلى مجرم . وأنا أشك في أن هذه الفرصة كانت موجودة أصلاً . فإنها قد تلاشت نهائياً في أثناء الشهور الستة التي قضاها في مدرسة إيرلستاو . وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن آرثر لينجارد . من جانب معين . كان شخصاً جيداً



التوازن إلى درجة معقولة قبل أن يذهب إلى إيرلستاو . ولكنه كان غير متوازن حينما غادرها ، كان مشعباً بالكراهية ، والخوف ، والتصميم الوحشي على أن يجعل أحدهم يدفع الثمن . وقد نجح في هذا . ولكن الكراهية والعنف ، بقيا ، حيث كان قد نصح غراسهما من قبل .

• • •

بعد ستة شهور ، هرب بأن تسلق إلى السقف صاعداً فوق مظلة مشيدة في الحديقة ثم فوق أحد الجدران . وسرق دراجة عاد بها إلى وورينجتون - إلى شقة جورج جولدهوك . وذهبت الشرطة إلى ديك لينجارد ، الذي نصحههم بالبحث في شقة جولدهوك . وأعيد آرثر تحت الحراسة في خلال ست عشرة ساعة من هربه . ولكن ضابطة الأحداث تدخلت ، ووقفت آرثر مرة أخرى أمام محكمة الأحداث ، مستعداً لسماع زيادة الحكم عليه بالسجن لسرقة الدراجة ، ولكن ، لشدة دهشته ، أمر رئيس المحكمة ديك لينجارد بأن يدخل المتروك معه إلى البيت ، وبأن يبدل جهداً من أجل أن يجعله مستقيماً . وكان على آرثر أن يقطع على نفسه عهداً - في وقار - بأن يتعد عن المشاكل . ولكني تكمل دهشته راح القاضي ، وهو رجل عجوز متورد الوجه أبيض الشعر ، كما لو كان إحدى شخصيات ديككنز ، راح القاضي بغير له بحث . وقد عرف آرثر فيما بعد أن هذه كانت هي آخر ما نظره القاضي من قضايا ، فقد كان عليه أن يمال إلى التقاعد في هذا اليوم ، وأراد أن ينهي حياته القضائية بعمل من أعمال البر والشفقة .

وبعد ثلاثة شهور ، كان ديك لينجارد قد دخل السجن ، لأسباب أوضحها من قبل . لقد وجد آرثر أن الانضمام كان بالغ السهولة حينما وضع يده على الهدف المقصود . فقد سأله الباحث الاجتماعي عن أمر حمل بولين ، الذي كان قد أصبح واضحاً . ( لم يكن هذا بالطبع من شأنها ، وإنما كانت مدفوعة ببساطة بحب الاستطلاع ) فأخبرها آرثر بما يعرفه ، وثارت أخلاقيات الباحث الاجتماعي وشعرت بالعار . وخاصة حينما وصف لها آرثر بولين وقد جلت

على مقعد ذي مسندين ، بينما كانت كلف الوصي عليها . البنية اللون المشعلة الشعر ، تتحسس ردفها العاريين . واقترنت الباحثة - مخبطة - أن بولين قد اغتصبت على الدوام - وورغم إرادتها - منذ كانت في الثانية عشرة . والفني القبض على ديك لينجارد في أثناء خروجه من إحدى مباريات كرة القدم ، حيث كان قد أمضى أمسية كئيبة لم تبعث إلى قلبه الرضا . ولم يحاول أن ينكر أنه كان أول عشاق بولين حينما كانت في الثانية عشرة من عمرها . فقد اعترف أنها قد اعترفت بهذه الحقيقة بالفعل . كما أنه لم ينكر أنه فدأنفق بضعة مئات من الجنيهات كانت أم آرثر تركتها لطفليها . وكان من حسن حظها أن أتيت فحص فصيلة الدم أنه لا يمكن أن يكون والد طفل بولين ، وإلا لكان قد حكم عليه بعشر سنوات بدلاً من ثلاث . ولكن يصعب القول بأن هذا قد أدى إلى أي اختلاف ، فقد كانت حربته لا معنى لها عنده .

وأمرت العمة إليزي بولين بأن تخرج من المنزل ، ولم تكن لدى المرأة أبة شكوك في أن زوجها كان بريئاً ، ولا لوم عليه على الإطلاق .

## الفصل السابع

في اليوم الذي وصف لي فيه آرثر حادثة سطوه الثانية - والتي سجلتها في الفصل السابق - سأله بطريقة عارضة :

« من الذي علمك التنويم المغناطيسي ؟ »

كانت هذه هي المرة الأولى التي ذكرت فيها هذا الموضوع بصراحة ، وكنت قد لاحظت أنني كلما كنت أحاول أن أحمله على الكلام عن علاقته بابنة عمه آجيس ، كان ينظر إلى أصابعه ثم يغير الموضوع . ولكنني قدرت الآن أنه كان مستعداً لأن يكون صريحاً . أزعجتني إجابته وأدهشني . قال :

« آجسي . »

« ابنة عمك آجسي ؟ كيف ؟ »

لقد اعتادت أن تعالج الصلحاء الذي كان يصيب ماجي بأن تربت على جبهتها . وكانت ماجي تصاب بنوبات صداع مرعبة قبل أن تموت .

« أكنت قد قرأت « مارفو الساحر » في ذلك الوقت ؟ »

« أوه ، أجل ، قرأت ذلك الكتاب وأنا في العاشرة . »

كان « مارفو الساحر » كتاباً أفضل في حقيقته مما قد يوحي به عنوانه . وقد كانت إحدى قصصي المفضلة في سنوات مراهقتي قصة : « المطاردون والمطاردون » التي كتبها « بالوير ليتون » ، وكان من الواضح تماماً أن « جابلر برسي » مؤلف قصة « مارفو الساحر » قد تأثر بكتاب ليتون تأثراً قوياً . ورواية القصة عضو في « جمعية البحوث النفسية » وهو الذي يطلب منه أن يستعصي أمر الأرواح التي تسكن منزلاً لأحد القساوسة في مدينة « يوركشاير » . ويعبر

الباحث - الراوية - في صومعة لأحد القساوسة على مخطوطة قديمة - يزيد عمرها على مائة عام تصف رجلاً خبيثاً كان قد قدم إلى المنطقة لكي يقيم فيها . وكان قد أظهر أنه يمتلك قدرات شريفة مختلفة ومتنوعة . وكان « الساحر » قد أجبر مؤلف المخطوطة على معاونته في أبحاث سحرية معينة ، وحينما أماع المؤلف أخيراً في الحرب ، صمم الساحر على أن تزور روحه منزل القس في كل ليلة ، في حياته ، ومن بعد موته . وينجح الراوية بعد هنا في الاتصال بالأرواح الطيبة ، المولعة بإفشاء الأسرار . وينجح في تبادل الحديث معها عن طريق المائدة المتكلمة ، فيكتشف أن الساحر ما يزال حياً . ( وربما كانت هذه الفكرة قائمة على فكرة مشتملة من كتاب « انورين » « ميلموث » ) . ويعبر على الرجل في مدينة يودايت بالمجر . فبقع هو نفسه تحت تيرد . فالساحر يمتلك قوى هائلة ، ومن حيله المفضلة أن يجعل الصخور تصطفق والأشجار تنشق نصفين بتركيز إرادته عليها . ويمضي الراوية مسرع مارفو في رحيل دائم حول العالم مثل فاوست وميستوفوليس ، فيمران تغامرات من كل نوع ، ولكن مارفو يلقى دماره في النهاية على يد فتاة شابة جميلة وقع في هواها ، ثم تبين أنها ساحرة منافسة كانت متتكرة . ولكن أهم ملاحظ الكتاب هي دروس مارفو في التنويم المغناطيسي ، وهو موضوع من الواضح أن المؤلف قد فكر فيه ملياً وأوفاه حقه من الدراسة . كان يقول :

« أكل من الناس روحان ، هدف التنويم المغناطيسي هو تحويل إحداهما ضد الأخرى . وأكثر الناس قابلية للتنويم هم من لا يملكون شيئاً يفعلونه . لأن صغرهم وما يملكونهم من ملل يجعلهم مستعدين لتقبل ما يوحي بسنة إليهم . »

وقد كان لهذا معنى معين عند آرثر . فحينما كان في الحادية عشرة من عمره وكان قد بدأ يسرف في ممارسة العادة السرية - اكتشف أنه لا يستطيع أن يسول في مراحل المدرسة إذا كان هناك من يقف إلى جانبه . وكان يوسعه أن يفرك أن هذا العجز مرجعه إلى أن وجود الشخص الآخر يجعله « واعياً

بذاته . فلا يكون لهذه الذات المحذقة في نفسها ، الواعية بوجودها ، قدرة على التحكم في عضوه لكي يسمح بخروج البول ، وسرعان ما أدرك دلالات هذه الحقيقة . فإذا استطعت أن تجعل شخصاً ما يبي بذاته وعباً مسرفاً ، فانه لن يجد صعوبة في التبول فقط ، وإنما سجد أنه من الصعب أن يفعل أي شيء طبيعي أو مما اعتاد أن يفعله . فان المدرس في المدرسة ، إذا نظر إلى يديك من فوق كضحك وأنت تكتب ، فسوف يبدأ خطبك في التعرّ ويصبح مشوهاً ، وتشعر يديك وقد تصلت وامتألت بالتردد . وذات يوم قال له أحد أصدقائه في المدرسة :

«إني أحب أن أصفي إلى صوتك . فانك تتمتع بلهجة مضحكة تماماً .»  
(وهي لهجة لندن بالطبع ) .

فوجد آرثر نفسه يتعبر في كلامه وينهت في حديثه . ولكنه استطاع أن يرد هدية زميله بأن قال له :

«ولكن ما يعني قبك حقاً هو طريقتك في المشي . إنك تذكرني بشقيقي .»

«كيف ؟»

«حسناً ، إنك تهر رديك كالفتاة . إسمع ، أمشي أمامي الآن وسوف ترى ما أعنيه .»

وسار الصديق أمامه ، ثم احمرّ وجهه خجلاً ثم قال :

«إنك على حق . ولكني لم أنبئ هذا من قبل أبداً .»

وبعد هذا ، أصبحت مشية الصديق مترددة ، واعي بنفسه أثناء المشي . يسير سير المرأة بشكل واضح ، وكلما لاحظ أحد . كلما ازدادت حاله سوءاً .

وطوال أسابيع ، نسل آرثر بقدرته على إثارة الإجماع الثاني لدى الآخرين . فقد قال لزميل له في المدرسة كان سينقل إلى حجرة دراسية أخرى : «لا يمكنني احتمال تلك الحجرة . فالقاعد هناك مصنوعة من خشب الصندل ،

مكتشف أنها ستجعلك تحس بالحكة المشعرة وتجعلك تشعر باحساس غريب ومضحك عند ركبتك .»

ولشدة ابتهاجه ، خرج زميله من الحجرة وقد نهت ركبتاه من كثرة حكهما بأظفاره ، وأرسل والناه مذكرة إلى المدرسة يطلبان فيها أن يسمح له بالجلوس على مقعد من نوع آخر . وربما أعطى قلمه للزميل الجالس إلى حواره وقال له :

«تمة شيء غريب ومضحك في هذا القلم . إنه يجعلك تشعر بأن أصابعك لينة كالماء وضعيفة .»

ويجرب الصديق القلم لمدة قصيرة ثم يقول : «أجل ، هذا شيء غريب . ليس كذلك ؟»

ولكن الشيء الغريب هو أن يشعر آرثر نفسه ، حينما يستعيد القلم بأن أصابعه قد أصبحت لينة وضعيفة هو الآخر عندما يحاول الكتابة به . وقد يسأل صديقه :

«ألا تشعر بحكة في حاجبك ؟»

«كلا . لا أظن ذلك .»

ولكن : بعد لحظة يبدأ الصديق يحك حاجبه بعنف وامرار .

ووجد أن هذه الحيلة توفى أفضل ثمارها في الاجتماع الصباح . حيث كان ناظر المدرسة يصر على أن يجلس الجميع صامتين ساكنين يصعب دقاتك من أجل ان يفحصوا ذواتهم ، بعد أداء صلاة الصباح . وكان كل من يضغط وهو يتبادل المسس أو يتللمل في مكانه يلقي عقاباً شديداً فاسياً . وركز آرثر انتباهه على صبي شديد الاحساس بذاته له هيئة الفتيات وسلوكهن . وبينما كانوا ينتظرون دخول مكان الاجتماع . قص عليه آرثر فكاهة جميلة «ياش » القدمة من الحساء الذي له مذاق ريت البرافين . ومضحك الصبي . فقال له آرثر :

«ما كان لي أن أشكرك لك هذه الفكاهة .»

«ولم لا ؟»

« لأنني أجد نفسي دائماً أتذكر الفكاهات بينما المفروض أن تفحص ضمائرنا وذواتنا في الاجتماع . ونكاد نحاول في الامتناع عن الضحك فنقلني . فإذا لم أضحك . أبدأ في حرك كل جسي وأتملئل في مكاني ... »  
 وفي فترة الصمت من ذلك الصباح ، التفت عينا بعيني صديقه فهز رأسه بعديّة . وعلى الفور ، انفجر الصديق في قهقهة عنيفة . ورفع الناظر عينه مبتلئاً بالغيظ والاحساس بالعار . وتورد وجه الصبي . محاولاً أن يجبس ضحكته . ثم لاحظ أثره وهو يحك جسمه انه يحك جسمه هو الآخر . يتلذذ أولاً ، ثم بعصبية . وأجمل الجميع حينما رآر فيه الناظر قائلاً : « روس . أكتب السطر التالي خمسائة مرة : يجب ألا أتملئل في الاجتماع ! » .

وقد اهمّ آرثر اهتماماً عميقاً بملاحظة الطريقة التي كانت آجي تتمكن باستخدامها من معالجة نوبات الصداق التي كانت تصيب ماجي بأن تقف وراءها ثم تربت على جبهتها . كانت تستخدم دائماً الحركة ذاتها . واضحة يديها في مركز الجبهة ثم تتخذ ضرباتها الخفيفة اتجاهاً خارجياً في منحني صاعد حتى تتبع البدان خط مثبت الشعر . وسأل آجي لماذا كانت تستخدم تلك الحركة فأجابته :

« لا أعرف . كنت أربت على جبهتها أولاً في خط مستقيم ، ولكنها قالت لي إنها تشعر بتحسّن أفضل حينما استخدم هذه الطريقة . »  
 قال : « حاولي أن تستخدمي الطريقة الأخرى في المرة القادمة - ولكن أنقلي أصابعك إلى أسفل قليلاً . »

وكان حاضراً حينما جرت آجيبس الطريقة الجديدة ، ولكن ماجي حفلت على الفور وقالت :

« أوه ، لا تفعل ذلك . هذا يجعل الصداق أسوأ . »

سألها آرثر : « لماذا ؟ »

« لا أعرف . أظن لأن الضربات تتخذ اتجاهاً مخالفاً ! »

و ذات مساء كان مع ماجي في المنزل بمفردهما . ولاحظ أنها كانت تعث

بحافة إحدى الصفحات بينما هي تقراء مجلة نسائية . قال بتعاطف :

« هل تشعرين باقتراب اصابتك بنوبة من نوبات الصداق ؟ »

« كلا ، لماذا ؟ »

« يمكنكني دائماً أن أنبأ بوقوع هذه النوبة . قالك قبلها تعبين بحافة الصفحة . »

« أهذا صحيح ؟ أكنت أفعل ذلك الآن ؟ »

« أجل . »

وفي خلال خمس دقائق كانت عينا ماجي قد أطلعتنا من الألم . دفنت وجهها بين يديها وقالت :

« أوه ، ألم مرووع . كم أتمنى لو كانت آجي هنا . »

« يمكنكني أن أفعل ما تفعله لك آجي . فقد علمتني الطريقة . »

« هل أنت والت ؟ »

لم يكن وافر الثقة حينما اتخذ مكانه خلفها ، ولكنه لم يظهر ريبه .

وضع يديه بقوة في منتصف جبهتها ، وحركهما إلى الخارج في خط منحني .

وقال بتعومة :

« هاك ، أترين ؟ أنت الآن أحسن حالا . أليس كذلك ؟ بعد لحظة . دون شك . »

« أجل . »

وبعد خمس دقائق ، كان الصداق قد تلاشي .

تلقت سعادة آرثر بقدرته الجديدة حتى أنه كان يستهزئ كل فرصة لاتقراءه

بماجي لكي جعلها تصاب بنوبة صداق عن طريق الابعاء . ثم يعالجها منها .

وكلما تذكر قيامه بهذا العمل . كلما أصبح الأمر أكثر سهولة . أما ما سره

أكثر السرور ، فهو أن ماجي التي تكبره بحمسة أهوام . قد بدأت تعامله

بالاحترام الواجب أن تودبه إلى طبيب . ففعله نصلاً أكثر قليلاً من الحلوى

حينما يكون عليها أن تهيء طعام العشاء .

و ذات يوم . مساء كان جلوس في مواضعها ، بقراء إحدى روايات طرزان

تنامت ماجي ومددت جسمها : فافتتح صدرها الصوفي الرمادي ، وكشف  
عن جزء من خصرها حينما الكمش وانعد عن جوفلتها .

سألنا بتعاطف : « الصداق ؟ »

« كلا . »

ولكنها ، بعد خمس دقائق ، كانت تتأوه وتضغط على جبهتها ، فقال لها :  
« أنرفين ، لقد دلتني شخص في المدرسة على طريقة أفضل بكثير لعلاج

نوبات الصداق . »

« وما هي ؟ »

« قرص حلمائك . »

« إنك تخرج رجلي ! »

« كلا ، جري بنفسك ! »

رفعت ماجي يدها في شك ، وقرصت حلمتها العريانة من خلال الصدر .  
« أليس هناك تأثير ؟ »

« كلا . »

وقف وذعب فوقف ورامها وقال : « والآن ، استرخي . »

( كانت هذه دائماً هي إشارة البدء للتربيت على الحية ) .

فالت : « هذا أفضل . »

ضغطت يدها على جبهتها لحظة وراحت تلك جبهتها جهة الخارج للحظة  
ثم امتدت إلى أسفل حتى عثرت على يديها - صغيرين ومنمطحين - وبدأت

تقرصهما .

قال : « أهذا أفضل ؟ »

« لا أعرف ... » كذلك أجابت على سؤاله وفي صوتها رنة ارتباب واضحة

« إنك أنت هنا ... »

كانت حلمتها دقيقتين جداً ، وكان الصوف صمياً جداً . قال :

« أحلمي هذا الصدر . »

كان يعرف أهمية املاء الأوامر ، وجعلها تضاعف ، رفعت ماجي صدرها  
حتى أصبح فوق تديها الصغيرين . انحنى آرثر إلى الأمام وضغط بيده على  
ظهر المقعد لكي يهدئ ما شعر به من تورم . ثم راح يقرص الخلدتين برفق .  
وقال :

« هاك ، هذا أفضل بكثير ، أليس كذلك ؟ »

فالت : « أووووه ! » وخرج زفيرها في تهيدة طويلة .

« أفضل ؟ »

« رائع ! »

« أتريين ؟ هذه الطريقة أسرع بكثير من التربيت على الحية . أليس

كذلك ؟ »

« أجل ، أسرع بكثير . »

كان من الميئس أن ماجي لم تكن تجذبه جسدياً . وإنما كان متعلقاً بعلفها  
غير واع بشقيقتة . وكان خديراً أن يدفع الكثير من أجل أن يسمح له بأن

يقرص حلمتها . ولكن الفرصة لم تتح له أبداً لكي يفعل ذلك . وكانت بوابن  
تبدو غير قابلة للاعتناء . سألنا ذات مرة :

« أنشعرون بصداق ؟ »

« صداق ؟ كلا بالطبع لا . »

وكان هذا هو كل شيء . وكانت ماجي تعاني من مرض الصغراء . وقد  
قال الطبيب إن أجهزتها للشايد عاجزة عن التخلص من سمومها . وكان

جسمها يفرج برائحة الضعف والمرقس . وقد كان يسدح ناهلثها بأن يعبث  
بعضها . « كان مما ينجم احساساً قبيحاً أن يلمسها

« أرفمن صدائك . »

« وامت مرة - حينما كانا وحيدين في المنزل - قال لها

« من الأفضل أن نلعب . »

فجعلت ما أن لها في ذنون أحجاج . وراح يعبث بفسده التماسل على

الخشب . ولم يكن السبب هو أن ماجي لم تكن تثيره جسياً ، وإنما بدا له ما في الموقف من ابتذال أكثر الثارة . فأعضاؤه مكشوفة ، بينما فتاة تآوه بركة وهو يعبت بصدرها . أما فكرة أن يرفع ثوبها فيضع يده بين سابقها فقد ولدت لديه احساساً بالرفض والاشمئزاز . لم تكن ماجي تثير اهتمامه ، وإنما كانت هيبتها عليها هي ما يعطيه المتعة والبهجة . وقد فكر في أنه قد يكون من المتع أن يضربها ، ولكنه لم يتخيل هذا السلوك أبداً . وبعد شهرين لزمت ماجي فراشها ، وماتت في غريف عام ١٩٤٩ . وحينما وقف آرثر لكي ينظر إلى وجهها وهي راقدة في الشمس - وقد بدا الموت بالغ الوضوح عليها - دهش آرثر حينما شعر بحزن مفاجئ ، يملأه من الداخل جعل الدموع تنهمر على خديه . فاكشف - حينئذ - مدهوشاً أن امتلاك هيمنة على شخص ما ، يمنحه هو أيضاً هيمنة عليك . إنه لم يحب ماجي أبداً ، وقد شعر دائماً إزاءها بنوع من الرفض والاشمئزاز ، ومع هذا فإن احتكاكه بجسدها خلق علاقة أو رابطة بينهما . ولكن كان قد نسبها تماماً في اليوم التالي لموتها . وقد جاء هذا السيان كنوع من الارتياح . فإن حزنه كان قد أخافه ، إذ لم يكن من المتع أن يشعر بالضعف .

كانت قصة « ماركو » قد جعلت آرثر يهتم بموضوع التنويم المغناطيسي . وكان ابن عمه ألبرت قد قرأ هذه القصة أيضاً ، وذات يوم ، حينما كانت آجي في الحجر ، اقترح آرثر أن يوسعه أن يحاول تنويم ألبرت . كان قد حقق اكتشافاً متعاً ومثيراً للاهتمام . كان كلما أسرف في القراءة راح يتشابب ، وامتلات عيناه بالدموع . وكان ، في بعض الأحيان ، إذا حدث هذا ، ضم أصابع يديه اليمنى واليسرى بعضها إلى البعض ، ثم يضغط بهما على أصابعه على جيته . وذات يوم حاول أن يبعد يديه الواحدة عن الأخرى وهذا في هذا الوضع ، يشاك أن يحكم من تماسك أصابعه . وحينما فعل ذلك . شعر باحساس غريب من الخفة في جمجمته . كانت الشمس تسطع عبر النافذة .

فالمكست أشعتها على قطعة محطمة من مرآة منصوبة على واجهة صوان كبير في الحجر المواجهة له . وفجأة خيل له أن هذا الضوء قد تخلله ظل عابر بعرض النافذة للحظة واحدة . وكان معنى هذا أن الضوء قد « استلبه » لعدة دقائق وأغرقه في لحظة سيات عابرة رغماً عن إرادته .

قال لألبرت أن يشك أصابع يديه وأن يضع اليدين متشابكتي الأصابع فوق قمة رأسه . ثم قال له أن يشد يديه إلى أسفل بكل ما يمكنه من القوة . وبعد لحظة . كان وجه ألبرت قد نورد فقال : « إنني أشعر بالنعب . »

« لا بأس ، استمر . »

وحينما ثبتت عينه ألبرت دون حركة بسبب التوتر . بدأ آرثر يحرك يده في حركة دائرية بطيئة أمام عينه ، ثم قال بنعومة :

« حسناً . هذا جميل ، يمكنك الآن أن تسرخي . »

واسرخى ألبرت ، ولكن عينه ثبتت على يد آرثر . قال آرثر :

« والآن ، قف . »

وقف ألبرت . فسأله آرثر :

« أيمكنك أن تسعني ؟ »

قال ألبرت : « أجل . »

« حرك يديك اليمنى . » ولمس اليد المقصودة ، لأن ألبرت كان عاجزاً عن أن يميز بين يميني اليدين ويسراهما ، فحرك ألبرت ذراعه اليمنى . قال آرثر : « يديك اليمنى تريد أن تظل مرتفعة في الهواء ، ولكنك لا تريد ذلك . حاول أن تجمعها من الارتفاع . »

تركت اليد مكانها في جيب ألبرت . وبدأت ترتفع . وبدأ الأثر عاج على ألبرت . وها ، أن يرغمها على الميوط . وتجمع للحظة ، ثم ارتفعت اليد مرة أخرى حتى أصبحت ممتدة متعادلة على جسده في زاوية قائمة . قال آرثر :

« حاول بقوة أكثر . »

وزاد وجه ألبرت احمراراً . قالت آجي :

كان آرثر منزجاً ومندعشاً من نجاحه بقدر ما كانت آجي . ولم يكن يوسعه أن يعرف أنه قد وقع اعتباراً على واحد من المبادئ الأساسية للتنويم المغناطيسي - وهو مبدأ اجتهاد القدرة على الانتباه أو اجتهاد العضلات - ثم الاستفادة من لحظة السبات أو الركود الموقفة . فان الذات الواعية ، الذات التي تملي على الجسد أوامرها في العادة ، تغرق في النوم للحظة عابرة وتصبح العبدان زجاجيتين ثابتتين ، وفي هذه الحالة ، يستطيع النوم أن يصدر الأوامر إلى « الغريزة » لدى الآخر ، متجاهلاً الذات الواعية أو عابراً فوقها . في غفلة منها . لم تكن لدى آرثر أية فكرة عن كيفية الخراج ابن عمه من سباته اللاإرادي . ولما فرغ بأصابعه أمام عينيه لم يؤد هذا إلى نتيجة . ولكن . بعد بضع دقائق ، هز ألبرت رأسه بعنف وأفاق لنفسه .

وحيثما فكر آرثر فيما حدث ، بدأ يدرك المبادئ الكامنة وراءه . كانت حالة سباته هو القصور راجعة إلى الاجتهاد - إجهاد عضلات عينيه ، وما تبعه من اجتهاد تسلل إليه بسبب توتر ذراعيه . إن الاجتهاد قدرة عزلك عن العالم الخارجي ، ولذلك تكف عن ملاحظة ما يدور حولك وما يوجد من أشياء . ويعني ما ، تصبح في الوقت ذاته ، مستيقظاً ونائمًا . إنها حالة تشبه رقادك في الفراش ، ولكن مع المحافظة على قدرتك على الحركة وإطاعة الأوامر . وقد أربكت هذه التجربة ألبرت لدرجة أنه سمح لآرثر بأن يكررها عدة مرات . وجرب آرثر عدة وسائل مختلفة . وكان يوسع الوعي الخداد بالذات أن يؤدي إلى نفس التأثير القائم على اجتهاد الانتباه وأنها كـ . وكانت الحيلة تقوم ببساطة على جعل الآخر واعياً إلى درجة حادة يحسه . كان ألبرت يؤمر بأن يجلس على مقعد ، ثم بأن يضع يديه على ركبتيه ، العاريتين . ثم يقول له آرثر :

« والآن فكر في أطراف أصابعك . يمكنك أن تشعر بركبتيك تحت أطراف أصابعك . أيهما أكثر دفئاً ، أطراف أصابعك أم جلد ركبتيك ؟ يمكنك أن تشعر بوجود المخطوط الضئيلة في بشرتك ؟ يمكنك أن تحس بالشعر الخفيف تحت

أطراف أصابعك ، يمكنك أن تحس بجلد ركبتيك بشكل بصمات أناملك ؟ وكانت هذه الطريقة تستغرق وقتاً أطول مما تستغرقه الطريقة الأولى . فقد كان على آرثر أن يظل قادراً على الاستمرار في الانتباه بالأحاسيس والمشاعر المختلفة حتى يصل ألبرت إلى حالة تركيز جنوبية على جلد أطراف أصابعه ، فيصل إلى درجة من الوعي بالذات تشبه غليان سائل ما داخل إناء مغلق بإحكام وهو النوع الخداد غير الصحي من الوعي بالذات الذي شعر به آرثر وهو يحاول أن يتبول بينما وقف إلى جانبه شخص ما . وحيثما بلغ ألبرت هذه المرحلة ، كان يوسع آرثر أن يكفي بأن يقول له إن ركبته تحكه لكي يجفل متألاً ، فان الحكة تصبح حيثك كصخرة ملئت بطاقة محصورة محبطة لا وظيفة لها . وبعد تدرب قليل ، أصبح يوسع آرثر أن يفرض على ابن عمه حالة السبات بعد ما يقرب من عشر دقائق من الانتباه بالافتراحتات المتواليات . وحيثما حدث هذا كان يستطيع أن يأمر ألبرت بأن يفعل أي شيء . وفي إحدى التجارب ، قال له أن يشعل عوداً من القناب ثم يمسه رافعاً لمبه تحت أحد أصابع يده اليسرى . وأطاعه ألبرت ، وظل يمدق في اللهب في حالة من التكذيب السلبي الناصر ، حتى نفع آرثر في عود القناب فأطفأه . وكانت بولين تحضر العديد من هذه التجارب فسأته لماذا يفعل هذا ، فقال ألبرت إنه لا يعرف وأضاف :

« كنت أعرف أنني أفعله ، وحاولت أن أمنع نفسي . ولكن يسدي استمرت في فعله . »

وقد حدث كل هذا فيما بين صيف عام ١٩٤٩ وصيف عام ١٩٥٠ . وقد تمت حادثة السطو الأولى التي ارتكبتها آرثر في شهر نوفمبر من عام ١٩٤٩ . بعد موت ماجي بوقت وجيز . ولم يكن قد مر وقت طويل بعد هذا حينما اكتشف أن بولين كانت قد أصبحت عشيقه لعلمها ديك لينجارد . وفي ربيع عام ١٩٥٠ تسلم عمله في محل التليغرافيون ، ثم وقعت حادثة السطو الثانية - حينما تأمل عملة الانعصاب - في شهر يوليو من نفس العام . وقد حدث في نفس هذا الوقت تقريباً أن بدأت بولين تنام مع جورج جولدوهوك . وأصبح

آرثر الرسول بينهما .

وقد كان لجورج جولدهوك تأثير هام على آرثر من سبيلين . فقد كان هو الذي قال لآرثر إن التليفزيون يمكن أن يكون المصدر العظيم للقود الكبيرة في المستقبل ، وأنه ليس بوسع آرثر إلا أن يشغل بما هو أسوأ من أن يصبح مهتماً لاصلاح أجهزة التليفزيون . وقد كان من الممكن أن يتجاهل آرثر هذا الاقتراح لو لم يكن يمعن التفكير في كيفية القيام بالسطر على المنازل بأقل قدر ممكن من المخاطرة . إن العامل الذي يقوم باصلاح أجهزة التليفزيون يستطيع أن يحصل على الاذن بدخول بيوت الناس - وبوجه خاص بيوت الناس التي تشبه بيت دنكان ماكيفر ووالديه - وطلب آرثر من المكتبة المحلية أن تأتي له بكتاب في هذا الموضوع (موضوع اصلاح أجهزة التليفزيون) . ومن الأدلة التي تثبت ذكائه النظري اللامع قدرته على فهم الحوالب الأساسية من هذا العمل واتقانها في أسابيع قليلة - وقد أفهمته وشجعت فكرة القيام بأعمال السطر بأقل قدر ممكن من المخاطرة - ثم استطاع أن يضع عملاً قريباً من منطقة سكنه ليبيع واصلاح أجهزة المذياع والتليفزيون بأن يوظفه في وظيفة عامل اصلاح على أساس أن يعمل نصف يوم فقط . وقد سبق أن وصفت نتيجة حصوله على هذه الوظيفة . وفي الوقت الذي وضع فيه آرثر تحت المراقبة في شهر مارس من عام ١٩٥١ كان قد أصبح أحسن عمال اصلاح التليفزيون خبرة في وورينجتون . (ويجب أن نضع في اعتبارنا أن تلك الأيام كانت هي الأيام الأولى من عمر جهاز التلفزة وقبل أن يكون شائعاً في مثل شيوع الراديو) . وبعد وضعه تحت المراقبة على الفور تسلم عملاً تابعاً لمحل لبيع واصلاح أجهزة التليفزيون في المنطقة الوسطى من مانشر - بعد أن حصل على إذن بذلك من ضابطة الأحداث . وقد أتاح له هذا العمل - كما كان يأمل - فرصة الدخول إلى بيوت أبناء الطبقة الوسطى وإلى حجرات الضائق . كان الناس يدهشون ويسعدون حينما يقول لهم الصبي ذو الثلاث عشرة سنة أنه قد أرسل لكي يصلح جهازهم ، وكانت ربات المنازل يقدمن

له الشاي والكعك ، وكان بعضهن يقفن له أحياناً : « سأخرج إلى السوق أغلق الباب ورامك حينما تغادر المنزل . »

وفي الغالب كان يجده في المنزل ما يزال حين عودتهن ، ولم يكن من الممكن أن يخطر بباله أنه من المحتمل أن يكون في تلك اللحظة مرتدياً سروالاً حريرياً أخذه من سلة الملابس القذرة المتركة للعسل . وكان كثير أماً يستمتع بالوقوف وتبادل الأحاديث مع ربات البيوت ، وهو يعطي من داخله بفكرة أنه من المحتمل أن يكون في نفس اللحظة مرتدياً شيئاً يثخن بأعضائه التناسلية وكان هذا الشيء قد احتك من قبل بأعضائها . وفي مثل تلك اللحظات . كان يرفع حقيبة أدواته أمامه يعطه لكي يتحقق ما قد يبدو من انتصائه المراد . كان هذا نوعاً من الاعتصاب الرمزي مرة أخرى . يحل معه إليه إحساساً عامهاً وسرياً بالقوة وبالتفوق .

وكان جورج جولدهوك هاماً لسب آخر . فقد عمل لبعض الوقت في المسرح . بوصفه عضواً في فرقة المطربين الخمسة التي عرفت باسم « المبلو شيرز » . ولكن ضموحه الخاص الخفي كان يتجه إلى أن يكون عضواً في « جمعية السحرة » . ولكن قدراته على استعراض أعمال السحر لم تصل به أبداً إلى مستوى المحترفين - أو أنه على الأقل لم يستطيع أن يضع أي مدير لأي مسرح يأخذ قدراته قد وصلت به إلى ذلك المستوى - ولكنه كان يمتلك معرفة جيدة بالنسبة للهواة في فن الهروب . بالطريقة التي كان الساحر « هوديني » يجازي بها هذا الفن . وتظاهر آرثر بأنه قد وضع في أمر المشاكل المعقدة لعملية الهروب من الصناديق الزجاجية المغلقة المملوءة بالماء . أو من الخرائط المحكمة الاخلاق إلى درجة لا تسمح بإبعاد الهواء . ولكن كان ما سحر آرثر حقيقة . معرفة جولدهوك بأمر الأفعال والخزائن لها . وكان جولدهوك سعيداً باستعراض مهارته في فتح الأقفال . وأطلع آرثر على كيفية فتح أي قفل قادي من طراز « ميل » باستخدام أداة مسطحة مصنوعة من قطعة منبته من السلك وشريط قصير من ورق السيلوفان . إن القفل لا يشتت أبداً شيئاً جدياً



في مصراع الباب ، ومن الممكن أن نولج قطعة من السلك ذات شكل خاص تحت لسان القفل أو فوقه ثم ندار في الاتجاه الصحيح . فإذا كان الباب محكماً احكاماً مناسباً ، استطاعت الشفرة المصنوعة من ورق السيلوفان الصلب أن تلتصق حافتيها مع حروف اللسان داخل القفل حتى نفتحها . بل إن آرثر استطاع أن يضيف إلى هذه المعلومات ابتكاره الخاص : فقد صنع نقاً طويلاً خبياً يمر في وسط شريط ورق السيلوفان بالطول ، حيث نولج قطعة السلك لكي تنزوي من الداخل ، ويكسب السلك مرونتها من الخارج وقدربها على التكبيف مع حروف لسان القفل . وأطلعته جولدهوك على كيفية استخدام مفتاح مصطنع لفتح الأقفال العادية ، وكيفية انتقاء المفتاح المناسب . وقد نظرت جولدهوك إلى جلوس آرثر طوال ساعات أمامه على مائدة واحدة في حفص الأقفال وتجربة المفاتيح . نظرت جولدهوك إلى هذا التصرف باعتباره نوعاً من المحاماة المهذبة والكريم من جانب آرثر .

وفي اليوم الذي قتل فيه جولدهوك ، أسرع آرثر إلى شقة عشيق أخته ، ودخلها مستخدماً مفتاحاً احتياطياً كان قد نسخه من مفتاح الشقة التي تحمله بولين معها فأخذ مجموعة جولدهوك من المفاتيح والأدوات الأخرى . وقد وقع هذا بعد اسرع بالاضبط من وعده الذي قطعته أمام القاضي بأن يظل بعيداً عن المشاكل لمدة لا تقل عن عام . ولم يشعر ساعنها بأنه كان يتخلى عن وعده ، فقد كانت لديه النية الكاملة في البعد عن المشاكل .

وكان اغواؤه لانه عمه آجي ، هو أول عمل حفظت ومحسوت من هذا النوع يقوم به . وقد تم هذا العمل في صيف عام ١٩٥٠ . في الوقت الذي كان يعمل فيه صبياً في محل بيع التبغيزيون . وقد لعبت شقيقة دنكان دوراً هاماً في خيالاته الجسدية . وبعد فترة . لعبت آجيس دوراً مشابهاً . كانت . وهي في الخامسة عشرة من عمرها . فتاة شاحبة لاجاذبية فيها . وكانت على صلة وثيقة جداً بآرثر منذ شهر يوليو عام ١٩٤٨ . حينما أمر إليها بالمشهد الذي رآه على ضوء النبال .

كانت تنام على تقص الفراش مثل بولين وآرثر وألبرت . ولكنها كانت تحل في المكان الواقع إلى جنب بولين من الناحية الأخرى . أما ألبرت فكان ينام عند الطرف الآخر للفراش .

حدث ذات مساء أن عاد آرثر من محل العقالة الذي كان يعمل فيه . لكي يجد المنزل مثقلاً بالبخار . كانت آجي تقوم بغسل الملابس . وكان هذا العمل يتضمن وضع قطع الملابس القفزة في قدر كبيرة من النحاس مع الماء والصابون . ثم اشعال الموقد تحت القدر حتى يغلي الماء جيداً . ثم تغلب الملابس بعصا طويلة من النحاس . ولم تكن آجي ذات جسد قوي . وبعد نصف ساعة من هذا العمل . كانت مسرحة على المقعد ذي المسدين . وشعرها متصن بيهتها في حصالات مشعنة مليلة . كانت تقرأ في مجلة « الاعترافات » وبينما كانت تقرأ . راحت تفحص لديها الأيمن بيدها اليسرى . ومن المحتمل ألا يكون لهذا التصرف الأخير أية دلالة جسيمة ، فان عرقها الغزير جعلها تشعر بحكة في جلدها . سألتها آرثر تدفعه رغبة في المعرفة :

- « ماذا تفعلين ؟ »
- « أفسرأ . »
- « تفحصين نفسك . »
- « أوه . ذلك ! »
- « أنتشعيرين بصداق ؟ »
- « كلا . لماذا ؟ »

« كنت أفعل هذا للملح إذا أصابها صداع . وكنت أفعله بطريقة أحسن من طريقك . »

« حقاً ؟ »

« كانت هذه هي المرة الأولى التي سمعت فيها آجي بأن آرثر كان يفعل ذلك لأحدها . سار آرثر حتى وقف وراء مقعدها . فتحركت آجي إلى الأمام في الزمراج وقالت :

« أوه ، كلا ، لا أريد شيئاً من هذه الحيل التورية . »

« لن أحتال عليك في شيء . إنما هي عملية مريحة حينما تشعرين بالتعب .

اجلسي . عودي إلى الجلوس . »

مد يده ولمس صدرها ، وقال :

« أين حمالة صدرك ؟ »

« في العيب . »

كان في الحقيقة قد لاحظ أنها لم تكن ترتديها ، وكانت هذه الملاحظة المبكرة هي التي ألفتها الفكرة . شعر بتوترها وانزعاجها ، فضغقت عليها حتى لامس ظهرها ظهر المقعد . قالت :

« لا تنويم ، فاهم ! »

« كلا . إنما أنا أفعل فقط ما اعتدت أن أفعله لاجبي . ولم يكن ذلك تنويماً .

ألبس كذلك ؟ »

« كلا . لا أعتقد ذلك . »

كان صدرها من القطن الخفيف ( وقد كانت ذاكرة آرثر دقيقة دائماً في مثل هذه الشؤون ) . فلما وراح يربت عليها وبدلكها من فوق الصدر ، انتابه نفس الحالة التي كانت تنتابه حينما كان يربت صدر ماجي ، وأصبحت حركته بطيئة وتلقائية . استرخى جسدها وقالت :

« أجل ، هذا لطيف . »

وضع يده بين ثدييها ، وراح بذلك بقوة في اتجاه الخارج ، وكانت الحركة مختلفة تماماً عن الملاطفة الجنسية . وبدأ تنفس آجي يصبح هادئاً وعميقاً ، وحينما أصبحت مسرّخة استرخاه كاملاً شرع هو يقرص حلمتها ، ثم سألها :

« هل هذا لطيف ؟ »

« منم م م م . »

كانت هذه همهمة الرضا الكامل والارتياح . فقال لها :

« ارفعي صدرك . » ثم جذبته فأخرجه من حزام جونتتها . فرمته دون

احتجاج ، ولكن جسدها كان مبللاً بالعرق حتى أن يده كانت تزلق عليه ، فكانت هذه الحركة مرضية بدرجة أقل من التريبت على الصدر من فوق الصدر . ولكنه استمر لبضعة دقائق أخرى حتى سمعا صوت خطوات صعد مدخل المنزل .

وتقدمت العلاقة بينهما ببطء . باعتبار أن فرصتها كانت قليلة للاندفاع في المنزل المزدهم . ولكن قبل أن يجل الخريف . كانت قد تعودت على أن تسمح له بالوقوف وراءها ، والتريبت عليها ، ثم قرص حلمتها . وسرعان ما كتفت عن الاعتراض على فكرة التنويم . وحينما كان يرتبها كان يقول لها .

« ضعي يديك على ركتيك . استرخي ورتبي ركتيك بأطراف أصابعك . يمكنك أن تحسي بملس جوريك تحت أطراف أصابعك ؟ »

واكتشف أن تريبتة هو عليها كان يشتت تركيزها . فكانت تصل إلى درجة التركيز بسرعة أكبر بدون مساعدته بالتريبت . أصبحت العنان ثابتتين . ثم قال لها :

« هاك . يمكنك أن تسترخي استرخاه تماماً . إنك تشعرين كما لو كنت تعومين في فراش سبيك من الريش . إنك تعومين إلى عمق أبعد . وأبعد . وأبعد . غبتك تمضان . هاك . هل هذا لطيف ؟ »

« أجل ، كذلك قالت . وكان صوتها لا يكاد يسمع .

ورفع صدرها الصوفي ، وجذبت حمالة صدرها إلى أعلى — ولم يكن ذلك صعباً فوق نهدتها الصغيرين . وبدأ يقرص الحلمتين فائلاً :

« أيتعلقت هذا شعيرين بالاسترخاه ؟ »

« أحس . »

« اخلمي حمالة صدرك . »

ومد يده وراءها وخلع الحمالة . ثم قال لها :

« والآن اخلمي صدرك . »

ثم ساعدها على خلعها من رأسها . كان فمسن بشرتها رافاً . فقال

« إنك تشعرين بالدفع الشديد ، أليس كذلك ؟ »

« أجل . »

« من الأفضل أن نخلي جونثك أيضاً . حلتي الرباط . »

انتهجت يديها إلى وسطها دون تردد ، وسقطت الحولة إلى قدميها . ولم تكن ترندي قصباً داخلياً . وكان جورباها مشدودين إلى أعلى برباطين من المطاط مربوطين في عقدتين بدائيتين . كانت السراويل الطويلة الحريرية مألوفة لديه ، ولكن رؤية السراويل حول جذعها وردفيها أثارت فيه شهوة عنيفة . وضع يديه حول وسطها .

« كلا ، يا آرثر . »

كان صوتها ضعيفاً منوسلاً ، وشعرت بقدر هائل من الخضوع واللذلة .. وعرف أنه قد انتصر .. كان يشعر بالحساس بالقوة لم يشعر به من قبل وهو رقيقها . نظرت إليه ، في انتظار حركته التالية . أشار إلى الساط الذي صنع في المنزل من الحرق القديمة وقال :

« أرقدي هنا . »

« كلا . قد يأتي أحدكم . »

« أرقدي . »

جلست على الأرض وقد ظهرت عليها التعاسة .. عرفت ما سيحدث بعد هذا . قبلته بطريقة فلسفية ..

وفي اللحظة التي بلغ فيها ذروته سمع شخصاً ما يدخل الحجره الأخرى ، فامتلاً بالأمل في أن يدخل الشخص القادم أباً كان فبراه في وضع السيطرة والقوة هذا . راقداً بين فخذي آجي المتباعدين في وهن . ولكن لم يدخل عليهما أحد . فارتديا ملابسهما دون إزعاج . شعر بأنه نظيف ومبعد إلى درجة غريبة . كانت المغامرة جذيرة ينالون الحرمة مناسبة له . وبدا على آجي أنها قد قلت وضعها الحديد على علاته ودون اعتراض ، كما لو كانت جواداً ينتظبه مالك جديد .

• • •

ليس هناك أية امكانية في الشك في أن آرثر لينجارد كان سادياً بشكل أساسي . ولكن ساديته لم تتطور أبداً حتى تبلغ مرحلة الامتثال بالألم . كان بحاجة إلى أن يشعر بنفسه في وضع السيد . وفي ظل ظروف مختلفة . كان من الممكن ألا يؤدي هذا الشعور إلى كبير ضرر . فلو أنه قد أتبع له متفهم طبيعي ما لاحتياجه إلى السيطرة - كنظم مثلاً - أو في الانشغال بنوع ما من الأعمال المشروعة - لكان من الممكن أن يكون هذا الشعور ميزة مرموقة . وكانت آجي شخصية من النوع التي يمكن أن تجعلها زوجة جيدة لأحد رجال الأعمال - بصبرها ، وانحلاصها القوي ، وطول تحملها للعذاب . ولكن رغبات آرثر الجنسية كانت الآن دائمة ومستمرة وعنيفة حتى أن فكرته الوحيدة كانت هي كيفية اشباع تلك الرغبات . وكان معنى هذا أن تلك الرغبات قد قطعت الطريق على ما كان من البداية متنفسه الخلاق الحقيقي : الخيال . فمن الصعب أن تحيا حياة بطولية فوق كوكب المريخ إذا كنت في حالة انصب دائم . فتجد كل فتاة تقابلها في الشارع من ثيابها - في عقلك . وقد قال لي انه في الأيام التي تلت « اغواءه لآجي » ، كان في حالة رغبة دائمة . فقد حدث بعد نصف ساعة من ارتدائهما ملابسهما أن كانت الأسرة مجتمعمة تشرب الشاي . فراح يفكر في منظرها وهي تتخفق سروالها وتزعه من قدميها ، فقد كمل رغبة له في الطعام على حين فجأة . لم يكن هناك ما يبسه خلا الخلس ، وحسباً صعدت آجي إلى الطابق العلوي لغرض ما بعد نصف ساعة . تبعها إلى أعلى . جعلها ترقد على السرير . ورغم أن المنزل كان ممثلاً الآن بالناس ، وكان من الممكن أن يقاطعها أي شخص في أية لحظة . قال لي آرثر :

« قدرت أن علي أن أفعل في هذا الصدد شيئاً ما . كنت أريدها ملوك الوقت . في البداية . كنت أحاول أن أخضع معها على بعض الاشارات المحددة لكي تخرج خارج المنزل أو تصعد إلى الطابق العلوي . ولكنها كانت تتظاهر بعدم الفهم . وحسباً عرفت الحل . كان الحل كأمسي في قصة « مارغو » الذي كان جعل « ملائكت » تتدبر فحأة ثم يقض الراحا وهو . في الطابق العلوي .

أتذكر ذلك ؟ لقد قال لبلانكيت أنه حينما يرفع يده أمامه ، كما لو كان يشير لهم لكي يظنوا من سيرهم ، فإن عليه أن يظن الراجح - وقد قال له هذا وهو تحت تأثير التويم المغناطيسي . وهذا هو ما يدعى بالإبحاء إلى ما بعد التويم . إنهم يستطيعون أن يفعلوها مع أناس يقومون بأشياء عادية للغاية - مثل إشعال الغازة ، أو عبور غرفة من ناحية إلى ناحية فيقبلون شيئاً كنت قد أمرتهم بفعله وهم تحت تأثير التويم المغناطيسي عندما تشير إليهم بإشارة محددة . وهكذا فقد فكرت أن أفعل الشيء نفسه مع آجي .

وقد حدث بعد يومين أن جعلتها ترقد على السرير بعد أن جاءتها على التور . ولذلك فإنها لم تشك في شيء . لأنني كنت قد تخلصت من رغبتني بإشباعها . كان يروق لها أنني أن ألتصق بها ، وأن أربت عليها ، فكانت تنهر كالفظة . وقد فعلتها في هذه اللحظة . جعلتها تقوم ، ورحت أقول لها إنها متعبة وأنها تريد أن تنام . ولما كانت قد غرقت تماماً في النوم ، لم تتحرك حتى حينما غرست دبوساً في لحمها . فقلت لها إنها إذا رأني أحك طرف أنفي بأصبعين ، فإن عليها أن تنتظر حتى أغادر الغرفة . ثم تسبني .

« تتبعتك إلى أين ؟ »

« إلى أي مكان . فإذا كان الجو دافئاً ، ذهبت وتبعتني ، إلى ضفة القتال . كنا تفعل ما نشاء في نفس المكان الذي راقبت الكثيرين من قبل بفعلونه فيه . وكان هذا لطيفاً . ولكن إذا كان الجو بارداً ، كنت أذهب ، وتبعتني ، فقط إلى المرحاض الخارجي . أو إلى المكان الواقع وراء مخزن الفحم . »

« ولكنها لا تستطيع أن ترقد في مرحاض . »

« كلا . كنا نفعل ما نشاء بالطريقة التي رأيت العم ديك يشعها مع بولي . . ولم يكن الأمر أبداً يستغرق وقتاً طويلاً . . »

« ألم يكن هناك خطر من أن تحمّل ؟ »

« كان لديها مانعان من المطاط . وبعد ذلك كانت تحفظ في داخلها بيده القطعة من القماش أو القطن المبللة بشيء ما . . . أخذتها كانت تلبسها بسائل الكبش . »

أو محلول الخلل الذي يؤدي إلى نفس الغرض . . .

« هل كنت تحبها ؟ »

« أوه . لا . إنما أعتقد أنني أصبحت مفرماً بها . . . »

« هل قبلتها ؟ »

« أحياناً . كانت لطيفة في التسجيل . »

« هل كانت ترضيك وتبشرك تماماً ؟ »

« أحياناً . وقد فكرت أنه من المؤسف أنه لم تكن هناك أشياء أخرى

أستطيع أن أؤديها لها . كانت المشكلة هي حكاية القوة تلك . . . كنت أؤمن بأن أحييها أحياناً . . . »

من المناقشة السابقة ، التي كنت قد سجلتها على جهاز للتسجيل ، سيكون واضحاً السبب الذي معني من الاستزادة من الاقتباس من كلماته مباشرة . كان عقله يتقل إلى مسار آخر وإلى موضوع آخر من جملة إلى جملة . وكانت هناك أيام يبدو فيها في حالة أفضل من غيرها . ولكن في غالب الأيام . كانت قدرته على التركيز محدودة إلى أقصى حد . فإذا ما صار طبيعياً . دون أن يحاول الاشتراك في مناقشة فكرية ، أصبح مستوى تعبيره عن نفسه منخفضاً للغاية .

وسوف يلاحظ أيضاً أن علاقته بآجي لم تكن علاقة طيبة . رغم تأكيدها بأنه « قد أصبح مفرماً بها . »

أما الحقيقة فهي أنها كانت تستخدم استخداماً خالصاً بوصفها أداة للتأكيد الذاتي . وليس من الضروري أن تكون مثل هذه العلاقة علاقة صينة . فهناك الكثير جداً من الشخصيات السادية التي تزوجت زواجا سعيداً من شخصيات ماركسية - إذا ما كان من المسلم به أنها علاقة بصحتها نوع من الأدب العاطفي . ولكنه لم يكن يملك ما يقدمه . فحينما سأله عن خطر الخلل . أجابني بقوله : « كانت تملك مانعين . ولم يقل : « كنا نملك ، كما هو حدير معظم العشاق أن يقولوا . ثم قال : « كان من المؤسف أنه لم تكن أشياء أخرى أستطيع أن أؤديها لها . إن المرات العديدة التي بلغ فيها ذروة نشوته

وهو فوقها لم تكن تستطيع أن تمنحها أي إشباع . كانت تستخدم بوصفها أداة ، وقد عرفت هي ذلك . وقد اعترف آرثر بأنها كانت قادرة على أن تلعب هي الأخرى ذروة نشوتها بشكل طبيعي لو أنها كانا قادرين على أن يلعبا إلى القرائن سوية أو مارسا الجنس دون خوف من تطفل أو مقاطعة . وأخيراً فإن هناك استمرار على أنه كان يجب أن يجعلها تلعب سرورها وتكون من التفكك . لقد شرع بالاثم لاستخدامه إياها بهذه الطريقة . وكنت أستع بأن أثير مخاوفها . « كذلك قال . وكان هذا هو اشباع حاجة أو دافع جنسي كان بصورة كاملة نزعاً من إرادة القوة والسلطة . وقد كانت هذه النقطة هي النقطة التي بدأت علاقتي بآرثر لينجارد في التغيير .

ولاني لأرى الآن أن هذا التغيير كان أمراً حتمياً لا يمكن تجنبه . فحينما عرفته لأول مرة ، كان عاجزاً مثل طفل ، واقعاً في فخاخ مخاوفه الخاصة . وكانت علاقتي به بصورة كلية علاقة أبوية . من ذلك النوع من العلاقات الذي يقوم بين الطبيب والمريض . وحتى حينما عرفت أنه قد قتل ، إيفلين ماركيز . لم تكن هناك أية أسئلة مثارة حول الاعتراض الأخلاقي من جانبي لذاه . ولماذا يمكن أن تكون مثل هذه الأسئلة ؟ كانت جريمة القتل التي ارتكبها مجرد برهان آخر على مرضه وعلى حاجته إلى المعونة والمساعدة ، وفي كتابتي لهذا التقرير ، أبعدت عندي كل الاشارات إلى نظرياتي السيكولوجية - وهي نظريات ، الإنسانية ، أكثر منها فرويدية - لأنها في الحقيقة لا تؤدي إلا إلى اختلاف ضئيل في أثناء تقديم عملية العلاج الفعلي . ولكن هناك جانب واحد لا يصدق عليه هذا . لقد آمنت دائماً بثبات بأن مهمة الطبيب النفسي هي أن يطابق بين نفسه وبين مريضه ما وسعت المطابقة وأن يحاول أن يجد بينهما نوعاً من التوافق ، وأنه لا ينبغي أن يكون هناك أي ميل إلى الشعور بالتفوق . وإنما مجرد محاولة للتعاطف الشامل . ولم يكن هذا صعباً في حالة لينجارد . لقد كادت زوجتي تنفجر باكية حينما سردت لها كيف راقب آرثر وشقيقته بولين جسد أمهما وهو ينقل من المنفى المحترق ، وكيف قال له أحد أبناء عمه في أثناء

إحدى المشاجرات : « لن يعود أبوك أبداً . لقد مات . »

وقد كان هو واعياً بحدة اهتمامي به وبعاطفتي معه - تعاطفاً لا شك فيه ولا تشوبه شائبة من القصد كما لو كان نوعاً من حب الأم لابنتها - وفي الأيام الأولى للعلاج ، استجاب هو لعاطفتي نحوه بشكل عزيزي ، فبعد سنوات من الحياة في وحدة مغلقة كالذئب الطريد ، كان يشعر بالهجوم إلى التعاطف والفهم . إن غالبية المرضى العقليين لا يكونون قادرين على إثارة الاهتمام أو الإعجاب ، فمشاكلهم تنبع من التفاهة الشديدة ومن عدم الكفاءة ومن العجز . ويمكن أن ينطبق هذا على المرضى الأعياء منهم والأذكياء على حد سواء . وقد صنع وصف آرثر لاعتدائه في خيالات إدجار رايس بوروز علامة تحول في علاقتنا ، أو ما يمكن أن أصفه بأنه كان تصيقاً حاداً لاهتمامي به إلى جانب مضاعفة تعاطفتي معه . لقد سحرني وصفه لرواه المكثرة الفريدة لثوبك المربيع . بل إنني خططت لبحث صغير حول هذا الموضوع : توسيع أفق الخيال ومضاعفة حدته من خلال حالة صرع متوسطة . وقد كانت هذه هي الحالة الأولى من نوعها التي قابلتني أو سمعت بها طولاً حياتي العملية . وبشكل حتمي . بدأت أشعر بالتطابق بيني وبينه والشاشة القائم بيننا . ولقد كانت السموات الباكورة الأولى من حياتي بالغة الصعوبة . ولكنني كنت سعيد الحظ إذا ما قورنت طفولتي وصناتي بطفولة آرثر ومساه . لقد كان لي في مدرستي مدرسون أكفأه ساعدوني على الوصول إلى الدراسة الجامعية . أما آرثر فقد كان وحيداً في مواجهة العالم وضده . وحينما فكرت في ميله الخيالي إلى أن يطابق بين نفسه وبين « جون كارتر » شعرت بالإعجاب والتعاطف بنفس القدر .

كانت هذه هي قدرة « شهر العسل » في علاقتنا . كنت أمضي ساعات طويلة معه كل يوم . ثم أقوم بتسجيل مذكراتي إلى ما بعد منتصف الليل . وكنت أفرد هذه المذكرات بصوت مرتفع أروحي . وقد انقضت معي . كالت هذه المذكرات تضم المادة الملائمة للدراسة موضعية (دراسة حالة قائمة) يمكن أن يكون ملاً كلاسيكياً من أعمال العلاج النفسي . وفي هذه المرحلة .

عقدت العزم على أن أسمي الدراسة باسم : « الحالم » .

وقد استجاب آرثر لهذه الحدة والعمق في الاهتمام . وبدأ يتكلم بحرية وباهتمام . وفي عصر اليوم الذي وصف لي فيه أول حادث سطو قام به ، كاد الأمر يبدو كما لو كنا قد تبادلنا دورينا . كنت أصغي مثل طفل مسحور ، واشفاً أكل كلمة من كلماته كالماء القراح ، مطالباً بكل تفصيلاً زائدة ممكنة . ولاحظت أنه لم يشعر بأي خجل في الاعتراف بأنه قد فكر في مهاجمة شقيقة دنكان في الحمام ، بل ربما كان هناك نوع من الزهو والكبرياء . ثم جاءت اللحظة الحرجة التي وصف فيها استخدامه سرولاً داخلياً لفنائة لكي يصل إلى ذروة نشوته . حينذاك انقطع التيار ، وتوقف مرات عن الحديث ، وراح ينظر إلي بشك . رحت أطمئنه بإيماءات رأسي وإنشائي . وبعد ذلك ناقشنا الحكاية مناقشة ذهنية مجردة ، وأخذ هو يحلل حالته « بطريقة موضوعية وفي اتصال كامل عنها كما لو كانت حالة غير عادية من الإصابة بالتهاب الزائدة الدودية . وقد ابتهج لأنني استطعت أن ألمس ما في حالته من تعقيدات ، لأنني كنت بادئ الاتفعال بمنطق تطوره . كان أشبه بفنان بشري يجهوره إلى المعيرات الخفية لرأته الفنية الفريدة . ومضى فأخبرني بعملية السطو الثانية التي قام بها بنفس الاضطلاع ، فأصبحنا الآن أشبه بيزميين في مؤامرة واحدة . وأما وصفه للتأثير الضخم الذي لحقه من موريارتي ثم من هاي بعد ذلك فقد أنارني وأثار ففعالي أكثر من أي شيء آخر حتى ذلك الحين ، فتأكد لدي اعتقادي بأن آرثر لينجارد يمثل بالنسبة لي الحالة المرضية التي يمكن أن تشغل حياتي بأسرها - لأنه بدا لي في صورة أهم كائن إنساني يمكنني أن ألتقي به طوال حياتي وأكثر من يمكن أن أراه من الناس ائارة للاهتمام . وهنا وصلت إلى النقطة التي رحت أحاول فيها - مضطراً - أن أتمتع من القفز إلى الأمام والاشارة إلى أحداث لاحقة ، لأنني أردت أن أتوقف عند كل لحظة من هذا التحليل وأن أتقدم كل تفصيلاً من الضياع . وطوال أسابيع لم أفكر ولم أتحدث عن شيء إلا عن لينجارد وبشأنه ، كنت كمن يسير في الهواء طائراً على سحابة . مثل العاشق .

وحينما وصف لي أحلام يقظته التي كان يحلم فيها بانجلترا ريفية ، بعد فناء لندن ، رأيت فيه رمزاً لشيء جوهرى في الإنسان المتحضر الحديث .

وبدأت تغيرات معينة تطرأ على موقعي إزاءه حينما تحدث عن استخدامه لعسله في مجال التلقيحيزيون بوصفه فرصاً للسطو على المنازل . إنني لا أتحدث عن الرفض الأخلاقي . ولكن كان قد أصبح من الواضح فجأة أنه قد اتخذ حينذاك قراراً سوف يثبت مستقبله في اتجاه معين . وشعرت بأنه قد ارتكب خطأ في هذه النقطة . وأكدت هذا تلك الفترة التي قضتها في مدرسة املاحية « إمبرستو » . وقد حدث في هذه اللحظة أن عاد شعوري بالشفقة إلى السيطرة علي من جديد . كان مثل بطل إحدى المسرحيات التراجيدية قد وقع في الاختيار الخاطيء ، فلا بد أن تتنازل النتائج الحتمية والتي لا يمكن تجنبها . كنت أريد أن أهر رأسي وأن أقول : « كلا ، لقد كان ذلك خطأ ... » ، فقد كان الآن قد سقط في شرك كالمشبكة المعقدة من صنعه هو : مهما يكن من الممكن أن يأنه من الأعمال .

وقد كان هو نفسه واعياً بذلك . وكان في وصفه لعملية إغواء آجي عنصر من الثقة المفرطة بالنفس والرغبة المرضية في تأكيد الذات ، وقد زحف هذا العنصر على أسلوبه في الحديث وطريقته في التعامل مع الآخرين . كان قد كسّف عن تقبل تأييدي غير القلندي له ومواقفي الكلبة على كل ما يسرده علي من أعماله . حينذاك رأيت الخطر - وهو أنه قد بشرع في تصنيفي « معهم » ووضعني في صفوف أعدائه المتحفين المربصين به - فخرجت على سياق الحديث لكي أؤكد تأييدي إهتمامي به . ومع هذا فقد شعرت بالانزعاج والقلق حينما تركته ذلك المساء . لقد كان يعرف أن حياته قد اتخذت مساراً خاطئاً بعد « إمبرستو » ولكنه لم يكن راعياً في مواجهة هذه الحقيقة . وكان يحتاج إلى مساعدتي لكي يقع نفسه بأنه قد استمر في بدل أقصى ما يستطيع . وكان هذا موقفاً يصعب بل فيه الاختيار . وقد تعاطفت ألامع بعض لأنني رأيت مشكلته يومئذ فيها مشكلة دوافع خلافة أحفظ ، حاب مساعدا . وقد فهمت منطقته في محاولة

التعبير عن تلك الدوافع من خلال الجريمة . ولكن كان من الواضح أمام عيني أيضاً أن الجريمة ( أو العدوان الختسي ) هو بطبيعته نفسها ، طريقة لا يمتاز التعبير الخلاق عن الذات تؤدي إلى هزيمة هذه الذات وتحطيمها . يستطيع الفنان أو المتصرف الديني أن يستمر في البحث عن تعبيره الخلاق مطمئناً إلى الموافقة والتأييد الكاملين من جانب المجتمع . أما آرثر لينجارد فلقد قرر أنه يستطيع أن يعطي في طريقه دون مثل هذه الموافقة أو التأييد . وكانت النتيجة هي الانهيار العقلي . وقد ثبت زيف تفكيره من خلال حقيقة أنه كان يثق في الآن ويعتمد على موافقي وتأييدي .

كان هناك بديلان لا ثالث لهما . فاما أن يستمر في الثقة في متخذاً شخصية الابن الضال العائد إلى الجماعة تائباً نادماً مئيباً ، وإما أن يتوقع مني أن أستمر في معاملة اعترافاته بنوع من الموافقة السطحية أو الشكلية . وكنت أعرف الكثير عن آرثر لينجارد مما يجعلني أشك في أنه سيعقد عزمه على الاختيار الأخير . كان قد طال به الوقوف بمفرده حتى أصبح من الصعب أن يمشي على ركبتيه أمام المجتمع طالباً الضمح - أو حتى أمامي أنا .

تحققت من صدق نظرتي في خلال الأيام القليلة التالية . لم يعد يحاول أن يكتب فهمي وإدراكي المتعاطف معه . وعلى العكس ، بدا لي أنه يحاول أن يظفر نفسه - ونشاطاته - في أسوأ ضوء ممكن ، كما لو كان قد أراد أن يدغمني دفماً إلى إظهار علامة ما من علامات الرقص . ولم يكن من الصعب بالنسبة لي أن أتجنب هذا ، فلم يكن علي إلا أن أذكر نفسي بأنه يمثل أهم حالة يمكن أن تعرض لي في حياتي العملية . وحاولت أيضاً أن أرغمه على الدخول في مناقشات حول دوافعه ، أو ببساطة في مجادلات فلسفية حول التوهم المناطيسي أو علاقة المجتمع بالفرد الموهوب .

وبدا أن هذه الطريقة يمكن أن تؤدي ثمارها . كانت فترة شهر العسل ، قد انتهت . ولكن بدا أن هناك فرصة جيدة لأن تكون هذه العلاقة

الجدلية مرضية بما فيه الكفاية من وجهة نظري . كان دوري الجديد هو دور الكاهن المعجب - وإن كان المرتعب المترع - الذي يصفي إلى اعترافات رجل المعصبات الكورسيكي الحشن الغليظ .

لم أكن مسرفاً في التناؤل . كنت أعرف - وكذلك عرف هو - أن كل محاولاته السابقة لاقامة ارتباط وثيق بينه وبين أناس آخرين قد أخفقت ولم تكن محاولات ناجحة . وكان أملي الوحيد . هو ألا يفشل - مؤقتاً وللفترة الراحة على الأقل - أن يواجه تلك الحقيقة ولا أن يعترف بها .

ولا بد لي أن أصيب . أن هذا كان التجسيد لواحدة من المشاكل الرئيسية التي واجهتها علاقتنا في غضون تقدم عملية التحليل وتطورها . كان شخصاً ما كراً شديد العدوانية . وحينما كان مريضاً ميالاً إلى الانتحار ، سمح لي بأن أفتح العمل وأعمرس فيه مشروطي وأن أجعله يتكلم بحرية . وبالتدريج أعاد إليه الحديث المستقبس نوازله العقلي . وبدأت العلاقة المفترقة بين الطبيب والمريض تتحول إلى شيء كره لا تقع فيه . كان بصورة أساسية يشعر بأنه أسوأ مني وأكثر تفوقاً . فأعاد إليه الحديث عن أيام طفولته الحزينة لنفسه وبقته الرائدة بي . ورأيت أنا - وأدرت - ما كان يجري في ذلك الحين - ذلك أنه قد توقع مني أن أشعر بالاعجاب لما أبداه من عمق سيطرته على نفسه ولما أثبتته من قدرة على المكر . وقد كان من المؤكد أنني شعرت بأنه يمثل أكثر ما تعاملت معه من الحالات المرضية أهمية . فجعله هذا يشعر بالاطمأن . والرضا عن الذات . ولكنني لم أقع في خطأ التقليل من تقديره . كانه أو يحسه قدره الحقيقي . فقد كان من المحقق أن يدرك - آجلاً أو عاجلاً - أنني كنت أدرسه بوصفه « حالة مرضية » . وباعتباره شيئاً غير طبيعي . كان أمامي بديلان واضحان لا ثالث لهما : أن أحاول إقامة نوع من الصداقة عليه . وأن أحفظ بعلاقة الطبيب بالمريض . أو أن أعطيه الطعام بأي حد وجدته حديراً بالاحترام والاعتناء بالدا وحده

جديراً بالاهتمام من وجهة النظر الطبية والعلاجية . وسرعان ما وجدت أن  
لسبل الأول سيكون طريقة غير عملية . فقد كانت صورته الماكرو المعرصة  
عن البشر قد ناست نهائياً وأصبحت هي صورته البعيدة الغور في أعماقه  
والتأصلة بجلودها في داخله .

ومع ذلك فقد كان من الواضح أننا لا بد أن نبلغ نقطة تحول أخرى حينما  
يتحقق - وهو لا يد متحقق - من أن كشفه الذاتي عن نفسه سوف يضعه  
بالأكيد كلبة بين يدي . وقد كان علي أن أعب دوري كمتعم فقط .  
وأن أحاول الاستجابة لأهوائه المتضبة . وكانت مناقشة علاقته بأجي موضوعاً  
من موضوعات جلدا المستمر . كانت هذه العلاقة ، إذا ما قيست بالمقاييس  
الإنسانية العادية ، علاقة انقلابية بشكل كامل . ولكنه لم يكن يشعر بذلك .  
كانت هذه العلاقة بالنسبة له تعبيراً ضرورياً عن الرغبة في القوة والسلطة .  
تلك الرغبة التي تتكرر لكل أنواع التنفيس الأخرى ، وقد توقع مني أن  
أضع نفسي في مكانه . وإنه لمن الخصائص الأساسية لعلم النفس الإنساني  
أن يحاول الطبيب ، قدر ما وسعته المحاولة : أن يكون هو المريض . وبذلك  
كان من الضروري أن أتخلى عن مبلي الطبيعي إلى نقد آرثر لينجارو . وأن  
أحاول أن أتخذ مكاني فيما وراء عينيه . ولكن في هذه الحالة بالتحديد .  
كان من المهم أن أمضي حتى إلى مرحلة أبعد من ذلك نحو التطاقين والتماثل  
بيننا . لقد كان يعجب بنفسه . فكان من الضروري أن أعجب به . ولم يكن  
هذا سهلاً : ليس بسبب أي ميل أخلاقي من جانبي ، ولكن ببساطة لأنه  
كان يوسعي أن أراد رؤية موضوعية متصلة . لقد شرحت من قبل بالفعل  
نظريتي القائلة بأن دوافع الإنسان الخلاقة تماثل في أهميتها احتياجاته الحيوانية  
الأساسية . أي الجنس والطعام والأمن . ويجب علي الآن أن أصعب شيئاً  
قد لا يمكن يدونه فهم هذا التاريخ لتلك الحالة المرضية . هناك لحظات معينة  
تمر بالعقل يصبح العقل فيها مشحوناً بطاقة هائلة وتزايده مداركه ويتفتح  
ويصبح وكأنه قد « اكتمل » وأصبح شامل الوجود . مثل رؤية القمر  
المكتمل في السماء .

لقد كتب ينس يقول :

« حينما يقتل رجل قتال اليائسين  
يسقط شيء من عينه بعد أن طال عمامها  
إنه يكمل عقله الذي كان ناقصاً ،  
ويقف لبرهة وقفة مستريحة هائلة  
وتدوي ضحكته ، ويعمر قلبه السلام . »

إن تلك اللحظات التي « تدوي فيها ضحكة الإنسان ويعمر قلبه السلام »  
لهي أكثر ما يمكن أن يعبر بالإنسان أهمية . ولكن يبدو أن نمة حركة تلقائية  
في عقل الإنسان ، حركة فعالة « تمنع » القمر المكتمل من الظهور . إنني  
أملك منشأراً كهربائياً دواراً يغطي نصله غطاء مانع . وحينما يعمل المنشأ ،  
يزاح الغطاء إلى الخلف ، كاشفاً عن النصل . ولكن حينما يتوقف ، يغطي  
الغطاء النصل إذ يدفعه لولب إلى الأمام .

ويدو أن للعقل الإنساني مثل هذا اللولب . ففي لحظات التوتر الحاد أو  
الحلق الأبداعي ، يزاح الغطاء إلى الخلف . كاشفاً عن « القمر المكتمل » .  
وحالما تسترخي وتعود إلى الحياة الطبيعية « مرة أخرى ، يعود اللولب إلى  
وضعه المعتاد ، ويكون علينا أن نكتفي بالوعي الجزئي من جديد .

وكل من عاش مثل تلك اللحظات التي يكتمل فيها القمر ، يكافح في  
سبيل أن يغطي بالمزيد منها وأن يحققها مرات أكثر تعدياً . وقد عاش آرثر  
لينجارو مثل تلك اللحظات حينما كان يرتكب جرائم معينة - إذ يبلغ حجرة  
نوم غريبة - أوحسنا كان يمسك رأس آجي بين يديه بينما هي راكعة أمامه . . .  
ولكن لا بد أن يكون واضحاً وضوحاً كافياً - وبشكل تلقائي - أن  
الخريطة ( أو العنوان الجسدي ) هو بطبيعته طريقة من طرق الوصول إلى  
لحظات اكتمال القمر . ولكنها تؤدي إلى هزيمة الذات بشكل كامل . طالما  
أنه يمثل نوعاً من تعامل المجتمع والتخلي عنه . ولكن يستطيع الفنان والشاعر  
والموسيقيار . بل والمتصوف الذي نفسه . أن يجهدوا من أجل الوصول إلى



مثل تلك الملاحظات مؤيدين بالموافقة الكاملة من جانب المجتمع وتأييده ، بل يمكنهم أن يحفظوا باعجاب المجتمع بعملهم هذا . أما آرثر لينجارد فقد كان مغروراً في حالة عاطفية غير ناضجة ومتوترة اعتد في أثنائها أنه في غير حاجة إلى موافقة المجتمع وتأييده . وحينما حاولت أن أدفع بالمناقشة إلى موضوع الفن - أو على سبيل المثال ، إلى السؤال عن السبب الذي منعه من كتابة خيالاته عن الكاتبين مارتين في شكل روايات ، مثل ميربت ويوروز - كان رد فعله دائماً هو هو . صوت قبيح من أنفه يدل على الشك الشديد . ماذا حدث لمن اشتهروا من الشعراء ؛ لقد فقدوا إلهامهم . لقد كانت موافقة المجتمع وتأييده أقرب إلى أن تخفق رجلاً بارزاً جديراً بالاحترام من أن تلهمه . وهكذا ظل غارقاً في رفقته واشتمتراه . ولكنه تقدمه في العمر ، أصبح من المحقق أن يردد توتره ...

\* \* \*

كانت محاولاته لإقامة اتصال دائم بالآخرين محاولات فاشلة وعققة على الدوام . لقد ذكرت بالفعل ما كان من أمر علاقته مع جورج جولد هوك ، وهي العلاقة التي انتهت بموت هذا الأخير ، ثم يايوجين تيرنر ، عشيق بولين الآخر ، الذي انفصلت هي عنه وقطعت علاقتها به بعد الحادثة التي وقعت في المطعم مع آجي .

ولم تكن هذه الحادثة الأخيرة من الحوادث النموذجية التي تدل على شخصية آرثر لينجارد . فلم يكن من عادته أن يكون مفاجراً بانتصاراته ، وكان يفضل أن يبحث أموره بمفرده . وقد حاول في بعض المرات أن يسرد انتصاراته على الآخرين ، ولكن هذا لم يكن يذفع أن يحظى باعجابهم ، وإنما كان ذلك يذفع بكاد أن يكون الرجعية في أن يرى إن كان يوسعهم أن يعجبوا ما يرويه لهم . وقد انتهت العلاقة الوثيقة الوحيدة التي أقامها من هذا النوع ، بالخيالة .

## الفصل الثامن

حينما عاد آرثر من اصلاحية ايزلستو ، أمره ديك لينجارد بالترحم في الفراش الموجود بالحجرة الأمامية وهو الفراش الذي كان جيم يتام عليه والذي خلفه عليه تيد من بعده . كان تيد قد تزوج منذ فترة قصيرة ، بعد أن حملت منه فانا من الجيران . وكان ديك لينجارد يعرف كل شيء عن علاقات آرثر بأسجي - ولم يحدث أي مشادة بسبب ذلك الاكتشاف ، ولكن ديك لم يكن يقوته أن يلاحظ تلك العلاقات - ومن المحتمل أن يكون قد شك في وجود علاقة بين آرثر وشقيفته بولين ، ( وفي الحقيقة ، فإن آرثر وبولين كانا قد أصبحا حليقين لصيقين مرة أخرى من خلال حكاية جورج جولد هوك ) .

وحينما ذهب ديك لينجارد إلى السجن ، ذهبت بولين لكي تصنع طفلاً في أحد البيوت المخصصة للأمهات غير المتزوجات ، انتقل آرثر إلى الطابق العلوي ، وأقع ألبرت بالانتقال إلى الفراش الموجود في الحجرة الأمامية . ولكنه اكتشف على الفور أنه قد ارتكب خطأ محققاً . فقد كانت قدرته على أن يجلس الخس كل ليلة مع آجي ، كما لو كانا زوجاً وزوجة . تعني الوصول إلى حالة من التوتر والألمة الباردة . أما العمه إزي - هذه المشكبة الأدبية مع كل ما يطرأ عليها - فإنها لم تعترض أدنى اعتراض . فقد لاحظ لها أن هذه العلاقة بين آرثر وآجي قد تسهي بالزواج . وهكذا مجبنا أصيب ألبرت بترلة معوية في يناير من عام ١٩٥٢ . وانتقل إلى الفراش الموجود بالطابق العلوي لبعصة أيام . انفرد آرثر فمرة هذا العام الوجوه . وانتقل مرة ثانية إلى فراش الغرفة

الأمامية بالطابق السفلي . ولم نعرّض آجي على هذه التقلبات الكثيرة ، فأما كانت قد قبلت جماعهما الليلي بوصفه شيئاً اصافياً أشبه به الاكرامية ، يمنحها الزبون للعامل المجتهد ، ولم يكن من المتوقع أن تستمر هذه الأوضاع طويلاً . ثم جاءت فترة قصيرة استأنفا خلالها جماعهما الليلي ، فقد كان من المضحك تماماً أن العمة لإزي قد وجدت لنفسها صديقاً يسلبها بينما كان زوجها في السجن ، وحدث أن أخذها هذا الرجل هي وابنتها جين التي تبلغ عامين من عمرها في رحلة إلى « بلاك بول » لمدة أسبوع . وطوال ذلك الأسبوع قام آرثر وآجي في سرير العمة لإزي . وحينما عادت ، انتقل آرثر ثانية إلى الطابق السفلي .

لقد ذكرت من قبل أنه كان لآرثر عميان على ضفة القنال ، أحدهما كان مخصصاً للطقس المطر ، في غمياً مهجور منذ عام ١٩٤٠ ، وحينما كشفت الشرطة عن عبة الشطائر المصنوعة من الصفيح والتي كانت تحتوي غنائمه من عمليات السطو ، شعر آرثر بالراحة العميقة والاطمئنان لأنه لم يكن قد كشف عن أمر المخبأ الثاني لأي مخلوق . كانت هناك عبة شطائر أخرى من الصفيح وراء المخبأ المهجور ، وكانت تحتوي كمية من المجوهرات والنقود ، ملفوفة بعناية في عدد من السراويل الداخلة النساقية . وحينما خرج آرثر من اصلاحها لإيرلساو ، تخشى ان يعود إلى هناك لمدة أسابيع . كان يخشى أن تكون تحركاته مرصودة ، وكان واقفاً أيضاً من أن شخصاً ما ربما يكون موكلًا بمراقبته لمعرفة إن كان قد شرع في الفاق النقود عن سعة . وبعد أسابيع قليلة من عودته إلى شارع ينكيت ، عثر على وظيفه جديدة في محل لبيع أجهزة التليفزيون واصلاحها في مدينة « ليفربول » - على بعد أربعين دقيقة بالسيارة العامة من وورينجتون . ثم استأنف بحدس شديد نشاطاته السابقة . ولم يكن الواقع هو احتياجه إلى النقود . وإنما كان السبب ببساطة هو أنه أصبح لا يستغني مطلقاً عن الاثارة الشديدة التي كان يحسن بها عند دخول مترل أو شقة قريبة ، ودخول بفرقة نوم المرأة لا يعرفها . كانت هذه هي اللحظة الوحيدة التي يشعر فيها بأنه

يعيش حقاً ، وبأنه كائن حي .

ومن الجدير بالذكر هنا أن أشير إلى أن « فيشيبة السراويل الداخلة » والتعلق الجنسي المرضي بها لم يذكره السيكلوجيون إلا فيما ندر ، ويكاد هذا الأمر يبدو أن يكون يدافع احساسهم بالخرج منه . إن كتاب ستيجل انكلاسيكي والذي يقع في مجلدين كبيرين لم يناقش هذا الموضوع مرة واحدة . ومع هذا فمن المحتمل أن يكون هذا التعلق المرضي بالسراويل الداخلة هو أقل أنواع الشذوذ الجنسي ( أو السلوك الجنسي الشاذ ) ضرراً وأبعده عن الخطورة . ولذلك ، فإن آرثر ليجارد ، حينما اشترى بعض الكتب التي تعالج موضوعات الانحراف الجنسي من مكبات الطبقات الشعبية ، وهي كتب متخصصة في حالات التهيج الجنسي الشاذ ، لم يستطع أن يعثر على أي ذكر لحالته هو المرضية ، فقال إلى الاعتقاد بأن هذه الحالة كانت خاصة به وحده ، وبأنه كان أكثر شلوذاً مما كان يعتقد عن نفسه في الحقيقة .

وحينما استأنف أعمال السطو ، في الشهور الأولى من عام ١٩٥٢ ، فإنه نادراً ما كان يسرق شيئاً ، فإذا ما لاحت له الفرصة حين يكون قائماً على اصلاح جهاز من أجهزة التليفزيون ، فإنه كان يتسلل إلى حجرة النوم ، ثم يستخدم أي سروال يستطيع أن يعثر عليه للاستئناء ، ثم يترك السروال في الحجرة . وطوال الشهور القليلة الأولى ، قرر ألا يأخذ شيئاً . فإن الشرطة قد تقرر فجأة أن تغتصه ذات يوم حين عودته إلى المحل ، فإذا وجدوا بعض المجوهرات أو النقود في جيبه فقد يعني هذا العودة إلى « إيرلساو » . وكان هذا شيئاً قرر ألا يحدث مهما كان الثمن ، فإذا حدث وألقي عليه القبض مرة أخرى . فقد كان في عزمه أن يقدم ، محاولة للانتحار ، نفع القضاة بأنه سيكون أحسن حالاً في البيت . فإذا فشلت هذه الخطة . كان يعتزم أن يخرج نفسه جرحاً بلغياً يرغم السلطات على إبدائه أحد المستشفيات . كان يتصل أن يرتكب جريمة قتل على أن يعود إلى اصلاحية .

وبعد شهر أو نحو شهر . فقدت نقوده . وأخذ يسأل نفسه أين يمكن

أن يبيع بعض ما حباه من المجوهرات ، كان عارفاً بأن أماكن بيع الأشياء المسروقة وشرائها لا تدفع إلا أثماناً منخفضة إلى درجة سيئة في مثل هذه الأشياء ، وأن القائمين بمثل هذا العمل لا بد وأن يحاولوا أن يعثوا صبيلاً لا يزيد عمره على أربعة عشر عاماً . ولكن هذه المجوهرات لم تكن ذات نفع له وهي مخبأة في علبة مدفونة من الصفيح .

وجاءه الحل بالصدقة . فقد حدث ذات يوم ، أن عادت حين إلى المنزل حاملة حقيبة صغيرة مملوءة بالحلوى ، وكانت الآن قد أصبحت طفلة في الثالثة من عمرها ممثلة الجسم . وزعت في البداية أنها قد عثرت على الحقيبة في الشارع ؛ ثم عادت فأعترفت بأن رجلاً عجوزاً هو الذي أعطها الحقيبة بعد أن طلب منها أن تجلس على ركبته وأن تسمح له بتقبيلها . وأخيراً اعترفت بأن الرجل قد وضع عضوه بين فخليها وهي جالسة على ركبته وجعلها تلسه . ولم تكن تفتح محاولة للجماع ؛ بل إنه لم يحاول أن يخلع لها سروالها ، رغم أنه دس يده وأخذ يتحسس جسمها .

وكانت العمة إلزي بالخارج ، أصيبت أمسيها مع صديقها الجديد حينما وقع هذا . وكانت آجي هي التي أقتعت حين بأن تروي القصة . أما آرثر ، الذي وصل بعد ذلك بضرة قصيرة ، فقد شعر بالصدمة واستبد به الغضب لذلك . فقد كان عنيماً في عدم تسامحه إزاء انحرافات الآخرين .

وحينما وصفت حين الرجل العجوز ، تعرفت آجي عليه على الفور وقالت إنه ، مستر تيبات ، الذي يعيش في الشارع التالي لشارعهم . وحينما تكون الشمس ساطعة ، كان يجلس أمام باب منزله المفتوح ، حينما يكون الأطفال خارجين من المدرسة ، وكان غالباً ما يتبادل معهم الحديث .

كانت فكرة آرثر الأولى هي أن يذهب إلى الشرطة . ثم طرأ له أنه لا يملك دليلاً على ما سيؤول . وأنه لا يملك إلا أقوال الطفلة ضد الرجل العجوز . ولكن هذا الزاد من غضبه . وظل يردد : « الخنزير العجوز القذر . إن أمثاله من الناس يجب أن يبادوا كالكلاب . » ولم يكن يعرف شيئاً عن القانون لكي يتبين

أن الشرطة كانت حذيرة بأن تتخذ إجراءاتها على أساس من أقوال الطفلة . وقرر آرثر وآجي ألا يذكر شيئاً عن هذه الواقعة للعمة إلزي . فإذا كان على أي شخص أن يذهب إلى الشرطة ، فمن الأفضل أن يكون آرثر هو ذلك الشخص الذي يمكن بهذا أن يكتب ثقة الشرطة بالكشف عن متحرف ضال عجوز ...

وفي اليوم التالي في المدرسة ، اقترب آرثر من « جو بينهام » ، وهذا هو « بينهام » نفسه الذي قابلته في « ناريذورو » . ولم يكن بينهام صديقاً حقيقياً لآرثر ، فقد كان من النوع الرياضي ، ذا شعبية كبيرة وسط زملائه وشبهه الفرور مزهواً بنفسه . ولكنه كان أيضاً إبتاً لرجل من رجال الشرطة ، وكان آرثر حريصاً دائماً على تنمية علاقته به . وبأسلوب وقور خطير ذال على الانزعاج قال آرثر لبينهام إنه بحاجة إلى مشورته . وشعر بينهام بالزهو ، فحكى آرثر عما كان بين حين والرجل العجوز . قال بينهام :

« أوه ، نعم ، إنني أعرف ذلك التيبات . إنه خنزير حقيقي . ولو كنت بدلاً منك لما أثرت تأثيره . »

« ولم لا ؟ »

وأفهمه بينهام أن تيبات كان مجرماً خطيراً قديماً . واعترض آرثر بأن المجرمين الخطيرين لا يزجون أنفسهم في مخاطر لا ضرورة لها ولا يعرضون أنفسهم لأخطار لا نفع منها بالتعرض للفتيات الصغيرات . فقال بينهام إن تيبات كان « على شيء » من الشذوذ والعته . وبعد الغداء . أخبر آرثر بالمزيد من التفاصيل عن تيبات - كيف أنه دخل السجن عدة مرات لا ارتكابه جرائم العنف . وكيف شككت الشرطة في أنه المرتكب الحقيقي لجرائم أخرى لا حصر لها ولم يكن في وسعهم أن يبرهنوا على شكوكهم . ولكن الشيء الذي أثار اهتمام آرثر حقاً هو التعليق العابر الذي قاله بينهام عن أن تيبات كان موضع شك في ارتكاب جريمة اعتصاف . وطلب من سهام أن يروده بالمزيد من التفاصيل فقال :

« إن أي لا يروي الكثير من التفاصيل ، ولكنني سمعته يقول لأي ذات

مروه إنهم عمروا على فتاة عازية تماماً ملقاة على سفة القتال .

والمضحك هو أنه كان من الواضح أن جوبيتهام لم يغير أباه بما فعله ثيبات مع جين ، أو ربما كان قد قال له القطة ، ثم لم يتخذ الرجل أي إجراء بعد ذلك . فان مثل هذه الوقائع لم تكن شائعة في المنطقة بالإضافة إلى أن شيئاً لم يحدث للطفلة ولم يلحقها أي ضرر .

ووجد آرثر نفسه عاجزاً عن التركيز على عمله المدرسي . محرم خطير حقيقي ! فكر في مويرات متربصاً في مركز نسجه العيكوي الضخم . ربما كان « داجر » ثيباتي هو أول اتصال هام حقيقي له بالعالم السفلي . فماذا بهم إن كان قد عبث قليلاً مع جين ؟ وماذا يمنع ذلك إن كان هذا قد منحه شيئاً من الأثارة ؟ إن المحرمين يعيشون على أساس قوانينهم الخاصة . أما تصوره لهذا الرجل وهو يضرب فتاة من الخلف حتى يفقدوها الوعي ، ثم يخلع لها كل ملابسها وينتصبها ، فقد ضرب في داخله على وتر عميق من التعاطف والإحساس بالأخوة . فلو أن آرثر قد منح الفرصة ، لفعل نفس الشيء مع كل فتاة في وورينجتون .

وفي ذلك المساء ، تلقى آرثر صدمة أخرى حينما طلب من آجي أن تدهه على المنزل الذي يعيش فيه ثيبات . وكان المنزل هو المجاور الملاصق للمنزل الذي ارتكب فيه آرثر عملية سطوه الثانية ، والذي انظر في حجرة الأطفال في داخله لكي يهاجم الزوجة النائمة . ربما كان ثيبات في بيته في ذلك الوقت نفسه . ( وقد عرف فيما بعد أن ثيبات كان في الحقيقة بعيداً في منطقة وورم وودز سكوايز ) .

كان اليوم التالي هو السبت ، وكان يوماً دافئاً مشرق الشمس . وغل آرثر يدور حول منزل ثيبات ويتسكع أمامه لمدة ساعة كاملة . آملاً أن يراه قبل أن يخرج الوقت الذي يتعبن عليه فيه أن يلحق بالسيارة العامة الداخلة إلى ليربول . ولكنه لم ير أحداً . وكان اليوم التالي أكثر دفئاً . وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر . سار آرثر إلى شارع « بيريسكوت رو » قرأى ثيبات جالساً خارج منزله

على مقعد مستطيل من المقاعد القابلة للعلي ، مستمتعاً بأشعة الشمس .

شعر بخيبة الأمل عند النظرة الأولى : وجه سمين ، وأنف شديدة الانحناء كتقار الطائر ، وتحاميد شاحبة رمادية ( نتيجة السنوات التي قضاها في السجن ) ، وكفان مستديرتان ، وشعر رمادي ، وحذاء منزلي قديم في قدميه . وبدأ آرثر يشعر بأنه أكثر هدوءاً واقرب منه .

« مستر ثيبات ؟ »

رفع الرجل عينيه وانهم بمودة كاشفاً عن أسنانه الصناعية ، متنعماً بلطف اللطحي المحترف الذي يرغب في أن يبدو في صورة الرجل الطيب الذي لا ضرر منه ولا يخشى أذاه . قال :

« ماذا يمكنك أن أفعله لك ؟ أيها الشاب ؟ »

« أيمكنني أن أتحدث معك ؟ »

« حسناً ، ها أنا . »

نشرت تركيز آرثر ، فقرر أن يمضي رأساً إلى هدفه . قال :

« لدي شيء أرغب في بيعه . »

« أوه ؟ وماذا يمكن أن يكون ذلك الشيء ؟ »

وضع آرثر يده في جيبه . ولكن ثيبات قال بسرعة :

« ليس هنا . تعال إلى الداخل . »

ودخل آرثر إلى حجرة أمامية شديدة الظلمة ، شديدة الشبه بالغرفة الأمامية في منزله ، ولكن هذه كانت مليئة بأقفاص الطيور الحسنة التغذية . وضع آرثر يده تحت ياقة سترته . وجذب منها خاتماً من البلاستيك مزوداً بقص صغير من المناس . أخذ ثيبات وقصه .

« سرفته . » كذلك أجاب . وكان قد قرر أن يقول الحقيقة . رغم أن هذا كلفه مجهوداً مئلاً . واستمر ثيبات ينظر إلى الخاتم دون أن يتغير تعبير وجهه . قال :

« متى ؟ »

« منذ عام مضى . »

« هل تقول الحقيقة ؟ »

« أجل . »

« إذن فلماذا احتفظت به طوال هذه المدة ؟ »

« كنت في مدرسة من مدارس الإصلاحيات . » كذلك قال : وقد

شعر الآن بالفخر بهذه الحقيقة .

من الواضح أن تيبات كان يشك في صدق آرثر وبظنه كاذباً . وسأله

مزيداً من الأسئلة ، ثم قال فجأة :

« من أرشدك إلي ؟ »

« ابنة عمي جين . »

« فماذا تعرف ابنة عمك عني ؟ »

« إنها الفتاة الصغيرة التي جلست على ركبتيك وجعلتك تتحسها . »

جذل تيبات واهتز لثباته . وفجأة أصبح خطراً وعدوانياً . اكتس عيناها

بنظرة متصلة حادة ، وشعر آرثر بالفرح . سأله تيبات :

« ماذا تعني ؟ »

بدل آرثر مجهوداً لكي يداري نوتز أعصابه ، وقال :

« لا يعني ذلك في شيء . أنت سألتني ، وقد أجبتك . »

بدا أن تيبات قد تأثر بهذه الاجابة . جلس على أحد المقاعد ومضى يمدق

إلى الخارج من النافذة . ومن المحتمل أنه كان يفكر فيما يمكن أن يحدث .

وكيف يكون حاله ، إذا ما ألقي القبض عليه بتهمة التعرض الجنسي لفتاة

صغيرة . وأخيراً قال :

« من هي هذه الفتاة ؟ »

ومسحها له آرثر وقال له بالتحديد ما قالته جين حينما عادت إلى البيت .

قال تيبات :

« فما الذي جعلك تظن أنني هو ذلك الرجل ؟ »

« ابنة عمي آني قالت إن الأوصاف التي ذكرتها جين تنطبق عليك . »

« من المحتمل أن تكون عظمتك ، أليس كذلك ؟ »

« أجل . هذا محتمل . »

أطبق صمت آخر طويل . ( وكان وصف آرثر لهذا اللقاء الأول بالمسهر

تبيات تفصيلياً ودقيقاً كما هي عادته ) . ثم قال تيبات :

« وهكذا قررت أنت أنني قد يمكنني مساعدتك في التخلص من

بضاعتك المسروقة ؟ »

« أجل . هكذا فكرت . وأنا لا أعرف أي شخص آخر يمكن أن

يساعدني في ذلك . »

ظهر الرضا على وجه تيبات تلك الكلمات الاخيرة . ولا شك أنه فقد

شعر بالراحة والخلاص من عبء ثقيل . قال :

« وماذا لديك أيضاً من هذه الأشياء ؟ »

« لوه ، شي . واحد آخر ، أو ثان . »

« هاتهما جميعاً إلى هنا هذا المساء وسلمهما إلي . سأرى ما يمكنني فعله . »

« ولكن ماذا من أمر هذا الخاتم ؟ كم يساوي ؟ »

لو أن تيبات قد حاول أن يقنعه حينئذ بأن الخاتم قليل القيمة أو لا يساوي

الكثير ، لكان من الممكن أن تنتهي علاقتهما في الترو واللحظة . فان آرثر لم

يكن يروق له الكذابين أصحاب الكلام الناعم . وكان قد اعتاد وهو طفل أن

يجمع الثياب الممزقة الملقاة على عتبات البيوت فيبيها في محلات الملابس المستعملة

وقد احتقر دائماً ذلك النوع من الناس الذين يحاولون حياض الأطفال . ولكن

تبيات لم يكن من النوع المتعالي . قال :

« لو أنك كنت تشتره من أحد محلات المجوهرات والحل . لكان من

الممكن أن يساوي ستين أو سبعين جنيهاً فيما أعتقد . ولكن أحد يامة الأشياء

المسروقة قد يستطيع أن يتخلص منه في مقابل ما يزيد على العشرين . أو أقل ،

عسة وعشرين . وهذا يعني أنه لا يمكن أن يدفع لي أكثر من عشرة أو اثني

عشر جنبها . يدفع « لي » أنا وليس لك أنت . إنه قد لا يدفع لك أكثر من عشرة شلنات . فإذا تحملت مخاطرة بيعه بنفسه ، فلا بد أن أحصل على نسبة اثنين في المائة .

« هذا أكثر من النصف . »

« أجل ، إنه كذلك بالطبع . أي مخاطرة تحملها أنت ؟ إنك إذا وقعت في أيديهم سوف تنال عاماً آخر في سجن بورستال . ولكن إذا وقعت أنا في قبضتهم ، لكان من نصبي عامان من السجن بتهمة التعامل في الأشياء المسروقة . حتى ولو أخبرتهم بأنك أنت الذي سرقناها بنفسك . ألا يكون ذلك عدلاً إذن ؟ »  
كان تيبات سيكولوجيا ماهرا . كانت صراخه هي طريقة التعامل الصحيحة مع آرثر . فسرعان ما وافق آرثر على أن ذلك هو العدل . فقال تيبات :

« حسناً ، هات الأشياء إلى هنا هذا المساء ، في الساعة السادسة والنصف »  
( وقد اكتشف آرثر أن الأسرة التي كانت تزجر الحجر لتيبات كانت تذهب إلى صلاة المساء من يوم الأحد في الكنيسة ) .

وجاء آرثر بالبضائع كما وعد . وفحصها تيبات بعينين نافذتين . وقال عن بعض القطع : « يمكنك أن تلقي بهذا الشيء في القتال ، فهذا أفضل . إنه لا يساوي المغامرة . »

ولكنه قال عن صليب من الفضة عليه تمثال للمسيح المصلوب ومزود بسلسلة فضية أيضا : « هذا جيد . إنه قد يأتي بخمسين شلناً في السوق المفتوحة . ومن المؤسف أن نبيعه خلسة » من تحت الابط .

وفي المساء التالي ، بعد أن هبط الظلام ، طرقت آرثر يهدوء على الباب الأمامي لمنزل تيبات ، وقاده تيبات إلى الداخل ، ثم سلمه خمس عشرة ورقة من فئة الجنيه ، وقال :

« لا تبعها في كل مكان . ولكن خبئها في مكان ما . ولا تنفق أكثر من عشرة شلنات في كل مرة . »  
ثم فتح الباب مرة ثانية . وغادره آرثر .

كان يشعر بالفخر والتهيج . كان تيبات أميناً ، وقد عامله كما لو كان زميلاً له ، مجرماً مثله ، وليس كطفل صغير . وكان تيبات هو وسيلة الاتصال التي يحتاج إليها .

وبعد ذلك بأسبوع واحد ، نفذ عملية سطو كان يتأملها ويفحصها منذ وقت طويل ، في مبنى كبير جديد يضم عدداً كبيراً من الشقق السكنية في ليغربول . انتظر إلى ما بعد حلول الظلام ، ولاحظ أي النوافذ سطعت منه الأنوار وسجل - بعناية - ملاحظاته عن شقتين كان من الواضح أنهما حاليان . وحينما كان حارس الباب يرشد شخصاً ما إلى المصعد ، تسلل إلى الداخل . ولسوء الحظ ، رآه حارس البوابة حينما كان يسير في الدهليز السفلي للطويل . فصاح به :

« هاي ، أنت ، أين تظن أنك تسير ؟ إلى أين تذهب ؟ »  
« أنا أصلح أجهزة التليفزيون . لقد اتصل احدكم بنا وبدعسى جيتكسون . »

كان آمناً من هذه الناحية . فقد سبق له أن أصلح جهازاً للتليفزيون في مسكن جيتكسون هذا من شهر مضى . فإذا أصبر البواب على اصطحابه إلى الشقة ، كان يوسع أنه يقول إنه يقوم بعملية الفحص والمراجعة العادية التي يجب عمل الإصلاح من عماله أن يقوموا به كنوع من المجاملة لزيائته . ولكن البواب اكتفى بأن قال :

« الشقة رقم ١٢ تم تعاقبه . »

دق جرس الشقة رقم ١٢ ، وسأل الزوجة الشاببة التي فتحت له الباب إن كان جهازها التليفزيوني قد طرأ عليه أي خلل جديد . فقالت له إنه سليم وشكرته . صعد السلم وعثر على الشقة الأولى بين الشقتين اللتين كان يعرف أن أنوارهما مطفأة . دق الحرس ولم يسمع أي أجابة . انتظر بضع دقائق ، ثم فتح حضية أدواته . ورفع قاعها المزدوج ، وأخذ منها مجموعة مفاتيح الصنعية . وبعد بضع دقائق كان بالداخل . أضاء النور ومضى مباشرة إلى حجرة النوم . ولكن هذه الحجره حيث أمه . كان من الواضح أن الشقة يشغلها رجلان .

ولم تكن ثمة أشياء ذات قيمة ، ولم يكن هو ليهم بأشياء من مثل آلة الخلاقة الكهربائية أو جهاز المذياع الصغير ذي الخفية . ودون أن يضع وقتنا ، غادر هذه الشقة ، ومضى إلى الشقة الأخرى . وكانت هذه الشقة أكثر من سابقتها إرضاء لئواباه ورغباته . كما لو كانت لتعوضه عن خيبة أمه الأولى . كان من الواضح أن الشقة تشغلها فنانان ، عملان نموذجين للتصوير والرسم كما بدأ من صورهما على الجدران . هنا كان كل شيء ، معداً لكي يمنحه احساس الاكتفاء الكامل والأشباع الذي : شقة غير مرتبة وأقداح الأظفار ما تزال على المائدة ومقلاة لحم الخنزير ما تزال في حوض الغسيل ؛ والسراويل الداخلية الطويلة المستعملة ملقاة على أرضية الحمام ، وأثواب النوم اللينة العالية المصنوعة من النايلون ، ملقاة على الفراشين غير المرتين . نظفت أسنانه بفرشاني الأسنان اللين وجدهما في الحمام ، وشرب بقايا الشاي في الأقداح . بل أكل قطعة من اللحم كانت مصنوعة ومتروكة إلى جوار أحد الصحن . وحينما غادر الشقة بعد نصف ساعة : كان يعمل معه زوجين من السراويل الداخلية من أغل ما وقعت عليه عيناه حتى ذلك الحين - فقد كانت السراويل مصنوعة من مادة حريرية رقيقة - وبعض المجوهرات . كانت هناك كمية كبيرة من المجوهرات ، ولكنه لم يأخذ إلا شيئاً قليلاً ، لم يكن من المحتمل أن تنفذه صاحباته قبل بضعة أيام .

أعطى السراويل لأخي ، وكانت تبدو جديدة ، فقال لها إنه قد اشتراها لها ، وكان مما يمنحها احساساً بالمتعة أن يطلع أحد هذه السراويل عن جسدها قبل أن يتام معها . وأخذ قطع المجوهرات إلى داجر تيبات ، الذي قال بصراحة إنها قد تساوي أكثر من مائة من البتيئات . ولكنه لا يتوقع أن يحصل على أكثر من عشرين . وفي المساء التالي ، حينما عاد آرثر لكي يأخذ جنيتهان الثمانية ، طلب منه تيبات أن يجلس لكي يتبادل الحديث . ولشد ما دهش آرثر حينما راج تيبات يتصحه بالألا يتخذ من الخريضة حرفة له يتعيش منها . وقال :

« حينما كنت صغيراً لم تكن هناك أشياء أخرى كثيرة يمكن أن تفعلها

إذا لم تقبل أن تتصور جوعاً . ولكن هناك الآن فرص كثيرة أمامكم أيها الشبان في هذه الأيام . بمثلتك مثلاً أن تكسب الكثير من عملك في إصلاح أجهزة التليفزيون قبل أن تبلغ العشرين . »

وحينما كان آرثر يحكي لي قصته ، كان مفتعاً بأن نصيحة تيبات لم تكن سوى نوع من الاختيار النفسي الماكر . لقد كان تيبات - في نظر آرثر - أستاذاً في فن الإجمام بطريقة الخاصة ؛ وكان على الأقل يتسع بذكاء فوق المتوسط العادي بنسبة كبيرة . وقد رأى في آرثر مادة خاماً من نوع غير عادي ، فإذا تلقى هذا الشاب تدريباً جيداً ، فربما أصبح في المستقبل مصدراً جيداً من مصادر الدخل . وهو يملك بالفعل غريزة المكر والحذر الصحيحة المطلوبة في هذا الميدان .

وكان تيبات يتسع بالمهارة الكافية التي تمنعه من أن يبدو شديد الأمانة أو الاخلاص . وقد قال لآرثر إن الشكوك قد تراود الناس إذا ما رأوه يزوره من حين إلى حين وبشكل متقارب ، ويوجه خاص في وقت متأخر من الليل . فلماذا - ببساطة - لا يأتي مع بابتي عمه آجي وجين ؟ إن الأمر ليبدو حينئذ بريئاً براءة كافية . ووافق آرثر ، رغم أنه ضمن أن الدافع إلى هذا الاقتراح لا بد أن يكون حسياً . كان تيبات متعلقاً بالفتيات الصغيرات - في سن الطفولة - تعلفاً مرضياً شبيهاً بتعلق آرثر المرضي بالسراويل الداخلية . وكانت آجي عتيبة ؛ ولكن كان من السهل على آرثر أن يخضع لإرادتها لإرادته . أما جين فقد جاءت بسعادة لكي ترضى الرجل اللطيف الذي أعطاها الحلوى . وحينما حدث بعد عدة أيام أن عادت إلى البيت وهي تحمل مزيداً من الحلوى ، ضمن آرثر أنها قد ذهبت لكي تراه مرة ثانية . وحينما ذهب آرثر لزيارته ذات ليلة ، كانت السائز مسدلة على النوافذ وكان يوسعه أن يسمع أصواتاً بالداخل . ولما طن أن من بالداخل ربما كان أحد زملاء الرجل من المجرمين أو من الوسطاء الذين يسعون بينه وبين زملائه : فقد انتظر بالخارج لمدة بلغت نصف ساعة . ولكن لم تخرج من البيت بعد هذا سوى فتاة سمينة تبلغ الثانية عشرة من عمرها

تقريباً . وقد اكتشف آرثر فيما بعد أن أحد أسباب احتياج تيبات إلى المال إنما كان ما يدفعه لكي يحفظ بحريم بأكله من شبيهات « لوليتا » من عشباته الصغيرات . كان مبلغ خمسة شلنات بالنسبة لأكثر أطفال المنطقة مبلغاً ضخماً ، وكان مما يسعد هؤلاء الشابات ألا يعبرن آباءهن وأمهاتهن بما منحه للسهر تيبات العطوف لقاء هذا المبلغ . ولم يقع تيبات أيداً في خطأ القيام بعملية جماع حقيقية ، وكان يجلس دائماً من أن يترك أي آثار لسائله المنوي على ثياب الطفلات . كان كل ما يطلبه هو اللعب بالأبدي ، فإذا لم تكن الطفلة ذات خبرة ، كان يكفيه تماماً أن يلاحظها ، وكان يستطيع أن يشع نفسه دون أن تشعر بشيء . أو ندرى شيئاً .

بعد أن رأى آرثر الطفلة ذات الاثني عشرة سنة تخرج من المنزل ، طرق الباب فسمح له بالدخول . وبدأ على تيبات أنه في حالة نفسية هادئة واضية . راح يحكي ذكرياته عن حياته في صباه ، وتجاربه في السجن ، ورسائله في تحجب مراقبة الشرطة واكتشاف أمره . وغادره آرثر في ذلك المبدأ شاعراً بأنه رجل عجوز لا ضرر منه يمكنه أن يلقنه الكثير . وسرعان ما بدأ يتكلم تلقائياً عن طريقه الخاصة وعن أهدافه . كانا زميلين في عالم الجريمة ، فلماذا لا يتق أحدكما بالأخر ؟ وشعر بأنه بدأ يحكم قبضته على تيبات . وقد قال لي عن هذا الشعور فيما بعد :

« كان هذا كما لو كان الأرب هو من يقبض على عنق الثعبان . »  
ولكي يزيد من أحكام قبضته عليه ، سأله إن كانت آجي قد جلبت إليها مفاجبه :

« أجل ، إنها فتاة صغيرة لطيفة . لماذا ؟ أهي ترغب في أن تبيع خمسة شلنات ؟ »

« كلا ، ولكنها تسمح لك بأن تفعل معها ما تشاء . يمكنك أن تمضي معها إلى أبعد مما تفعل مع الأخريات . »

« متى ؟ »

ربما كان اهتمام تيبات بالأطفال ناشئاً من الاحباط مع الكبريات وحبها مسعاه معهن أكثر مما قد يكون راجعاً إلى الميل المرضي إليهن . قال آرثر :

« البقلة . إذاشت »

« هل أنت واثق ؟ »

« واثق تماماً . »

عاد آرثر إلى البيت وبحث عن آجي ثم عاد بها إلى تيبات . وجاءت هي من تلقاء نفسها ودون ضغط من جانبها ، زاعمة لنفسها أنها مطلوبة لكي تكون « غطاء » لآرثر ، فقد كانت تعلم أن آرثر كان مشتركاً في بعض عمليات السطو على المنازل . وحول آرثر الحديث إلى موضوع التثويم المغناطيسي . وأبدى استعداده لأن يطلع تيبات على الطريقة . وسمحت له آجي بأن يدفعها إلى النوم . وكان بوسع آرثر الآن أن ينجز هذا من خلال بضعة حركات من يديه ، كما لو كان ساحراً هتافياً يستعرض مهارته على منصة المسرح . وأمرها آرثر بأن تخلع ملابسها ، ففعلت ذلك بسرعة وبطريقة طبيعية ، بينما راح تيبات يرقبها وهو يعلق شفتيه وقد ازداد لونه شحوباً . وجلس آرثر إلى حوار تيبات وأمرها بأن تقرب منه . وقال لتيبات أن تحسها . وجعلت يده ترتعد وهي تمتد إليها لكي تلمسها . وقال آرثر :

« أترى . إنها مستعدة . »

أمر آجي بأن ترتد على السرير . فترقدت طائعة . . .

وكان أن زاد تيبات من نصيب آرثر في ثمن المسروقات المبيعة إلى النصف في المرة التالية . على الأقل ، لقد قال هو ذلك . . . .

حدث في فترة متأخرة من ذلك العام ، أن كاد آرثر يقع في قبضة الشرطة . فقد عاد روح وروحه من السجن إلى منزلها بينما كان هو داخل المنزل وكان لحسن الحظ قد أخذ احتياطاته المتعادلة : اغلاق الباب خلفه بعد دخوله . وعدم ترك أية آثار واضحة تفاد على الدخول . وقد مرت به لحظة من الألم



الروحي حينما كان يبحث عن مكان يخشى فيه . كان المرحاض قريبا منه ،  
 بل كان أقرب مكان إليه ، ولكنه قرر ألا يخشى . داخله . وقد ثبت أن هذا  
 كان قرارا حكيميا ، فبعد لحظة دخل الزوج المرحاض بينما كان هو ينتظر  
 متوترا وراء باب حجرة نومهما . ولم يكن لديه الوقت الكافي لاعادة ملابسها  
 الداخلية إلى درج الصوان ، وكان قد بسطها أمامه على القرائش . وفي تلك  
 اللحظة قرر أن هذه هي اللحظة المناسبة لمعادرة محبة والفرار من المنزل كله .  
 جذب قمعة ذات الحافة الأمامية العريضة ( كابت ) فغطى بها عينيه تماما ،  
 وأمسك بمطرقة ثقيلة كان يخفيها في حقيبته أدواته ، وهرع بهبط السلم .  
 ولحسن حظه كانت المرأة في المطبخ ، سمعها تنادي : « إلى أين تذهب ؟ »  
 بينما كان يخرج من الباب الأمامي . ولا بد أنها صدمت حينما خرج زوجها  
 من المرحاض .

لقد اهتم مرة مؤلفة . كان قد حفظ قاعدته الأولى : ألا يترك وراءه أي  
 أية آثار واضحة . فان الشرطة قد تربط بين السراويل المشورة فوق السرير  
 بالسراويل الستة التي وجدت في علبه الشطائر التي أدت إلى القبض عليه .

وعصب تيبات حينما قال له آرثر إنه يتوي أن يبدأ قليلا ويخشي عمن  
 الأنتظار لفترة من الوقت . وشرح له آرثر ما ملأه من ظروف . وكانت هذه  
 هي المرة الأولى التي يخبر فيها أحدا من تلقاء نفسه بأمر السراويل الداخلية .  
 ولكن ذلك كان ضروريا من أجل توضيح ضرورة انعاده حذره . أضحى إليه  
 تيبات بإنشده ثم قال :

- « إذا سمعت نصيحتي ، فانك ستقوم بعملية أخرى على الفور . »
- « لماذا ؟ »
- « لكي تستعيد هدوء أعصابك . »
- « ليس هناك ما يتعب أعصابي ، إنما أنا على شيء من الحساب . »
- « منته تيبات بعين تشبه عيني نبي من العهد القديم ، وفان  
 « استمع إلى نصيحتي ، فإذا لم تفعل ، فلا تعد إلى هنا أبدا . »

لم يستطع آرثر في البداية أن يصدق أن تيبات كان جادا في انتذاره . وحينما  
 اقتنع بذلك . خرج شاعرا بالصدمة والمهانة . استبد به الغضب لدرجة أنه  
 استقل سيارة عامة واتجه مباشرة إلى مبنى ضخم يضم عددا كبيرا من الشقق  
 السكنية كان يتوي أن بسطو عليه ، فدخل بمسارعة ، واتجه إلى أول شقة صادفته  
 ولم ير ضوءا ظاهرا من تحت بابها . كانت عبرته الآن قد وصلت به إلى العذرة  
 على انتفاء المفاتيح الصحيح في ذقن قلبه ، والدخول في صمت . وقد حدث  
 هنا في تلك المرة . ولكنه بعد أن فتح الباب استطاع أن يسمع صوت جهمار  
 التليفزيون . وشخصا يتحرك في حجرة أخرى . ألقى الباب بهدوء . وقد  
 استبد به الغضب وتملكه اليأس . ولو أنه قد قبض عليه لكان قد وثق تيبات  
 باعتباره الشخص الذي يشتري منه البضائع المسروقة . ولكنه عثر على باب  
 آخر لا يبدو الضوء من تحته ، ومرة أخرى فتح الباب . ولكنه اكتشف أن  
 سلطة المزارع كانت ممتدة من الداخل ، فمن الواضح أن شخصا ما كان  
 بالداخل . ولم يكن يريد أن يزججه أحد . صعد الدرجات إلى الطابق التالي .  
 فسمع بعض الأصوات . كانت هناك أسرة كاملة تسير قادمة نحوه في الممر .  
 ورجل في الخلفية يغطي أحد الأبواب بعناية . كان الوقت قد تأخر به جدا فلم  
 يستطع أن يتجنب رؤيتهم له ، حاملا حقيبته . ولكن أحدا منهم لم يته له  
 على الإطلاق . وبينما كان ما زال يوسعه أن يسمع صوت الأقفال على البعد .  
 فتح الباب ودخل الشقة وأضاء الأضواء . وسار مباشرة إلى حجرة النوم .  
 فدخلها كما لو كانت حجرته الخاصة . كان متوترا لدرجة أنه لم يبال حتى  
 بالملابس الداخلية . رغم أنه قد نظر في الدرج يدافع من العادة ليس إلا  
 أفرغ عانة من الجوهريات في حقيبته . ثم ذهب إلى المائدة المتخصصة لرينة  
 الروح وبعض يبحث في ادراجها واحدا بعد الآخر في تقلام . فأخذ ساعة  
 ذهنية . وبعض الأزرار الذهبية لأتمام القمصان . وبعض تبايس الباقات .  
 بل أحد أيضا عصا دانت رأسه مضي . ثم سار إلى باب الشقة ، وأنطق الأضواء  
 وألقى الباب وراءه وسار خارجا من الممر دون أن يشك في الدواب أو يناله

عن هويته ، وكان البواب يتحدث بالتلفون طالبا سيارة أجرة . وبينما كان يهبط درجات المني ، عبرت الأسرة الشارع أمامه في سيارة من نوع جاجوار وأرقامها « مارك ١٠ » . وكانت هذه هي أسرع عملية سطو قام بها ، وأرجحها حتى ذلك الحين . وحتى ثيابت أخذت يمدني مدهوشا متعجبا بينما كان آرثر يفرغ كل محتويات الحقبة على الفراش . وصاح به :

« يا إلهي ... هل سرقت مصرفا ؟ »

وكان الشيء الوحيد الذي شكك في قيمته هو الساعة الذهبية ، وكان قد حفر عليها حرفان : « ب . ل » فقال آرثر : « حسنا ، سأحفظ هذه . » وتناولها فوضعها في جيبه دون أن يبدي ثيابت أي اعتراض . وقد أهداها فيما بعد إلى بولين .

ولا بد أن ثيابت أحس بأن آرثر يتصرف بجنون البالس حينما يستبد به الغضب ، فأخذ يغمزه بالثناء والمدح ، ومنحه خمسين جنيها نصيبا له من ثمن المبيعات .

سألت آرثر : « ولكن لتفرض أنه قد ألقي القبض عليك ؟ »

« لم يلق القبض علي ، كذلك قال بلهجة مليئة بالاحتقار حتى أنني فورث ألا أتابع مناقشة الموضوع . ولكن كان قد قال لي في الحقيقة ما أردت معرفته . لقد قال لي إنه كان غاضبا من ثيابت لدرجة أنه أراد أن يخاطر بالمشروع كله . ولكن لو أنه قد قبض عليه ، فما كان من الممكن أن يحدث شيء لثيابت إلا إذا قبض على الشخص الذي كان بشري من المسروقات أيضا . وقد أراد آرثر أن يدخل عن الجريمة لمدة شهر أو شهرين ، ولكن حينما مارس ثيابت ضغطه عليه ، خرج وهو ينسى أن يقبض عليه . أو على الأقل ، خرج بروح المقامرة القاتلة ، وتعد العملية بطريقة من يلعب الروليت الروسية ، بمسدس لا تضم سابقته سوى طلقة واحدة بينما للاعب يسدد فوهة السلاح إلى صدغه .

كانت جرائم آرثر الأولى ذات دوافع جنسية ، وكانت هذه الجرائم تثيره لا بنفسه من ملامح جنسية خفية . ولكنه كان قد أصبح محترفا الآن . محامرا

بأن يحكم عليه بالسجن لمدة عامين في إحدى مدارس الإصلاحات في كل مرة يقوم فيها بإحدى العمليات التي لا يربح منها سوى بضعة جنيهات . وقد استمر في سرقة الملابس الداخلة النسائية ، ولكنه كان يفقد إحساسه بالجرية بشكل مستمر ، كان يفقد إحساسه بأنه يتفند مشروعا حراما ما زال في دور الإعداد والتخطيط . كانت ساقاه قد الغرقتا بالفعل - حتى الكلاجلين - في نفس المستقع الذي غرق فيه لاندر وهاي . كان السطو قد تحول إلى عمل مربح بدلا من أن يكون عملية اغتصاب ترضيه وتشبعه جنسيا .

كان شيء ما قد تعفن وفاقحت رائحته في علاقته بداجر ثيابت . وكانت هذه الفترة بالتقريب هي الفترة التي بدأ يشك فيه ويفقد ثقته به . لقد شك في أنه كان يحتفظ لنفسه بأكثر من خمسين بالمائة من ثمن المسروقات ، وشك أيضا في أن ثيابت يمكن أن يبدده وأن يبتزها إذا هو حاول أن يقطع علاقته به . وفي شهر يوليو عام ١٩٥٢ ، كان ما يزال أمام آرثر عام آخر يقضيه في المدوسة ، فقرر قراره على أن يحاول أن يوفر ما يمكنه من القود في هذا العام ، على أن يرحل إلى لندن في نهايته . إذ لم يكن في نيته أن يكون باقيا في دورينجتون حين خروج العم ذلك من السجن .

سألته إذا لم تكن أية فتاة أخرى - غير آجي - قد اجتذبت إليها ، فأجابني : « هذا يتوقف على ما نعني بكلمة « اجتذبتني » . كان هناك الكثير من الفتيات اللواتي رعن لي . ولكن أكثر الفتيات في المدرسة كن فتيات غيبات لحبسات كاتنزايزير . »

لم تحاول أبدا أن تتوأم أي واحدة أخرى إلى جانب آجي ؟

وقد كان هذا موضوعا لم يشأ أبدا أن يتحدث فيه . كنت آمل أن يجزني بما كان من أمره مع زوجة المدرس المدعو جرورزه ولكنه لم يذكر سوى أنه كان هناك صبي في المدرسة بهذا الاسم . وحسباً كان يبدي أي اعتراض عن الكلام . لم أكن أحاول أبدا أن أصغط عليه لكي يتكلم ، فانه كان سيتكلم بالتأكيد . عاجلا أو آجلا . ولكن جلساتنا التحليلية كانت أقرب إلى نهايتها

عما كنت أتوقع . ولم أكتشف أبداً من كان هذا الصبي المدعو جرور . وقد أخبرني بولين بأنها سمعت أن آرثر حاول أن يفوي فتاة من خلال علاقته بأخيها ، ولكنها لم تكن تعرف أية تفاصيل عن ذلك . وربما كانت هذه الفتاة هي شقيقة دنكان ماكيفر .

ولكن حانت اللحظة التي أبدى استعداده فيها للحديث عن مسر جرور - أو إيلين ، كما كان يدعوها .

كان مدرس الألعاب الرياضية في مدرسته رجلاً ضخم الجسم يتمتع بقدرة ظاهرة في الألعاب الهلوانية ، وكان الرجل أيضاً مجنوناً بلعبة كرة القدم ، وبصورة واضحة ، كانت مشاعر آرثر إزاءه غامضة وغير محددة . وقد قال لي إنه كان يعتقد دائماً إن من المؤسف أن يستهلك مثل هذا الجسد الرائع في مثل تلك الالهات التي لا معنى لها ، أو أن يمتلك هذا الأيمل العجي مثل هذا الجسد العظيم . وكان المسر جرور هو أحب المدرسين إلى قلوب التلاميذ في المدرسة ، وكان صديق بولين المدعو والتر ، ( وهو الصديق الذي رآه العم ديك بجامعة بولين عند مدخل المنزل ) كان يقلد مسر جرور في مشيته المتدفقة التي تبرز عقلاته .

لم يكن درامر جرور ، متزوجاً حينما ذهب آرثر إلى المدرسة الكاثوليكية في شارع سليبرود . وفي عام ١٩٥٠ تزوج بفتاة من ستول بووت ، وقد حضر حفل الزفاف كل أعضاء فريق كرة القدم في مدرسة سليبرود ، الفريق الأول والفريق الثاني ، وحيوه مهلين وهو يخرج يعروسة من الكنيسة . وكانت مسر جرور جميلة جداً أشبه بحمال الطيور ، ولم يكن رأسها يبلغ ارتفاع كتف زوجها . وقال كل من قابلها من التلاميذ كم كانت جميلة وجذابة ولطيفة . كانت مدرسة الموسيقى ، وحينما أعلن في المدرسة أنها سوف تظفي دروساً في الموسيقى في فترة ما بعد الظهر قرر عدد من عمالقة الفرق الرياضية في المدرسة أن يتعلموا عزف البيانو . ثم نحلي أكثرهم عن المشروع في خلال أسبوع أو ما يقرب من الأسبوع .

وقد رآها آرثر في مكان واحد يجمعها عن قرب للمرة الأولى حينما سأله مدرس الألعاب الرياضية إن كان يعرف شيئاً عن أجهزة الجراموفون ( الحاكي ) ، فقد كان الجهاز الذي تستخدمه في درس التدفق الموسيقي قد تعطل . وسمح لآرثر بعدم الحضور في درس متأخر للألعاب الرياضية لكي يلتقي نظرة على الجهاز . وسرعان ما اكتشف أن شخصاً ما قد ألقى ذراع اللافتة فوق إحدى أسطوانات التسجيل فحطم ابرة الالتقاط ، وقال لمدرس الألعاب الرياضية أنه من الممكن استبدال ابرة المقابل مبلغ زهيد ، لا يزيد على سبعة شللات وستة بنسات . وأعطاه مسر جرور النفود ، وخرج آرثر من المدرسة فذهب إلى أقرب محل لبيع الأجهزة الكهربائية لشراء ابرة جديدة . وعاد آرثر حينما كانت المدرسة على وشك اغلاق ابوابها . وكان صف التدفق الموسيقي يصغي للمسر جرور وهي تتحدث عن بيتوفن . كان أكثرهم من النوع الذي يزدرية آرثر من الصبيان ، ولكنه شعر بالنهيب والخرج وهو يقبع الابرة الجديدة في الجهاز مكان الابرة المكسورة ، شاعراً بعيونهم جميعاً مزمرة عليه . وأخيراً التفت إليه مسر جرور بانسامتها الشبيهة بانسامة الطيور وقالت :

« هل أصبح الجهاز معداً ؟ »

نظر إليها وشعر بصدمة . لقد أدرك على الفور أن نغمة صوتها الحادة القاطعة تخفي نوعاً من التوتر العصبي . وحينما التفت عيناها بعيني ، خفت أحنفاها للحظة قصيرة . أو ما يراه دون أن يقول شيئاً فسألته :

« أيمكننا إذن أن نحربه ؟ »

أدار مفتاح التشغيل ووضع الابرة على الاسطوانة دون أن يقول شيئاً . تصاعد صوت الموسيقى بالغ الوضوح والصفا فقالت :

« رائع ! هيه ، لقد أصبح أفضل بكثير مما كان من قبل . »

وقال لي آرثر معلقاً على هذا : « ولا يمكنني أن أفسر السبب في هذا . إما كان ذلك واحداً من تلك المصادفات الغريبة المضحكة . كان كل الأولاد الخالسين أمامها يعجبون بها ، ولكنها عرفت أنني لا أعجب بها . كانت تعرف

أنه لا فائدة من محاولة الاستعراض أمامي أو التأثير علي . كان يوسمي أن أرى ما ترمي إليه داخل رأسها .

وأظن أنا أنه ربما كان الأمر متعلفا - بشكل ما - بالاعجاب الذي يكنه العقل الذي لا يدري شيئا من أمور الميكانيكا بالعقل الميكانيكي المدرب . لقد جعلتها كقائمة آرثر ومهارته في معالجة الجهاز تشبه بأنها أقل منه بشكل مسن الأشكال . سألته إن كان يروق له أن يبقى في الحجرة لكي يصغي إلى الموسيقى فقال بصفاء إن عليه أن يذهب إلى عمله .

بعد ذلك بأسبوع . كان على آرثر أن يبقى في المدرسة لفترة من الوقت بسبب توبعه على التأخر في إنجاز واجباته المدرسية . وفي طريقه إلى الخروج ، رآها في أحد المعربات . كان على وشك أن يتجاوزها بخطوته السريعة حيثما استوقفته بقولها :

« أوه ، إنك العصي الماهر الذي أصلح الجهاز . أنا سعيدة جدا بمقابلتك . »

« هل تعطل مرة أخرى ؟ »

« أخشى ذلك . هل تسمح ... ؟ »

كان قلبه يخفق بشكل غريب وهو يسير ورامعا . كان شيء ما في حضورها يجعله يشعر بالتوتر ولكن مع إحساس بالسيادة والتفوق . لم تكن تشبه آجي من الناحية الجسدية ، ولكن كان يوسعه أن يحس بأن بينهما شيئا مشتركا .

لم يستغرق أكثر من خمس دقائق لكي يحدد سبب التعطل في الجهاز . ففي الجزء الخلفي من جهاز الجراموفون كانت هناك فراغات خاصة يمكن أن تستخدم للاحتفاظ بمكبر الصوت الإضافي للصوت أو لوضع جهاز التسجيل . وكانت هي قد وضعت مكبر الصوت الإضافي في الفراغ المخصص لجهاز التسجيل فقلعت بذلك التيار الكهربائي عن مكبري الصوت كليهما .

أشار لها إلى ما فعلته . وكان جهاز الجراموفون موضوعا على مائدة مرتفعة ، وكان عليها أن « تشب » على قدميها ثم تنحني إلى الأمام لكي تتحدث في الفراغ

الخلفي وراء الجهاز . وحينما فعلت ذلك خرج طرف صدرها القطني من تحت حزام جوتلها ، ووجد هو أن بإمكانه أن يرى مقدار نصف بوصة من الطرف العلوي لسروالها الوردية المصنوع من النايلون . شعر بدققة وحشية من الشهوة جعلته يريد أن يمد يده إلى أسفل لكي يلمس المادة الناعمة . ولاحظ أيضا أن يوسعه أن يرى - من خلال الصدر القطني الخفيف - الخطوط التي ترسم شكل حمالة صدرها تحت الصدر . واستمر في الإشارة إلى بعض الأشياء في الفراغ الخلفي للجهاز لكي يجعلها تستمر على وضعها . وسأله هي مؤالا آخر . كان مستغرقا تماما في التحدث في خط النايلون الوردية الرفيع حتى أنه لم يلاحظ أنها قد رفعت جذعها ووقفت في وضعها الطبيعي . احتك كضها يحسه للحظة خاطفة . واحتك ردفها بلحمه المتصلب .

لم يشعر بأي حرج . فقد أحس غريزيا - مرة أخرى - بأنه سيد الموقف . وحينما التقت عينها بعينه ، وهي تتحدث بطريقها المتوترة العصبية السريعة ، حدث هو في عينها مثلما كان يحدث في عيني آجي . ضاغطا على أعصابها بينما حضوره . كان أكثر منها طولا . وكانت ساقيها عاريتين ، وكان هو يفكر في أنه لو جرى بيده فوق ركبتيها لكان يوسعه أن يلمس المادة الحريرية الناعمة التي تحفي ما بين ساقيها . وفجأة احتاحه الاقتران بأنهما لو كانا وحيدين في منزل دون خشية أن يقاطعهما أحد . لكان في وسعه أن يجعلها تلحج ثيابها مثلما فعل مع آجي .

لم يكن يصغي إلى ما كانت تقول . وكانت هي قد خفقت نظرتها ولم تعد عينها تواجهان عينيه . ولكنه قال :

« حسنا ، على الآن أن أنصرف . »

استمت له ابتسامة مريجة متوترة ثم مدت إليه يدها وضغطت على يده برفق وقالت :

« هذا لطيف منك جدا أشكرك ، »

أهاخته لسة يدها . كانت هذه هي الخطوة الأولى نحو الألفة الرقيقة . وعاد

إلى البيت وهو يفكر : « هذه المرأة لديها القابلية . إنها على استعداد . » كان هذا هو الشعور بالقوة والسيطرة بينما مرة أخرى ، موربارني يفرض إرادته . لم يحدث شيء آخر طوال عدة أسابيع ، رغم أنه كان يراها مرارا من حين إلى حين ، وكانت تبسم له دائما . وذات مرة توقفت لكي تتحدث إليه وقالت :

« من المؤسف أنك لا تحب الموسيقى . »

قال كاذباً : « بل أحبها . ولكنني لأحب الأولاد الآخرين في صنفك . »

قالت : « ربما كان بوسعي أن أعطيك بعض الدروس الخاصة . »

ثم فجأة التفت عيناها بعينه ، فبدأ عليها الارتباك . وبينما كانت تسرع مبتعدة قال :

« سيكون هذا لطيفا جدا . »

وفي عصر ذات يوم شمس ، كان يجلس في إحدى حجرات الدراسة الخالية تقريبا ، يقرأ كتابا . وكان باقي تلامذة الصف يلعبون الكريكت . كان يكره الألعاب الرياضية ، فقام بتروير مذكرة باسم العمة إيزي ذكر فيها أنه يعاني من نوبات الصداع وأنه يجب أن يعفى من الرياضة . وكان الشخص الآخر الوحيد في الحجرة هو جويينهام الذي كان قد التوى كاحله في اللعب فعاد لكي يستريح . قال بينهام :

« إن مسز جروز تحبك ، أليس كذلك ؟ »

« لا أعرف . ماذا يجعلك تقول ذلك ؟ »

« إنها تبدو ودية معك جدا . »

« لا أظن هذا . لقد أصلحت لها جهاز الجراموفون مرتين . »

وبدأ بينهام - الذي كان ما يزال منتظما في صف تدفق الموسيقى - في التناهي عليها وامتلاحها . كانت نظراته إليها مختلفة جدا عن نظرة آرثر الذي كان قد أحس لإمامها بنوع من التفوق . وكان بينهام يفكر فيها باعتبارها نموذجا لعمال للزوجة الأم ، الماهرة ، الرقيقة المتفاهة المتعاطفة ، وأنها المرأة المناسبة

تماما التي كان يستحق درامز جروز أن تكون شريكة حياته . أما آرثر فكان يفكر في شريط النايلون الوردي الذي لم يزد عرضه على نصف بوصة والذي كان يدور حول خصرها وتوتر ما بين فخذيته . قال بطريقة كلبية :

« إنها تشبه كل النساء . إنها لم تخلق لغير الجنس . وإن ما تحبه حقا هو

عضو درامر الكبير . . . »

وشعر بينهام بالحجل والعار ، ولكنه كتمه في مدرسة ، كان معنادا

على مثل هذا النوع من الحديث . وقال :

« لا أظن هذا صحيحا . لا أظن أنها من هذا النوع . »

كان يجب أن يفكر فيها بوصفها امرأة نفية تفيض بالأمومة .

لم يكن من المألوف لدى آرثر أن يكون قادرا على الشعور بالتفوق الواضح إلى هذه الدرجة على بينهام . وقد فكر ساعتها في آجي التي تبدو للغرياء أيضا في صورة الفتاة الماددة الخلوة العطوف - وهذا ما كانت عليه حقا . ولكنها أيضا كانت تنوب من الرغبة حينما يقرص آرثر حلمتها عبر صدرها . وبدأ آرثر يتدبرك بعمق التعقيدات المرتبطة بالشخصيات الأنثوية ، وبدأ يصرح لبينهام بما أدركه . وحينما رأى أن بينهام يتشكك في أقواله ، قال له إن مسز جروز ليست إلا امرأة من النوع الذي تسهل السيطرة عليه ، وأنها يمكن أن تكون قابلة للاقتياد السهل والخضوع يسر شديد لتأثير التنويم المغناطيسي .

ومثل جميع الناس الذين لا يعرفون شيئا عن التنويم المغناطيسي ، ظن بينهام أن هذه الكلمات الأخيرة من آرثر لم تكن سوى تفاصيل كذبات إلى درجة مروعة . وقال له هذا بصراحة . وأعلن آرثر ، الذي لم يكن قد نضح بما فيه الكفاية لكي يتخلص من شعوره بالضيق إذا ما كذبه شخص آخر ، أعلن أنه سوف يلت ما قاله بأن يتوهمها بالتمهل .

ولم يكن قد فكر في هذا الأمر تفكيرا جيدا ، كان لديه ما يكفه من المشاكل التي تشغله مع آجي ومع داجر نبات . ولكنه كان قد ألقى بتفكيره فعلا . وقرر أن يحكر في تفكيره حديه . وكان من رأيه أن أكثر الناس لا يجزول

إلا القليل من الأعمال لأهم جئنا للغاية . ومهما كانت أخطاؤه وسقطاته ،  
فإن آرثر لينجارد لم يكن بالرجل الحيان .

كان يعرف أنها سوف تأتي إلى المدرسة في يوم الاثنين التالي . فنحلى عن  
دروس فترة ما بعد الظهر في المدرسة وسافر إلى بلدة « ويدنز » على بعد عشرة  
أميال . وكان من السهل أن يكتشف القطار الذي لا بد لها أن تستقله إلى المدرسة .  
بلدت عليها الدهشة حينما شاهدته على رصيف المحطة الحالية تقريبا وقالت :

« ماذا تفعل هنا ؟ »

« لا تخبري أي إنسان : فالمفروض أنني مريض . لقد اعتبرت عن  
حضور دروس ما بعد الظهر لكي أقوم بعملية اصلاح في أحد أجهزة  
التليفزيون في « ويدنز »  
« أوه ، هكذا ! »

ولاح له أن وجهها قد احمر قليلا ، وأنها لا تصلقه . وقبل أن يستفلا  
القطار قالت :

« إنك تصلح أجهزة التليفزيون ، أليس كذلك ؟ أتخني لو أقيت  
نظرة على جهازنا ذات مرة فالصورة تجري في الكادر على الدوام »  
وبعد قليل كانا جالسين معا في مقصورة خالية ، وقد استقرت بينهما  
علاقة ودية دافئة .

قالت : « سمعت انك تعاني من نوبات الصداغ »  
قال بتسرع : « كلا »

ثم أدرك ما كانت تعنيه . كان قد نهرب من دروس الرياضة بأن زعم  
أنه مريض مزمن بنوبات صداغ لا تبدأ . فقال مستدركا :

« لا أعاني نوبات الصداغ في الحقيقة . لم يكن ذلك سوى عذر  
للإفلات من الألعاب الرياضية . ولكنني أجيد علاج نوبات الصداغ .  
كان الأمر سهلا إلى درجة عبثية . فعلمنا وجه الحوار إلى موضوع التويم  
المغناطيسي ، راحت تظهره بأستلثها حوله ، وشرح لها المبدأ الأساسي - من

أن الأمر يرجع إلى الاجتهاد الناشئ » عن تركيز الادراك . قالت :

« لاني أغرق أحيانا في حالة من السبات وأنا أراقب من نافذة القطار  
أعمدة البرق وهي تخفي مسرعة إلى الورا أو أصغي إلى صوت  
عجلات القطار »

« هذا حقيقي ، وهو أمر سهل . يمكنك الآن أن أتومك نوما خفيفا  
« يمكنك ذلك حقا ؟ »

كذلك سألته وقد ظهر ما شعرت به من استشارة وخوف قليل . وكانت  
هذه هي أفضل حالة يمكن أن تمر بالعقل من أجل أن يوحي لذاته بالاستعداد  
للغرق في سبات مصطنع ، طالما أن المستويات العليا من العقل مشبكة في صراع  
مع المستويات الدنيا ، وأنها لذلك أكثر قابلية لتلقي الايحاءات الخارجية . قال :

« تخمين أن أربك كيف أفعل ذلك ؟ »  
« إذا كان هذا يروق لك »

كانت نظرتها مقعنة بالحروف والتوسل . كانت تؤمن بأنه يستطيع أن يفعل  
ذلك . وقد اعترفت له فيما بعد أن عينه الجاحظتين قليلا كانتا تسحرانها على  
الدوام من قبل . قال لها :

« لا تتورني . استرخي فقط وأصغي بامعان إلى صوت العجلات .  
أقترني بقوة إلى أعمدة البرق وهي تخفي مسرعة إلى الورا . استرخي »

كان يتكلم بهدوء وبطريقة ناعمة مقنعة ، وهو يرقب توترها بتلاشي  
وتخفي . بدأ يربث على جبهتها ويدلكها برققة من جانب إلى جانب . كانت  
تجفل من حين إلى حين ، ثم تدفع بنفسها إلى الأمام ثانية . وحين يحدث ذلك ،  
كان يدفعها برفق إلى الورا ، وليجعلها تستعيد استرخاءها الهادي . كانت  
متعة قليلا بالفعل . بعد أن أجزت عملها المنزلي اليومي واشترت حاجياتها من  
السوق ، وكان في لينها أن تسترخي قليلا في خلال رحلتها إلى دور لينجتون .  
طل آرثر يتكلم بتعومة :

« إنك تشعرين بتقل في ذراعيك وساقيك . إنك مسترخية تماما . إنك

تفحصين إلى الوراثة ، إلى الوراثة ، إلى الوراثة ، تفحصين في فراش لين حسن  
الريش . إنك تشعرين براحة لم تشعرى بها أبداً ولا بتلها من قبل . لا يمكنك  
أن تسمعي شيئاً سوى صوتي . إنك تتنفسين بعثق . بعثق . بعثق ... »

كان يعرف قيمة مجرد تزديد الكلمات ، وبعد خمس دقائق من مثل هذه  
العبارات ، ظهر عليها أنها غرقت في النوم . ولكن منظر الاشارات الضوئية  
دلت أثر على أن القطار كان يقترّب من دوريتجون . كان صوته الآن بالغ  
النعومة شديد الرتابة . وبدأ الآن عملية إيقافها من نومها الاصطناعي . قال :

« سرعان ما سوف أوقظك . سرعان ما سوف أوقظك . حينما أصل في  
العد إلى عشرين سوف تستيقظين وأنت تشعرين بالسعادة والنشاط . حينما أصل  
بالعد إلى عشرين ، سوف تستيقظين على الفور ... »

وبينما كان القطار يتدفع متباطئاً إلى محطة دوريتجون . لاحظ أن ركبتيها  
قد انفرجتا بينما كان يمسس لها بعباراته . أخذ الطرف السفلي بجونتها - وهي  
جولة واسعة الدليل يرتقالية اللون - تجلج بين أصابعه ، ورفعها . كانت ساهاها  
عاريتين . وكانت ترتدي سروالاً أبيض اللون من النايلون ، ومن خلال المادة  
الرقيقة ، كان يوسعه أن يرى شعر العانة . كان القطار يبطئ سيره . أسقط  
طرف الثوب ، وعد إلى عشرين . وربما لأن صوته كان متوتراً ، فإن عملية  
العد هذه لم تؤثر فيها . وجلسا في مكانيهما ، وشرح هو بينما العملية من جديد :  
« حينما أصل في العد إلى عشرين ، سوف تستيقظين . واحد ، اثنان ،  
ثلاثة ... » وفي هذه المرة ، حينما بلغ العشرين ، تأوهت ، وجلت برأسها ،  
وفتحت عينيها . بدا عليها الخوف حينما نظرت إليه . سألتها :

« كيف تشعرين ؟ »

« رائع . لقد تجدد نشاطي تماماً ! »

وبينما كانا يغادران القطار ، طلب منها ألا تذكر لزوجها أنها قد رآته .  
فوافقت على الفور . وكانت المدرسة على بعد مسافة قصيرة من المحطة تغلغلها  
السيارة العامة في حطّات . سألتها :

« لممكني أن آتي لكي أخص جهاز التليفزيون بعد ظهر يوم السبت  
القادم ؟ »

« ليس هذا بالوقت الملائم . فإن جيمس ( زوجها ) لا بد أن يصطحب  
فريق الكريكت إلى بلدة ماتت هيلينز وأنا أذهب معهم عادة »  
« اعتذري بعذر ما في هذه المرة . قولي إن لديك صداماً مؤلماً ،

بدا عليها الشك . توقفت السيارة . قال :

« ما عنواذك ؟ »

« ستجده في دليل التليفون »

وقبل هو هذه الاجابة على أنها نوع من الاتفاق .

بدا له أن الأسبوع يزحف متباطئاً لا يريد أن ينتهي . وكلما فكر في نفسه  
وهو يرفع ذيل ثوبها اجتاحه إحساس بقوة الارادة الخادة تتحول إلى نوع من  
الشوة . كانت تجلس في مكانها ، وعينها مغمضتان ، بينما كان في وسعه أن  
يفعل ما يشاء . زوجة المدرس - المرأة التي يصير ليلها نصف زملائه الأوغاد .  
وكان ما أثاره أكثر من أي شيء آخر ، هو أن فتحي سافي السروال المستديرتين  
كانتا قد اثنت أطرافهما إلى أعلى في أثناء ارتداء السروال ، ولم تعودا إلى  
وضعهما الطبيعي على ضغط جسمها ...

بدا القلق زامادياً كثيباً في صباح يوم السبت ، كان يجشى أن يسقط المطر  
فتلغى المباراة . ولكن السماء صفت قبل العصر . وفي الساعة الثالثة كان يطرق  
باب منزل صغير جميل في بلدة ويدنيز ، حاملاً حقيبة أدواته التي يستخدمها  
في اصلاح أجهزة التليفزيون - لكي يصل أي حار فضولي قد يلاحظ مقدمه -  
وكان يرتدي حذاء عكاز مطوية رفاق . قلن أنها تبدو متعبة ومتوترة الأخصاب  
حينما فتحت له الباب ، وشك في أنها تحمل أفكاراً وظنوناً خفية غير ما تبدو .  
سألتها عما تشعر به فأجابت :

« نعمة أنا فقد كنت نوماً رديئاً جداً »

ولده رابع ساعة . أخذت بجهاز التليفزيون الذي كان يعرض عبارة

في الكريكت . ولم يكن هناك شيء متعطل أو تالف في الجهاز . ناداهما إلى  
الحجرة التي كان يعمل بها ودعاها إلى مراقبة الجهاز لكي تزدى إن كان قد  
تحسن . جلست متوترة الأعصاب ، ثم قالت :

« أجل . هذا يبدو أحسن . يجب أن نسمح لي بأن أدفع لك ... »  
« كلا »

وسار حتى أصبح وراء مقعدها ، فهبت واقفة وقالت :

« كلا ، إنني لا أريد حقا ... »

قال مهدداً : « إنك متعبة ومتوترة الأعصاب . اتركيني أهدى أعصابك .  
سوف تشعرين بتحسن كبير بعد أن تستلقي »

كان عليه أن يتحدث بهدوء واقناع لمدة بضع دقائق . وأخيراً سمحت  
له بأن يملك جبهتها ، ولكنه كان يستطيع أن يشعر بمقاومتها . كانت متوترة  
الأعصاب لأن هذا يجري في بيتها ، ولم يكن ذلك شبيهاً بأن يحدث في قطار ،  
حيث كان كل شيء يربطاً بشكل ما . وبعد عشر دقائق من الضل المتكرر ،  
نقد صبره وقرر أن يستخدم طريقة الكارترويد ، حيث يجب أن يضغط على  
أحد الشرايين التي تحمل الدم إلى المخ بالقرب من الأذن ، فإذا ما حرم المخ  
من الدم ، تكون النتيجة نوعاً من الدوار الضوري تقريباً . وفعل ذلك ، فاسترخت  
على القور . والآن ، ورغم أنه كان محموماً بالرغبة ، فقد كان مصمماً ألا  
يقع في خطأ واحد . واستمر في تديكته لجبهتها لمدة عشر دقائق أخرى ، موجهاً  
إليها بأن تغرق في سبات أعقف وأعقف ، كان يوسعها في أثناءه أن تسمع صوته .  
وبنينا كان يفعل ذلك ، لاحظ أن فيها قد انفتح تحت صغيرة وأن سابقها قد  
تأعدنا قليلاً مثلما حدث من قبل . وبدأ يشعر بالثقة في نجاحه .

جفل حينما سمع جرس الباب ، ولكنها لم تتحرك . وبعد خمس دقائق  
أو نحوها ، تباعد صوت الخطوات على ممر الحديقة . وتقدم الآن لكي يشعر  
في تنفيذ خطته . أوحى إليها بأن المساء قد هبط ، وأنها متعبة وأن عليها أن تنام .  
« إنك متعبة جداً . تريد النوم في الفراش . إنك تقفين وتلهجين

إلى حجرة نومك . »

وابتعت إبعاده - أو إقترانه - وقادته إلى حجرة نوم نظيفة جميلة  
الأثاث . ولشد ما دهش حينما رأى سرير الفرد واحد فقط . قال لها :

« والآن أعطني ثيابك . إن زوجك في الحجرة . وهو يساعذك في  
خلع الثياب . »

كان متوتراً ومتهيجاً وهو يساعدها على حل الأزرار التي كانت تمنهه على  
طول ظهر الصدر الذي دون أكمام . راقبها وهي تحل مشك حماله صدرها  
وتخلعها ثم تلقبها على أحد المقاعد . ثم وهي تحل فساتين جواربها . وخامت  
الحوالة مع قميص قصير داخلي من القطن . وحينما رآها تبت أمامه في سروالها  
الداخلي ، السروال الوردى الذي رآه من قبل ، خلع ثيابه بسرعة ، وتحرك  
نحوها عازياً ، بينما هي واقفة في مكانها . تركته يقبلها . وقد قبضت إحدى  
يديها عليه . وتحركا إلى الفراش . ورفقت في مكانها . سلبية دون حركة ،  
بينما زقد هو فوقها . وهي نائمة . وحينما اقتربت ذروة تشوته . وجد صه  
يفكر في مقدار المتعة التي قد يشعر بها إذا قدر لزوجه أن يدخل إلى الحجرة  
الآن فيرى زوجته في هذا الوضع . تحرك جسدها خاضعة طيبة مع إغناج جسد  
رجل عربي - مغروسا داخل الثم اللداني الذي فترته لزوجهها ... كانت تلك  
واحدة من اللحظات النادرة التي شعر فيها بالثقة المطلقة والقدرة اللانهائية على  
الاستمرار ، والتي كان في أثناءها أقرب إلى الصحة العقلية الكاملة .  
وبعد أن بلغ ذروة تشوته . مضى يتحرك في الحجرة . ليفتح الأدراج  
ويطير إلى ما فيها . أما هي فطلت رافدة في مكانها ... وفجأة طرأت له فكرة  
بدت له مثيرة إلى درجة هائلة . حتى لتكون قمة هذه الأمسية . عاد إلى  
الفراش وقال :

« حينما أطلع في العبد إلى العشرين . استيقظي ... »

وكرر هذه الجملة التي عشرة مراف . ثم زقد فوقها وبدأ يعد . وحينما بلغ  
العشرين بدأت تغمض نفسها قليلاً . ثم فحبت بينها ببطء . حقت عينها حينما



رأت وجهه فوق وجهها . وقالت :

« أوه ، لا ! »

أهانت هذه الصيحة فبدأ يتحرك فوقها بعنف . وحاولت أن تتلمس وتزلق من تحته ، ثم غيرت رأيا ، وبينما كان يقرب من ذروته ، بدأت هي أيضا تتحرك ، وحينما بلغ الذروة - أغمضت عينيها وأنت أينا خافتا . وقد ضمت سابقها عليه بقوة . بعد بضع دقائق ، تحرك عنها ووقد على الفراش إلى جوارها . مدت يدها وجذبت الغطاء فوقهما معا ، ثم سألته :

« كم الساعة الآن ؟ »

وكان هذا شيئا غريبا لأمله . فقد كان ينتظر الكثير من الدعوى ، وكلمات الندم والعتاب والتوسل . ولكنه نظر إلى الساعة القائمة إلى جوار الفراش وأخبرها ثم قال لها :

« متى يجب أن يعود زوجك ؟ »

« ليس قبل ساعتين أو أكثر . »

كان ما أربكه هو أنها قد قبلت الوضع الذي ظن أنه يفرضه عليها . وفجأة بدأ يشك في أن المسألة لم تكن كلها مفاجأة بالسبب لها . وكلما أعمق في التفكير في هذا الاتجاه ، كلما زاد الأمر وضوحا . كانت تعرف بالتحديد ما كان يريد منها . وكان هذا هو سبب شحوبها الشديد حينما وصل إلى المنزل ، كان سميرها يقلقها . وكان ذلك هو السبب الذي جعلها تندي تلك الاعترافات الأولى صد أن ينومها . وحينما استيقظت فوجدته فوقها ، كان الزمن قد تأخر جدا لدرجة لا تسمح لها بأن تفعل شيئا ، ولكن كان بوسعها أن تبدأ أو أن تستمع بالعملية . ولم تكن النتيجة من خطتها هي على كل حال ... من هذا الجانب كانت تشبه آجي ، فقد قبلت الوضع على علاته . ها هي إذن ، تعطي جسدها للذكر آخر . وكان الرجال على هذه الشاكلة . إنهم يريدونك ، وأنت تسمحين لهم بالوصول إليك . وبدأ أثر يشعر بأنها هي التي حصلت عليه . وأنه هو الغنيمية . كانت هي تعرف نوع إحساسه حينما احتك ردفها بحسه

المتصلب ذلك اليوم في المدرسة .

شعر بالغضب منها ، أبعد الغطاء بخشونة ، وانصب جالسا لينظر إليها . ولم يحاول هي أن تغطي نفسها . ثم مديده وقرص أحد ثدييها . رفقت مكانها ساكنة في سلبية ... وحينما تدرج من فوقها ليرقد على الفراش . فحنت عينيها ونظرت إليه وقالت :

« إنك شرير قليلا ، أليس كذلك ؟ »

« وأنت أيضا شريرة »

« أجل ، أعتقد أنني شريرة »

وكان في صوتها نوع من التسليم بأمر عادي . وفجأة شعر بشيء من الشك . وكان هذا سؤالاً أفضل ألا يطرحه عليها . كان يتساءل : ألم يكن هناك آخرون غير ... ؟

وحينما عاد إلى دورينجون مستقلا السيارة العامة التي تتحرك في الساعة السادسة والنصف ، شعر بالتعب وتملكه الانقباض . فان مشهد الاعتصاب العظيم قد تحول إلى مؤامرة حبيثة لا ضرر منها . كانت قد أرادت أن تعتصم . وبعد أن أعطته الطعام ، أقتنعته أن يمارس الجنس معها ثانية . وتم ذلك في تلك المرة على بساط حجرة الجلوس . كانت المرأة شبقا لا يشبع . وكان في الموقف ملامح شبه بينه وبين علاقته بداحر ثيبات . وربما كانت هذه الفكرة هي ما جعلته يشعر بمزيد من الانقباض .

ولكن دواعيه الحسية كانت أقوى من أن تسمح له بأن يقطع علاقته بها . لقد جعلها تعطيه السر والداخلي الذي خلعت في حجرة النوم ، وأخذته معه إلى المدرسة . وكان يروق له أن يعيش به في داخل جيبه في أثناء اجتماع تلاميذ الصف - وهو ينظر إلى مدرّس الألعاب الرياضية .

أمضى معها أمسية أخرى ذات يوم من أيام السبت . وأعرفها في منات مصطفع مرة أخرى . رغم أنه كان من الواضح أنها كانت يحصل لو ذهبت

إلى الفراش مباشرة . وإنما أراد هو أن يدعم من أثر سيطرته عليها . إنها قد تكون مصابة بالشيخ الدائم ، التيسفوماتيا ، ولكنها يجب أن تكون طوع أمره . وكان مما يجيب أمه أن يكشف أنها لم تكن بحاجة إلى اقتناع أو تنويم مغناطيسي لكي تلبي وتنتج كل اهوائه المختلفة . والتقى ثانية مساء يوم السبت ...

وفي عصر يوم الاثنين التالي ، كان عليه أن يتأخر لمدة ساعة عن موعد الخروج من المدرسة مرة أخرى . وحالما أنهت هذه الساعة ، أسرع إلى حجره الصف التي تعمل بها ، فوجد جو بينهما يسألها بعض الأسئلة . وانتظر حتى غادر بينهما الحجر ، ثم دس يده تحت ثوبها وتسلل بها إلى أعلى .

« لا . ليس هنا . »

« إنه مكان جيد ، مثل أي مكان آخر . »

وسمع صوت محرك سيارة . قالت :

« إنه جيس ، ينتظري ليأخذني إلى البيت . »

« أنا أريدك أولاً . »

« أرجوك يا آرثر . ليس هناك وقت . »

قبض على كتفها ، وقبلها في فمها بقوة ، ثم حلق في عينيها . بدت عاجزة أمامه وضعيفة .

قال :

« هيا . » وبعثه إلى المرحاض في نهاية الدهليز ...

لقد كانت تختلف عن آجي في أنها كانت قادرة على الاستمتاع بالجنس في أي مكان وفي أي وقت .

وكانت أمثال هذه المواقف تشبعه أكثر بكثير من أمسيات أيام السبت في المنزل . والحق أن اصرارها على أن تخصي أمسيات أيام السبت بتفردا في المنزل كان سبباً في نوع من الصراع مع زوجها الذي كان يريد بها أن تأتي معه لمشاهدة المباريات مع الفريق . ولكن هذا في حد ذاته كان انحصاراً صغيراً . وكان هذا الانحصار يرجع ببساطة إلى أنها تفضل الجنس على الرياضة . وقد قالت

لآرثر من تلقاء نفسها إن زوجها لم يكن ذا فائدة في الفراش ، وأنها كانتا يمارسان الجماع الطبيعي مرة كل شهر ...

وحيثما حانت إجازات شهر أغسطس توقفت المباريات . ولكن كان لما بعض الأقارب في بلدة بوتل ، وفي بلدة نيو برايتون وفي بلدة ساوت بورت ، وكانت كثيراً ما تنتهز فرصة عطلات نهاية الأسبوع لكي تذهب لزيارتهم . وكان زوجها يقضي عطلات نهاية الأسبوع في البيت ، مع بعض تلاميذه المفضلين يتبادلون الأحاديث أو الألعاب المتريية . وكان يوسع آرثر ويلين جرور أن يعثراً على شاطئ . منزل أو حفل خلال ليمارسا فيه الجنس .

ولكن ما أزعج آرثر حقاً وأثار مخاوفه كان استغادها الكامل للتكيف مع أي وضع والتسليم بكل شيء . لم يكن يوسع أن يشعر بأنه يسيطر عليها . لأنها كانت تفعل كل شيء طواعية ودون قسر من جانبه . وحيثما أخبرها بأن ابنة عمه آجي كانت عشيقته هي الأخرى ، استقبلت هذا الخبر بهلوه . فقال لها بتوحي من الخبث الفكة :

« ربما كان علي أن تأتي بها إلى هنا مساء ذات يوم من أيام السبت . »

« أجل ، لم لا تفعل ذلك ؟ »

« ماذا ؟ ثلاثتنا في فراش واحد ؟ »

« ولم لا ؟ يمكننا أن نستخدم مرير جيمس - إنه كبير ويكفيها جميعاً . »

كان يبدو أنه من المستحيل أن يثير غضبها . ولكنه اكتشف حيلة واحدة على الأقل كانت تمنحه اشباعاً عميقاً . فقد كانت قابلة للاعجاب إلى درجة كبيرة . حتى لقد كان يوسع أن يدفعها إلى التهبج الجنسي بمجرد الكلام . وقد كان يروق له أن يفعل ذلك في الدار الموجود في المحطة . كان جلس إلى حوارها أمام إحدى الموائد في الركن ثم يضع يده على ساقيها وتسلل بها إلى فخذها ...

كان يسلم برة به الطفرة العائنة الحاملة لتوحي في عينيها . وأغاسها تتسارع . ومعص من عينيها . والرفرف . ويصطاع وجوهها بالرد الودعي ثم

تمرد ففتحهما بيده . وقد لاح فيهما الخوف ممترجاً بالسعادة . وكان يمد يده  
محلر تحت ثوبها . ويتحسس نسيج الثايلون المبلل بأصابعه .

و ذات يوم تركها جالسة أمام المائدة وذهب إلى المرحاض . وحينما عاد  
كان هناك شاب يجلس أمامها إلى المائدة . ذهب إلى الواجهة الزجاجية وتظاهر  
بالنظر إلى أنواع الشطائر ، ثم التفت عيناه بعينها - وكان الرجل يجلس بظهره  
إليه - وأشار برأسه إشارة واضحة نحو الباب . فلحقت به بعد بضع دقائق على  
رصيف المحطة . سألتها :

« ماذا يجري هناك ؟ »

« لا شيء . لقد سألتني إن كان يستطيع أن يجلس إلى مائدتي . »

« هل قلت له إنني معك ؟ »

« كلا . لم أظن أن هذا قد يهتك . »

« لماذا لا تأخذينه معك إلى البيت ؟ »

« خفت من كلماته وقالت :

« كيف يمكنني ذلك ؟ لا أريد هذا ؟ »

« أجل يمكنك . ردي دعوتك لك بأن توجهي له الدعوة على كأس . »

« لا أريد هذا . »

« خذني في عينها لبرهة طويلة ، وأخيراً استدارت عائدة فدخلت المقهى مرة  
أخرى . وانتظر هو على رصيف المحطة . وبعد خمس دقائق ، خرجت من  
جديد . وغادرا المحطة . وتبعهما هو إلى الخارج ، ورأى الرجل يفتح لها باب  
سيارة رياضية مكشوفة حمراء . ولم تلفت هي إلى الخلف لكي تنظر إليه بينما  
انطلقت السيارة في طريقها .

« وحينما رآها بعد بضعة أيام كان يتحرق شوقاً إلى سماع أخبارها .

سألتها :

« ماذا حدث ؟ »

« ماذا توقعت أنت أن يحدث ؟ »

« أين ذهبتما ؟ »

« دعاني لشرب كأس . ثم قاد السيارة إلى الريف . »

« وليس إلى البيت ؟ »

« كلا . كان في هذا محاطرة كبيرة . ثم أنقلني إلى أحد الحقول . »

« وهل كان لطيفاً ؟ »

« أجل ، بالطبع . »

« هل أعطاك شيئاً ؟ »

« كلا . بالطبع لا . »

« هذا غباء واضح . أليس كذلك ؟ ما فائدة أن تفعل هذا إذا لم تفعله

من أجل التقود ؟ »

« إنني ... إنني لا أعرف كيف أصل إلى ذلك . »

« ألا تعرفين ؟ حساً . سوف أعلمك . لا تفعل شيئاً أكثر من أن

تفعل على إحدى النواحي المريحة في مانشستر لمدة عشر دقائق . »

« ولكنني لست عاهرة . »

« أبروق لك أن تراهنيني ؟ »

« كلا . »

سألتها ألا وهو يحكي لي هذه الواقعة :

« هل راقت لك فكرة أن يمتلكها العرياء ؟ »

« أود . لا . كذلك قال وهو ينسم مكشراً عن أنفابه . وشعرت

بأنه يمثل دوراً مفضلاً . ثم قال :

« إنما راقت لي فكرة التقود التي كان يمكنها أن تجمعها . »

« هل أنت حاد ؟ »

« بالطبع . لقد كانت شقة شقياً مرصياً لا يتسع ولم يكن يتسع أي

رجل أن يشعها . كان يتوسعها أن تضاعف كل رجال مانشستر ثم تطلت أطلت

الرياء . وكل أن حال . فقد كنت أعرف أن يتوسعها أن تجمع عشرة جنيهات

في كل مرة .

« ولكنك لم تكن بحاجة إلى المال . فقد كنت قد وفرت النقود التي أعطاهاك داجر تيبات . »

« هز كتفيه ، ومرة أخرى اتباني إحساس بأنه يريد أن يتخلص . قلت :

« إذن ، فماذا فعلت ؟ »

« جعلتها تتأجر حجرة في مانشيستر ، وأطلعتها على الأماكن التي يمكنها أن تلتقط منها الرجال

« أنت جعلتها ؟ »

« أوحيت إليها بذلك . »

« أتعي بعد أن نومتها ؟ »

« هذا صحيح . »

« كان بقاومني ، مرتدأ على أعقابيه إلى داخل ذاته . ولذلك ، فبدلاً من الضغط عليه لاجباره على البوح بالتفاصيل ، تظاهرت بأنني غير

مهتم بالموضوع .

« وهل فعلت ذلك ؟ »

« أصدر من أفقه صوتاً قبيحاً زاعقاً يؤكد به ما حدث ثم أومأ برأسه . تذكرت ما كان بينهما قد قاله لي : « لقد كانت تنجح شيئاً نحو الاحتراف -

من تلقاء نفسها . » وبدأ لي أن لبيجارد كان يقول الحقيقة .

« وهل أعطتلك النقود بالفعل ؟ »

« لقد تأكدت من ذلك . »

« وماذا حدث لها بعد الطلاق ؟ »

« إنهم مكشراً عن أنيابه وقال : « جعلها تعود إليه مرة أخرى ، صدق هذا أولاً تصدقه . لقد قلت لك إنه كان شاذاً غريب الأطوار . »

\*\*\*

إنني لم أبدأ في الاحساس بأنني فهمت هذه القضية التي دارت بين آرثر لبيجارد وإيلين جرورز إلا فيما بعد ، بعد أن كتبت مذكراتي حولها .

لقد كان الاحساس بالانتصار والغزو إحساساً بالغ الأهمية لدى آرثر منذ أن نما في داخله ذلك الخيال التفصيلي الدقيق الذي جعله يتصور أنه يعيش على كوكبين في وقت واحد . كان قد أغوى ابنة عمه ، وسرق شقيقته من عنده . ديك لبيجارد وخطط لمزيمته عدوه ونفذ عملية اسقاطه . وقد كان من الضروري أن تكون إيلين جرورز واحدة من أهم غزواته ، وقد كانت كذلك بالفعل طبقاً لروايته هر . لقد أغواها عن طريق التويم المغناطيسي ، ثم نحل عنها في الوقت المناسب له وحولها إلى عاهرة .

ولكن ما مقدار الصحة في كل هذا ؟ كان علي أن أعبر على إيلين جرورز نفسها لكي أكتشف الحقيقة ، وأن أفنعه بأن تتحدث بنفس الصراحة التي تحدثت بها بولين . ورغم أنني قمت ببعض عمليات البحث والتحري عنها ، فإني لم أتحج أبداً في اقتفاء آثارها أو العثور عليها .

ولكن الحقائق كانت متطابقة مع رواية أخرى لفصاة . فقد كانت إيلين جرورز امرأة شابة قوية الميل إلى الجنس بشكل واضح ، واحدة من أولئك السيدات التعلعات المتوسطات الجمال اللواتي يبدو عليهن أن نأراً لا تحبو قد اشتغلت بين سيقانين . ولا شك في أنه كان لها عشاق كثيرون قبل أن تنلني بروحها . وحينما التفت به ، وقعت في خطأ الاعتقاد بأنه لا بد أن يكون عاشقاً رائعاً - رياضياً معتماً بالرغبة الجنسية . ولكن في خلال زمن قصير ، اكتشفت أنه من الناحية الوجدانية متعلق بتلاميذه الصغار تعلقاً مرضياً ، وأنه يمارس الجنس معها بطريقة توحى بأنه يراها في صورة غلام من تلاميذه . وقد أفرحت هي أن تقوم بالتدريس في مبرسه لأنها آرادت أن تكون على صلة أو ثمن بأولئك الأولاد الأمدحاء الذين سحرها وحبوا له . وفي مثل تلك اللعبة لا بد من وجود اثنين من اللاعبين . أما عن آرثر لبيجارد فإنه قد يكون . وقد لا يكون أول من خدع مدرسه الألعاب الرياضية . وهل استطاع حقاً أن يئومها

مغناطيسياً عصر ذلك اليوم من أيام السبت ، أم أنها كانت تتظاهر فحسب ؟ وهل كان آرثر هو الذي أمرها بلهجة المتسلطة بأن تنهي في بيتها مساء السبت التالي ، أم أنها هي التي قالت له أن يأتي لكي يفحص جهاز التليفزيون في ذلك اليوم وهي تتنوي أن تغويه بكل ما تملك من رغبة وطاقه ؟

لقد اعترف بأنه شعر بالصدمة حينما اكتشف أنها شبهة جنسياً شيقاً لا يرتوى . وأنا في البداية أسلم بأنه ربما لم يهم بذلك . لقد كان يمارس الجنس مع زوجة مدرس الألعاب الرياضية ، وكان هذا هو كل ما يهجه في الأمر . ولا شك أنها شعرت في البداية أنه من الغريب المنع أن تمارس الحياة الزوجية مع أحد تلاميذ زوجها . ولكن امرأة ذات شيق جنسي لا يرتوي غير جذيرة بأن تشبع نفسها من خلال علاقة بتلميذ صغير لمدة طويلة ، وإنما تفضل أن تعيش سلسلة من العلاقات المتتابعة مع عدد من الطلاب القوية . وحتى لو كانت سيطرة آرثر عليها عظيمة إلى الدرجة التي زعمها لي - وهذا أمر أشك فيه - فإن الرغبة المستعرة في داخلها ما كانت لتنتع بهذا التلميذ الصغير . ولا بد أنه قد نبين ذلك حينما عاد من مرحاض المحطة ووجدها تجالس الشاب الغريب الذي التفتته بالصدفة . ومن المحتمل أن يكون قد اقترح بالفعل أنها يجب أن تخرج معه ، لأنه لم يكن متعلقاً بها من الناحية الجنسية إلى درجة الجنون ، صحيح أنها كانت ترضي لديه احتياجاً إلى السيطرة ، فإذا أمرها بأن تمتع نفسها لرجل آخر ، فسوف يظل قادراً على الشعور بالسيطرة والقوة . وربما كان يستطيع أن تتبع ذلك بأن يقنعها أو يأمرها بأن تحترف ، أو أن تستثمر ميلها الخاص بشكل احترافي . ولكنه إذ يفعل ذلك ، قائماً كان بأمرها بأن تتبع ميولها الخاصة . لكي تثار لنفسها من زوجها صاحب الجسد الرياضي .

ولكن المشروع فقد بين يديه فساداً كاملاً . فحاول أن ينفذ ما يستطيع انفاذه من احترامه لنفسه ، وانسحب بهدوء ، وكانت هذه تجربة مريرة مرارة كاملة ، وكان هذا هو السبب في رغبته في التملص المستمر والتحفظ الشديد وهو يرويه لي .

ورغم أن قصته مع إيلين جرور قد أشبعت عنده احتياجاً لا يبدأ إلى تأكيد الذات ، فإن علاقته مع ثيبات قد أنتجت احساساً متزايداً بالحجل والاحباط . ومن الناحية الحسية المجردة ، كان يعرف أنه من المحقق أن يلقى القمص عليه إذا هو استمر في عمليات السطو . ولكنه درب نفسه على شيء واحد فقط : فلم يسمح لكراهية أبدأ بأن تظهر في تصرفاته أو تعبيرات وجهه . لم يكن أمامه سوى أقل من عام واحد لكي يتفاد المدرسة نهائياً ، وكان يوسعه أن يذهب إلى حيث يشاء حينما يحدث ذلك . كذلك فإن فترة وضعه تحت المراقبة كانت تنتهي في الوقت نفسه ، فيستطيع حينئذ أن يترك ثيبات إلى غير رجعة .

ولكن حدث بعد عيد الميلاد بوقت قصير أن تبين أن هذا لم يكن سوى حلم سخييف ومستحيل التحقيق . لم يكن في نية ثيبات أن تخسر مصدر دخله الجديد . كان رجلاً عجوزاً ، وكان يعاني في الشتاء معاناة قاسية من نوبات الربو والتهاب الرئتين . وكان أول ما يقوم به آرثر من أعمال ، حالما يصل إلى حجرة ثيبات ، أن يخرج في المرحاض إزاء كان العجوز يملأه إلى منتصفه بمخاطه الأخضر اللزج . ثم يكون عليه أن يجلس لكي يصغي بانتباه لرجل العجوز وهو يتحدث عن آلامه ، ويشكو لأنه لم يعد أمامه الكثير من الحياة يعيشها في راحة ، بينما يقطع شكاواه بالسعال والتحنحة . ثم يفت في حلقه شيئاً ما من حين إلى حين . ولكن ثيبات لم يكن يتوي أن يموت . وقد قالت مالكة منزله ، وهي سيدة عجوز صالحة الجسم بالغة البداثة كانت ترتدي مشدأً قوياً حول وسطها باستمرار . قالت لآرثر إن ثيبات ظل على هذه الحال في كل شتاء منذ سنوات طويلة . وقالت له :

« أظن يكون أحسن حالاً حينما يكون بالداخل . ولكن الصبح يملكه من حلوسه هناك دون عمل يشغله » . وكان ثيبات يفكر في نفسه حينما يظن في السن ، وقد انتهى لسو يقضي سنواته حينذاك في راحة وكان آرثر هو ما يهضم له ذلك . ولكن وقع في يوم الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٩٥٢ الحادث الذي وضع حسابة أحلام بفعلة آرثر التي كان يحلم في أثنائها

بالافلات منه والمرب من قبضته .

كان اليوم يوم سبت ، وكان قد أمضى عصر ذلك اليوم في عملية اصلاح جهاز التليفزيون في مسكن بالطابق العلوي في شارع « جريب » بمنطقة وسط مانشيستر . كان مسكنا دافئا ومرفأ ، قريبا من دار الأوبرا ، وكانت الأسيطة على الأرضية أكثر مسكنا من أية أسيطة أخرى رآها في حياته ، وكان « البار » القائم في أحد الأركان يحتوي على زجاجات تساوي ما تحتويه منها أية حانة حقيقية . وكان هناك جهاز لتليفزيون ، أحدهما في حجرة الجلوس ، والآخر في حجرة النوم ، وكان مالك الشقة رجلا وسيما ورمادي الشعر في الخمسين من عمره تقريبا ، يشبه نوع الرجال الذين تظهر صورهم في اعلانات السيارات العالمية الثمن ، وتحث الصورة عبارة قد تقول : « لست بحاجة إلى مرتب مخرج سبمالي لكي تمتلك سيارته ... » . وكان خادم فخم المظهر قد فتح له الباب وقاده إلى الداخل ، أما الرجل الرمادي الشعر الذي كسان اسمه على بطاقة الباب النحاسية « سايمون بانكس » فقد دعاه إلى كأس من البيرة ، ولكنه رفض ذلك ، فأطلعه الرجل على الجهاز المتعطل - وهو الجهاز الموجود في حجرة النوم ، وبينما كان يعمل في اصلاح الجهاز ، سمع الباب يصفر ، وصوت فناة تقول :

« أنا أسفة جدا . لم أستطع أن أذهب بعيدا . سوف يفوتني القطار ....

« لن يفوتك القطار إذا أسرعت .

« ولكن يجب أن أبدل ملابسني أولا » .

اتخلس نظرة من باب حجرة النوم ، فرأى فناة شقراء جميلة ، في نحو السادسة عشرة من عمرها ، تخلع معطفها بسرعة وتلقيه بعيدا . بينما كان يتطلع إليها ، حلت اصمامة جونلها ، ثم أسرعت تدخل حجرة النوم المجاورة للحجرة التي كان يعمل بها . سمع نغمان حوار كان يدور بينما كان يعمل ، كان من الواضح أنها ابنة الرجل الرمادي الشعر أو ابنة اخيه ، كانت تقم هنا ، ولكنها كانت ذاعمة لكي تزور أمها . سحرة صوتها ، كان صوتها مدللا .

ثريا ، صوت فناة درست في أحسن المدارس وعرفت سويسرا والريفيرا أفضل من معرفتها مانشيستر . سمعها تقول :

« أوه ، اللعنة . لقد قطعت حمالة كفتي . هلم ما ينالني من العجلة » .  
قال والدعا مهدئا :

« لا تصعلي . هناك الكثير من الوقت . أعطيني حبيبك . سوف أخرج السيارة وأهيتها » .

تم خرج . ولكن آرثر لم يعد قادرا على السيطرة على فضوله ، فخرج إلى الحجرة الأخرى - وكان قد ترك حقيبة أدواته هناك - وراح يتطلع إلى ما حوله . كانت الفناة واقفة وقد أولت ظهرها ، مرتدية جونلة زرقاء قصيرة للغاية ، وكانت تجذب إلى أعلى ساقها جوربها الحريري الشفاف . كانت شهوة آرثر غلابة وعنيفة . أراد أن يقدف بنفسه عليها وأن يدمعها إلى السرير . ولكنها وقتت وسارت قليلا فخرجت عن مجال بصره . عاد ثانية إلى حجرة النوم الأخرى . وبعد بضغ دقائق سمع الباب يغلغ . انتظر للحظة يشمع ما قد يصدر من أصوات . وكان يبدو أن الخادم يغسل الأكواب في المطبخ . أسرع بالذهاب إلى الحجرة المجاورة . كانت الملابس التي خلعتها ملقاة على الأرض . كانت هناك جوارب ولكن لم تكن هناك ملابس داخلية حينما كان يستطيع أن يرى . عبر الحجرة ونظر في صندوق الملابس المروكة للفيل . وكان هناك سروال حريري أبيض اللون . قفز قلبه من الانتهاج . انفضت السروال ، كان مصنوعا من حرير سخي ثقيل . كان على وشك أن يضع السروال في جيبه حينما سمع صوت اغلاق الباب . عبر العرفة بسرعة ثانيا ، فاصبح في الحجرة الأخرى ، حجرة الجلوس ، منتحبا فوق حقيبة أدواته ، حينما دخل الخادم حاملا مئبنة ملئت بالأكواب المفضولة ، وراح يضعها تحت البار . عاد ثانية إلى حجرة النوم ، وراح يختبر جهاز التليفزيون منتظرا في لهفة أن يعادر الخادم الحجرة . لكي يستطيع أن يعود إلى السروال الطري الناعم الذي كان ملمسه الحريري ما يزال عالقا بأطراف أصابعه ، ولكن الخادم بدأ في ترتيب حجرة الجلوس وتنظيفها .

ثم بدأ في تنظيف حجرة نومها ، وبعد ربع ساعة عاد الوالد إلى المنزل . سمعه يقول :

« لقد لحقت القطار بصعوبة ! »

وقبل أن يغادر حجرة النوم ، سمع الخادم يقول :

« هل ستكون بحاجة إليّ هنا المساء يا سيدي ؟ »

« كلا ، شكراً لك يا روبرت . سأتناول عشاءي بالخارج . يمكنك أن

تخرج بعد أن تنتهي من ترتيب هذه الحجرة . »

« أشكرك ، يا سيدي . »

حينما غادر آرثر الشقة بعد عشر دقائق ، كان الخادم قد رحل بالفعل .

وكان الرجل الرمادي الشعر قد تودد إليه ببعض الملاحظات الطيبة ، وجدد

دعوته له إلى كوب البيرة ( ورفض آرثر هذه الدعوة مرة أخرى ) ولكن الرجل

الأنيب منحه جنيناً بحشيشاً .

وفي الساعة التاسعة من ذلك المساء . فتح آرثر الباب الذي يفصل الطابق

العاوي من المنزل عن بقية المبنى ، وصعد الدرجات . دق جرس الباب ، على

مسيل الخيطة . ولما لم يجبه أحد . أو يسمع صوتاً . راح يجرب مفاتيحه المصطنعة

حتى عثر على المفتاح المناسب . دفع الباب ففتحته - ووقف وقد عثيت عيناه

أمام الضوء القوي الذي كان يعمر اليهود . كان الرجل الأنيب . الرمادي

شعر ، جالساً على الأريكة وقد بدأ عليه الهدوء والانشراح . قال :

« أجل ، كان لدي إحساس بذلك سوف تعود . »

وقف آرثر في مكانه يحدق بيلاهة . كان قد شرب رجائين من البيرة في

الطابق العلوي من إحدى السيارات العامة قبل أن يأتي إلى هنا - وكان قد رأى

أن كمية قليلة من الكحول تزيد ثقته بنفسه ومن هدوئه واسترخائه دون أن تؤثر

على قدرته على تقييم الأمور والحكم عليها . وكان يشعر في تلك اللحظة بهدوء

غريب . رغم أن الموقف كان مفاجئاً تماماً وغير متوقع . ولم يكن واضحاً أن

الرجل يريد أن يهاجمه .

« من فضلك أفلق الباب وأدخل ، هل تسمح ؟ »

عمل عقل آرثر بسرعة . لو أنه هرب ، فربما طارده الرجل وأمسك به .

أما إذا بقي هنا ، ثم استدعى الرجل الشرطة فيمكنه أن ينكر أنه دخل عنوة

دون رغبة صاحب المسكن . وأنه ببساطة قد دق الجرس فسمح له بالدخول ...

ولكن الرجل لم يكن يبدو عليه كمن ينوي أن يستدعي الشرطة .

كان الرجل يقول :

« أجل إنه شيء غريب ، ولكن يبدو أنني أتمتع بحاسة سادسة في مثل

هذه الأمور . حينما نظرت إليك عصر هذا اليوم ، عرفت أنني سوف

أراك مرة أخرى . ولكنني لم أتوقع أن يحدث هذا بهذه السرعة

بالطبع . »

كان واثقاً من نفسه تماماً . وكان أضخم جسداً من آرثر ، وبنياته أكثر

قوة . قال :

« لقد طلبت المحل لليغونيا لكي أعرف اسمك . آرثر لينجارد .

يروق لي هذا الاسم . إن له للدلالة أدبية ... »

ارتجع آرثر وقال : « هل تلفت للمحل ؟ »

« لا شيء . إلا أنني أقول لم أي عمل ممتاز قمت به اليوم في جهازنا

الليغيزيوني . »

كان في سلوكه شيء . ما أربك آرثر وأثار حيرته ، شيء . لم يكن يوسعه

أن يجده . قال الرجل :

« فكرت أنه يمكنني أن أطلبك أنت بالتحديد إذا تعطل الجهاز مرة

أخرى . »

وقف في مكانه ثم أضاف يقول :

« والآن ، هل يمكنني أن أقدم لك ذلك المشروب الذي رفضته عصر

هذا اليوم ؟ »

قال آرثر : « أشكرك ، بعد أن قررت أنه كان على وشك أن ينخلص من

هذا الموقف رغم كل شيء . ١ -

عبر الرجل الحجرة إلى البار . قال :

« أحب كوباً من البيرة ؟ أم شيئاً آخر ؟ لم لا تختار بنفسك ؟ »

أشار إلى الزجاجات . كان آرثر ما يزال بعيداً عن الثقة بنفسه للدرجة أنه لم يكن قادراً على أن يعقد عزمه على شيء . بعينه . قال بغموض ودون تحمُّد :

« أوه ، أي شيء . »

مزج الرجل عدداً من الأشياء بعضها البعض - وراح آرثر يراقبه بشيء من الدهول الجامد أو البليد - بينما راح الرجل يضيف عصير البرتقال إلى ماء الصودا ، وانتهى إلى رح المزيج في إناء فضي طويل بعد أن زوده بالثلج . وأخيراً صبته في كأس عريضة كبيرة رديئة اللون . وتذوقه آرثر فوجده حلو اللطاف لاذعاً ، ومحمّداً للغاية . لم يكن في مذاقه ما يدل على الضرر . سأله الرجل فجأة :

« ماذا كنت تتوي أن تأخذ ؟ »

شعر آرثر بالفاجأة ، بعد أن باغته السؤال قبل أن ينتهي له . وكرر الرجل سؤاله . وقرر آرثر أن الحقيقة لا يمكن أن تكون مهلكة في هذا الوقت . قال :

« سروال ابتك . »

« ماذا ؟ »

« كان بإمكانه أن يرى أنه يجب في أن يدهش الرجل . قال :

« إنك لست جاداً ؟ »

أوماً آرثر برأسه .

« ولكن لماذا ، بحق الله ؟ ! »

شعر آرثر أن وجهه يصطبغ بالحمرة . قال الرجل :

« حساً ، حساً ، حساً ... »

جرح آرثر جرعة طويلة . وظل الرجل يضمغم قائلاً : « أدرك ذلك ... »

جاء فجلس إلى جانب آرثر ، فوق مقعد مرتفع من مقاعد البار . قال :

« أنت تجد أن هذا الجزء من الملابس جذاب جداً ، أليس كذلك ؟ »

أوماً آرثر برأسه .

« أي الألوان تفضل ؟ »

قال آرثر بخشونة ، وهو يشعر بقتل تسري في يده :

« كان السروال الذي خلعت أبيض اللون . »

« آه ، إذن هكذا الأمر . »

أعد الرجل لنفسه كأساً آخر من الويسكي . قال :

« بالطبع ، السروال الذي خلعت . لقد بدلت ملابسها وأنت هنا .

هل رأيتها ؟ »

أوماً آرثر برأسه مرة أخرى . قال :

« خرجت من الحجرة لكي آخذ مفكاً لتسامير من الخفية ، وكانت

هي تجذب جوربها إلى أهل ساقها . »

كان يتألم في تعبيره عن الحرج غامداً . فمن الواضح أن الرجل كان جنديراً بأن يشعر بمشاعر أكثر طيبة إذا اعتقد أن آرثر لم يكن يريد أن يسرق سوى سروال داخلي . فحتى الأثرياء لا يروق لهم أن يفقدوا أشياء أكثر قيمة أو أغلى ثمناً .

ظن آرثر أنه قد جعل الرجل يفقد توازنه . كان من الواضح أنه شخص غطوف وثري . ولم يكن مبالاً إلى اداة الناس أو انهمهم والاعتناء عليهم . وكان قد سحره هذا الرجل الشاب الغارق في احساسه بالحرج الذي اختلس النظر إلى انتة البارحة الجمال وهي لا ترتدي إلا ملابسها الداخلية . وقد جاء ليسرق سروالها الداخلي كتذكّار منها ، مثل عاشق يسرق ديوساً من دهايس شعر حبه ... لا بد أن الأمر كله يبدو له حزياً ومثيراً للشفقة والتعاطف . وليس بالأمر الذي يتطلب استدعاء الشرطة .... ثم راح آرثر . بلفتاته الصحيحة للعبارة عن الحرج والازتيك . يحكي للرجل كيف دخل مسللاً إلى حجرة نومها بعد أن خرجت هي من المنزل ، فظفر في صندوق الملابس المتروكة للغسل .

قال الرجل :



« أوه ، صندوق ملابس العسيل ، لم لا نذهب فننقي نظرة ؟ »  
تعه آرثر إلى داخل حجرة النوم ، كان صندوق ملابس العسيل فارغاً .  
قال الرجل :  
« أظن أن روبرت نظف كل شيء ، قبل أن يعادر المنزل . »  
نظر في داخل سلة مزخرفة مزخرفة جميلة ، ذات لون وردي منقط بالذهب  
وقال :  
« آه ، ها هو . »

ومد يده فأخرج السروال الأبيض ، ومدده نحو آرثر على طول ذراعاه ،  
مسكاً به من رباطه المطاطي . وقال :  
« أجل : إنه مصنوع من مادة لطيفة جداً ، أليس كذلك ؟ حسناً ،  
أستطيع أن أقول إن ديانا لن تفتضده ولن تشعر بضياجه . »  
مده إلى آرثر الذي أخذ السروال بارتباك . وقال :  
« أشكرك . »  
« هناك سراويل أخرى . إن كنت ما تزال تشعر بأنك لم تشبع فضولك .  
فلي . »

جذب درج صوان الملابس ففتحه . وقال :  
« ما رأيك في هذا ؟ »

رفع في يده سروالاً أسود اللون . للحظة شك آرثر أن الرجل يسخر منه أو  
يتفكه به . ولكن بدا على الرجل أنه جاد جدية كاملة . ثم قال :

« أنظر إلى هذه السراويل بنفسك . وخذ منها ما تشاء . يمكنكني أن  
أني لما بغيرها فأضعها في نفس المكان قبل أن تعود . »

بدا جذا الكلام لآرثر كأنه أوضح صورة من صور السخف الغائب .  
إن اتساع أفق الناس وتفتح عقولهم شيء طيب جداً ، ولكن ... وبدأ يشعر  
بوع من الارتواء الشبح بالعطف نحو الرجل . قال :

« هذا عطف كبير منك ، ولكن هذا يكفي . »

« لأنها كانت ترتديه ، كما أظن ؟ »  
أوما آرثر برأسه . قال الرجل :

« وماذا تنوي أن تفعل به ؟ تستحي به ، كما أعتقد ؟ »  
احمر وجه آرثر حجلاً وأوما برأسه . قال الرجل :

« لا ينبغي لك أن تشعر بالخرج . كل إنسان يستحي . أنا نفسي أفعل  
هذا مرة واحدة كل يوم على الأقل . هل ترتدي السروال حين تستحي ؟ ... »  
سار إلى الحجرة الأخرى وآرثر من خلفه . جلس الرجل أمام الباز ثمانية  
وقال :

« يا له من أمر محزن ! وهناك ديالا . ربما كانت تصعد إلى الفراش  
مع ثري أبله نصف ذكي ، أو تحك أسفل بطنها على ظهر سيارة .  
أتعجب مما يمكن أن تقوله لو عرفت كم تريدنا أنت وتتمناها ؟ »

جفل آرثر من صراحة لغة الرجل وعربها المباشر ، ولكن هذه اللغة ردت  
إليه نغمة بنفسه وجعلته يشعر بمزيد من الهدوء . ضحك ، وأمرغ في قمه آخر  
شفقة من كأسه . كان يشعر بسعادة غريبة بمنزلة بشي . من التهجج . سأله :

« ألا تنتم بأنها تنام مع البلهاء الأثرياء ؟ »

« وماذا يمكنكني أن أفعل ؟ أمها على شاكلتها تماماً . إحداهما تشجع  
الأخرى . وكلتاها تتجاهلاني تماماً . »

كان هناك شيء ما في الطريقة التي تطلق بها عبارته الأخيرة ، مع حركة  
فصيرة من يده . أعادت بذرة الشك إلى عقل آرثر . ولكنه كان يشعر بسعادة  
مائلة بتوقفه هذا ، وبسبب ما تحولت إليه كل الأمور عن توفيق وحظ حسن .  
حتى أن هذه البذرة من الشك لم تزعهجه . قبل كأساً أخرى . وراح يراقب  
الرجل وهو يعد الكأس مأخوذة اللب . راح الرجل يسمي مكونات الكوكبيل  
أسمائها . قال :

« هاك ، قليلاً من الفودكا ( وقد بدا هذا لآرثر كثيراً من الفودكا )  
وشذاً من ساندوتش الأبيض . ولمسة من البراندي ، ولمسة أخرى من الكاماري

وشريحة من الليمون . وعصير البرتقال . والثلج . رجّ الجميع جيدا في آلة الكوكتيل . ثم أضف ماء الصنودا لكي تملأ الكأس .

وجد آرثر بصره يفكر في ضخامة المنفعة التي لا بد أن يشعر بها المرء إذا كان غنيا . ولكنه وقد انشغل بحاله . كان من السهل عليه أن يتخيل اليوم الذي سيكون فيه واسع الرأه . ستقول امرأة لزميلتها :

« آه أيتها الدوقة ، هل التقيت بالبروفيسور موربارتي ؟ هذا الرجل اللامع الذكاء ... »

بعد نصف ساعة . كان بنادتي الرجل باسمه المجرد : « سايمون » . وسمعه يناديه : « يا عزيزي آرثر ... » . وشعر بدافع يلح عليه أن يقاخر بعمليات السطو على المنازل التي قام بها . ويقدراته في التنويم المغناطيسي . ومن الواضح أن سايمون كان على استعداد لأن يصغي بالثناء واحترام لكل ما يقوله آرثر . ولكن آرثر شعر بأن هذا قد يفقده الأرض التي كان قد ربحها بالفعل . وبدلا من حديث أعمال السطو . راح يتحدث عن طفولته في شارع بينكث ، وكيف أغوى جيم شقيقة آجي وهي في الحادية عشرة من عمرها ، وكيف أغوى ديك لينجارد بولين حينما كانت في الثانية عشرة . كان يوسعه أن يرى أن حديث الجنس كان يجلب لب سايمون وسيطر على مشاعره . وبدلا عليه أنه يستمتع باستخدام الكلمات الوقحة المتدللة السوفية حين يتحدث عن الجنس . وقد تحدث بحرية ملحوظة عن زوجته . وراح يحكي حوادث خيانتها له بصراحة جعلت آرثر يشعر بأنها يشبهان صديقتين قديمين . ومن الواضح أن الرجل كان بالغ السعادة بماهياه له آرثر من نظرة غميلة إلى ذلك العالم الآخر الذي لم يكن يعرفه . وفي لحظة عابرة دق جرس التليفون ، فقال سايمون للمتكلم :

« كلا ، ليس في هذا المساء يا عزيزي . ولكنني في الحقيقة التقيت موعدا واحدا . قلت إنني أشعر بصداق مرعب . ولكن الأمر كان يستحق التخلص من هذا الموعد . فقد حصلت على صديق شاب ساحر ، بل هو أكثر الأصدقاء لشباب سحرا . وهو يجلس هنا الآن معي ... »

واستمع لآرثر ثم أضاف يقول : « حسنا . إلى الغد في الليل . ربما ٢ أجل . سأحكي لك الحكاية كلها . بكل حرم منها إلى اللقاء يا عزيزي . »

عاد فجلس مرة أخرى إلى جوار آرثر . قال :

« هل أنت جائع ؟ ألم تأكل منذ العصر ؟ »

قال آرثر إنه لم يأكل ، فقال :

« حسنا ، فلتر ما يمكننا أن نعرّ عبه في الثلاثة . »

ذهب إلى المطبخ ، وترك آرثر بمفرده . كان من الواضح أنه قد وثق به . وقد بدا له أنه من المدهش أن يكون في شقة غريبة دون أن تكون لديه تبة البحث في أصواته ملابس السيدات . كان قد شاهد بالفعل مجموعة سروايل ديانا الداخلية ورعّم هذا . فإنه كان يفضل - وقد أتاحت له هذه الفرصة الآن - لو فحصها من قرب أكثر وهو بمفرده . أخرج السروال الأبيض من جيبه ، فانتصب عضوه على الفور . تسلل إلى المطبخ فوجد سايمون بعد صحن من السلطة . وهو يأخذ من الثلاثة الكهربائية علما صغيرة من الورق المقوى فيستخرج منها شرائح من النعج والخيار المملح فيضعها في صحن زوده من قيل بأوراق الخس والكرفس . وأكل آرثر وجهه أمام البار . وبدلا له أنه لم يدق أبدا شيئا أشهى من المايوليز الذي يشبه الزبد فوق البيضة المسلوقة . وهنا كان قد بدأ يتساءل إن لم يكن عليه أن يقم صداقة دائمة مع سايمون . فلا شك أنه سيكون من المنع أن يسمح له بالعودة إلى هذا المكان في أي وقت ...

كان سايمون يقول : « أخبرني بالمزيد عن أولاد عمك هؤلاء . ألم يجاول حرم هذا أن يلعب معك أبدا ؟ »

للحظة عجز آرثر عن الفهم . وقال :

« أوه ، لا ، لقد كان أكبر مني جدا . وقد تعودت أن ألعب مع

أولاد من سبي . »

ضحك سايمون وقال :

« لست أعني ذلك النوع من اللعب . وإنما أعني هذا »

ومد يده بمرح . وقض على عضو آرثر من فوق بنظونه . قال آرثر :

« أوه ، لا ، إننا لم نصل إلى هذا النوع من المجهود . »

« أمداً ، ولا حتى الأولاد في المدرسة . »

لاحظ آرثر أن يد سايمون بقيت حيث كانت . فقال :

« أوه ، أجل ، بعض الأولاد في المدرسة . وكنا نحن نسيهم :

الغرائس . »

أبعد سايمون يده . وقال :

« وكنتم تكررهم . كما اعتقد . »

« أوه ، كلا . لم تكن تكررهم . ولكن ، أعني ... »

« هيه . »

« حساً ، إنه شيء لا معنى له قليلاً . أليس كذلك ؟ أن يكون الولد

مع ولد آخر ؟ أعني أنك لا تستطيع أن تفعل الكبير مع ولد آخر ، هل تستطيع ؟

« ولم لا ؟ »

« حسناً ، اعتقد أنك تستطيع ... »

وايتم سايمون بطريقته اللطيفة بالعطف والتي تدل على سمو مكانته ،

ثم قال :

« ولكنك لم تفعل هذا أبداً ؟ »

« أوه ، أجل . فعلته مرات قليلة . » وكان يفكر في إيلين حروز .

« حقاً ؟ ولكنك قلت منذ برة ... »

« أوه ، ليس مع أحد الأولاد . وإنما مع بست . في الحقيقة ، مع

وحدة أحد المدرسين في المدرسة . »

تهجد سايمون وقال : « آه ، يا لها من زوجة محطرة . »

فمحا ، مد يده ، وبدأ يمسك أزرار بنظونه آرثر . ولم يشعر آرثر بأن لديه

في اعتراض . بعد أن ابتلع الطعام والشراب . وقد كان بطبيعته مؤدباً . وحل

سايمون بنظونه من وسط الأزرار حتى آخرها . فالتفح السطون . ولم يكن

آرثر يرتدي ملابس داخلية . وكانت أعضاؤه الخفية نامية جداً بالنسبة لسنه

فقض عليها سايمون بحشونة وراح يلامطها بكلتا يديه . قال :

« آه ، ما أجمل الأولاد الصغار . إياك أن تتحلل من جسديك يا عزيزي

آرثر . إنه أجمل شيء في العالم . وهو يستطيع أن يتحلل متعة غريبة فذة . »

شعر آرثر بالحرج لأنه لم يكن قد غسله منذ مدة قريبة . ولكن لم يبد على

سامون أنه اهتم لهذا . أبعد آرثر عينيه عن الشعر الرمادي الناعم الذي كان

حرف كلما اقترب من قمة الرأس ، وراح ينظر عبر الحجرة . فكرر كم تكون

متعة لو أنها كانت ديانا سروالها الأبيض وقبصها الداخلي الأزرق الشمين

الذي تحيط بأطرافه شرائط من المخزومات الرقيقة . قال سايمون :

« هل تحب أن تنام هنا يا آرثر ؟ »

« إيه ... حساً ، أفضل أن أخرج . »

« أحب أن تأخذ بعض النقود ؟ نقوداً أكثر مما يمكنك أن تربعه في

أسبوع من عملك في إصلاح أجهزة التليفزيون ؟ خمسين حينها ؟ »

« أنا ... إيه ... اعتقد هذا . »

« حساً . إذن فلنذهب إلى الفراش . لا أريد أن أشرب المزيد . فإنا

أكد أكون قد فقدت وعيي بالفعل . »

وحينما تعرى آرثر ، جاء نحوه . وأمسكه ، وراح يقبله ...

واستغرق سايمون وقتاً طويلاً ، وشعر آرثر بحاجة ملححة إلى أن يقول :

« اسمع . هذا يكفي . لقد نلت ما أردت من متعة . وأنا لا أريد المزيد . »

ولكنه رقد في مكانه ، متوتراً بما ملأ صدره من رفض لموقفه . ولكن لم يبد على

سايمون أنه لاحظ شيئاً . ووجد آرثر نفسه يفكر : « إذن فهكذا يشعر المرء

حين يكون فذاً ؟ والله جميل ! ... »

لم يبد على سايمون أبداً أنه يوشك أن يفرق في النوم . وبعد بضعة دقائق بدأ

عليه في أثنائها أن يتعس قليلاً . استيقظ ثانية وبدأ يهيس بكلمات الحب والاعزاز

لآرثر ثم قال

« كم نحب أن نكون في هذا الفراش مع ديانا ؟ »

« ماذا . ثلاثنا جميعا معا ؟ »

« ولم لا ؟ أنت فوقها وأنا فوقك ؟ »

قهقهة آرثر وقال :

« سيكون هذا ثقيلًا وصعباً عليها . »

« أوه . لا . أنا واثق لها يمكن أن يروق لها هذا . »

كان بوسع آرثر أن يتذكر ذلك الصوت الرخيم المدلل ، وفاضت به  
وعيناه مرة أخرى . همس سايمون :

« لن تستطيع أن تحسن أبداً ، فرما استطعت أن أجعلك تغير عقيدتك »

« تغير عقيدتي ؟ » ولم يكن قد تبين أن سايمون كان مسيحياً .

« يمكنك أن تأخذ من سراويلها ما تشاء . وسوف احتفظ لك بما

تعاله منها . »

فجأة شعر آرثر بالاشمئزاز . إن هذا الوغد القذر لا يفكر في شيء سوى  
الجنس . كان سايمون يمسك عضوه مرة أخرى . وقال :

« اسمع يا ولدني العزيز . أيمكنك أن ترغم نفسك على أن تدفع هذا

في ؟ »

شعر بالثورة تمور داخله .

« كلا . آسف . ولكن ... »

« ولكن ماذا ؟ »

« حسناً . إنك لست فتاة . بوسعي أن أولجها في ديانا بالسرعة الكافية »

« أرجوك أن تحاول . حاول فقط . »

« كلا . »

وظل سايمون يرجوه طوال عشر دقائق . وأخيراً وافق آرثر . ولكنه حينما

حاول أن يصعد إلى ظهر سايمون . لم يستطع أن يتخذ الوضع الصحيح . شعر

بالرغبة في البكاء من العصب . قال :

« آسف . ولكني لا أستطيع . إنني لم أفعل هذا من قبل . لا أستطيع

أن أفعلها - ليس في هذه المرة على أي حال . »

وأراد أن يحفظ للرجل بشيء من الأمل . قال :

« أحب أن أعود إلى هنا ؟ »

« أجل . إنك ولد حلو . »

وأولج طرف لسانه في أذن آرثر . وبدأ آرثر يشعر بالغثيان .

غرق في النعاس ، وحلم بشقراء جميلة بدا له جسدها رافقا شفافا كالزجاج

الثلجين النقي أو مثل الكريمة التي توضع في دائرة حول كمنكة عيد الميلاد .

كانت فتاة حلوة تمتلك أجمل جسم رآه في حياته ، ونهادها يارزان . قبلته

وقالت : « أحبك » وأراد هو أن يقول : « وأنا أيضا أحبك . » ولكنه شعر

بغصة . دخل لسانها بين شفتيه ، ولمست يدها عضوه . استبقت في تلك اللحظة .

كان نائما وقد أعطى ظهره لساييمون الذي كان قد أحاط خصمه بأحد ذراعيه

وكانت يده تلمس عضوه . وتبين أنه كان متصبيا . ولكن تنفس سايمون بدا له

أنه يدل على نومه . وبدا له الأمر بالغ الغرابة الآن ، وشعر بان هذه الأمسية قد

وقعت منذ عهد بعيد . شعر بثقل في معدته ، وأراد أن يفرغها مرة أخرى .

فكر في إيلين ، وكيف استطاع أن يتوهمها في القطار ، ثم نظر إلى قميصها

الداخلي . وفكر في كيف وقفت آجي على البساط وخلعت سروالها للمرة

الأولى ، ثم رقدت طالعة ، وثنت ركبتها وفتحت ساقها دون اعتراض .

كزّ على أسنانه . فقد كان آرثر لينجارا ، العنكبوت الراض في مركز نسجه

الجهنمي ، ولم يكن « عروسة » . لقد رقد بين فخذَي آجي وتأرجع وسطهما .

ثم جعلها ترقد مرة أخرى ففعلها ثانية وسروالها بين ساقها ... وراقب إيلين

وهي جاثية أمامه على ركبتها ...

تحركت يد سايمون على جسده فوصلت معدته . كان يلاطفه ملاطفة

أوتوماتيكية . اجتاحتها موجة حديدية من الاحتقار العنيف . هذا الوغد القاسد

البري القذر الباعث على الغثيان بعبارة « يا ولدني العزيز » . « يا آرثر العزيز » .

كيف « يجرؤ » على أن يناديه « آرثر » هكذا بذلك النعمة الساطية الواقعة « لقد كان آرثر ليسخارد ، الذي كانت روحه الحقيقية تحلق في سهوب المريح الباردة ، وهذا الأبله القذر لن يتذكر أبدا أية قوة إرادة مرعبة تكمن وراء هاتين العينين .. شعر فجأة بالبرودة والبقاء . لقد مسح لهذا الرجل بأن يمارس معه الجنس . بأن يستخدمه ، ولكن هذا لم يحدث إلا لأنه أراد ذلك . لا شيء إلا لأنه أراد أن « يهدمه » حتى ينام ، شاعرا بالأمان . وقد ارتكب خطأ غبيا بالنسأل إلى المسكن قبل أن يأكد من أنه خال ليس فيه أحد من سكانه . وقد دفع بمن ذلك الخطأ . لقد حصل أسنأة الجريمة على خيرة أخرى قيمة وثينة . وقد حان الآن وقت الرجيل . ومن جانب آخر فإن هذا الرجل قد عرف هويته ، وعرف أين يقع .

ودون تفكير ، وفي دوامة ياردة من الفعل الخالي من الروية ، هبط آرثر من الفراش فذهب إلى الحجرة الأخرى . انحنى على حقيبة أدواته ، فعد على الملق الثقيل الذي أتى به معه لمثل هذه الطوارئ . هذا حينما شعر بالمدق في يده . وفجأة أصبح بعيدا بقله عن كل شيء . هذا هو أو ان الرهنة على حقيقة معدته . عاد إلى حجرة النوم . كانت عيناه قد اعتادت على الظلام الآن ، وكان ثمة شعاع من الضوء يتسلل من وراء الستائر هابطا من إعلان ضوئي في الشارع . إن يوسع أن يجد مكان رأس سايمون على الوسادة وأن يسمع نفسه الهادي . الرتيب . استمع ، وشعر بدقة فائقة مفاجئة من القوة ، من السعادة . رفع الملق بعناية وهبط بكل قوته . شعر بالأداة تحيط العظم . وشعر بالمعظام تتكسرت تحت وطأة الضربة . وبدلا له أن سايمون يقفز في مكانه ، ثم رقه ساكنا . جذب آرثر الغطاء ثم سجاه فوق رأس سايمون ، وتحسس شكل الرأس تحت الغطاء . ثم ضربه مرة أخرى ومرة ثالثة . وغاصت الضربة الثالثة بالمدق إلى الداخل . كما لو كان يضرب برتقالة لينة .

وفجأة شعر بشيء غريب ، شعر باحساس شبيه باحساس الطفل . أراد أن يقول : « أنا أسف » لم أكن أقصد هذا . كل شيء على ما يرام . أليس

كذلك « كبت داخله هذا الشعور وأحس بالغبثان . اندفع إلى الحمام وتقبأ حتى أفرغ كل ما كان في معدته ، وركع في مكانه مستندا صدغه إلى الحوض البارد . وحينما شعر بالتحسن ، غسل الحوض ، ثم أضاء النور : فاكشف أن يديه كانتا ملوثتين بالدم : لم تكونا مختصبتين بالدم ، كما كان يتخيل يدي القتائل على الدوام ويتخيل صورتهما التي لا بد منها ، ولكنهما كانتا ملوثتين نلوثا بسيطا فقط . كما لو كان قد أمسك قطعة لحم من ذبيحة حديثة عند النصاب . اغسل بعناية ، ثم ذهب فارتدى ملابسه . عثر على الملق ، فعاد وعسله في الحمام وجففه باحدى المناشف قبل أن يعيده إلى الحقيبة . ولم ينظر مرة ثانية إلى الجسد المسحى في الفراش ، وقش المكان بعناية لكي يتأكد من أنه لم يترك شيئا وراءه . وضع في حقيبته الكأس والشوكة والسكين التي استخدمها ، ثم أمضى خمس دقائق في مسح سطح البار وكل سطح ناعم آخر يمكن أن يكون قد لمس . ولم يكن سطح جهاز التليفزيون هاما في هذه العملية ، فمن المتوقع أن تكون بصمات أصابعه عليه لأنه قام باصلاحه في المساء .

كانت ساعة ما تدق الخامسة حينما كان يغادر الشقة . لم يكن قد بحث عن تفرد . وإنما أراد فقط أن يريح المكان بأسرع ما يمكنه . وفي الخارج كان النور يشق الظلام بجملة . فشرع يسير عائنا إلى دورينجتون . وكان في منتصف الطريق إلى هناك حينما تذكر أنه كان قد أخبر داجر نيبيات بأنه ينوي أن يسرق شقة رجل أعمال ثري في « جريب ستريت » . لقد أخطأ موربارتي خطأ فادحا مرة أخرى .

## الفصل السابع

كان من الغريب أن يستفظ في الصباح التالي فيذكر أنه أصبح قاتلاً . وكان أول ما فعله هو أنه راح يراجع كل تحركاته قبل أن يغادر الشقة لكي يذكر إن كان قد ترك أي شيء وراءه ، إن كان قد خلف أي دليل يرشد عليه . وحينما شعر بأنه لم يترك مثل هذا الدليل ، زال كل قلقه . ففي نور النهار الواضح لم يكن ثمة مجال للتقدم . على العكس ، كان هناك إحساس معين بالفخار والزهو . كان لديه ما يبرر قتله بانكس ، فإن الأرض جليدية بأن تكون مكاناً أفضل لو اختفى منها كل الرجال من أمثاله وماتوا . ولكن الشيء الذي أخافه حقاً ، وتسبب في إحساس بالثقل في معدته ، شعوره بأنه يقع الآن في وسط البحر بعيداً عن الشاطئ . بعد أن كف عن أن يكون طفلاً يستطيع دائماً أن يراجع فيحتمي بعش آمن من الخيالات الوهمية . لم يكن قد فعل شيئاً حتى ذلك الحين فتعمر بعد فعله أنه شيء لا يمكن التراجع عنه أو التكرس أو إيجاد العلاج له . فإن أعمال السطو يمكن أن تفي بشئنا ستان يقضيها في إحدى مدارس الإصلاحات إذا وصلت الأمور إلى أسوأ حدودها . ولكن نمن جريمة القتل لا بد أن يكون سنوات عديدة يقضيها في السجن ، سنوات أكثر بكثير مما كان على استعداد لأن يقضي بعيداً عن العالم مهما كانت الظروف . إن عالم البالغين الشرس كان مقبلاً أمامه ينتظره ولا مناص من التقدم إليه ، ولا مهرب منه إلى الوراء .

كان مستعداً لأن تستجوبه الشرطة . فقد كان بوسعه أن يتوقع أن يكون

موضع شبهة بشكل طبيعي . فإن الخادم يمكن أن يذكر أنه كان في الشقة عصر ذلك اليوم ، وأنه تركه وحيداً مع بانكس . ولا شك أن بانكس كان معروفاً بوصفه ممارساً للشذوذ الجنسي . وكان أول ما ينبغي عمله هو أن يتخلص من المدق الذي يمكن أن يفحص بحثاً عن آثار دماغه . ولم يكن في ذلك مشكلة مستعصية . وفي خلال ساعة من استيقاظه كان قد أسقط المدق في القنال ، مع الشوكة والسكين . وحطم الكأس وألقى بشظاياها إلى جوار أحد الجدران . وكان قد قرر أن تكون حجته هي أنه قد أمضى الليلة في دار للسبيل . وكانت الدار المحلية تعرض فيلم « هذا السلسل للإيجار » الذي يمثل دور البطولة فيه « آلان لاد » وكان قد رآه مرتين .

ولكن هذه الحجة لم تستخدم على الإطلاق . ففي الأسبوع التالي ، قال له مالك محل إصلاح أجهزة التليفزيون : « هل رأيت في الجريدة أن هذا الرجل بانكس قد قتل ؟ »

وشعر آرثر بأنه قد تصرف بذكاء لامع مذهش حين قال : « ماذا ؟ متى ؟ » وحينما سرد عليه مالك المحل كل ما ذكره من تفاصيل قال مختتماً حديثه : « من المضحك تماماً أنه متف لي بالتليفون لكي يخبرني بالعمل الممتاز الذي قمت به في جهازه . حتى أنه أراد أن يعرف اسمك . »

وقد عرفت من مفتش الشرطة « كورتوك » في إدارة الشرطة السرية في « الشيسر » ، أنه بسبب هذه المصادقة الحقيقية ، لم يشته في آرثر في موضوع هذه الجريمة على الإطلاق . فإذا كان بانكس قد متف للمحل تليفونياً لكي يسأل عن اسم آرثر ، إذن فمن الواضح أنه لم يكن قد استطاع أن يقيم أي نوع من المصادقة مع آرثر في الوقت الذي أتفاه معاً في الشقة ، فإن أول شيء كان لا بد أن يسأله عنه في تلك الحالة هو اسم آرثر . وكان آرثر قد عاد إلى المحل بعد ما يقرب من عشرين دقيقة بعد أن غادر الخادم الشقة في الرابعة والربع ، ثم خرج لكي يقوم بأعمال أخرى . وكان بانكس شاذاً . أو « واحداً من هؤلاء المتواد جنبياً » كما قال مالك المحل ، وكان من الواضح أنه « وضع عينه » على

آرثر . وقال لي المفتش كورنوك : « إن جريمة قتل من هذا النوع لا يمكن حلها أو الوصول إلى نتيجة مفعة بشأنها . لأن رجلا مثل بانكس تكون له اتصالات لا حصر لها . وهو باقاة بالقرب من مركز مانشيستر . ربما كان قد التقط شخصا ما من أحد الشوارع ثم أخذه معه إلى بيته . »

لم تشبه الشرطة إذن في آرثر . ولكن ثيبات اشتهت فيه . وقرر آرثر ألا يذهب لزيارته في يوم السبت التالي للجريمة . وكانت هناك مناسبات سابقة أخرى عاد فيها صفر البيدين لأن الشق التي كان قد قرر السطو عليها كانت مشغولة حين ذهب للتسلل إليها . وزعم آرثر لنفسه أن ثيبات يمكن أن يفترض أن هذا قد حدث ثانية . كان من النادر أن يقرأ الصحف ، ومن المحتمل ألا يسمع عن وقوع الجريمة أبدا .

وفي مساء يوم الاثنين ، ذهب آرثر للقيام بعملية اصلاح أحد الأجهزة التليفزيونية بالقرب من منطقة « والتون لي » . وفي طريق عودته لاحظ متزلا لا يصدر عنه أي ضوء . وفي عشرين دقيقة كان قد جمع كمية من المجوهرات . وفي طريق عودته إلى البيت ذهب لزيارة ثيبات ، متلهفا إلى التخلص من المسروقات .

نظر ثيبات إلى ما حمله آرثر إليه بسعادة وقال :

- « غنيمة صغيرة ثمينة . من أين حصلت عليها ؟ »
  - « من مكان ما في مانشيستر ... »
  - « أوه ، أجل ، هذا المكان في جريب سترت ؟ »
- قال آرثر بسرعة :

« كلا ، كان شخص ما في البيت ، فوجدت مسكنا آخر . »

ابتسم ثيبات في وجهه ابتسامة مشغقة مليئة بالحزن ، وهز رأسه وقال :

« والآن ، اخرج بما عندك يا ولد ... لا يمكنك أن تكذب على صديقك العجوز ؟ »

« ماذا تعني ؟ ... »

« أنت تعرف ما أعنيه يا ولدي . فانك لو كنت قد حصلت على هذه الأشياء في يوم السبت ، لكان عليك أن تأتي بها إلى أمس . »

« ليس عليك أن تكذب علي يا ولد . فأنا أقف في صفك . أنا أعرف ما حدث في يوم السبت . »

كان آرثر قد تيبأ للرد على الاتهامات ، ولكن هذا الأسلوب الودي الأبوي جعله يغفل عن حذره ويتخلى عن حرصه المزعوم . وكشف وجهه عما كان يخفيه . كان الرجل العجوز قد تقدم إليه بالاهتمام والتعاطف . قال :

« إنني لست بمجرد الشخص الذي يتخلص لك من الأشياء التي تسرقها . أنا هنا لكي أوجهك إلى الطريق الصحيح . ولكي أكون وانقا - وتكون ممي - من أنك بعيد عن المتاعب . هذه هي وظيفتي ( كانت هذه بمثابة الأخبار الجيدة بالنسبة لآرثر ) . أعتقد أن الرجل أمسك بك داخل شقته فجعلك تتجمل بتلوثك . هه هه »

ولكن آرثر لم يسرد عليه الحكاية الحقيقية كلها . وإنما قال له إن سابعون بانكس قد حاول ابتزازه ، وأجبره على الذهاب إلى السرير مهددا إياه بتبليغ الشرطة ، وبعد أن اغتصمه بالعنف ، أمره بالعودة في الأسبوع التالي . وأوما ثيبات برأسه في وقار وقال :

« حسنا ، لا أعتقد أن بوسعتك أن تلومهم . فهذه هي الطريقة التي صنعوا بها . ولكن إذا ساحتني فيما سأقوله يا ولد . فانك ما كان يمكنك أن تفعل أسوأ من أن تظل على علاقتك بهذا الرجل . لقد كان ثريا ، وربما كان قد أصبح صلة جيدة لنا ... »

من الواضح أنه كان يفكر في عمليات السطو . ثم أضاف يسأل آرثر :

« وماذا فعلت بالذق ؟ »

« ربيته في التنازل . »

« هر ثيبات رأسه وأخذ يفرقع يلسانه . ثم قال :

« كان هذا خطأ . فلو أنهم قد اشتههوا بك لسحروا التنازل على طول »

عدة أميال . حسنا ، فلنأمل ألا يفعلوا .

ثم راح يعطي آرثر مقالة طويلة من النصح التي لا فائدة منها ، مثل تحذيره أن لا يعترف للشرطة أبدا إذا هم استجوبوه . ثم تخي له خطأ أفضل في المرة التالية . وحينما غادره آرثر عرف أنه قد ارتكب خطأ جديدا . فان ثيابه لم يكن ليهم حقا إلا بشيء واحد : أن يشدد قبضته على آرثر . ففي خلال الشهر السبعة التي مرت على اشتراكهما في « العمل » لم يلتق آرثر بأي صديق مسن أسدقاه . وما يزال جاهلا بكيفية أو وقت تخلصه من الأشياء المسروقة التي يأتيها . كان الرجل المعجوز يعرف متى يفعل ما يريد أن يفعله .

ولكن نصيحة واحدة مفيدة برزت أمام آرثر من خلال الخطية الطويلة التي ألقاها عليه ثيابه : « إذا كنت تريد أن تضرب شخصا لكي تنفله . فلا تستخدم مدقا . فالمدق يجعل الدماء تنتثر كما لو كانت تستخدم ساطورا . إن أفضل شيء . في مثل هذه الحالة هي قطعة من الرصاص ملفوفة في قطعة من القماش السبك ، أو مجرد آلة من آلات العجين ذات مقبض كبير . وإياك أن تحمل شيئا يشبه « الشاكوش » أبدا . »

\*\*\*

في شهر مارس من عام ١٩٥٣ ماتت مالكة منزل ثيابه : ودعش آرثر لتقدير حزن ثيابه عليها . وفي البداية أمل أن يكون في ذلك نوع من الخلاص . وحينما تحدث ثيابه بطريقة محزنة عن احتمال اضطرابه إلى الذهاب إلى أحد المنازل المحصنة للمعجزة . وجد آرثر أنه من الصعب أن يخفي ابتهاجه لذلك . ولكن الموظف المسؤول في المنطقة عن إدارة شؤون الأملاك العقارية رتب له بطريقة ما أن يبقى في المنزل ، ووافقت سيدة عجوز في المنزل المجاور أن تظلم له وجبتين كل يوم . وقال ثيابه :

« وأعتقد أن آجي يمكن أن تأتي لكي تقوم بتنظيف المكان من حين إلى حين ؟ »

ولكن آجي كانت تبغضه . وقالت إن رائحته يجعلها تشعر بالغبان . وتعاملت

آرثر معها ، ولكنه أقنعها بأن تساعد . فقد أراد أن يظل على علاقة طيبة بالرجل المعجوز حتى تسخ له فرصة الهرب . وبعد أسبوع ، عادت آجي إلى البيت باكية وأعلنت أنها لن تعود إلى هذا الرجل مرة أخرى . فان ثيابه قد أسكها من عنفها وأجبرها على أن تأتي له فعلا قبيحا . وقالت إنها لم تكن تبغضه حقا بأن يبعث فيما تحت ثوبها في كل مرة تقرب منه فيها ، ولكن هذا كان أكثر جدا مما يمكن أن تحتمل منه ، وقالت :

« إنه قوي جدا . إن له قبضة كالحديد . وكنت أخشى أن يكسر العظام في رقبتي . »

كان ثيابه قد أصبح يشعر بالمجاعة الجنسية . كانت عمليات التحسس والشم التي لا تنتهي والتي كان يقوم بها أكثر جدا من أن يحتملها الأطفال الذين اعتادوا الجلوس على ركبتيه . وحتى حين أعلنت أنها ترفض أن يأخذها أحد لزيارته بعد ذلك .

وذهب آرثر لزيارته ولكي يوضح له الموقف . وتوقع من ثيابه أن يفهم موقفه . ولكنه دهش حينما رأى الرجل المعجوز يتحدث بمرارة مفاجئة وقسوة لا حد لها .

« إنهم جميعا سواء . كل ما يفكرون فيه هو أنفسهم . لا أحد يفكر في أي شخص آخر سوى نفسه . »  
وأرعد في وجه آرثر قائلا :

« حسنا : إن عليها أن تعود . يمكنك أن تجعلها تعود . »

« وكيف يمكنك ذلك ؟ »

« لا تحاول خداعي بهذه الأسئلة ! »

وأصبح الرجل المعجوز كما لو كان نابوليون بونابرت أحد جنرالاته . وقال :

« يمكنك أن تجعلها تفعل ما تشاء منها . »

« إنك لا تريدني أن أنومها ثم أمرها بأن تلتصق . أتريدني أن أفعل

هذا ؟ »



« بالطبع أنا أريد منك هذا الأبله البليد ! ما الخطأ في ذلك ؟ ليس في هذا أي ضرر بها . كيف يكون نصرتك لو لم يكن هذا لأجل أنا ... ؟ »  
استمر الحدك الضعيف لفترة طويلة من الوقت ، وبدأ أن تبيات قد استسلم لعذابات ما يشعر به من اشتاق على النفس . وألقى نيات بتهدياته ولكن بطريقة خفية ، غير أن آرثر كان يعرفه جيدا إلى الدرجة التي تجعله يترك أنه كان يعني هذه التهديات تماما . وأخيرا قال :

« حسنا ، إذا جعلتها تعود إليك ، فهل ستتركها وشأنها بعض الوقت ؟ »  
وزبحر تبيات ولكنه وافق على ذلك . وحافظ آرثر على وعده ، فهو آجي ، وأوحى إليها بأنها يجب أن تشعر بالاشفاق على الرجل المعجوز الوحيد الذي كان يبدو أكثر شبها من نسخة من أبيها ولكنه أكبر في السن جدا . وأتى هذا ثماره . ولمدة أيام قليلة ، حافظ تبيات هو الآخر على وعده ، ثم أصر على أنه من واجب آرثر أن يجعل الفتاة « تفعل شيئا لأجله » . وحاول آرثر ، ولكن حائلا بدأ يقترح على آجي ما أراد ، استبقت الفتاة من سبأها في حالة اشتمزاز شديد ، ورفضت أن تعود إلى منزل تبيات مهما كانت الظروف .

واستبد الغضب بآرثر . وبدأ له أن الأمر كله مضيعة للوقت . بل إنه فكر في الحرب إلى لندن مع آجي قبأخذ معه ما وفره من نقود - وهي الآن مبلغ لا بأس به . ولكن هذا المشروع لم يكن قابلا للتنفيذ ما دام تبيات على قيد الحياة . فلم يكن لدى آرثر أي شك فيما يمكن أن يحدث . فان الشرطة سوف تتسلم خطابا من مجهول حول القاتل المخبئي الذي قتل سايمون بانكس ، مع إشارة خفية لمسح القاتل بحثا عن السلاح . ولم يكن عليهم إلا أن يعثروا على الشوكة أو على السكين - اللتين دمع مقبضيهما بعلامة ترمز إلى زهرة متميزة - لكي يعرفوا أنهم قد عثروا على ضالته . ولم يكن آرثر عارفا بالقانون إلى الدرجة التي تجعله يترك أن مثل هذا الدليل المستقى من الظروف المجردة وحدها لا يمكن أن يؤدي إلى ادانته .

ومضى يعبت بحفظ القتل ، ولكنها جميعاً لم تكن بالخطط الحادة . وكانت

الحقيقة الغريبة هي انه كان ينفر من العنف ، وكان لديه نوع من التفوق الطبيعي من فكرة القتل في مجموعها . وكانت العقيدة التي خرج واقتنع بها من قراءة كل مجموعة « المحاكمات البريطانية الشهيرة » هي أن القتل دائماً خطأ يقع فيه المجرم . ولم يكن قتله ليانكس سوى خطأ عارض أرغم عليه . ولم يكن أمام تبيات سنوات كثيرة يمكن أن يعيشها . فرغم أنه لم يكن قد تعدى الخامسة والستين فإنه كان يبدو أكبر سناً من ذلك بعشر سنوات على الأقل . ورواياته بعض الأحلام عن وضع غاز الاثير في الأنيونة التي يشم منها تبيات علاجاً في نوبات الربو التي تتناهبه ، أو وضع بعض السموم في طعامه . ولكنه في الواقع العملي كان يعرف أنه يفضل أن ينتظر حتى يموت الرجل المعجوز ميتة الطبيعية . ولكن النهاية ، حينما آن لأونها ، كانت سلبية وعيشية وغير متوقعة . ففي ساعة مبكرة من مساء اليوم الثالث من أبريل عام ١٩٥٣ ، أمضى تبيات ساعة كاملة في محاولة اقتاعه بأن يأتي بآجي لزيارته . وظل يقول : « دعني أتحدث معها ... » . وكان تبيات في حالة نفسية جيدة . إذ كان قد أضع طفلة من جيرانه بأن تزوره . وكان قد رتب غرفته ونظفها ، وأخفى الرعاء الذي ييصق فيه مخاطه وأبعده عن الأنظار ، ورطب جو الحجرة بشيء من العطور الغازية المضغوطة ( مخاطراً بذلك بان يصاب بتوبة ربو ) وأخيراً أغرى فتاة في العاشرة من عمرها بأن تدخل حجرته . وكانت النتيجة مرضية للثنتين : فقد رحلت الفتاة بعد أن رحمت عشرة ثلثات وصندوقاً من الشيكولاتة ، ووعدت بان تعود مرة أخرى . كانت الأمور تسير رخاء بالنسبة له . وحاول أن يقنع آرثر بأنه لا يريد من آجي إلا أن تزوب له العرفة وتفظها حتى يضمن أن تكون الزيارات المقبلة يمثل هذا القدر من النجاح . وكان الصيف الآن مقبلاً ، ورأى أن صحته كانت في تحسن مستمر ، وأنه يوشك أن يجيا حياة جسدية أكثر نشاطاً . وسأله آرثر بصراحة :

« لماذا لا تدفع لاحدى العاهرات ؟ إنهن لا يعترشن على أي شيء . »

وأرعد تبيات شاعراً بالمهانة وقال :

« وأدفع خمسة أو عشرة « أرباع » ا لست جديراً بهذا . وأنا على أي حال لا أجهن . »

ثم وضع « بطاطسة » مسلوقة في إناء البيرة الذي يشرب منه لكي يأكلها فيما بعد . وأضاف يقول :

« لست واحداً من هؤلاء الأشخاص الذين يتعرضون للأطفال . إنما أنا رجل عادي ، ولي رغباتي الطبيعية . وأنا لا أؤذيهم أبداً أو أنزل الضرر بهم . كل ما أريده هو التقليل من الحب . كلنا نحتاج إلى الحب . »

وكان من الواضح أنه محمص في هذا الكلام . ولكن آرثر قرر أنه لن يقيض له أبداً أن يدرك أسرار خداع الإنسان لذاته . كان يعرف أنه لا توجد فرصة لعودة آجي إلى هذا الرجل ، إلا إذا أرغمها على ذلك قسراً . ( الشيء الذي لم يكن يتوي أن يفعله ) ، ولكن بهدف أن يحافظ على اعتدال مزاج الرجل ، وعند بأن يذهب إلى البيت لكي يبدل محاولة أخرى . غير أنه حينما وصل إلى المنزل ، كانت آجي قد دخلت إلى فراشها مصابة بتوبة صداع . وكان هذا علماً كافياً . فعاد إلى منزل ثيبات ، وطرق على الباب لمدة عدة دقائق ، ولم لم يسمع أي أجابة ، دار حول المنزل لكي يطرق الباب الخلفي . وبينما كان يعبر بالمرحاض الخارجي سمع صوت ثيبات يناديه :

« أهذا أنت يا آرثر ؟ »

« أجل . »

« هل آجي معك ؟ »

« لقد نامت في سريرها بسبب الصداع . »

وسمع آرثر زجاجة احتقار . ودخل آرثر إلى المنزل وجلس منتظراً . وكان يتساءل دائماً أين يخفي ثيبات نفوده ، وكان يشك في حشية الفراش . وكانت الحجرة الآن خالية ، فرغ الحشية وتحسس تحتها . كان هناك قدر كبير من الأوراق البنية اللون ، كان الرجل قد وضعها هناك لسبب ما ، ولكن لم تكن توجد نفود . وفي تلك اللحظة سمع صوت اغلاق الباب الخلفي . فعاد ترتيب

الحشية بسرعة وعاد إلى مكانه . ودخل ثيبات وقد بدا عليه الاجتهاد والغضب وقال :

« زد النار اشتعالاً ، أنتسح ؟ »

وجلس على الكرسي ذي المقعدتين ، وسقطت عيناه على الفراش . كان الترتيب الذي قام به آرثر قادراً على خداع أكثر العيون ، ولكن لا عيني ثيبات . قال الرجل :

« أهلاً ، أهلاً ، ما هذا ؟ »

« ماذا ؟ »

« أنت تعرف ماذا ؟ وأشار إلى السرير . »

« لا أعرف عم تتكلم ! »

ثار غضب الرجل العجوز وقال :

« لا تفعل هذا معي . أنت تعرف بقدر ما أعرف أنا . لست غيباً . »

حسناً ، أصعب لي . إن اليوم الذي منتلص فيه داجر ثيبات يفعل عن

شيء هو اليوم الذي سترأ في كفه ... »

كانت نظرة عينيه المحمرتين البارقة القاسية تخيف آرثر دائماً ، واستمر

الرجل يقول :

« لقد اشركنا أنا وأنت معاً حتى الآن على خير ما يرام ، ولكن إذا

حاولت أن تشرع في خداعي فسوف يكون هذا هو نهايتك . »

وشعر آرثر بأنه يجب أن يدافع عن نفسه - مهاجماً - بخلد ، فقال :

« يبدو لي أنني أنا الذي ينبغي أن يقدم على الدوام الدليل على أنه شخص

موثوق به ، بينما لا أملك أي طريقة لمراجعة ما تفعله أنت . »

« كلا ، ولكنك أيضاً لست قادراً على معرفة الطريق الذي تريد أن

تسير فيه ... »

« لماذا لا تتقني ؟ إذا أعطيتني العنوان ، لاستطعت أن أتخلص من

كل شيء دون أن يكون عليك أن ترزع نفسك . »

وقف ثياب ، وسار نحو آرثر وانحنى فوقه وهو يلزمه في صدره - وكانت هذه هي جلته المفضلة حينما يريد أن ينسل إلى قلب شخص ما . وقال :

« سأقول لك لماذا لا أثق بك . لأنني أعرف أنك لا تعاملني معاملة عادلة . لا تغفل في إنك لا تعثر أبداً على بعض النفود حينما تحمل بعض المجوهرات من مسكن ما . إن نساء سكويرات يحفظن بما يوفره من نفود ومط ملاهون الداخلية . ولكنك واثق تماماً من أنني لم أحصل أبداً على أي شيء من هذه النفود . أليس كذلك ؟ والمفترض أننا شريكان . أتذكر هذا ؟ »

ثار غضب آرثر . كان حقاً أنه كان يضع في جيبه أكثر ما يجده من النفود ، ولكنه كان يشعر بأن هذه النفود إنما هي ملك خالص له . كانت علاقته بثياب لا تتعلق إلا بالأشياء التي كانت بحاجة إلى البيع . قال :

« ولماذا تأخذ منها أنت أي شيء ؟ ليست لك أي علاقة بالنفود ؟ »

« نحن شريكان ! فإذا كان هذا هو الموقف الذي استخذه مني ، فإن نسبة الحسين بالمائة ، التي هي نصيبك ، ستضيع منك في غمضة عين . لا تحاول أن تكسب علي . لقد اعترفت الآن فقط . منذ الآن - تحفظ أنت بالنفود ، وأحصل أنا على شبه خمسة وسبعين بالمائة ! »

أوما برأسه لكي يؤكد كلماته ، ثم خطا إلى الخلف وجلس على السرير . ولكنه ففز من مكانه على الفور صارخاً ، وانطلقت من تحته كالفدفة قطعة كبيرة فخرجت من الباب الخارجي . ولم يكن آرثر قد لاحظ القطعة جيداً في أثناء دخولها . كان قد ترك الباب الخلفي مفتوحاً حينما دخل إلى المنزل . فلا بد أنها تسكعت إلى الداخل ، فلما وجدت باب حجرة ثياب مفتوحاً دخلت لكي تشترك في الدفء الذي أشاعته النار . كان منظر ثياب مضمحكاً للغاية يفتزونه الوحشية ، حتى أن آرثر انفجر ضاحكاً . واحمر وجه ثياب من الغضب وأرعد في زفير مخيف :

« لا أستطيع أن أحتمل القشط ! من سمح لها بالدخول ؟ »

« وكان يزعم دائماً أن القشط هي التي تسبب له ثوبات الربو . قال آرثر :

« أنا لم أسمح لها بالدخول ، لا بد أنها كانت تسكع عند الباب الخلفي . سوف أخرجها . »

وعثر على القطعة جاثية عند الباب الخلفي فجعلها تنزلق من فتحة ضيقة فيه إلى الغطاء . وحينما عاد وجد ثياب يسعل ويبصق في الإناة المخصص لذلك . وكانت الحجرة مملأ بالدخان - إذ كان فتح آرثر للباب واغلاقه قد جعل الدخان يتصاعد من النار ويملاً الحجرة بدلاً من النفاذ من المدخنة . وأشار ثياب إلى الرف الذي كان يحفظ عليه بعلاجه الداخلي ، فنأوله له آرثر . ووقف يرقب الرجل المعجوز وهو يسعل ويبصق في الحوض ، جالساً على حافة الفراش ، وضاعت محاولاته للكلام في ثوبات الفواق والأناص الحشنة . وعلى حين فجأة تماماً ، طرأ لآرثر أن الرجل المعجوز كان تحت رحمة . لقد كان أكثر قوة من آرثر بكثير لدرجة تمنعه من مهاجمته في ظروف عادية . ولكنه الآن . وهو يسعل ويتقيأ المخاط في الحوض . محاولاً أن يضغط على أنبوبة الهواء المضغوط بيده الأخرى ، فإنه كان عاجزاً بشكل واضح .

كان هذا واحداً من تلك القرارات التي تتخذ في لحظة واحدة ، والتي تتخذ دون أي حساب . كان قد كره ثياب لمدة طويلة ولكنه ظل يكيث كراهيته حتى أصبح يغضه بكل ذرة من كيانه . وكان يملك سلاحه في متناول يده . فحقيقته موضوعه وراء الباب - إذ كان قد جاء بشيء قليل من المسروقات قبل هذا - وفي داخلها « مفك » ثقيل ملفوف في منقصة صفراء . لا بد أن ضربة جيدة واحدة يمكن أن تحقق كل شيء . وتحرك بحرص شديد ، حتى لا يجذب انتباه الرجل ، فأنحنى فوق حقيبته وأخرج « المفك » . وأمسكه مخفياً وراء ظهره وأقرب من ثياب ، وقد رسم على وجهه تعبيراً يدل على التعاطف المشبع بالقلق ، وقد منحه ثقل « المفك » كل ما هو بحاجة إليه من الثقة . وفي تلك اللحظة كان قد قرر أن يقتل ثياب ، حتى لو كان معنى هذا أن يخوض معركة يعجز فيها جمجمة الرجل فيحولها إلى هلام معجون بالدم .

ولا بد أن ثياب قد شعر بشيء يشبه اقتراب الخطر حينما كان المفك

يهبط على رأسه ، لأنه رفع عينيه إلى أعلى ، حتى أن الضربة أصابته على محجر  
عنه اليمنى بدلا من أن تهوي على قمة رأسه . ولشد ما دهش آرثر حينما رأى  
أن عيني الرجل ظللتا مفتوحتين ، وشرح في الوقوف ، وقد الدلق الخوض بما  
فيه فوق ساني آرثر وحذائه . ووجد آرثر نفسه بضرب يشكك آلي ، بنوع من  
الرجب ، وهو يسأل نفسه إن كانت للرجل جمجمة معدنية . وبعد الضربة الثانية  
سقط ثياب على الفراش ، ولكنه ظل يحاول أن يقصر نفسه على النهوض مرة  
ثالثة . وصوب آرثر إلى الجهة ، وضرب بكل قوته ، متسائلا إن كان بوسع  
ثياب أن يطلق الصرخة التي كانت تبدو وهي تتحشرج محبسة في حلقه .  
ولكنه كف عن عد الضربات . وبرز طرف الملك من المنفضة الصفراء ،  
فسال الدم ، وتوقف عن الضرب . كانت أعفان ثياب ما تزال تحقق . وكان  
آرثر يشعر بالغبان مرة أخرى . كان يخشى ألا يكون لضرباته التأثير المطلوب .  
وحتى الآن ، بينما كان الاجتهاد قد أصابه ، كان الرجل العجوز ما يزال حيا .  
من الواضح أنه كان غير قابل للقتل .

ومرت عشر دقائق . وبدا أن الرجل العجوز قد فقد وعيه ، ولم يكن من  
الممكن سماع صوت تنفسه . وكانت الدماء قد جرت في الشئ الذي أصاب  
جبهته فسالت على الغطاء الخفيف المفرد فوق الفراش ، وكانت الكدمات قد  
بدأت في الظهور . ومع ذلك فقد كان حيا . وفكر آرثر في أن يخنقه باحدى  
الوسائل ، ولكنه شعر بأن ذراعيه خاليتان من كل قوة . وكان المطر يضرب  
النوافذ في الخارج ، والريح هبت قوية ، وهبت معها دفقة من دخان نيران  
المدفأة فملأت الحجرة .

وهز آرثر رأسه فافاق من سباته التفسير . فجأة رأى أن ليس أمامه سوى  
فرصة واحدة . فإذا مات الرجل العجوز فسوف يكون هو أول من يشبه فيه ..  
إلا إذا ظهر موته في صورة حادثة غير متعمدة . كان الوجه مكنوماً ولكنه غير  
مصناب بمرح بالغ ، والفضل في ذلك إلى المنفضة الصفراء . ولكنه إذا سقط  
بوجهه في النار ، فمن المحتمل تماماً أن يخنقه هذا الدخان الأبيض ، وإذا ذاك

تكون هناك فرصة طبية لكي يلوح موته في صورة الحادثة غير المتعمدة .

كانت النار مشتعلة ، وكانت المدفأة واطلة تكاد تكون في مستوى أرضية  
الحجارة . وزودها آرثر بمزيد من الفحم ، ثم عبر الغرفة إلى السرير . كان  
خائفاً من أن يقاوم ثياب مرة أخرى حينما يحاول أن يحركه ، وكان مستعداً هذه  
المررة لأن يستخدم الملك ، العادي ضده إذا لزم الأمر . ولكنه ثبت له أن هذا  
لم يكن ضرورياً . جره من فوق السرير وعلى أرضية الحجرة ، ملاحظاً الخشب  
العريب الذي أصاب ذراعه اليمنى ( وهو الأمر الذي استدل منه أن ثياب  
قد أصيب من ضربات آرثر بنوع من التزييف الداخلي في المخ ) ثم رفعه قليلاً  
وجذبه جذبة قصيرة حتى وصل به إلى المدفأة . كان أصعب ما في المهمة وضع  
وجهه في المدفأة . فرغم أن الجسد كان ساكناً خالياً من الحياة ، فإنه بدا كما  
لو كان يمتلك لإرادة خاصة به ، فدار حول نفسه مبتعداً عن المدفأة . ولكن  
آرثر أتميز غرضه أخيراً بأن جذب إزاء المدفأة إلى الأمام باستخدام مفاصل وورغم  
أن الإزاء انخرف إلى الخلف مرة أخرى حينما استقر رأس ثياب فوقه ، فإن  
الرأس ظل في مكانه .

وقفت في مكانه ، يرقب الجسد الممدد عبر أرضية الحجرة ، وقد أحاط  
الدخان الأبيض بالرأس ، متوقفاً أن يسعل ويتحرك . وكان أيضاً يخشى أن تكون  
السيدة العجوز في المنزل المجاور قد سمعت الصيحة فتنتابها الشكوك . وحينما  
ظل الجسد ساكناً ، اقترب منه ، وحاول أن يحس القلب ، ثم النبض من عند  
الرمع . وعلى قدر ما كان يمكنه أن يعرف ، كان ثياب ميتاً . حاول أن يثني  
الذراع اليمنى إلى أعلى ، حتى يتمكن أن يبدو أن الرجل قد حاول أن يجمي نفسه  
لحظة سقوطه ، ولكن الذراع رفضت أن تظلل في الوضع الذي أرادته ،  
وبدا أن الرأس يريد أن يتزلزل مبتعداً عن الفحم غير المحترق . فقرر  
أن يترك كل شيء . في مكانه . وقبل أن يبرح الحجرة ، تذكر غطاء  
الفراش . كانت هناك نقاط قليلة من الدماء على الغطاء ، فطواه بعناية ووضعه  
في حقيبته ، ثم مضى في طريقه إلى المطبخ ، ومنه إلى الباب الخلفي .

كان الوقت قد قارب منتصف الليل .

وحيثما عاد إلى شارع بينكيت أحرق غطاء الفراش في مدفأة المتزل يزيت البرافين . ووضع بطلونه في وسط الملابس القليرة المعدة للتفصيل ، وغسل حذاءه في الحوض بالماء البارد . وفي الليل استيقظ عدة مرات ، وشعر بشيء ما يقربه بأن يلعب لكي يرى ما حدث لثيبات . ولكنه كان يشعر بشيء كالتفلسف كلما فكر في الحجارة التي تركها وراءه . وفي الصباح التالي استيقظ وهو يشعر بالخسب والغثبان ، وظل يتقيأ لمدة نصف ساعة ، حتى بدا له أن معدته تنقلص في انقباضات عصبية متتالية . ثم رقد على فراشه في الغرفة الأمامية وأغمض أجهانه . وفي الساعة الحادية عشرة والتصف دخلت العمدة إلزي إلى الحجارة وقالت :

« استيقظ . صديقك مات ! »

« ماذا ؟ »

« ثيبات المعجوز ، لقد وجدوه ميتاً . »

« ماذا حدث ؟ »

« سقط في النار ، يقولون إنه لم يبق في وجهه شيء . »

وأظهر التحقيق أن ثيبات قد سقط منهاراً في النار اثر نوبة ربو متوسطة . ولم يوجه إلى آرثر سؤال واحد .

وبدا له الأمر كله عادياً لم يصل إلى أية ذروة ساخنة . وكان لا بد له أن يشعر بالراحة المألوفة لنحرره من ثيبات . وبدلاً من هذا ، شعر بالفراع .

• • •

لقد بينت من قبل أن وصف آرثر لعملية اغواؤه لآجي بدا كما لو كان بشكل تقطع تحول في علاقتي به . وقد حاولت ألا أسمع لهذا بأن يتضح : ضاعت جهودي لكي أجعله يشعر بأنني أفهمه وأتعاطف معه . ولكنني كنت أحس بأنني أسير فوق جبل مشدود ، وهو إحساس لم يكن يوسعي أن أدركه دراكاً كاملاً حينما حاولت أن أعقله . فحينما كان قد وصف لي تعلقه

الجنسي المرضي بيولين . وعلمة السطو الأولى التي قام بها وخيالاته الوهمية وغرقه فيها ، وهي الخيالات المتعلقة بكوكب المريخ والكابيتين مارتين ، كنت أشعر بأن عملية السرد التي يقوم بها كانت أشبه بعملية التطهير التي تخلفه أكثر قوة وصحة . وقد أشار إلى ذات مرة متفكها بوصفي « كاتب ترجمته » . وكان هذا صحيحاً إلى حد كبير . لقد بدا لي الأمر كما لو أن الكتاب الذي كنت أنوي أن أكتبه عنه سوف يكون في صورة الدفاع عنه ، اعتذاره عن كل ما قدعته يداه ، والتبرير النهائي ، أو التفسير الكامل لكل ما فعله . ولكن بينما استمرت جلساتنا في شهر أغسطس ، كف هذا عن أن يكون صحيحاً . كانت رغبته في الكلام تتضائل ، وكان يميل إلى تكرار أشياء كان قد قالها من قبل ، أو إلى أن يضع أمسيات يأكلها في الرثرة حول ما يجب وما لا يبروق له . كان يبدأ بهذا الشكل :

« أتعرف ما هي مشكلة الانجليز ، أتعرفها ؟ إنهم أغبياء وكسالى . إنهم يفرطون في الثقة بأنفسهم ولكنهم لا يثقون في أي شيء آخر . هذا الشخص مثلا الذي كان يقوم على إدارة مدرسة ليرلستاو . . . »

وطوال الساعة التالية يمضي في سرد الحكايات التي لا معنى لها عن ناظر المدرسة الاصلاحية ، فاطمأ حديثه كل دقيقة لكي يشير إلى أشياء كان قد تحدث عنها من قبل بالتفصيل ، أو لكي يقرأ بعض ما يزعم أنها « فقرات فلسفية » من كرامة مذكراته . وكان ينفي أياماً متتالية في وصف كتب بوروز وميريت ، مقططاً صفحات بكاملها يقرأها من تلك الكتب من الذاكرة ، مضراً عن أن هذا هو « الأدب الحقيقي » ، وليس « المرء الدعي الذي يعلمونه في المدارس » . وحينما يبدو ساعياً إلى البحث عن براهين يثبت بها أقواله ، أو ساعياً إلى إثارة نوع من الجدل . كنت أشعر بأنه يمثل دوراً معيناً ، وأنه يحاول أن يخفي شيئاً ما عن عيني .

• • • •

كان يبدو مراوعاً بصورة خاصة حينما كنت أحاول أن أقنعه بأن يتحدث

عن الفترة بين قتل ثيبات ومحاولة الاغتصاب في أواخر عام ١٩٦٣ . وقد اعترف بأنه كان مصاباً بحالة انقباض قاسية طوال أغلب العام . وأعتقد أن ما حدث هو أنه قد دفع نفسه إلى بلوغ حالة من الاجهاد العاطفي . كانت السنة السابقة مزدهمة بأحداث أكثر جداً من أن يحتملها صبي في الخامسة عشرة من عمره . ولم يكن يمتلك المصادر التي تمدّه بالعاطفة أو الإرادة اللازمين لمواجهةها . وبذلك فبدلاً من أن يتحاشى إحساس بالسعادة والتحرر بعد موت ثيبات ، غرق في حالة من اليأس المجهدة ، وشعر بإحساس من اللامعنى وانقراض الهدف . كان بحاجة إلى من يشعره بالراحة ويمدّه بالمتنفس الذي يحتاج إليه ، كان في الحقيقة بحاجة إلى بولين ، ولكنها لم تكن مقيمة في البيت بعد . ولم تكن آجي بدلياً عنها ، بل إن سيطرته عليها كانت تعني أنه يشعر لزامها بنوع من الاحترار لها . وحينما حاولت أن أجعله يتحدث عن آجي ، أصبح مرواعاً ومتباعداً . كان مهتماً بفنائه أخرى ، ذكرته ببولين ، ولكنني لم أحرف اسمها أبداً ، أو ما إذا كان الاعتماد متبادلاً . ولكنني أفترض أنها لم تهتم به . وشعر حينئذ بالانقباض والتعب الدائم ، ويبدأ أنه سيتحول إلى شخص هواني تفوقه المصادفات العارضة . وفي شهر فبراير ، سقط إثر نوبة صرع فجرح جبهته جرحاً سيئاً لدرجة أنه احتاج إلى ثمانية « غرز » لخياطة الجرح . ثم سكب بعد هذا ماء مغلياً على قدميه ففضى عدة أسابيع عاجزاً عن السير . وقال لي إنه لم يرتكب المزيد من حوادث السطو في خلال عام ١٩٥٣ ، ولكنه اعترف بمرمحي اغتصاب كانت تفاصيلها شديدة الغموض والتناقض حتى أنني قررت ألا أضمنها هذا الكتاب : ويبدو أن ثمة شيئاً من الترابط والاحساس بالانتم في الحادثتين .

أما الجريمة التي أدت إلى اللقاء القبض عليه فقد وقعت في شهر ديسمبر . كان قد تعلق تعلقاً مرضياً بفنائه في الثانية عشرة من عمرها تسكن في المنزل اللاسق للكنيسة الواقعة في نهاية الشارع ، وهي فنائه شقراء تحيطة ضئيلة الجسم تدعى إيريس . كان قد رآها في بعض المحلات ، وقد بدت له ببساطة جميلة جداً

رقيقاً ، فبدأت تلعب دوراً في أحلامه بفظنه الجنسية . وشرع يتخيل أنه لا بد أن تكون ممارسة الجنس مع مثل هذه الفتاة في مثل سنها ، محتمة للغاية . ولكنه كان عارفاً بالخطر الكامن وراء ذلك . كان الآن في السادسة عشرة ، أي أنه قد بلغ السن التي تكفي لكي يعامل قانونياً معاملة بالغة القسوة . فقد كانت هناك حوادث عنف كثيرة جداً برتكبها الشبان في منطقتهم وكان القضاة يصادرون أحكاماً طويلة جداً .

واحتلت الفتاة أفكاره ردهاً طويلاً جداً من الوقت . وراح يراقب حركاتها عن كثب . وكان والدها يعمل في الليل في أحد المصانع الهندسية في بلدة سالفورد ، وبذلك كان يسمح لها باللعب في الخارج حتى وقت متأخر بعد الغروب . وتادراً ما كانت الكنيسة تستخدم في الأمسيات . فلو أنه استطاع أن يجرها إلى ما وراء الفناء الواقع خلف الكنيسة ، لأصبح في حماية جدار مرصع ... ولكن المخاطرة بدت له كبيرة جداً . ثم بدا له أنه قد يستطيع أن يتأكد من الظروف مقدماً . وكانت ضابطة المراقبة ما تزال تتردد على المنزل - فقد كانت آخر مغامرات ألبرت تتضمن بيع كمية من الرصاص متزعة من سقف إحدى الكنائس والسطل عنوة إلى محل البيقالة - وكانت تلاحظ دائماً أن آرثر يبدو عليه الاجتهاد وأن صحته في تدهور مستمر . وعندما صرحت بهذه الملاحظة في المرة التالية قال آرثر بكآبة :

« لا أعجب في هذا . فإنا لا أجرؤ على أن أطعم شيئاً في هذا المنزل » .

« ولم لا ؟ »

« أحدهم يضع السم في طعامي ، فبتأنيب الثياني بعد كل وجبة غريباً » .

ولفترة من الوقت حملت الضابطة كلامه محمل الجد ، وسألت آجي إن كانت قد شاهدت العمه إلزي وهي تتثر مسحوقاً أبيض على طعام آرثر . وأخبرت آجي العمه إلزي بالأمر فواجهت ضابطة المراقبة بهذا الحديث وقالت شاعرة بالمهانة :

« إما أن يكون معنوفا ، وإما أن لديه أسايا تندفه إلى الادلاء بالأكاذيب » .

وقالت السيدة المعجوز ذات الشعر الرمادي :

« أوه ، ولكنني واثقة من أنه لا يكذب عامداً . إنه مصاب بمرض عقلي » .

وحينما أبلغ هذا التصريح لآرثر عرف أنه قد وصل إلى هدفه . وذات مساء ، بينما كان يسير في شارع بينكيث عند الغروب ، رأى الطفلة تقطف زهرات « سانت ميشيل » من الغناء الذين يحيط ببناء الكنيسة . كانت بمفردها ولم يكن أي شخص قريباً منها . وقف يراقبها ثم قال :

« هناك زهرات أجمل من هذه في الغناء الخلفي » .

استمت له وقالت :

« حقاً ؟ أكن بهم أحد بذلك ؟ »

« لا أظن هذا » .

« سأذهب لأنتظر في لحظة واحدة » .

وأسرع هو عائداً إلى البيت . كانت حقيبة أدواته في حجرة الخلوس ، وكانت العمه إلزي وإحدى جاراتها جالستين هناك . كان من المحتمل أن تراه المرأتان لو أنه اندفع إلى الداخل فاحتمل الحقيبة . ولكن كانت هناك قطع مسطحة من الحديد على رف المطبخ ، فحمل واحدة منها ، وأخفاها في جيبه ، وعاد إلى الشارع . وكانت الطفلة ما تزال هناك . وقف على الجانب المقابل من الشارع لكي يراقبها . وفجأة ، اختفى شعوره بالضحك والتماسة . كان هو الصياد ، يشحذ كل مواهبه وقدراته من أجل الاقتضاض على القريسة .

كان الظلام يهبط بالتدريج . فلو أنها بقيت لمدة عشر دقائق أخرى ، فربما خاطر بمهاجمتها أمام الكنيسة . انتظر لحظة ، ثم عبر الطريق . سار ببطء على طول الرصيف المرتفع ، ونظر إلى ما وراء الناحية . كانت واقفة وقد أولته ظهرها ، وتحاول أن تكسر غصناً من شجرة غار صغيرة . أخرج قطعة من الحديد

من جيبه وقفز إلى الأمام . ولكنه لم يكن قد لاحظ الفصيص الحديدي المنحني الذي كان بارزاً من زاوية مبنى الكنيسة مغروساً في الأرض . وهو نوع من الدعامات القديمة . ونعمر . ثم استطاع أن يستعيد توازنه ، ولكنها كانت قد حصلت على الوقت الكافي لكي تلتفت ناحيته . ولم يكن قد تبين من قبل أن يوسع طفلة أن تصرخ بمثل هذا الصوت المرتفع . رفع قطعة الحديد وضربها على جبهتها ، فسقطت على الأرض . ولكنه أصبح قادراً على أن يسمع شخصاً ما يصبح بالفعل : « ما هذا ؟ » وبعد لحظة صاحت امرأة تقول : « إلزي ! » . وجري إلى الجانب الآخر من الكنيسة فقفز فوق السور الواطئ الذي يفصلها عن الطريق الرئيسي . وأبطأ من خطوه عامداً بينما كان يسير في الشارع المضاء بالمصابيح ، وقلبه يتنفض ويضرب بعنف .

وحينما عاد إلى المنزل بعد نصف ساعة ، عرف أنه قد وقع في خطأ ما . كان هناك شخصان أو ثلاثة ينظرون إليه . وكانت الشرطة بانتظاره . وقالت العمه إلزي :

« ماذا فعلت بتلك القطعة من الحديد ؟ »

« حديد ، لا أعرف عم تحدثين » .

ولكن لم تكن تمة فائدة . كان هناك خادم عجوز قد وقف يرقبه من إحدى النوافذ بينما وقف هو يرقب الفتاة منتظراً أن تذهب إلى الغناء الخلفي ، وقد رأى الخادم الانتفاخ في جيبه حينما كان يقف هناك ، ورأى أنه كان يرقب الطفلة . ولم تستطع الفتاة نفسها أن تتعرف عليه بوصفه الشخص الذي هاجمها - وقالت إن الهجوم والضربة حدثا بسرعة شديدة - ولكن كان يوسعها بالطبع أن تقول إنه تصعبها بأن تذهب للبحث عن أزهار أجمل من الغناء الخلفي للكنيسة . وقد اتابها الشكوك حينئذ ، لأنها كانت تعرف الغناء الخلفي معرفة أفضل بكثير من معرفته هو به ، وكانت تعرف أنه لا يثبت سوى بعض الأعشاب وشجيرات الغار الصغيرة .

وكفل له التأمين الذي اتخذ من قبل حماية كاملة. فقد شهدت ضابطة المراقبة بأنه كان يعاني نوعاً من الانهيار العقلي لمدة أسابيع قبل حادث الهجوم على الفتاة ، وأنه كان يرفض أن يأكل معتقداً أن طعامه كان يسمم باستمرار . واستخدم الدفاع مسألة « بيته وتربيته السيئة الحظ » كما استخدم قصة سوء ادارة العم ديك وسوء تدييره لميراثه الضئيل واعوانه لشقيقته بولين ، وسرد الدفاع كل ذلك أمام المحكمة .. كان المبرر لسرد هذه القصة هو أن آرثر كان واقعاً تحت نوع من التوتر العقلي بسبب خوفه من اقتراب خروج العم ديك من السجن في « سترينج وايز » . وقال القاضي إنه لا يستطيع أن يرى السبب الذي يجعل مثل هذا القتل يتخذ شكل مهاجمة طفلة بنية ثقلها أو اغتصابها ، ولكنه كان متعاطفاً معه بشكل عام . ولحسن الحظ ، لم تكن الفتاة قد لقيت ضرراً يذكر باستثناء دم بسيط في الجبهة . ووضع آرثر تحت المراقبة لمدة أطول ، بشرط واحد ، هو أن يخضع للعلاج النفسي .

## الفصل العاشر

لم أحصل على قصة محاولة الاغتصاب من آرثر نفسه ، وإنما من ضابطة مراقبة الأحداث ، من امري التي كانت قد تقاعدت بعد إحالتها إلى المعاش واستقرت في بلدة بلاكيول . كانت حكاية آرثر لهذه القصة مراوغة ومضطربة ، وكان يوسعي تماماً أن أدرك السبب في هذه المراوغة وذلك الاضطراب . فلم تكن هذه الحادثة مما بهم بأن يتذكره حتى ولو كان قد استطاع أن يتدع الشرطة بشكل من الأشكال .

وبدا لي أن هذا هو تفسير الغل النسبي الذي لقيته جليانا في أثناء الأسبوعين الأولين من شهر أغسطس . لقد بدأت حياته العملية في التدهور منذ ذلك الحادث ، وفقد « أستاذ الجريمة » قدرته الحساسة ، قسح لنفسه بأن يقبض عليه في أثناء قيامه بمادني سطو صغيرين وفي أثناء محاولته لخداع بعض ربات البيوت . ثم وقعت « الجريمة العاطفية » ، وهي قتل فتاة ذكرته بشقيقته ، ثم ما تلا ذلك من قتل مزارع عجوز في أثناء محاولة السطو على منزله ، ثم الانهيار التدريجي . أجل ، لقد أمكنتني في ذلك الحين أن أفهم ذلك الانهيار . لقد سقطت مظالمه العظيمة في شرك إحساسه بالضجر والحقيقة والواقعية المهينة . وهذا هو بالتأكيد ما يوضح السبب الذي دفعه إلى تمثيل ذلك الدور المنقذ الذي كان يتظاهر فيه بأنه أكثر غياف من حقيقته : فلا بد أن هذا الدور كان يزوده بقدر معين من الاقتناع باحساسه بأنه ما يزال الموهبة العظيمة التي يملها سجاتوه ، كما لو كان صورة من « نيشايف » القادر الذي يخطط للضربة الحاسمة التي سوف تقسم ظهورهم ...



كانت مهمتي الآن ، كما نبيتها ، هي أن أحاول اقتناعه بأن ينهض لمواجهة الحقيقة ، حقيقة فشله في تحقيق الحلم بأن يكون مجرمًا عبقرياً .  
 كان علي أن أجعله يرى أنه كان ضحية للمجتمع كله ، وأن بوسع المجتمع حتى في هذه المرحلة المتأخرة أن يقدم له التعويض المناسب .  
 كانت الحرب قد حرمت من والديه ومن كل ماوى آمن ، ومن طفولته ذات امكانيات الطبقة المتوسطة التي كانت حقاً من حقوقه بحكم مولده . لماذا كان يمكن أن يحدث لو أنه كان قد بقي في « يارنيت » ولم تنه الحرب قط ؟ كان الأكثر احتمالاً أنه سيتوق في المدرسة ، فيحصل على منحة دراسية من إحدى الجامعات ، وربما حول خياله القصصي في اتجاه الكتابة ، وكان علي أن أجعله يرى أنه لم يتأخر جداً وأن الزمن لم يسبقه نحو تحقيق تلك الخاتمة . وأن مثله الأعلى المتجسد في فكرة « أستاذ الجريمة » لم يكن سوى حلم يقظة في أحلام الطفولة ، وأنه يمكن فهم هذا الحلم فهماً كافياً في سياقه الزمني والمكاني . ولكن إلى أين قاده هذا الحلم في الحقيقة ؟ إلى هذا الزقاق المسدود من الصعلة الاجرامية .  
 لقد ارتكب جريمة القتل ، أربع مرات . ولكنه كان في سن أقل من الرشد حينما قتل بالكرس وثيابات ، كانت هاتان من جرائم ما قبل النضوج . وكان قد دفع ثمن قتل المزارع ثماني سنوات من حياته . وبذلك تبقى « الجريمة العاطفية » .  
 كان ما فعله بشأن هذه الجريمة هو مسؤوليته الخاصة . وكان إحساسي الخاص هو أنه لو تم علاجه بشكل كامل فربما أمكن اقتناعه بالاعتراف بهذه الجريمة .  
 وبالتنظر إلى تاريخه السابق ، فسوف يكون من المحتمل تماماً أن يقبل دفاعاً يقوم على أنه ارتكب تلك الجريمة حينما كان توازنه العقلي مختلفاً بصورة كاملة .  
 فإذا اعترف بها الآن - حينما كان الوقت ما يزال في صالحه - فسوف يكون هناك فرصة طبية أمامه للافلات من حكم بالسجن لمدة أطول . وحينئذ ستكون أمامه الفرصة الملائمة لاعادة بناء حياته ، من خلال ابعاده عن أحلام اليقظة لعصاة التي تجعله مقسم الشخصية مصاباً بجنون العظمة والاضطهاد وحالات

الانقباض المبالغ . بل إنه لن يكون هناك ما يمنعه من أن يتزوج فينحب أطفالاً .

• • •

كان يوم الخامس عشر من شهر أغسطس يوماً عاصفاً مرعداً كثيراً . وكانت الشجيرات والأعشاب الطويلة التي تظلل المجرى المائي الصغير في نهاية حديقتي تتمايل بشدة تحت عصف الريح . جلست هناك على مقعد طويل في مقابل زوجتي ، التي كانت منهمكة في أشغال أوبرتها . وكان من عادي أن أحدث معها عن مشاكل ، وخاصة عن آرثر لينجارد . وقد بدا لي أنني وهو كنا نسجل مرور الأيام منذ وقت طويل . وشعرت بأنه كان يكافح ضللي . قلت :

« لا يمكنني أن أفهم لماذا لا يتقني » .

« ربما كان لا يفهم أن يتقن بك » .

« لماذا ؟ »

« دق جرس التليفون في هذه اللحظة ، وأجاب عليّ ابني الذي يبلغ من العمر عشر سنوات .

قال : « إنه مسرّ سليسور يطلبك يا أبي » .

لم أنظر إلى زوجتي وأنا أحب واقفاً . كنت أشعر بأنني مشغول بالدعوى .

قال فرانك سليسور - مدير سجن « روزهيل » - :

« أحسني أن تكون هذه أنباء خطيرة - لقد هاجم لينجارد أحد الحراس .

وكان علينا أن نضعه في قemis المجانين - أيمكنك أن تأتي إلى هنا فوراً ؟ »

« هل الحارس بخير ؟ »

« لقد نجما بأعجوبة . فقد طعن في مؤخرة عنقه » .

حاولت أن أتخلص من شعوري بالانقباض والامم وأنا أقود سيارتي إلى

« روزهيل » . لم أكن قد رأيت آرثر لينجارد منذ يومين . وكانت مقابلي الأخيرة

معها غير مرضية . كنت أشعر بأنه يتكص على غيبه هاربا إلى داخل نفسه ،  
وتساءلت إن كان السب المحتمل هو أنني أسرف في مقابله . ولذلك قررت  
أن أتركه لمدة أسبوع . لكي أتركه يفكر فيما كان قد حكاها لي ، وحتى يعقد  
عزمه على مقدار ما يريد أن يزيد من تفصيلات أخرى . وكان علي أن أتقع نفسي  
بهذا . كان لدي شعور ما يقول لي بأن هذه ليست سوى أحد أنواع المرافقة .  
وقد عرفت الآن أن غريزتي كانت على صواب .

كان مدير السجن ينتظري عند البوابة . وبينما كنا نتمر بنا فلذة غرفة  
الحجر . رأيت أن المساجين الآخرين كانوا واضحين في مجموعات يتبادلون  
الأحاديث ، ولا يبدو أن أحدا منهم يتفرج على التليفزيون . ومن الواضح  
أن انفجار لينجارد الأخير قد زودهم بالمادة الملائمة للاشاعات والرثرات  
التي لا تسهي .

ذهبت لرؤية الحارس الذي كان راقداً في فراشه في منزل المدير . كانت  
السكين قد نفلتت من الجزء اللين من الكتف وهنكت الباف العضلة . ولا شك  
أنها كانت طعنة مؤلمة ولكنها ليست خطيرة . كان اسم الحارس « هيامز »  
وهو رجل متوسط العمر كان على علاقة طيبة مع المساجين ويحبونه إلى درجة  
معقولة . وكان ينادي لينجارد باسمه الأول على سبيل رفع الكلفة .

وبدا لي أن آرثر قد مسح له بفرامة كرامة مذكراته - فقد كان هيامز  
مطامح أدبية غامضة . ولكن حدث منذ ليلتين أن خرج آرثر من المرحاض  
فوجد هيامز يحاول أن ينظر في شيء ما كان آرثر قد كتبه ولم يته من كتابته .  
فاختطف منه الكراس وبعثه بالخاسوس . واعتذر هيامز وهدأت ثائرة آرثر .  
وفي اليوم السابق كان مكثبا وهدا ، ولكنه لم يتكلم كثيراً . ولكن كان من  
الواضح أن يستخدم قطعة صغيرة من الحجر الذي يستخدم في شحذ الأدوات  
القاطعة لكي يحول مقبض إحدى الملاعق إلى سكين . وقد غرس هذا النصل الذي  
استخدمه كسلاح في ظهر هيامز أثناء خروجه من حجرته حاملا صينية الطعام .

وكان هيامز يبدو شديد الشحوب والتعب ، وكانت أسباب هذا واضحة

ومفهومة . كان طبيب السجن قد فرغ لواءه من تضديد جرحه . وأكد أن  
الجرح ليس خطيراً ، ولكن الحارس كان يعاني من الصدمة . سألت هيامز :  
« هل رأيت أي شيء في كرامة المذكرات يفسر السب في شدة  
غضبه ؟ »

« كلا . إنما بدا لي ما قرأته شيئاً في صورة قصيدة بالغة الكآبة اسمها  
« استعدادات من أجل جنازتي » . ولم أستطع أن أرى فيها شيئاً  
شيئاً » .  
سألت المدير :

« ألا تعرف إن كان قد مرق القصيدة ؟ »  
« لقد حاول تمزيقها . ويبدو أنه شرخ الصفحات بالسكين . إنها  
هناك » .

كان القول بأن آرثر قد شرخ الصفحات بالسكين تقريبا لما حدث  
للأوراق . فقد بدا أنه تمكن من تحويلها إلى كومة من القطع الصغيرة ، أكثرها  
يبدو في صورة نثار الزجاج المكسور ، على شكل مثلثات طويلة مدنية . نظرت  
إلى الكومة ذات الشكل الغريب مترعجاً . فإذا كان قد أراد أن يدمر الأوراق  
فلماذا لم يلق بها في المرحاض ويسكب عليها الماء ؟

صدمت حينما رأيت آرثر لينجارد . كان وجهه مصاباً بأكثر من جرح  
وكدمة بشكل مريع . وقد استلزم الأمر استخدام ثلاثة حراس للسيطرة عليه .  
وقد أدوا مهمتهم بخشونة شديدة ، معضدين أنه قد قتل هيامز - وكان آرثر  
راقداً على سريريه وقد ربطت يديه وتصاب ذراعا على صدره ، وقيدت  
قدماه أحدهما إلى الأخرى . ولكن عينيه كانتا كئيبتين في لون الرصاص .  
كان كل ما فيهما من ذكاء قد تلاشي . وكان يتنفس بطريقة غير منتظمة أنفاساً  
قصيرة متلاحقة . وحينما نظرت إليه عرف أنه قد تكص غارقاً في عالم مظلم  
ما من عوالم الذاتية الغامضة . ربما كان يتحول الآن في غابات المريخ ؟

حاولت التحدث إليه ، ولكن دون جدوى . سألت الحارس عن مكان

معه في غضون الثماني والأربعين ساعة الأخيرة . ولكن لم يكن يوسعهم أن يجروني إلا بالقليل ، فقد كان في أثناء هذين اليومين مكتئباً معتزلاً ، وكان من الواضح أنه يكتب أو يرسم جانباً كبيراً من الوقت . كانت بعض الرسوم متناثرة في الحجرة . وكان أكثرها لنساء ، وبعضهن يرتدين ملابسهن . ولكن الشيء الغريب الوحيد في هذه الرسوم هو أنها كانت ممدودة في استطالة منعدمة ، حتى لقد كان من الصعب أن ألاحظ المنحنيات أو التواءات في الأجساد المرسومة .

لم يكن يمكنني أن أفعل المزيد . فقلت للمدير أن يهتف لي تليفونيا إذا وقعت أية تطورات ، ثم قادت سيارتي إلى البيت في بطء شديد . ماذا حدث ؟ أين كان الخطأ ؟ أين كان الخطأ الذي وقعت فيه ؟

حينما عدت إلى البيت رحت أتأمل الرسوم ، محاولاً أن أضغ نفسي في مكانه . لقد كان يتحدث معي حديثاً طويلاً ، مرات كثيرة ، عن الجنس . وربما يبدو للبعض أن ما نقلته من حديثه كان متقلاً بتفصيلات لا غناء لها ، ولكن صفحتي السابقة متبوءة خالية من الجنس إذا ما قورنت بالتفصيلات التي سردتها علي والحكايات التي زودني بها . كان يعنى في وصف التفاصيل الجسدية الدقيقة ، تفاصيل عن الروائح ، والمسوجات ، وعن أعماله الفعلية التي كان يقوم بها . ( ففي حكاية محاولته للاختصاص ، على سبيل المثال ، نقل لي صورة عقلية لكل تفصيلة من التفصيلات الصغيرة ، سروال الفتاة ، وقمصانها الداخلي ، ونهديها ، وكبة شعر العانة ، وعدم نمو الجزء الخارجي من العضو التناسلي ، وشحوب فمها ، والغمازات الصغيرة على فخذها ، بل إنني زعم أن زاوية عضوها التناسلي كانت مخنفة قليلاً عن تلك التي عرفها عند آجي أو إيلين جرور ) . وقد افترضت أن هذا الاسراف في تذكر التفصيلات - أو في ذكرها - كان راجعاً إلى الاحباط ، فقد كان محروماً من الجنس عدة سنوات سابقة . ولكن أمكن أن تكون هذه القدرة الغريبة على التحليل ، التي أعانته على أن يقرأ أمامي من الذاكرة صفحات كاملة من كتب ميريت وبلوروز ،

قد استطاعت أن تحفظ بكل تفاصيل تجاربه الجنسية . حتى أنه لم يكن يحاول في ذكرياته التي سردتها علي إلا أن يكون دقيقاً ، إذن ، فانه مع مثل هذه الذاكرة القادرة علي الاحتفاظ بتفاصيل الماضي ، فإن دوافعه الجنسية لا بد قد بلغت درجة مؤثرة من الحدة . كان « محرر » الجنسي قد سخن إلى درجة تهدد بالانتحار . ورأيت في تلك الرسوم محاولة لتبريد ذلك المحرك ، عن طريق تحويل أجساد النساء إلى أشكال مجردة أقرب إلى طريقة موديليان في رسم نساء العاريات .

حينئذ بدأت أفهم أول خطأ وقعت فيه . فرغم أنه قد صرح أمامي أكثر من مرة بأن رغباته الجنسية كانت من القوة بحيث أنه كان يريد أن يقتصب كل امرأة في مانيستر ، فإني لم أحاول أبداً أن أدرك هذا التصريح حرفياً . إن رغباتي الجنسية الخاصة طبيعية تماماً ، ولكنها ليست قوية إلى درجة مزعجة . وكنت أحاول أن أفرض بشكل غير واع أن رغباته هو الجنسية تحاللي رغباتي . ولكنها لم تكن كذلك ، وإنما كانت أشبه بالقرن الدائم الاشتعال ، مسية أما حاداً مستمراً . ولم يكن يوسع أنه يتصور أنه من الممكن إشباعها . كانت الطبيعة هي الملومة هنا ، والعالم هو من لا بد أن توجه إليه اللوم . لم يكن خطأ هو أنه امتلك هذا الأتون المستعرب بين فخذيه ، دائم التلجج والتوجع ، مشتاقاً إلى أن يتخفف من حرارته وتوتره في السائل البارد بين فخذي إحدى الفتيات . وأنا ، أيا ، كنت ممن يجب أن يوجه إليهم اللوم أيضاً ، لأنني جلست إلى جوار فراشه أسجل الملاحظات . ذلك أنني رغم كل ما نظاهرت به من تعاطف معه ، عجزت أنا الآخر عن الفهم .

• • •

شرعت في العملية البيئية المؤثرة بجمع شللات ومزق كمرامة مذكراته . كان هذا عملاً صعباً إلى درجة لا تصدق ، لأن النقط لم تكن أكثر من مجموعة هائلة من مرق الورق مغطاة بمخطوط الحبر الخاف . ولحسن الحظ كانت بعض المرق ما تزال ملتصقة ببعضها . وكان من حسن الحظ أيضاً أن ابني وابنتي كانا

من التحمسين لحل ألباز الكلمات المتقاطعة ١ وكان باستطاعتها أن يساعدا في ،  
وإلا لكانت النتيجة هي أن أقرر أن العملية كلها لم تكن أكثر من مضية  
للوقت .

ولكن ما برز أمام عيني في النهاية كان مربكا إلى درجة كافية . كانت  
القصيدة معنونة : « مذكرات لجنازتي » . ( وكان هيامز قد أعطأ في ذكر  
العنوان ) . وكان يبدو أنها قصيدة من الشعر الحر ، كتبت بحروف كبيرة دقيقة ،  
حتى أن الصفحة الواحدة لم تكن تحتوي على أكثر من اثني عشر سطراً . وكان  
المكتوب في الصفحة الأولى كما يلي :

« عرفت رجلا يدعى جاك ،

جاك ، جون ، جيسس ، جوك

وكان يراقب الخفافس في سيرها على الأرض

بينما كانت السكين تسخن على النار .

وعض جوك حلقات زو الصغيرة ،

وقطع بالمقص فرج ساره ،

هاو هاو ها هي هي هي

هذان اثنان بدلا مني .

ولم تكن الصفحة الأخرى مرقمة ، ولذلك فقد كان من الصعب تخمين  
نيتها ، ولم يكن لسطورها من معنى يزيد معنى سطور الصفحة التالية :

« عبر المذبح إلى القرح

وصعودا من فرحة إلى « جانيفير ،

لن يروق هذا لوارين

لن يروق هذا لوارين

ولا أتوقع أن يروق للوطني

ولن يروق لك أنت أيضا

١١ ديسمبر ١٩٥٩ »

وكانت صفحة أخرى لا تحتوي على غير سطرين بقولان :

« أعط ليولي سكتي

« فسوف تعرف ما تفعله بها . »

أما الصفحة التي كان من المؤكد تقريرا أنها الاخيرة ، فلم تحتو إلا على  
سطر واحد يقول :

« وقمها جولتي جون جاك هي هي هي . »

كان التاريخ هو أول ما جذب نظري . أليس من المفروض أن يقدم مفتاحا  
إلى شيء ما ، أين كان آرثر في شهر ديسمبر من عام ١٩٥٩ ، كانت لدي  
فكرة غامضة عن أنه كان في السجن في ذلك الحين ، يقضي مدة الحكم الثانية  
التي حكم عليها بسبب السطو . ولكن مراجعة السجلات أثبتت أنه كان قد  
أفرج عنه منذ منتصف نوفمبر .

وقررت أنه من المحتمل أن يكون مما يستحق الجهد أن أتحرى الأمر .  
هتفت بالتليفون لمنش الشرطة السرية في مانشيستر ، المنش كورتوك ، سألته  
إن كان يستطيع أن يكشف لي إن كان لهذا التاريخ أي دلالة عند شرطة  
مانشيستر . هل ارتكبت جريمة قتل في ذلك اليوم ، أو وقعت حادثة سطو  
سرت فيها ملابس نسائية داخلية ؟

ولم تكن النتيجة مشجعة . فني خلال ساعة من مكالمتي ، هتفت لي تليفونيا ،  
وكانت الاجابة هي : لا ، على كل أسفني .

أرسلت برقية إلى بولين ، وطلبت منها أن تهتف لي تليفونيا . وحينما  
طلبتني ، أخبرتني بأن آرثر قد سقط ثانية في حالة من الشجذ العقلي ، سألتها إن  
كان يومها أن توفر الوقت اللازم لكي تأتي لزيارته ، قالت :

« أنت واثق أن هذا هو التصرف الحكيم ؟ »

« لا أعرف ، ولكن الأمل يستحق المحاولة . »

« حسنا . هل ينفع مجيبي في يوم الثلاثاء ؟ »

« وفلت لما إني موافق

وفي اليوم التالي قابلت بولين على محطة السيارات العامة في دار لينجتون .  
كنت قد تبادلت معها الحديث مرة واحدة - بالتليفون - منذ مقابلي الأولى  
وشعرت بنوع من خيبة الأمل حينما وقع عليها بصري في المرة الثانية ، كانت  
أكثر بلادة عما كنت أتذكرها ، وبدت لي بشرتها باهتة في ضوء النهار .  
ولكنني كنت قد نسيت هذا في خلال عشر دقائق ، فقد كانت حيويتها أشبه  
بتيار كهربائي .

أخبرتها بأمر القصيدة وناولتها لها . كانت هناك صفحتان لم أزل عاجزاً عن  
إعادة بناءهما . ولكنني كنت قد استطعت حل « الغاز » « سطرين آخرين يقولان :

« السيدة مساري مونشيلزييا

أسقطت أدرجها وأخرجت ربحاً ،

و حينما وصلت بولين إلى هذه الصفحة ضحكت وقالت :

« أنا أعرف موضوع هذه السطور . فقد ذهبت آجي لكي تعيش في مكان

يُدعى « بوتون مونشيلزييا » بالقرب من بلدة ميلستون ، وتزوجت مستشاراً  
لمؤسسة هندسية كبيرة . وكان من عادة آرثر أن يدعوها « السيدة مساري  
دقني » .

« أتزوجت آجي ؟ »

لسبب ما كنت أفترض دائماً أن آجي قد ماتت ، ولم يكن هذا بالأمر الذي  
شغلني ملاحظته لأنني توقعت أن يخبرني آرثر بحليلته في الوقت المناسب ، أضفت  
أسألها :

« متى تزوجت ؟ »

« أوه ، لا أعرف ، دعني أفكر ، لا بد أن هذا قد حدث في عمام  
1906 تقريباً . ولكنها كانت مخطوبة لهذا الشخص لمدة عامين » .

عامين ، هلما يعود بالتاريخ إلى عام 1902 ، عندما كان آرثر في  
السابعة عشرة من عمره .

« ماذا حدث ؟ »

« أوه ، لا أعرف . لقد قابلت هذا الشخص المدعو بريان ، بريان  
رول ، وأظن أن هذا حدث في حملة رفص في أحد المتزهات » .

« إذن فلا بد أن يكون هذا قد حدث في الصيف » .

« هذا صحيح » .

« وكيف كان رد فعل آرثر إزاء هذا ؟ »

« حسناً ، لم أكن هناك حتى أستطيع أن أخبرك بما حدث . لقد كان  
بجوت من الغيرة . وقد غضبت آجي غضباً حقيقياً لأن آرثر اعتاد أن يهددها  
بتقطع عضو هذا الشخص » .

« هذا البريان رول - لم يكن يستطيع أن يكون مستشاراً هندسياً في  
تلك الأيام كما أعتقد ؟ »

« كلا ، كان ما يزال طالباً في معهد مانشيستر للتكنولوجيا . كان  
ولداً من نوع لطيف جداً - لقد قابلته مرتين » .

« ولكن لماذا لم يستخدم آرثر سيطرته على آجي لكي يفسد هذه العلاقة ؟  
لقد فعل . وكان هذا هو ما جعلها ترحل من المنزل » .

« رحلت من المنزل ؟ »

« أجل ، فقد قابلها الشاب ذات يوم من خروجها من العمل وقال لها :

« إنك لن تعودي إلى هذا البيت » وكانت في الواحدة والعشرين من عمرها  
بالطبع . وقد أصبحت فتاة لطيفة الشكل ، وإن كانت شاحبة » .

« إلى أين أخذها ؟ »

« لكي تعيش مع أمه فيما أظن . لأنهم يعيشون في بلدة « نابليزلي »  
بالقرب من مدينة « بولتون » .

« ألا تذكرين إن كان هذا قبل هجومه على الفتاة إيريس فرانكلين أم  
بعده ؟ »

« أوه ، قبله فيما أظن . كنت دائماً أظن أن لرحيلها علاقة بهذا  
الحادث » .

قلت : « ربما كنت على صواب » .

قادت سيارتي في صمت . إذن فإن آرثر كان قد فقد ابنة صمه الشاحبة حينما تعلق بها طالب في معهد مانشيستر للتكنولوجيا . وهو شاب لطيف كان قد عقد العزم على أن يصل إلى هدفه ، وقد وصل إلى هدفه بالفعل ، ولا بد أن هذه كانت صلعة لا يمكن تصورها - فلو أن هناك شيئاً واحداً كان آرثر واثقاً منه ، فهو أن آجي لا بد أن تكون بانتظاره لكي تتعاطف معه ، ولكي تسمح له باستخدام جسدها . ولكنها ، وفي نهاية عام من أكثر أعوام حياته تعاسة وكآبة ، هجرته وتخلت عنه . كلا ، لم يكن هذا صحيحاً تماماً . لقد أوقف الشاب « اللطيف » سيارته وقال لها بقوة : « إنك سوف ترحلين معي . إنك ملكي أنا منذ الآن » وقد كان هو بمفرده . ولا شك أن الرجل الشاب كان لطيفاً إلى درجة أنه لم يمارس الجنس معها حتى تم زواجه بها .

قالت بولين :

« لم أخبر زوجي بأنني سأجيء إلى هنا »

« لم تخبريه ؟ أما يزال يبغض آرثر كثيراً ؟ »

« إنه لا يبكره : أعضد أن آرثر سوف يخرج من السجن في وقت ما ، أليس كذلك ، وأنا غير واثقة من أنني أريده أن يسقط علينا فجأة كلما واجهته المشاكل أو تورط في شيء سيء » .

« هل كان يفعل هذا من قبل ؟ »

« لكي أكون عادلة معه أقول إنه لم يفعل ذلك إلا حينما كان الكيل يبغض به حقاً وتضيق أمامه سبيل الخلاص . وهو لم يطلب التفرود أبداً » .

كنت أقود السيارة ، أفكر فيما تقوله ، حينما طرأ على ذهني فجأة السؤال الذي كان لا بد أن أسأله منذ البداية :

« حينما جاء لزيارتك آخر مرة ... أكان ما يزال مهتماً بك من الناحية

الجنسية ؟ »

قالت بطريقة عارضة :

« أوه ، أعضد هذا » .

« ولكنك قلت إن أحدكما لم يعد يحب الآخر منذ غسادت شارع

بينكيت ؟ »

« لم يدم هذا إلا فترة قصيرة . فالدم ليس ماء . كان يعرف أنني

مغرمة به » .

« ولكن كيف عبر عن اهتمامه الجنسي ؟ »

« أوه ، لا أظن أنه بتبني علي أن أتحدث عن هذا الموضوع ، مع

حالته التي هو فيها » .

« أرجوك ، قد يكون لهذا أهمية خاصة » .

أشعلت سيجارتها الثالثة ، وقالت :

« يا إلهي ، لا بد أنك تظنني لا أحتمل » .

وقهقهت ضاحكة ثم استعادت جديتها وقالت :

« حسناً ، سوف أثيرك ، لقد كان في طفولته ولداً شديد العاطفية

والحنان - وكان دائماً يشتهي القبلات والمناغشات اللطيفة ، وكان دائماً يقول :

« إنها شقيقتي ، ولست شقيقتك » . وقد اعتاد أن يفعل الأشياء ذاتها

حينما كان يأتي لزيارتي - وكنت أقيم ذلك الحين في « ساوثبورت » وكنت

أشغل وظيفة رائعة ككديرة لأحد المقاهي ، وهناك قابلت إرني وجورج . قدمت

له وجبة طعام ، ثم سعد فجلس في شقتي بالطابق العلوي . كان حينما جامعي

في البداية تأمها شارداً البال ، كما لو كان تلميذاً تقدم في العمر عن سائر أقرانه ،

وأنت تعرف كيف يمكن أن يبدو بشعره المجدد ويدها متشابكاً مستقيماً بين

ركبتيه . ولذلك لم أفعل أكثر من أن جلست على مستند الأريكة التي كان يجلس

عليها ، وجريت بأصابعي في شعره وقلت :

« حسناً : كيف حال صبي البرق ؟ » وكان « صبي البرق » شخصية

من الشخصيات الكوميدية الروائية التي كان يقرأ عنها كثيراً . وحينئذ أسند

رأسه إلى صدري وأشارت إلى ثديها الأيمن ) وقال :

إنها شقيقتي ، وليست شقيقتك ، بنفس الطريقة التي كان يقولها بها في الماضي .

وكان يوسعي أن أتخيل آرثر وهو يحاول أن يفرق بين ذراعي بولين المقعنتين بالأمومة ، لكي ينسى أنه لم يعد بعد طفلا ، وأنه قد ارتكب من الأشياء التي لا يمكن حتى لبولين أن تغفرها له أو تجده له ما يبرر فعلها . ثم استأنفت بولين كلامها قائلة :

« حسا ، ثم وضع يده في ججري ، ولم أهتم أنا لذلك ، وبعد برهة ، حاول أن يمس يده تحت ذيل ثوبي وأن يرفعها إلى أعلى . قلت له : « هاي ، هذا يكفي » فقال : « إنما أردت فقط أن أرى إن كنت ما تزالين تحبين السراويل ذات الخوافات المزر كثة » وأنت تعرف أنه كان مهتما على الدوام بالسراويل ، ولذلك فقد قلت له شيئا مثل : « ليس هذا ما يفعله الاخوة بأخواتهم » فقال : « حسا . هذا هو ما كنا نفعله دائما ، أليس كذلك ؟ » حسا ، ولكي اختصر لك الحكاية ، فقد انتهينا بالنوم على الأريكة .. وقال :

« إفعلي كما كنت تفعلين في الماضي يا بولي » . وهكذا فعلت . لقد نظرنا بأننا ما نزال ننام على سرير واحد كما كنا نفعل في الماضي . أنا أعرف أنك لن تصدق هذا ، ولكن المسألة لم يكن فيها الكثير من الجنس بقدر ما كانت نوعا من الختان العاطفي . أو هذا ما كانته بالنسبة لي على أي حال . كانت محاولة بلديتها لكي أعيد إليه ثقته في نفسه ، ولكي أجعله يشعر بأنه أحسن حالا . فقد كان يوسعي أن أرى أن معنوياته كانت هابطة تماما .

أجل كان يوسعي أن أصدق ما قاله لي . فقد كان هذا هو السلوك النموذجي لبولين . كانت تعرف أن معنويات أخيها هابطة ، فبدأ لها أن من حسن التدفق أن تقدم إليه ما لديها دون احساس بالعار أو المعجل . وقد كانت جديرة بأن تمنح جسدها بنفس الطريقة لأي رجل يحتاجه احتياجا حقيقيا . دون أي تعهر أو ابتذال سوقي . سألتها :

« هل كان هذا يحدث كثيرا ؟ »

« اوه . كلا ، لقد حدث مرة أو مرتين ، وهذا كل شيء » .

وكانت آخر مرة حينما أخبرته بأنني أوري أن أتزوج جورج .

« ظننت أنك تزوجت لري ؟ »

« لقد فعلت . ولكنني فضلت في البداية فكرة الزواج من جورج .

« وبذلك فأنك وآرثر لم تمارسا فنس المحارم الحقيقي أبدا ، ليس

بالمعنى الفني الدقيق ، هه ؟ »

« كلا . لم نفعل ذلك أبدا . ولكن لري لم يصدق هذا أبدا . فان تلك

الموسم الصغيرة حين قد وسوست في أذنه ببعض الكلمات » .

\*\*\*

وهكذا حصلت على مفتاح آخر لفهم السنوات الأخيرة من حياة آرثر :

محاولة العودة إلى العلاقات القديمة ، إلى ذلك الأمان الأسمى الذي يتجدد في

ملاطفات ذراعي بولين . ولقد أراد أن يمتلكها - مرة واحدة فحسب . لقد

أراد أن يشعر بأن بولين ملكه هو ، وبأنها قد سمحت له بأن يمارس تلك الحرية

النهائية المطلقة التي سمحت بها للعمم ذلك . ولكنه - أيا ما كانت الأسباب -

لم يحقق ما أرادته عن ذلك أبدا . ولاني بمعرفتي لبولين ، لا أستطيع أن أصدق

أنها كانت سرفس أن تمنحه تلك الفرصة لو عرفت أنها مسألة على هذه الدرجة

من الأهمية بالنسبة له . لقد ذكرت ما قاله لي آرثر عن شعوره في تلك الأيام

الباسكة الأولى من أنه كان الزوج الحقيقي ، وأن العمم ذلك لم يكن سوى العشييق

المغتصب .

وعرفت مرة أخرى بنقطة كاملة أن بولين كانت - بشكل ما - هي

المفتاح الصحيح لفهم حياة آرثر لينجارد كلها . وبما لم تكن هي المفتاح الصحيح

الوحيد ، ومع هذا فإنها أحد المفاتيح البالغة الأهمية . كانت تجسد وترمز إلى

شيء شديد الأهمية بالنسبة لآرثر : الأم الأولى المبدئية التي تعرف كل شيء

والتي سوف تنفر كل شيء .

وجعلني هذا الإدراك أسألها بينما كنا نقرب من بوابة سجن « روز هيل » :

« هل اعترف لك آرثر أبدا أنه قد ارتكب جريمة قتل ؟ »  
بدت عليها الدهشة وقالت :

« كلا . لقد كان أبعد جدا من أن يفعل ذلك . »

هكذا إذن لم يخاطر آرثر بأن يخبرها بكل شيء . ولكنه قد قال « لي » بعد أن عرف أنني لا بد سأرى بولين ، كذلك تسامت فجأة إن كنت قد اندفعت بعيدا عن الهدف المقصود ، أو ما إذا كان ذلك نوعا من الاستبصار الآسافي .  
لقد أخبر بالحقيقة شخصا ربما أوصلها إلى بولين ...

وأبت طيبب السجن حينما خرجت من السيارة . سألته :

« كيف حاله ؟ »

« يبدو أنه يكرر نفس الدائرة القديمة . إنه في حالة قلق داخلي متقبص .  
ولكنها ليست حادة حتى هذه اللحظة . »

لاحظت أن بولين حاولت أن تبدو متماسكة مسيطرة على نفسها وهي تدخل حجرة آرثر . ولكنها كانت متوترة وكانت يدها ترتعد بشدة للدرجة أنها ملوحت سبجارة كانت قد أشعلتها لتوها منذ قليل .

قال الطيبب :

« ما زال لم يأكل حتى الآن . فإذا استمر الحال على هذا مدة أطول  
من هذا . فأظن أننا سنكون مضطرين إلى إطعامه بشكل أو بآخر . »

وكان يعرف أنني لا أوافق على ذلك ، ويوجه خاص في حالة آرثر . إن  
أنيوية تولج عنوة في حلقه قد تذكره بعضو سيمون بانكس أو بعضو هاربي  
تقيات .

كان ما يزال مرتديا قميص المجانين ، وانفذا وقد أولى الباب ظهره . لم  
يتحرك حينما دخلنا الحجرة . دارت بولين حول السرير حتى استطاعت أن  
ترى وجهه . ثم بدت عليها الصدمة . وأدركت السبب . قلت لها :

« لا ينبغي أن نفترض أنه في حالة أسوأ من حالته الحقيقية . إنه يسترد  
قواه بسرعة كبيرة . وأظن أن جسمه يميل إلى أن يعكس حالة عقله وما يدور

فيه بسرعة وشدة أكبر مما يحدث في معظم الحالات المشابهة . » كذلك قلت  
وكنت أفكر في مقدار السرعة التي استرد بها قواه في المرة الأخيرة .

انحنت إلى الأمام إلى جوار سريره وقالت :

« آرثر . هذه أنا ، بولين . »

خرج الطيبب بهدوء . وأدركت أنا السبب . وشعرت بأنني كالدخيل  
المتطفل .

قالت :

« آرثر . هل تعرفني ؟ »

ثم نظرت إلي وقالت :

« أيمكننا أن نخضع عنه هذا القميص ؟ »

« ربما كان في هذا بعض الخطر . »

« ليس خطراً علي . »

كنت أعرف ألا فائدة من مناقشتها . إن شخصا يحتل الأعصاب والعقل  
مثل شقيقها يمكن أن يكون سلبيا في لحظة معينة وعتيفا في اللحظة التالية :

عبرت الحجرة إلى السرير وتعاونت معها في حل الأربطة . وبينما كنت أفعل  
هذا تحبب لي أن آرثر قد رمقني بظفرة سريعة . تراجعت فوقفت في الخلفية

وتركت بولين تقوم بعملها . فإذا « كان بالفعل » قد رمقني بتلك النظرة فقد  
يكون معناها أنه يفضل أن تفعل بولين أربطته . كنت قلقا ، كان وجهه معطى

بالعرق وكان يرتجف مثل جواد أنهكه السباق . ولكن إذا كان قد تعرف  
عليها ، وعرف أنها كانت تعاونه وتمد له يد المساعدة ، فإن هذه تكون خطوة

هامة .

أخذت منشفة مبللة من حوض اغتسال لطيف في الحجرة ومسحت وجهه .  
تحركت لأخرج من مجال رؤيته ، ولكنني ظلمت داخل الحجرة لكي أعاونها

في أية حالة طارئة . جففت وجهه بمنشفة أخرى ثم انحنت فوقه . لم أستطع أن  
أسمع ما كانت تهمس به له ، ولكن كان يوسعي أن أحس ما نقوله - إنها



كلمات مطمئنة تعيد إليه الثقة ، وربما كانت كلمات حب وغزل . تحركت بهلوه نحو الباب وخرجت من الحجره ، نازكا الباب مفتوحا مقدارا عسدة بوصات . كنت أعرف أن يولين امرأة قوية البنية ، وأنها تعرف شيئا عن مصارعة الحدود . فاذا هاجمها آرثر لكان يوسعها أن تدافع عن نفسها حتى أصل إليها .

سمعتها تتحرك في الحجره . نظرت من خلال فرجة الباب ، فرايتها تملأ كوبا بلقاء عند الحوض . ثم عادت إليه . كان جالسا مستنفا إلى الوسادة وشرب الماء ، بينما كانت تقف إلى جواره . وبينما كنت أرقب ما يجري مد يده فلمس ساقيها . كنت قد لاحظت أن لها ساقين جليتين . وكانت ترتدي جوربين شفافين . راقبت يده وهي تتحرك صاعدا على الساق ، تحت الثوب الأسود . ولا شك في المكان الذي وصلت إليه يده . ألقيت نظرة سريعة نحو الباب . ونظر إليه آرثر أيضا . ثم عبرت هي الحجره وأغلقتة . شعرت بالارتياح . فلم أكن استمتع بلعب دور «توم البصاص» .

لم تكن قد مرت أكثر من دقيقتين ، دون أن يصدري أي صوت مسن الحجره ، حينما ظهر مدير السجن ، فرانك هيلسور ، ساترا في الدهليز الطويل . قال :

« أهلا ! ماذا يجري هناك ؟ أكلت شيئا على ما يرام ؟ »

كان صوته مرتفعا يئم دائما عن الابتهاج . قلت :

« شقيقته تزور » .

« أوه ، حسنا » .

اقترب أكثر . وحفض من ارتفاع صوته وقال :

« أرجو ألا يزعجك تدخلتي . ولكن أظن أن عليك أن تبقى الباب مفتوحا . حتى ولو كان مقيدا » .

أدار مقبض الباب ودفعه فانفتح . كانت يولين ما تزال واقفة إلى جوار لسرير . ويجب أن أعترف بأنني كنت أتوقع - بنصف اقتناع - أن أراها

على السرير إلى جوار أحدها . وحينما نظر المدير إلى الداخل . أومأت برأسها نحونا . ورأيت أنه قد صدرت عن آرثر حركة مفاجئة . كما لو كان يخفي شيئا . قالت يولين :

« أظن أنه جائع . ألبس عندكم لين ؟ »

أسرعت إلى الخارج لكي أمر بالطعام . وفي خلال خمس دقائق . كان جالسا ، يأكل بودينج الخبز الذي كانت تطعمه له بالملقعة بيدها . خرجت من الحجره مع المدير . قال :

« حسنا لقد قمت بشيء من المخاطرة بسماحك له بأن يخلع القميص ، ولكنه يبدو في حالة أفضل بالتأكيد . ماذا يحدث له على وجه التحديد ؟ هل تظن أنه سيظل يصاب بهذه الانبهارات العصبية ؟ »

« لا يمكنني أن أقول هذا . أتري ما أعنيه ... إنه يعيش مشكلة تكاد أن تكون دون حل محتمل . هل تذكر قصة كتبها هنري جيمس ، يتحدث فيها عن طفلة تستيقظ في منتصف الليل ، وترى شيئا فتوقظ أمها ؟ ولكن الأم ترتعب رعبا لا يقل عن رعب ابنتها ؟ إنه يكاد يكون في مثل تلك الحالة . فحينما يعود إلى حالة العقل العادية ، يرى شيئا يجعله ينكص إلى حالة الجمود العقلي المتبعض والانزواء داخل نفسه والشئح . هذه هي المشكلة » .

« ألا تظن أنه سيشفى في يوم من الأيام ؟ »

كان هذا السؤال من نوع الأسئلة التي لا يمكنني الاجابة عنها . بل إنني لم أفكر فيه من قبل أبدا . ولكنني فكرت فيه في تلك اللحظة . وإن كنت قد بقيت عاجزا عن رؤية الاجابة . قلت :

« من المحتمل ألا يشفى » .

« إذن ألا تظن أنه قد يكون الأفضل له أن ينتقل إلى سجن مصحة » بردمور ؟ « إنني أهمهم مشاكلك - فأنت قد تفضل الاحتفاظ به هنا . ولكنه يثير انزعاج المساجين الآخرين . وأنت تعرف ما يعني هذا » ...

كنت أعرف ما يقصده . كان من المؤسف أن نعرض للخطر نجاح سجن

« روز هیل » الذي كان ما يزال في مرحلة الاختيار بعد تأسيسه ، من أجل مسجون واحد تحمل الأعصاب والعقل ، ولو أن سليور عرف ما عزمته أنا ، لا اتصل بالمشرف الطبي الأعلى في مصحة برودمور خلال خمس دقائق .

قلت :

« إذا لم يتحسن خلال العد أو اليوم التالي ، فأعد بأنني سأخذ الاجراءات اللازمة لذلك » .

« إنه على أي حال يمكن أن ينقل إلى سجن « رامبتون » ، وهو لا يبعد عن هنا أكثر من نصف يوم بالسيارة ، أو ساعتين بالقطار . فيمكنك بذلك أن تستمر في رؤيته بانتظام » .

خرجت بولين من الحجرة ، وقالت :

« أظن أنني يجب أن أنصرف الآن » .

نظرت إلى الحجرة . كان لينجارد غارقاً في النوم ، واقداً على جنبه ، وقد اتخذ جسمه وضع الجنين في رحم أمه . وطلت أنني لمحت في نفسه نوعاً من التوتر ، ولكنه بصرف النظر عن ذلك ، كان نومه يبدو طبيعياً وهادئاً .

قلت لمدير أن يعيدوه إلى التقيص إذا بدت عليه أية علامات للتهدج غير العادي . ثم غادرنا السجن أنا وبولين .

وبينما كنا نغمر يوابات السجن بالسيارة قالت :

« الشيطان المسكين » وكان صوتها مليئاً بالتعاطف . قلت :

« ماذا تظنين ؟ »

« إنه في حالة سيئة ، أليس كذلك ، أتخني لو أعرف ما يأكله مس الداخل ؟ »

« ألا تعرفين ؟ »

« كلا . أتعرف أنت ؟ »

« لذي فكرة ما . سأحاول أن أشرحها لك فيما بعد » .

وافقت بولين على البقاء لدينا هذه الليلة . ولكن زوجتي لم تكن شديدة

السعادة بهذه الفكرة . فقد جعلتها الأشياء التي قلناها لها عن بولين تشعر بأنفسها المرأة القرمزية في روثا يوحنا . ولكن كان من الاسراف في التفاوض أن تتوقع من بولين أن تسافر عائداً إلى ستوكبورت في نفس اليوم ، وكنت أريدها أن تكون قريبة مني ، في حالة إذا ما طلب آرثر أن يراها مرة أخرى .

وبينما كنا في السيارة عائدين إلى هارتل بول ، قالت :

« أتمسح بأن تتوقف قليلاً عند محل ماركس وسينسر ؟ »

« لا بأس . ولكنه خلف المبنى من الناحية الأخرى . سيكون علينا أن

ندور من الاتجاه الآخر » .

« إذن ، لا بأس . هذا المحل يكفي . أيمكنك أن تتوقف هنا ؟ »

راقبتها في فضول وهي تدخل قسم الملابس النسائية في أحد المحلات . وبعد

خمس دقائق خرجت وهي تحمل حقيبة ورقية صغيرة . قلت :

« اعتذر عن سؤالي ، ولكن ماذا ... ؟ »

فتحت الحقيبة وأخرجت منها سروالاً داخلياً نسائياً أسود اللون من النايلون .

وقالت :

« هل تسمح لي ؟ »

ووضعت السروال في قدميها ثم جذبه إلى أعلى وهي تنفوس بحسدها في

مقعد السيارة ، أما أنا فتبت عيني بقوة على الطريق . وهي تقول :

« أشعر بأنني غير مستريحة وأنا دون سروال » .

« إذن فإن هذا ما كان آرثر يخفه ؟ »

« أجل .. »

« أتمسح بأن تخبريني بما حدث ؟ »

« حسناً ، لقد وضع يده على ساق ، ولذلك أغلقت الباب . وحينما عدت

إليه نهض جالساً في فراشه وجذب السروال إلى أسفل ، وأرادني أن أرقد إلى

جوارده في السرير ، ولكنني هزرت رأسي وأشرت إلى الباب . ثم سمعنا بعض

الأصوات من الخارج . ولذلك جذب السروال بسرعة من على الأرض ووقف في مكانه .

« وهل قام .... ألم يحدث أي شيء بعد أن خلع سروالك ؟ »

« لم يحدث إلا الشيء المعتاد - لقد دس يدي بين سائلي لكي يتحسس قليلا ... »

لم أزد كلمة واحدة وأنا أقود السيارة عائدا إلى البيت . ووجدت نفسي أتساءل مجددا إذا كان من المقيد من وجهة النظر العلاجية أن أحاول اقتناس بولين بأن تقضي ليلة مع شقيقها أو نصف ساعة على الأقل أو نحوها . هذا مستحيل ، بالطبع ، وغير أخلاقي على الإطلاق .

ومقت زوجتي بولين بنظرة وبدت كما لو كانت على وشك الانفجار في أبة لحظة . ولكن بولين نعمت بأفضل ما تعرفه عن سلوك السيدات المهذبات وقالت :

« كيف حالك يا مسز كاهن ؟ يا له من منزل جميل . إنك محفوظة حقا . ومثلما توقع تماما ، فقد أصبحتا تصرفان معا كما لو كانتا زميلتين قديمتين في المدرسة في خلال عشر دقائق ، وظللت أتوقع أن تضع كل منهما ذراعيها حول خصص الأخرى كما تفعل التلميذات الصغيرات . »

ناداني ولدي قائلا :

« أبي ، إن المنشئ كورنوك يطلبك . »

تناولت ساعة التليفون ، وقال صوت كورنوك :

« أهلا يا دكتور ، آسف لأزعجك عصر السبت . فقد تسلمت الآن فقط نسخة ذلك الشيء الذي كتبه لينجارد . »

وكتبت قد أرسلت نسخة بالكرتون من « القصيدة » وقلت :

« مار أريك ؟ »

« هل توجد النسخة الأصلية بجوارك ، أم تذهب فنأتي بها ؟ »

« أجل - إنها هنا في هذه الحجرة . »

« أيمكنك أن تأتي بها ، إن هذه المحطولة تفرك في أحد سطورها : « صعودا من اللبحة إلى المرح . ومن المرح إلى جانيفير ، حل أقرأها « جانيفير » أم « جينيفير ؟ »

نظرت إلى الأوراق التي ألصقت أجزاءها بلاصق شفاف قوي . وقلت :

« يمكن أن تتلحق بالطريقتين ، ولكن الحرف يبدو في نظري كما لو كان « ألفا » فننطق جانيفير . »

« وهذا شيء هام . وهو اسم غريب على كل حال . والرقيب التابع لي هنا يقول إنه يتذكر جريمة قتل فتاة تدعى جانيفير تاس وقعت في عام ١٩٥٩ . »

« أين ؟ »

« لقد اخضت في بلدة « أناسديل » - وهي بالقرب من مدينة ساوشبورت . ومن الواضح أنهم عثروا على جسدتها بعد ذلك بضعة أيام في بلدة « أورمسكيرك » على بعد عشرة أميال . »

جلست على أقرب مقعد إلي ، وقد شعرت فجأة كما لو كان ساقي قد فقدنا كل قوتها .

سألته :

« ألا تعرف أي مزيد من التفاصيل ؟ »

« ليست هناك تفاصيل كثيرة . سأراجع الوثائق بالطبع . يقول الرقيب إنها اخضت في أثناء عودتها من زيارة جدتها . »

« أليست لديه أية فكرة عن الشهر الذي وقعت فيه الحادثة ؟ »

« كلا ، ولكن الوقت كان في منتصف الصيف . »

« لأن لينجارد كان في السجن منذ يونيو حتى نوفمبر من ذلك العام . »

« سأكتشف المسألة ثم أتصل بك ثانية . كيف حاله الآن ؟ أيمكن أن يكون في حالة تسمح له بالقدره على الاجابة على بعض الأسئلة ؟ »

أليس في اللحظة الراهنة إنه لم يتكلم مطلقاً منذ حاجته توبة منذ يومين ؟

حينما وضعت الساعة في مكانها أسرعت فأعددت لنفسي كأساً مسن لويسكي فشربتها على الفور في جرعة واحدة . وقتت ورحت أحرق إلى الخارج من النافذة . كانت زوجتي مع بولين تحميمان الثاني في الشرفة المطلة على الحديقة . وكان ولدي يجرب بعض أوضاع « البهلوانية » فوق سباط هيبك ، وكانت ابنتي تعبت بآلة الخيثار الخاصة بها في الكوخ الصغير بين شجيرات التفاح . وشعرت كما لو كان شخص ما قد ضربني على رأسي بكيس مسن الرمل . نظرت إلى الورقة مرة ثانية . جانيفير . كان الحرف « الف » بالتأكيد . كيف أمكن أن يكون أبه بهذا الشكل ؟ لسبب ما لم يطرأ على ذهني أبداً احتمال أن يكون لينجارد قد ارتكب مزيداً من جرائم القتل أكثر من تلك التي عرفت فصصها . ووجدتني في تلك اللحظة أحرق في الأسماء الأخرى الواردة في « القصيدة » : « زو وسارة وجوي وجانيفير » . من المذمعة إلى الفرح . وكانت إحداهن تلميذة صغيرة قتلت بالقرب من ساوثبورت - حيث كانت بولين قد التحقت بعمل ما في عام ١٩٥٩ كما أخبرتني هي منذ قليل . كان آرثر لينجارد قاتلاً جنسياً . لقد تلاهقت الأمور وأخذ بعضها برقاب بعض ؛ فيبشيرة السراويل الداخلية . جرائم الاغتصاب ، اغتصاب إيفلين ماركييز وقتلها . كانت الجريمة والحسن ممتزجين امتزاجاً لا انفصام له في عقله . ولم يكن ثمة الآن طريق للخلاص . طرأت على ذهني فكرة عجيبة سخيفة . ففند بضعة أسابيع ووجدت لينجارد يرسم واحداً من تلك الألفاظ الطفولية التي يظهر فيها مترلان متصبان في حديقة كل منهما الخلفية . وكانت المشكلة هي رسم مت طرف بينهما بحيث لا يتقاطع أي طريق منها مع أي طريق آخر . وأعضيت خمس دقائق أمام التلفزيون أتمعت نفسي بأنه من المستحيل الوصول إلى الحل المطلوب . كان الرقم الأقصى الممكن هو خمس طرق . ولكن آرثر لينجارد كان يعمل في حل الفلز طوال ساعات كثيرة . وحينما عدت في اليوم التالي كان قد رسم

عدداً كبيراً من النسخ لغير ، ملفياً كل رسم بعيداً بعد أن يتحول إلى شبكة مختلطة من الخطوط التي لا يمكن التمييز بينها . في تلك اللحظة طرأت لي فكرة أن هذا العمل يثبت عجزه عن التكبير الاستدلالي المقبول الواضح . ولكنني رأيت ذلك العمل الآن باعتباره دليلاً على التصمم الجنوني على حل مشكلة لا حل لها . كان بحاجة إلى الاعتراف لكي يحافظ على عقله . ولكنه كان يعرف أنه إذا اعترف فقد يكون معنى هذا هو أن يفضي حياته بأسرها في سجن برودمور . ولكن السؤال الوحيد الذي ظل دون اجابة كان : ما الذي سب الأسيار الأصلي ؟

جلست في مكاني دائماً . لم أستطع أن أدفع نفسي إلى الخروج ومواجهة بولين . ذلك أن السب - رغم أنه قد يكون التصريح بملك غريباً - هو أن الرابطة التي تربطني بها هي أننا كلنا كنا معمرين بآرثر . إن قاريء هذا التقرير قد يجد أنه من المستحيل أن يصدق أن آرثر يمكن أن يثير في المرء أي شيء باستثناء الرقص . ولكن رقص تصديق هذا إنما يعني تجاهل حقيقة أن وظيفة الطبيب النفسي هي أن يفهم لا أن يدين . كنت قد طورت في داخلي اعتماداً كاملاً إحساسي نحوه بالشعور بالرغبة في حمايته . وهو الشعور الذي يحمله الوالد لطفله . لقد فكرت في أنني قد وصلت إلى ادراك كيف أصبح على ما صار إليه . ولكنني كنت مضطراً الآن إلى الاعتراف بأنني كنت أتجاهل النقطة الحيوية في حياته . وفي هذه اللحظة أهار وتلاشي المشروع الذي شغل كسل أفكاري طوال شهرين كاملين . لم يعد هناك أي مظنة لاحتمال علاجه . علاجه من أجل ماذا ؟ من أجل أن يفضي حياته بأسرها وراء القضبان ؟ لقد كان هو يدرك المشكلة ؛ إن الاعتراف الكامل يمكن أن يكون مساوياً للانتحار . وقد اختار هو الانتحار بمعنى من المعاني . ولقد أدركت الآن لماذا وضع لقبصيدة عنوان « مذكرات من أجل جنازتي » .

دخلت ابنتي إلى الحجرة . قلت له إن أحد مرضاي قد طلب مني أن أزوره وأني سوف أعود بعد ساعة . ولكنني كنت أريد فرصة للتفكير . ذهبت إلى

متنزه البلدة وجلست على إحدى الأرائك الخشبية في حرارة شمس أغسطس .  
أعدت قراءة « القصيدة » التي عشرة مرة . وأثار السطر الأخير منها إحدى  
ذكرياتي : « التوقيع جول جونجك جيمس هي هي هي » . وعادت إليّ  
الذكرى . من المؤكد أن أحد خطابات « جاك الخناق » في رواية سددام  
نوسود كان يحتوي على عبارة مشابهة ، تقول شيئا مثل : « يا رئيسي العجوز  
العزير ، سوف تسمع غسدا المزيد من أعمال جوللي جاك ... » . وهل كان  
هو نفس الخطاب الذي كانت فيه عبارة تقول شيئا مثل : « سوف أملك أذني  
السيدة ، هاهاها ... » وعبارة أخرى تقول : « عرفت رجلا يدعى جاك »  
وهي السطر الأول من « القصيدة » الذي يقول : « جاك جون جيمس ، جول »  
لماذا كل هذا الحديث عن السكاكين ؟ هل قتل بعض الفتيات المذكورات  
فعلا بالسكاكين ؟ أم أنها كانت مجرد إشارة أخرى إلى جاك الخناق ؟ لقد  
قال : « أعط سكين لبوللي ، وسوف تعرف هي ما تفعل به » وذكرني هذا  
السطر بصرخته عن هاري تيات : « لا تجعله يفرس هذا في ... » السكاكين  
وأعضاء التذكير - لقد تطابقتا بشكل ما في ذهنه . سلمه لبولين : إنه دافع  
ملح لا يبدأ يدفعه إلى الاغتصاب ، أن يقتصب كل فتاة جذابة في العالم ، فبدعها  
« تخفيه » في داخلها ...

حينما وقفت مرة أخرى كانت كل شكوكي قد اختفت . رأيت بوضوح  
أنه لم يكن أمامي مجال للاختيار . فإذا كان آرثر ليتجارد قاتلا جنسيا ارتكب  
الكثير من جرائم القتل ، فإن المسألة لا تعود من اختصاصي ، إنها من اختصاص  
الشرطة . كانت مهمتي الأولى الآن هي أن أكتشف إن كان هو قاتل جانيفير  
تاس أم أنه ليس قاتلها ، وإذا كان من الممكن التعرف على الأسماء الأخرى في  
« القصيدة » .

وحصلت على اجابة السؤال الأول في خلال ساعة . فحينما عدت إلى  
البيت كانت هناك رسالة من كورنوك يطلب إليّ فيها أن أتصل به هاتفيا .

كانت لديه تفصيلات ، مثل جانيفير تاس .

وتقول الملاحظات التي كتبها تقلا عما أملاه عليّ بالهاتف ، تقول ما يلي :

٢٨ يونيو ١٩٥٩ . جانيفير تاس . العمر أربعة عشر عاما ونصف .  
غادرت بيتها في الساعة الحامسة والنصف مساء لكي تناول الشاي مع جدتها ،  
التي تقطن في كوخ على بعد ميل واحد . وغادرت منزل جدتها في الساعة  
السابعة وخمسة وأربعين دقيقة ، ثم ركبت دراجتها عائدة في اتجاه البيت .  
وكان طريقها يجعلها تسير على طول حافة ملعب للجولف . وفي نحو الساعة  
الثانية ظن رجل في الجوار أنه سمع صرخة ولكنه افترض أن بعض المراهقين  
يلعبون في المنطقة . وفي العاشرة والنصف جاء شقيق الفتاة ليسأل عنها في  
منزل جدتها فقبل له إنها غادرت المنزل في موعدها . وفي طريق عودته إلى  
البيت عثر على دراجتها ملقاة في حفرة بالقرب من ملعب الجولف ، وقد  
الثنت العجلة الأمامية اثناء خفيفة . وعلى المشي عند حافة الملعب القريبة  
كانت هناك علامات اطارات سيارة . وقد عثر أيضا على فردة واحدة من  
حذاءها بالقرب من الدراجة . ولم يسمع عنها شيء آخر حتى تم العثور على  
جثتها في صباح اليوم الأول من شهر يوليو رافدة في حفرة بالقرب من  
« أورمز كيرك » . وكانت الحثة مرتدية ملابسها الكاملة ، رافدة على ظهرها ،  
وذراعها ممدودتان إلى جنبها ، والساقان مضمومتان . وحينما تم فحص الحثة ،  
تبين أنها لم تكن ترندي سوى الجوارب القصيرة وسترتها المدرسية الزرقاء ،  
وزيها المدرسي الأزرق الشبه بزّي البحرية ، أما الجوارب الطويلة ، وقميصها  
الداخلي المصنوع من النايلون وسروالها ، فكانت كلها مفقودة . وقرر تقرير  
الطبيب الشرعي إنها قد تعرضت لعدد كبير من الهجمات الجنسية ، إذ وجد  
آثار السائل المنوي في عضوها التناسلي ، وفي شرجها ، وفمها ، وكان رأسها  
مكدوماً كدمة كبيرة ، وقد ماتت خنقا . وكانت مينة منذ نحو يومين . ولم  
يبلغ أحد عن رؤية أي شخص غريب في منطقة ملعب الجولف ليلة اختناقها ،  
ولم يلق القبض على أي شخص ، وعن طريق الصدفة أسفر الكشف الطبي عن

اكتشاف أنها لم تكن عذراء منذ وقت طويل جدا .

وأبلغني كورنوك أيضا أنه قد راجع سجل السجن الخاص بآرثر . كان قد قبض عليه أثناء محاولته الهجوم على محل لبيع أجهزة الراديو في اليوم الثاني من شهر يوليو ، وحكم عليه بالسجن لمدة ستة شهور . ثم خرج من السجن في أواخر نوفمبر .

وقال كورنوك : « وأظن أنه من الأفضل أن آتي إليك لأحدث معك يوم الاثنين » .

وقد شعرت بالارتياح لأنه منحتني يوما واحدا أتفلس فيه الصعداء . دخلت بولين إلى الحجرة بينما كنت جالسا أقرأ ما كنت قد كتبه لتوني وأعيد قراءته .

سألتها :

« بإمكانك أن تتذكري أين كان آرثر يعيش قبل أن يدخل السجن في عام ١٩٥٩ ؟ »

« أجل ، كان يعيش في بريستون . »

« وهل كان يعمل ؟ »

« أجل ، كان قد حصل على وظيفة في محل لاسلح أجهزة التليفزيون . »

« أليست لديك أية فكرة عن عنوانه في بريستون ؟ »

« ربما كان مكتوبا في كراسة العناوين الخاصة بي . »

وعضرت على كراسة العناوين الصغيرة ذات الغلاف الجلدي في حقيبتي يدها . وبدا لي أن آرثر كانت له عناوين متعددة في مانشستر ، ولينز ، وجلاسجو ، ولندن ، وبريستون ، وكلها كانت بولين قد شطبها عليها . وكان عنوانه في بريستون هو ١٤ ، هينرجروف ، والتون في دبل .

قالت :

« لقد ذهبت إلى هناك مرة واحدة . كان يقطن هناك مع شخصين ، ولا أستطيع أن أذكر اسميهما . وأظن أنه كان قد قابلهما في السجن . »

« أي نوع من المساكن كان ذلك المسكن ؟ أكان هاديا ؟ أكانت هناك مالكة المسكن ؟ »

« كلا ، كان الشخصان هما مالكي المنزل ، وكان لآرثر شي . مثل كوخ العطلات في الحديقة . وقد قال لي إنه أحب هذا المكان لأنه هادي جدا . لماذا ؟ ما هو الموضوع كله ؟ »

وقدرت أنه لا فائدة من مواصلة الترام الصمت . أطلعتها على « القعيدة » وأخبرتها بما قاله لي كورنوك . وقد دهشت وصدمت بقدر ما دهشت أنسا وصدمت . وكان أول رد فعل لما أن قالت :

« أوه لا ! ربما كان ولدا شقيا نوعا ما ، ولكنه لا يمكن أن يفعل شيئا كهذا . »

« وأنت وافقة تماما من ذلك ؟ لقد قلت لي إنك ظننت أنه قتل ذلك المزارع العجوز عامدا . »

« أجل ، ولكن هذا شي . مختلف ، أعني أنه ما كان ليقتل فتاة من أجل الجنس . »

قلت :

« أخشى أنك على خطأ . فقد كان هذا بالتحديد ما فعله . وأخبرتها بفضية إيفلين ماركيز . ولم يكن هناك سوى شي . واحد حدثت من القصة : هو أن الفتاة المقتولة كانت شديدة الشبه بها . »

ظلت تردد : « لا يمكنني أن أصدق هذا . إنه شخص من نوع رقيق جدا . إنني فقط لا أستطيع أن أصدق أنه قادر على ذلك . »

فكرت في شقيقة « خناق بوسطون » التي قالت نفس الشيء . عن شقيقتها . وأدرت السبب في عجز بولين عن التصديق . ولكن مع الحقائق التي أعرفها الآن ، كان من المستحيل أن يكون ثمة شك في أن آرثر قتل جانيفير تاس . لقد وقعت هذه الحادثة ذات يوم سبت . ربما كان قد ذهب إلى ساوثبورت لكي يرى بولين . وكانت هذه هي الفترة المحطية التي سبق أن وصفتها لي :

كان غاضبا ويشعر بالغيرة . وإذا كان يقود سيارته في الطريق الريفي الهادئ ،  
 ورأى الفتاة على دراجتها في طريق عودتها . لقد بدأ بأن تجاوزها بالسيارة ، ثم  
 انزعج نحوها عمدا فطرحها في الحفرة الجانبية . وربما كان قد ضرب رأسها  
 بحجر التقطه من الحفرة . والأكثر احتمالا - إذا كانت قد صرخت - فإن  
 آرثر قد قفز خارجا من السيارة وعمرها على وجهتها بشيء ثقيل . ثم جر الفتاة  
 الفاقدة الوعي إلى المخزن الخلفي للسيارة ثم قاد السيارة إلى بريستون . وربما كان  
 قد ختمها هناك ، ثم أخذها إلى كوخه ، فيما بعد ذلك المساء ، حيث احتفظ  
 بها لمدة أربع وعشرين ساعة ، وربما لمدة أطول ، لكي ينفذ خيالاته المريضة مع  
 جسدها . وبعد ذلك ، وبما عرف عنه من حذر ، ألبسها ثيابا بعناية ، ووضعها  
 في مخزن السيارة . لماذا ؟ لأن جسدا عاريا أجبر بأن يجذب الانتباه من جسده  
 يرتدي كل ثيابه إذا تصادف ونظر أحدهم في مخزن السيارة . وفي ليلة يوم  
 الاثنين أخذها وعاد بالسيارة إلى نقطة تبعد عشرة أميال عن النقطة التي كان قد  
 عثر عليها أول مرة - وذلك حتى يمكن افتراض أنها كانت موجودة في المنطقة  
 منذ اختفائها - وأخرجها وأرقدتها بعناية في الحفرة التي عثر على الجثة فيها ،  
 وقد قارب بين عينيها ، وجعل ذراعها ممدودتين إلى جنبها ....

وقد حدث بينما كنت أفكر في قصة الجريمة كاملة - لكي أعيد بنائها في  
 خيالي - أن تملكني فجأة كل ما فيها من رعب . لم تكن هذه حالة جريمة قتل  
 اضطرابية يرتكبها صاحبها في فورة الغضب . لقد أراد التلميذة الصغيرة رابطة  
 اللزجة . فقام بعمل عمدي قائم على الاختيار . كان يوسعه أن يقود سيارته  
 فيجاوزها ، وبدلا من هذا انحرف نحوها فصلعها وأسقطها . كان يوسعه أن  
 يختصمها في مؤخرة الملعب ، أو في المقعد الخلفي ، ثم يلقى بها خارجا : فاقدة  
 الوعي ، في مكان آخر . بل إنه كان يستطيع أن يضع غطاء على عينيها  
 ويحتفظ بها مقيدة بينما يختصمها دون أن تعرف وجهه . ولكنه اطرح كل هذه  
 البدائل وقتلها . ولأول مرة منذ بدأت أنعامل مع آرثر لينجارد أحس بوجود  
 نوع متعمد من الشر اختاره آرثر وأثره .

وكان رد فعل بولين صحيا ومستقيما بقدر ما كان علي أن أتوقع . فقد  
 قالت :

« إذا كان قد فعل تلك الأعمال ، فإنه ليس شخصا طيبا ولا فائدا  
 منه .. إنه لا يستحق أن يحيا فحسب » .

وحيثما قالت هذا ، أدركت على حين فجأة سبب انهيار آرثر . لقد كانت  
 طفولته شقية . ومع هذا فإن الشفاء لا يستطيع حقا أن يؤثر في شخص مشغل  
 آرثر ، لسببين : لقد كان يمتلك خياله الخاص ، وقد كانت لديه نساء بين  
 أقاربه . ثم كانت هناك في حياته تلك اللحظات من الهامة والدفء المطلقين  
 والاحساس الكامل بالأمان ، حينما كان العالم كله يصيح حلوا ، وحيثما  
 كان يشعر بأنه غارق بين ذراعي أم أبدية من نوع ما . وقد كان هذا الإحساس  
 الأساسي بالأمان هو ما منحه الثقة اللازمة لمواجهة العالم وحيدا بمفرده باعتباره  
 « المجرم الأستاذ » أو « أستاذ الجريمة » .

ولكن قتل جاينيفر تاس لم تكن الجريمة التي يمكن أن يرتكبها « أستاذ  
 الجريمة » وإنما كانت جريمة تعلب بشري لا يفكر إلا في اشباع شهوته وارضائه  
 ورغباته . ولو أن الدليل لم يبدُ لي يمثل هذا الوضوح ، فربما قلت إن هذه الجريمة  
 كانت بالتحديد من النوع الذي لا يمكن أن يرتكبه آرثر . إنها لم تكن من نوع  
 الجريمة التي يمكن أن نفصح من حجمها وأن نزيد من أبعادها عن طريق الخيال  
 حتى تصبح نوعا من الاحتجاج الرومانتيكي ضد المجتمع . وإنما كانت جريمة  
 رجل لم يعد يتمتع بالثقة بالنفس التي يمكن أن تمنحها أحلام اليقظة الرومانتيكية  
 الثرية : الذي يفعل شيئا يعرف أنه لا يمكن تبريره في عيون بني جلدته مسن  
 البشر .

فما الذي حدث إذن لكي يحول الحلم الرومانتيكي ، سيد كوكب المريخ ،  
 إلى وحش صياني شرير ؟

لأنني أملك اجابتي على ذلك السؤال . وقد أمتني بولين تلك الاجابة في  
 لحظة مبكرة من ذلك اليوم . لقد نصب المعين الذي كان يمهده بالكبرياء والثقة

بالنفس حينما هجرته نساؤه . لقد وقعت جريمة قتل جانيفير ناس حينما كان يتشاجر مع بولين حول مشروع زواجها المقترح ، ووقعت جريمة قتل إيفلين ماركيز بعد بضعة أسابيع من زواجها . وقد هجرته آجي لكي تعيش مع مهندس شاب محترم . وبعد ذلك ببضعة شهور قام بأول محاولة للاغتصاب مع القتل - مع الفتاة ذات الاثني عشر عاما - إيريس . كانت الدورة ، وشكلها ، واضحين تماما . كان آرثر لينجارد يأخذ بثأره من النساء . ولم يكن يظله هوى نفسه بظله القديم ، البروفسور موربارتي ، وإنما أصبح يظله هو المخائل الحيوان ، شبه الأمي ، أو شبه المتعلم « جاك الخناق » .

\*\*\*

في ذلك المساء ، وبمعمونة بولين ، عقدت العزم على أن أكذب قائمة بكل التواريخ الهامة في حياة آرثر . وهي كالتالي :

ولد في ١٢ نوفمبر عام ١٩٣٧ .

الأم قتلت في شهر أبريل عام ١٩٤١ ، وقتل الأب في أوائل عام ١٩٤٢ . نقل - أثناء عملية الجلاء عن لندن - إلى وورينجتون في شهر سبتمبر عام ١٩٤١ .

يبدأ سلوكه الذي تغلب عليه بوجه عام صفة التمرد في عام ١٩٤٥ ، حينما كان في السابعة من عمره . وكان هذا هو نفس العام الذي أصبحت فيه بولين عشيقته لديك لينجارد . رغم أن آرثر لم يكتشف هذا إلا في شهر ديسمبر عام ١٩٤٩ . وأنا أعتقد أنه أحس بهذا الوضع بشكل ما .

ماتت ماجي في شهر أكتوبر عام ١٩٤٩ ، ووقعت أول حادثة سطو لآرثر بعد هذا في شهر نوفمبر .

كانت أول فترة قضاها تحت المراقبة في عام ١٩٥١ ، تبعها الحكم الذي صدر بالتحفظ عليه في مدرسة إير لستاو الاصلاحية ، وهي الفترة التي لم يقض منها إلا ستة شهور ، ثم عاد إلى شارع بينكيث في شهر فبراير عام ١٩٥٢ . وقبض على ديك لينجارد في شهر مارس عام ١٩٥٢ ثم أفرج عنه في نوفمبر عام

١٩٥٤ . واستمرت علاقة آرثر بأيفلين جرور من شهر مايو عام ١٩٥٢ حتى شهر يناير عام ١٩٥٣ . (أما اغواء آجي فقد حدث في حوالي شهر أغسطس عام ١٩٥٠) .

وقعت جريمة قتل سايمون بانكس في ٢٨ ديسمبر عام ١٩٥٢ . وبتبعها جريمة قتل داجرتييات في شهر مارس عام ١٩٥٣ .

ويبدو أن الهيارات آرثر العصبية بدأت منذ تلك الفترة . وقابلت آجي زوجها في المستقبل حوالي شهر مايو عام ١٩٥٣ ، ثم « هربت » معه في شهر نوفمبر . أما جريمة الاغتصاب اللتان ذكرهما آرثر لي فقد وقعتا في وقت ما في خلال الخريف أو الشتاء ، ووقعت محاولة اغتصاب وقتل لاريس فرانكلين بعد حوالي شهر من « هروب » آجي في ديسمبر عام ١٩٥٣ .

ولم يصبح التاريخ أكثر صعوبة إلا بعد هذا . كان آرثر قد مكث في شارع بينكيث حتى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٤ . أي حتى قبل خروج ديك لينجارد من السجن بفترة قصيرة . وقد ارتكبت عمليتي سطو آخرين في عام ١٩٥٤ - أو على الأقل ، في اعترافه باحدهما - وهي الثانية - طلب أن نوضح في الاعتبار حادثة أخرى . وأفلد بأنه إذا ما ألقى القبض عليه ثانية فانه سوف يودع السجن . وكانت بولين تحمل انطباعا بأنه قد رحل إلى اسكتلندا حينما غادر منزل شارع بينكيث ، ولكن أول عنوان له : كتبه في كراسة العناوين الخاصة بها ، كان بالقرب من ميدان « كلافام كومون » في لندن ، وهي تظن أن هذا كان في أوائل عام ١٩٥٥ . وكانت هي تظن « بلاك بول » في ذلك الوقت ، وتعمل كضيفة في ناد ليبي ، وتعيش عدة علاقات مع رجال مختلفين . وقد كتب آرثر إليها هناك - ولا تستطيع بولين أن تتذكر كيف حصل على عنوانها . وفي شهر سبتمبر عام ١٩٥٣ كتب إليها من منطقة « وورم وود سكاريز » ، وقد قبض عليه أثناء محاولته السطو على منزل في بلدة «موزويل هيل» وعندما أفرج عنه من السجن في شهر فبراير عام ١٩٥٦ كتب إلى بولين مرة



لالية - وكان عنوان هذه المرة في مدينة بوتي . وقد حدث خلال الفترة التي قضتها في السجن أن أعاد علاقته بأخي ، التي كانت قد كتبت له حينما أخبرها بولن بأنه يواجه التشاكل وأنه تورط في المشكلة التي ذهبت به إلى السجن . وكانت آجي قد تزوجت منذ أغسطس السابق . وكانت تقطن الآن في بلدة مونون مونتيليريا ، ومن الواضح أنه قد زار آجي هناك عدة مرات بين خروجه من السجن وإلقاء القبض عليه مرة أخرى بسبب عملية النصب المتصلة بألة الغسيل .

وبعد ذلك ، يعود العموض مرة أخرى فيكمسو التاريخ . وتكفي الفترة التي حكم عليه بالسجن فيها بسبب حادثة النصب في سجن بريستون . وفي فترة باكروه من العام التالي انتقل عائداً إلى الشمال ، فذهب هذه المرة إلى مدينة « دونكاستر » حيث كان عنوان موقع مزرعة « غيري كارافان » بالقرب من قاعدة « آرمور » . وحيث استطاعت بولن أن تذكر بشكل غامض أنه عاد إلى العمل في اصلاح أجهزة التلغرافيون . ثم انتقل من دونكاستر في شهر ديسمبر عام ١٩٥٧ . ولم تسمع عنه بولن شيئاً ولم تره حتى وقت ما في عام ١٩٥٨ حيث وحدث خطأ بامنه يتطرها في منزل شارع بينكث . وفي أثناء ذلك كانت هي قد انتقلت إلى ساوثبورث وكانت تلتقي كثيراً بالرجل الذي تزوجته فيما بعد . وقد أخبرها آرثر في هذا الخطاب بأنه قد فتح في حياته صفحة جديدة . وأنه يأمل في أن يجمع ثروة كبيرة بالشروع في عمل يمكن أن يجعله يبيع كبات كثيرة من الحماصات التركية القابلة للحمل . وجاء لزيارتها في ساوثبورث للمرة الأولى في عيد الميلاد عام ١٩٥٨ . وهي ظنن أنه كان يسكن في مدينة ليفربول في ذلك الوقت . ولكن في فترة « ياكرو » من عام ١٩٥٩ ، انتقل إلى عنوان في بريستون . وعمل في مؤسسة تدعى « فيو - هابر » لها فروع في بلاكبول وساوثبورث ولانكستر . وهذا يعني أنه كان يغطي كل شمال مقاطعة لانكشاير بيسارته .

وقعت جريمة قتل جانيغير ثامن في شهر يونيو من عام ١٩٥٩ . وبعد ذلك بوقت قصير جداً ، كان آرثر يقضي مدة أخرى حكم عليه بالسجن فيها

بسبب حادث سرقة صغير . وتزوجت بولن في شهر يناير من عام ١٩٦٠ . ووقعت جريمة قتل إيفلين مار كير بعد ذلك بثلاثة أسابيع . وبعد ذلك أصبح من الواضح أن آرثر قد فصل مقاطعة بوركشاير على مقاطعة لانكشاير . كان غاضبا بسبب زواج بولن . ولم يبذل أية محاولة للاتصال بها قبل شهر مارس عام ١٩٦٢ . حينما تقابلا بالصدفة في بلدة سالفورد حيث كانت تقطن في ذلك الحين .

وقد حدث في شهر يونيو من عام ١٩٦٢ أن بدأت بولن تترتاب في أن آرثر قد أصبح « شاذاً » . كان قد زارها عدة مرات في سالفورد - رغم أنه لم يكن قد راق لزوجها وأن الزوج كان يريد لها أن تنفصل عنها به - وكان آرثر يتحدث دائماً بعموض وبشيء من التوسع في الكلام عن مشاريعه المستقبل لكي يجمع ثروة كبيرة . وفي عصر اليوم الثامن والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٦٢ ، وصل في حالة نفسية غريبة ، والطبع في ذهن بولن أنه كان يشرب الخمر ويتعاطى المخدرات . وتحدثت عن مشروع لافتتاح نادٍ ليلي للشواذ جنسياً في جلاسجو ، وهو شيء يمكن أن يتناقض مع كل ذوق مجتمعي . وطلب من بولن أن تأتي معه لكي تصبح مديرة للنادي الجديد . وقالت بولن بعموض إنها قد تأتي معه ، ثم فجأة تماماً ، التفت آرثر صورة لزوجها كانت موضوعة فوق المدفأة وقذف بها في النار . وشعرت بولن بالمهانة . وانحنت لكي تلتقط الصورة من النار ، وحينما كانت تفعل هذا ، ضربها على رأسها بشيء ما ، ثم بدأ يتصارع معها وهي تقاومه . وكانت مصدمة الا تصرخ - وكان جيرانها مباينين جداً إلى تبادل الاشاعات عنها حتى ذلك الحين - ولكنها قائلته بقسوة وتصميم . وأدهشها قدرة آرثر . وذات لحظة . بينما كانا يتصارعان على أرضية الحجر ، حاول أن يجبرها على فتح ساقيها . ولكنها قالت أن يكف عن هذا ليتوقف عن العراك . ولكن نتيجة هذه العارة أفرغتها . فقد بذل فجأة محاولة حقيقية لحرقها ، وحينما قاومت . ضربها على وجهها عدة مرات . وحشنته بأظفارها بقوة . ثم على حين فجأة تماماً ، انفجر باكياً . وتوسل إليها أن تعمر

له ، ثم انصرف من المنزل .

ولم يكن ثمة شك في ذهنها أنه كان يحاول اغتصابها بالفعل . سألتها :

« ولكنك كنت مصممة تماماً على أنك لا تريديه ؟ »

هزت كفتيها وقالت :

« لم تكن المسألة على هذا النحو . ربما لو أنه عالج الموقف عسى نحو

مختلف ... »

حدثت في المدفأة الخالية برهة طويلة ، ورشفت كأسها الثالثة من الجين

والبيمون الحامض . ثم قالت :

« عرفت حينئذ أن ثمة خطأ ما بداخله ، وأنه قد تغير . كان يوسعي أن أرى

أنه قد اعتاد على أن يأخذ ما يريد عنوة ... »

وقد حدث بعد ذلك أن ثار غضب زوجها حينما وجدها بعينها المثورة

والكلدمات الأخرى والحدوش على وجهها وفي جسمها ، فذهب مباشرة إلى

الشرطة ، وألقي القبض على آرثر في اليوم التالي في مسكنه ببلدة ستوك بورت .

ولكن في ذلك الحين كانت بولين قد أقنعت زوجها بأن يتخلى عن اتهامه

لآرثر . ووعدت ألا ترى آرثر أو تتحدث إليه ثانية . وبالفعل ، لم تعرف عنه

شيئا حتى السنة التالية ، حينما قرأت في الصحف أنه قد أُلقي القبض عليه لقتله

المزارع العجوز .

وقررت بولين أن تبقى معنا حتى يوم الاثنين ، وذلك حتى يتمكن كورنوك

من مقابلتها في منزلنا . وصباح الاثنين طلبت سجن روز هيل هانفيا . كان آرثر

بالغ التوحش والاضطراب حتى أنهم قرروا أن يعيدوه إلى القميص ذي الأربطة .

وسألني سليور عما إذا كنت ما أزال مصممة على عدم إرساله ونقله إلى مصحة

المجرمين المجانين في رامبتون . فقلت إنني أود أن يترك لي المزيد من الوقت

للتفكير في المسألة . كنت ميالا إلى الخروج ومقابلة آرثر قبل أن يصل كورنوك .

حتى يمكنني أن أسلمه نظرياً حديثاً عنه ، ولكنني حينما سألت بولين إن كانت

نود المجيء معي هزت رأسها بقوة وقالت :

« لا يمكنني أن أواجهه ... وأنا لا أعرف ما فعله بتلك الفتاة . »

وعلى ذلك فقد قررت أن أتخلى عن فكرة زيارتي له أنا الآخر .

وصل كورنوك والرقيب التابع له في موعد الغداء ، الذي تناولناه في مطعم

بالبلدة . وحينما أطلعت على التقرير المكتوب على الآلة الكتابة - وهو التقرير

الذي نقلته كاملاً فيما سبق - قال :

« ينبغي أن تكون شرطياً سرياً . »

فضحكت بولين وقالت :

« ألا تعرف ؟ هذه هي حقيقة تماماً . »

ما كان ينبغي للمشكلة التي واجهتنا أن تكون صعبة صعوبة غير عادية في

بلد مثل إنجلترا . لقد ظلت نسبة جرائم القتل في إنجلترا ثابتة ثباتاً ملحوظاً خلال

سنوات القرن العشرين كلها ، وكانت تدور حول رقم المائة والخمسين جريمة

قتل في كل سنة ، وكانت النسبة الأكبر من هذا الرقم تحمل أسرارها ويتم

التوصل إلى مرتكبها الحقيقي ، حتى في الحالات التي كانت « ملفاتها » تظل

مفتوحة ، فإن الشرطة غالباً ما تكون واثقة من شخصية القاتل ، أو تكون واثقة

من أن الضحية قد انتحرت ولم تفضل .

وكان معنى التقرير الذي كتبه إذن هو أن يعود كورنوك فيراجع كسل

جريمة قتل جنسية بقيت أو تركت مفتوحة دون التوصل إلى قرار بشأنها منذ عام

١٩٥٥ نظرياً ، أي حينما غادر آرثر وورينجتون حتى عام ١٩٦٣ حينما تم

القاء القبض عليه بسبب قتل المزارع العجوز . وقد جامني كورنوك مسلحاً بقائمة

لمثل هذه الجرائم . وجلسنا جنباً إلى جنب ، لننظر فيها . كانت لدينا أربعة أسماء :

سارة وزو وجوي وجانغيفير ، وكنا نعرف هوية هذه الأخيرة . ولم يستغرق منا

الأمر أكثر من خمس دقائق لكي نتوصل إلى معرفة هوية سارة بدقة . ففي

يوم الجمعة السابع من شهر يوليو عام ١٩٥٦ ، خرجت «ساندي لويس» وهي

طالبة في مدرسة لندن للبالغين في السابعة عشرة من عمرها . لكي تطلب توصيلة

من السيارات السائرة في الطريق إلى بيتها ببلدة « ميستون » . وكان معها شقيقان توأمين - قبي وفناة - اسمهما « بلاست » ، يقطنان في بلدة « سينج بورن » . وقد عثر على جسدها المنتصب في الساعات الأولى من الصباح التالي بالقرب من بلدة « ووترينج بوري » على الطريق الرئيسي رقم ٢٦ .

ولم تكن هناك سوى فناة أخرى يبدأ اسمها بحرف « المين » وكانت قد قتلت في مدينة جلاسجو في شهر أغسطس من عام ١٩٥٩ ، حينما كان آرثر لينجارد في السجن . وبدا لنا أنه من الممكن افترض أن فناة تدعى « ساندبي » يمكن أن يكون اسمها الحقيقي هو « سارة » . وكان بوسع كورنوك أن يتصل بشرطة ميستون من بيبي بعد الغداء ، لكي يتأكد من هذا . وفي وقت متأخر من نفس اليوم ، أصبح بوسعهم أن يتحدث إلى الشرطي السري الذي كان مكلفاً بالعمل في تلك القضية ، وهو المفتش السري هينفورد من إدارة الشرطة الخاصة . فحصل منه على التفاصيل الكاملة للجريمة .

كان من عادة سارة لويس أن تطلب توصيلة من السيارات السائرة في الطريق إلى بيتها في عطلاتها الأسبوعية بصحبة صديقها وصديقتها التوأمين من بلدة سينج بورن . وفي اليوم السابع من شهر يونيو ركبا القطار إلى بروملي ، ثم خرجوا إلى الطريق ليطلبوا التوصيلة . وفي خلال خمس دقائق التقطهم رجل في سيارة صغيرة بيضاء . كان شاباً حسن الثياب . وقدم نفسه إليهم باعتباره مهنتسا الكرويا . ونيادوا الجميع الحديث بابتهاج في أثناء الطريق . وتزل الأخ وأخته من السيارة عند محطة السيارات العامة بالقرب من سينج بورن ، ثم اطلقا بالسيارة في اتجاه ميستون ، دون أن يكون معه في السيارة سوى سارة لويس . كان الوقت حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر الساطع الشمس . وكانت هناك سيارات في الطريق ، ولم يشعر صديقها بأي قلق عليها .

وكان المفروض أن تصل سارة لويس إلى بيتها قبل الساعة الرابعة . وحينما اتصل بها صديقها جون ومارجريت بلاست في حوالي الساعة السادسة ، بدأ

القلق يساور أوبها . ومدات أسرة بلاست الأوبين على انتهما ، وقالوا إن الشاب الذي أخذها في سيارته كان يبدو عليه التهديد والثقافة ، وربما كان قد أقنعها أن يأخذها بالسيارة إلى الشاطئ . ولكن والد سارة ووالدتها أبلغا الشرطة في الساعة التاسعة من مساء نفس اليوم ، وبدأ البحث عن السيارة البيضاء الصغيرة . وعثرت عليها دورية شرطة قبيل منتصف الليل بعدة دقائق على الطريق الرئيسي رقم ٢٦ . كانت خالية ، ولكن كان هناك سروال نسائي داخل مزق على أرضيتها . وفي حفرة ، على الجانب الآخر من حافة الطريق عثروا على جثة سارة لويس . كانت قد خنقت باليدين واعتصمت جسداً ، من أمام ومن دبر . ولا بد أن القتلى قد أمضى معها عدة ساعات . ملما أنها قد هوجمت جسداً أكثر من مرة واحدة ، مثلما كان الحال في قضية جانيفير تاس . وكنتم التقارير التي أعطيت للصحف عاملين صغبرين من عوامل - أو من ملامح - البحرية . كانت حلقة ثديها الأبيض قد قطعها أسنان قاتلها . وكان الجلد بين الفرج والشرح قد قطع بالمقص . لقد قال آرثر في « قصيدته » :

« أعض حلطني زوا الصغبرين وأقص بالمقص فرج سارة » .

قلت لكورنوك أن يسأل مفتش الشرطة السرية جيفورد إن كان يعرف المادة التي صنع منها سروال سارة . وجاءت الاجابة على الفور : « أجل ، من القطن » . وفسرت لي هذه الاجابة الشيء الوحيد الذي أربكني في القصة ، وهو أن السروال كان قد ترك مزقاً في السيارة . ولو أن السروال كان مصنوعاً من النايلون أو الريون لكان آرثر قد أخذه كتذكارة من غزوته .

ولم يكن من الممكن أن تكون لدي أية فطنة للشك في أن آرثر هو القاتل ، حتى رغم أن الوصف الذي ذكره التوأمين « بلاست » لم يتضمن ذكر العينين الجاحظتين . ( فان ركاب السيارة على أية حال لا تكون لديهم فرصة التحديق في عيني السائق ) . كان آرثر لينجارد يسكن في « بوني » في ذلك الوقت ، وكان كبيراً ما يزور آجي في « بوتون مونثليزبا » وهي لا تبعد كثيراً عن ميستون .

وكان قد قال لركابه إنه مهندس الكرونيات - هذه هي وظيفة ومهنة زوج آجي . وكانت السيارة البيضاء الصغيرة قد سرقت في ذلك الصباح من أحد شوارع بلدة كرينون . وكان آرثر في ذلك الوقت متغصماً في عملية التصب المتعلقة بألة السليل ، وقد تضمنت قائمة ضحاياه ثلاثة نسوة من بلدة بروملي .

من وجهة نظر كورنوك ، كان من الواضح لنا أن القضية قد حلت وتم التوصل إلى نيتها . وكان كل ما عليه أن يفعل هو أن يرسل صورة لآرثر إلى أسرة بلاسبت لكي يكشف إن كان صاحب هذه الصورة هو سائق السيارة الصغيرة البيضاء . وهذا هو ما حدث في الحقيقة : كان تعرف التوأمن عليه حاسماً تماماً . وكان معنى هذا أنه مهما حدث ، فإن لينجارد لن يعود رجلاً حراً مرة أخرى .

وربما يبدو من الغريب أن تظل قضية سارة لويس دون حل حتى تلك اللحظة . لقد كان لآرثر سجل جنائي ، ومن المؤكد أن الرسم التقريبي الذي نشر بعد الجريمة - ونشرت معظم الصحف كان يشبهه إلى حد كبير ( رغم أن شكل العينين كان مختلفاً إلى حد بعيد وكان الصدغ طويلاً إلى درجة كبيرة ) . ولكن الاجابة على هذا السؤال هي أن آرثر لم يكن له سجل جنائي طالما كان الأمر متعلقاً بالجريمة الجنسية . فيصرف النظر عن الهجوم على إيريس فرانكلين في وورينجتون لم يكن سجله يتضمن أي عمل آخر من أعمال العنف الجسدي . ولم تكن هناك أية بصمات للأصابع في السيارة - فقد كان يرتدي القفازات طول الوقت ( وهذا هو السبب - دون شك - الذي دفعه إلى القيام بهجومه الجنسي على الفتاة خارج السيارة ، لقد أراد أن يخلع قفازيه ) .

وبعد بضعة أيام ، أطلقني كورنوك على صورة لسارة لويس ، وقد أدهشتني هذه الصورة دهشة عظيمة . كانت جميلة نحيلة ذات بشرة بيضاء وشعر أحمر بلون الذهب . كان وجهها بالغ الرقة ، والفم ضعيفاً إلى حد ما رغم رقة الشديدة - وكان من الواضح أن والديها ينتميان إلى الطبقة الوسطى اليسيرة إلى حد كبير . وكان يوسعي أن أكتشف نموذجاً ثانياً بدا لي أن آرثر

لينجارد كان ينجذب بعنف إلى نوعين من النساء ، أو بالأحرى ، كانت رغبانه تتجه نحو نوعين من النماذج الأصلية : الجسدي ، وبما يمكن أن يسمى «الروحي» . وقد أوضح لي وصفه لأيريس فرانكلين أنها كانت تنتمي هي الأخرى لذلك النموذج الأخير . وكذلك كانت ديانا بانكس ، الفتاة التي نظر خلصة إلى تمصيصها الداخلي وهي تستبدل ملابسها في حجرة نومها ، وكذلك كانت شقيقة دنكان ماكيفر . وربما كانت كلمة «الروحي» هي الكلمة الخطأ هنا : فقد بدا إن لمثل تلك الفتيات عند آرثر نوعاً من البريق الذي كان سكوت فيترجيرالد يصفه على شخصياته . كان يشاق إليهن باعتبارهن رمزاً لنوع من التحقق السامي الرقيق ، مرتبطاً باشيانه إلى إنجلترا ريفية خالية من المدن ، فتيات ذوات رشاقة وجمال صاف حبيب وثقافة ريفية ، فتيات يفضلن في الحمام اغتصلا كاملاً في الساعة الخامسة من كل مساء . أما بولين وإيلين جرورز - وأنا أعتقد أن آجي أيضاً - كمن موضوعات لعلاقات جسدية تتجاوب مع حاجته إلى السيطرة . ولكن ما طرأ على ذهني الآن فجأة ، باعتباره شيئاً ذا دلالة هامة ، هو أنه قد حاول اغتصاب الطفلة في وورينجتون . لقد كان الأمر كما لو أنه قد قرر أن مثل هذا النوع من الجمال يروغ منه دائماً ، إلا إذا امتلکه بالقوة . ولقد شعرت ، حينما سرد علي قصة ذلك الهجوم على الطفلة ، أن الحادثة كانت أكثر أهمية بكثير وأكثر تعقيداً مما أurdني أن أدرك منها . ومن الأشياء ذات الدلالة الهامة أيضاً أنه بدأت تبدو عليه علامات الانهيار الأخير بعد هذا الاعتراف ذاته . فتحى هذه النقطة ، كان شكل حياته واتجاهها الأساسي بحثاً مستمراً ، وربما كان بحثاً دائماً عن الأم التي قددها في بداية حياته نتيجة لاحدى الغارات الجوية . ولكنه كان في تلك اللحظة قد قرر فجأة أن يتلق عن ذلك البحث ، لكي يصل مباشرة إلى العنف عن أقصر الطرق . وقد كان من المستحيل ألا أرى الارتباط بين هذا القرار وبين فرار آجي - أو زوجها منه في الحقيقة - مع مهندسها الألكتروني .

• • •

كانت مشكلة « زو » و « جوى » هي ما أربك كورنوك ، ودفعني أنا الآخر إلى الحيرة . لم تكن هناك ضحايا لجرأتم قتل بأي من الاسمين في القائمة . وقد كان فرانك سليور هو الذي أمدنا بمفتاح فهم الجزء الأول من تلك المشكلة . ففي يوم الثلاثاء ، الخامس والعشرين من شهر أغسطس ، وهو اليوم التالي لخديتي مع كورنوك ، أطلعت فرانك سليور على الملخص التسجيلي الذي كتبه عن حياة لينجارد ، ونسخة من قائمة الجرائم التي لم يتم التوصل إلى حل لها . وتركت الاثنين معه وذهبت لرؤية آرثر . اكتشفت سراً في نفسي قدراً ضئيلاً من التوتر العصبي حينما كان الحارس يفتح الباب لكي أدخل حجرتي ؛ ولكن هذا التوتر لم يكن ضرورياً . كان رافداً على الفراش بقميصه المشدود ، يحقد بكآبة إلى السقف . وحينما سأله عن مشاعره وعن حاله ، تجاهلني ، رغم أن الدهول والكآبة ظهرتا على عينيه . راودني شعور بأنه عاقل بما فيه الكفاية ، وأنه قد عرف تماماً سبب وجودي في حجرتي . وبدلاً من أن حالته المجهدة الفاترة كانت تم عما يعتقد من أنه لا معنى عنده لأي شيء . يمكن أن نقوله . وكان عليّ أن أحاول التخلص من إحساس بالانقباض تملكني وأنا أعادله ، بعد دخولي بعشر دقائق .

كان سليور يتحدث في التليفون حينما عدت إلى مكتبي . وكان يقول :

« لقد اعتقدت أنني كنت على حق - لقد عثر عليها مدفونة في أحد الحقول - أليس كذلك ؟ في ستان - ألم يكن ستاناً ؟ أممكتك أن تزودي بالتفاصيل ، أجل ، يمكنني أن أنتظره . »

ووضع يده على الساعة وقال لي :

« لقد ذكرني هذا العنوان في « آرشورب » بشي . كأنما دق جرساً في رأسي . أذكر أنني قرأت مقالة ورد فيه ذلك العنوان في إحدى جرائد الأحد منذ عدة سنوات . وكالوا قد عثروا على جثة فتاة دفنت في ستان بالقرب من هناك . وأنا الآن أتحدث إلى رئيس الشرطة في دوتكاستر . »  
وبعد عشر دقائق كانت التفاصيل قد وصلته .

كانت الحجة قد تم العثور عليها في شهر مايو من عام ١٩٥٩ ، مدفونة تحت شجرة تفاح على حافة أحد الميادين المائية . وكانت الحجة قد بدأت تنضج . وهذا يعني أن تسع رطوبة التربة كان قد تسبب في تحول ما في الجسد من عناصر دهنية إلى مادة تعرف باسم « آديبو سير » أو « رغوة الدهن » وهي مادة دهنية بيضاء مصفرة تشبه صابون الغسيل . وكانت النتيجة أنه رغم أن الوجه كان قد تأكل جانب منه بفعل هجمات حشرة النحل ، فإن الأطراف واليدين والردفين كانت قد تيبست كما يحدث لو أن الحجة كانت قد حفظت . كانت فتاة حسنة الشكل والهيئة ذات شعر داكن اللون ، ولم يمكن التعرف عليها أبداً بشكل واثق . كان الجسد مرتدياً كل ملابسه ، باستثناء حمالة الصدر والسروال الداخلي ( رغم أنه كان من المحتم أن تنزع الملابس كلها ) . وكان قد مر وقت طويل جداً منذ موتها حتى أصبح من الصعب التحقق مما إذا كانت الفتاة قد تعرضت للاغتصاب أم لا . ولكن حلمتي الشهيدين كانا مقطوعتين بفعل عضة أسنان قوية .

كنت أفقد حلف سليور . أراقبه وهو يكتب التفاصيل التي تحمل عليه بالتليفون . وبينما فرغ من كتابتها ، أسرعت بانخراج النسخة المكتوبة على الآلة الكاتبة من « قصيدة » لينجارد من جيبى ، وقرأت السطر الذي يقول فيه : « جول بعض حلمتي زو الصغيرتين » . وأشرت إليه ليراه سليور ، فأوماً هذا برأسه ، ثم قال لمحدثه في التليفون :

« أظن أننا سنعثر لك على حل لهذه الجريمة . هل كانت هناك فتاة تدعى زو من بين الضحايا المحتملين ؟ »

ثم نظر إلي وهز رأسه ثم أضاف بقول لمحدثه :

« أممكتك أن تعطيني قائمة بأسماء النساء اللواتي وضعتن كضحايا محتملات في هذا الحادث ؟ »

وكان الاسم الثاني في القائمة التي كتبها « بيللا بيزلي » . وقد شوهدت لآخر مرة في يوم ١٠ ديسمبر عام ١٩٥٧ ، ومرة أخرى أشرت إلى السطر الذي

تم تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٥٩ في القصيدة . وقال سلبور في التليغون :  
« أليس لديك أية تفاصيل أخرى عن هذه الفتاة الثالثة ؟ مثلا ألم يكن  
لها اسم مستعار مثل « زوي » وأجاب رئيس شرطة دونكاستر إنه سيتأكد من  
ذلك ثم يتصل من جديد .

قلت : « اعتقد أنها لا بد أن تكون هذه الفتاة . لقد اختفت من  
دونكاستر يوم ١٠ ديسمبر . وكان آرثر يعيش في منازل المساكن المؤقتة في  
قاعدة آرثورب حتى ذلك الوقت ، وطبقاً لما تقوله بولين ، فإنه رحل عن  
دونكاستر في ديسمبر » .

« باستثناء أن تاريخ الاختفاء كان ١٠ ديسمبر عام ١٩٥٧ وليس ١١  
ديسمبر عام ١٩٥٩ » .

« لقد اختفت يوم ١٠ ديسمبر ، وربما كانت قد أمضت الليلة مع  
آرثر ثم قتلها في اليوم التالي ، وربما كان قد احتفظها وفعل معها ما  
فعله مع جاليفيرتاس . ولم يعثر على الجسد إلا في عام ١٩٥٩ . وربما  
كان مزج عامداً بين التاريخين مسقطاً بينهما من زمن ، أو ربما كان قد تمعد  
أن يضع التاريخ الخلفاً لكي يضلل عظمى من يقتضي أثر القضية من خلال  
الكلمات » .

حينما اتصل رئيس شرطة دونكاستر مرة أخرى بتليغونيا ، بعد نصف  
ساعة ، أصبح من الواضح أنني كنت قد وضعت يدي على التفسير الصحيح .  
كانت بيلا بيزلي تعمل في بار مفتوح طول الليل ، وكانت تفضل أن تعرف  
باسم « زوي » . كانت في العشرين من عمرها وذات جسم جميل . ( راجعت  
الموضوع في ملفات صحف لندن ، وكانت مجلة « ذا نيوز أوف ذا وولد » قد  
نشرت لها صورة جعلتها تبدو شديدة الشبه ببولين : نفس الصابر الناهد  
المتفجر ، ونفس الردين المستديرين الشبهين بردي طفلة نامية ، بل نفس  
طريقة تطويع الرأس إلى الوراء حينما يكون أحدهم على وشك التقاط صورة لها) .  
وقبل اختفائها بأيام قليلة ، أعلنت بيلا لصاحب البار أنها توي أن تترك

العمل عنده ، وأجبرت أصدقائها بأنها التقت « برفيق مدهش » غرض عليها  
أن يدخلها في إحدى مدارس الدراما في لندن . ( وكانت تحلم دائماً بأن تصبح  
ممثلة ) . ومن الواضح أنها لم تكن علاء . رغم أنها لم تكن بعيناً كما أشارت  
إلى ذلك إحدى الصحف . وقد استجوب عدد كبير من الرجال بعد العثور  
على الجثة في البستان . وكان أحدهم قد صاجعها بالفعل قبل ساعات من مغادرتها  
القهى والبار لآخر مرة . وقد أخبرته بأنها توي أن ترحل إلى لندن بالسيارة  
تلك الليلة مع رجل يدعى « نيجل » ، كان قد اتصل بها هاتفياً منذ قليل لكي  
يؤكد لها أنه قد رتب لها مقابلة مع أحد المسؤولين عن مدرسة « رادا » للدراما .  
وكانت قد جاءت إلى البار في الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ١٠ ديسمبر  
لكي تودع أصدقائها ، ثم خرجت لكي تلتقي بمن يدعى « نيجل » .

أما ما حدث بعد ذلك فلن يعرف أبداً . وتحسبي الخاص هو أن لينجارد قد  
أخذها إلى المسكن الذي كان يقيم فيه وقتلها . لقد قتلها لأنها كانت مثل بولين  
وتشبهها ، وليس لأنه أراد أن يتام معها - فمن المحتمل أن يكون قد نام  
معهما من قبل بالفعل . وربما كان قد دفنها في تلك الليلة ذاتها ، أو ربما احتفظ  
بها في المسكن لعدة أيام . وقد كشفت إحدى تحريات الشرطة فيما بعد أن آرثر  
قد أقام في المساكن المؤقتة - في مسكن مستأجر من يدعى « ستير ل » . ماترز من  
« ديري فارم » - منذ مارس عام ١٩٥٧ حتى ٢٨ ديسمبر من نفس العام .  
وفي خلال معظم تلك الفترة عمل في مؤسسة لتليفزيون في « بالجي » وكان  
يقوم بقيادة سيارتهم المنخفضة لعمليات الإصلاح . ومن المؤكد انه قد استخدم  
تلك السيارة في نقل الجثة من مسكنه إلى البستان على بعد ميلين . وكان البستان  
جزءاً من مزرعة لم يقطن أحد في المنزل الملحق بها منذ شهر يوليو السابق . وربما  
كان آرثر قد أخذ الجاروف اللازم لحفر القبر من حجرة الأدوات القريبة من  
بوابة البستان .

وتبدو لي هذه البريمة قادرة على تجسيد بعض من أعزب المشكلات  
السيكولوجية في تلك القضية . ففي عام ١٩٥٧ كان آرثر على علاقة طبية ببولين .

ويعد قصاته مدة سجنه اسمر في تبادل الخطابات معها . وزارها مرتين في ساوثورت . وفي هذه الفترة كانت تعيش مع رجل متزوج كان عمره يبلغ ضعف عمرها على الأقل . ولكن هذا لم يبد أنه أرعج آرثر أو آثار غضبه . وعلى العكس ، يبدو أنه هو وعشيقها تبادلوا الاعجاب ، وفي إحدى المناسبات ، جلسا معاً حتى الساعات الأولى من الصباح يسكران ويتبادلان الالتحاب .

ومع هذا ففي شهر نوفمبر التقى آرثر بعاملة البار الجميلة التي ذكرته بيولين = ويبدو أنه تحمل الكثير من أجل اغوائها ( فقد أُخبرت هي إحدى صديقاتها بان « نيجل » كان يأخذها إلى المطاعم الفاخرة الغالية ) وكذب عليها بشأن وظيفته واتصاله بعالم المسرح ، وخطط لقتلها . كانت هذه العملية تتضمن مخاطرة أكثر بكثير من جريمة قتل جانيفير ناس أو سارة لويس . فظاناً أنه كان يعمل في دونكاستر فقد كان معرضاً لأن يلتقي بها فجأة في أية ساعة من ساعات النهار ، كما أن سيارة اصلاح التليفزيون لا تستطيع إلا بصعوبة بالغة أن تدغم قصته المزعومة عن كونه رجل أعمال تضيفاً شائباً . ولو أنها كانت قد أسرفت قليلاً في الحديث عنه ، أو حتى لو أنها وصفت مظهره ، فربما استطاعت الشرطة بسهولة أن تفتني أثره بعد مقتلها . ولكن فكرة قتلها أثارته لديه وترا عصبياً جنسياً مهلكاً ، فتجاهل كل تلك المخاطر ، وقتلها .

ولكن لماذا قتلها ؟ لو أنه لم يكن يتوي أكثر من أن ينام معها ، لكان في وسع أن يحقق هذا الهدف دون أن يقتلها - بل وحتى دون أن يكذب عليها بشأن وضعه ووظيفته واتصاله . فان عاملاً من عدال اصلاح التليفزيون يمكن أن يكون عاشقاً مقبولاً تماماً . إن علي أن أفترض أن النوم معها دون قتلها والكذب عليها كان شيئاً يمكن أن « يصجر » آرثر إلى درجة لا يستطيع احتمالها . إن اغواء فتاة تعمل في إحدى الحافلات على أيدي عامل من عدال اصلاح أجهزة التليفزيون ليس بالعمل الذي يمكن أن يتناسب مع أعلام يقظة البروفسور موريارتي . لقد أراد أن يكون المجرم الذي يحفظه العموض . والقائل الذي خلا قلبه من الرحمة .

وهذا في حد ذاته يكشف عن شيء هام في تكوينه النفسي . إنه لم يكن - حتى تلك الفترة - يرسم نفسه رسماً درامياً في صورة نابوليون الجريمة - لقد كان هذا صعب الاحتمال جداً بالنظر إلى انفقاره إلى النجاح حتى بوصفه نصيباً صغير الشأن - ولكنه كان مستمراً في تصور نفسه صورة العنكبوت الأسود الميت ، الذي كانت الفتيات بالنسبة له ذبابات يعملها إلى وكر لسبجه كالثرك الحطير . وبكلمات أخرى ، كان قد « قرر بوعي » أن يكون مجرمًا جنسياً من مستوى خطير . كان قد قتل آجي في شخص سارة لويس . وهو الآن قد قتل بولين واغتصبها في شخص زو بيزلي . إنها جريمة قتل يقوم بها انتقاماً أو بهدف الانتقام - الانتقام من أجل « أمه » التي تم استبدالها . ومن هنا تكورت عملية قضم الحلمات بالأسنان وقطعها ، وفي حالة سارة لويس ، كانت عملية القضم قد استهدفت الأعضاء التناسلية ، الأمر الذي يرمز إلى تصميمه على أنها ينبغي ألا تعطي نفسها لأي رجل آخر .

...

لم يكن لغز الكلمات المتقاطعة يفنذ الآن إلا قطعة واحدة : هوية «جوى» . كتبت أنظر إلى السجل التاريخي الذي وضعته حياة آرثر ، فخطر لي وجأة أن التاريخ التبريري المحتمل لاحدى جرائم القتل التي قام بها آرثر يمكن أن يكون في عام ١٩٦٢ ، بعد مهاجمته لبولين . ورحت أفرداً بعناية قائمة الجرائم الجنسية التي لم يتم التوصل إلى نتيجة بشأنها في ذلك العام . ولم تكن هناك أية ضحية تحمل اسم «جوى» . ثم وقع بصري عليه : مارثا آيجوي ، قتلت في مدينة ليدز في السابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٦٢ . إنه يقول في « القسيده » : من المذبحة صعوداً إلى القرحة ، ومن «جوى» إلى جانيفير . كانت هذه العبارة قد حيرتني . كيف يمكن للمرء أن يصل إلى جانيفير صعوداً « على جوى » ؟ ولكن الأمر الآن كان واضحاً : إنها كانت عمارة أسخيفاً . لقد كان اسمها « آيجوي » وقد امتطها ورقده فوقها .

اتصلت هاتفياً بشرطة مدينة لينز لكي أطلب التفاصيل ، فعرفت أنني عثرت على القطعة المفقودة . كانت مارتا آيجوي ، التي تبلغ الثامنة عشرة من عمرها ، قد عثرت على جسدنا مخنوقة بفردة جورب حريري في فناء كنيسة سانت ماري في مدينة لينز . وقد تطابقت حكايتها مع التقييمات التي وضعتها نطاقياً كاملاً : إنها ابنة لوالدين ثريين ، نحيفة وشقراء ، وكانت على وشك أن تبدأ دراستها في كلية سانت آن ، التابعة لجامعة أوكسفورد . وقد شوهدت لآخر مرة أثناء زيارتها لمستشفى لينز حيث كان صديقها ، واين ماخين الذي كانت مخطوبة له ، يعالج بعد إجراء جراحة في أنفه . كانت مارتا آيجوي تقود سيارتها الحمراء من نوع « ستالارد تريومف » ، وكانت قد تركتها في مكان الانتظار في ميدان « ثورباي بليس » بالقرب من المستشفى . ووقف صديقها امام نافذة حجرته بالمستشفى وظل يرقبها وهي تصعد إلى سيارتها وترحل بها . وعثر على السيارة مهجورة في اليوم التالي في منطقة المروج الكثيفة بين مدينتي لينز وبرايفورد . وفي المقعد الخلفي كان هناك مسدس ، ولكنه كان لعبة من لعب الأطفال . وكانت إعادة نسجي حوادث الجريمة كما يلي :

ربما كان آرثر قد رأى الفتاة أثناء مغادرتها السيارة فتمتع بانجذاب نحوها - أو ربما كان قد رأى السيارة أثناء انتظارها ووجود الفتاة في المستشفى فلاحظ أنها سيارة فتاة - فمعظم النساء يتركن في سيارتهن أشياء نسائية ، ربما مناشف ورقية ملونة بأحمر الشفاه ، أو إحدى المجلات النسائية . وصعد آرثر إلى المقعد الخلفي للسيارة ووقف على الأرضية خلف المسند الأمامي . وصعدت هي إلى السيارة دون أن تلاحظ وجوده ، فانطلقت بها . وفي لحظة ما ، وضع فوهة المسدس على مؤخرة عنقها وأمرها بأن تستمر في السير . وأجبرت الفتاة على أن تصحبه بالسيارة إلى بقعة منعزلة في منطقة المروج ، حيث اغتصبها جنسياً ،

ثم حنقها ، ووضع جسدنا في السيارة ، وقادها عائداً إلى لينز ، حيث تركها في فناء الكنيسة .

فلماذا كان عليه أن يفعل ذلك ؟ كانت المخاطرة جنونية دون شك . ويعتقد كورنوك أن الإجابة هي أن آرثر كان في الحقيقة جنوناً ، وأنه لم تكن لديه أدنى فكرة عن خطورة ما كان يفعله . وهو يشير إلى وصف بولين لزيارة أخيها - قبل هذه الجريمة بشهر واحد - باعتبارها دليلاً على هذا الجنون .

ولكن نظرتي أنا أكثر تعقيداً : وهي أيضاً تفسر - فيما أعتقد - فلماذا أكبر بكثير من لغز السبب الذي دفعه إلى العودة إلى لينز .

لقد كشفت الشهادة الطبية عن أن مارتا آيجوي كانت عذراء قبل أن يقع عليها هذا الهجوم . ومن الواضح أيضاً أنها لم تسج آرثر إلى درجة الجنون الجنسي الذي دفعته إليه الضحايا السابقات . فان الجسد لم يتهك انتهاكاً عابثاً بعد الموت ، كما أن السائل المتوي لم يوجد إلا في العصر التناسلي فقط .

إنها بينما كانت تقود السيارة في اتجاه المروج الكثيفة ، والمسلسل - الذي كانت تظنه حقيقياً - يضغط على عنقها ، لا بد أن تكون قد توسلت إليه ، وربما قالت له إنها ما تزال عذراء . وبعد هذا الاتصال الشخصي ، لم يعد بوسعها أن يعاملها ببساطة باعتبارها موضوعاً لشهوته الجنسية . حقاً إنه كان قد عاش نوعاً من الاتصال الشخصي بكل من سارة لويس وزو بيزلي وابلين ماركيز قبل أن يقتل كلا منهن : ولكنه في كل حالة من تلك الحالات كان يمثل دوراً مستظلاً اللحظة التي سيفقدن فيها وعيهم . كان مثل القط الذي يراقب الطائر الذي يتقافز على الأغصان غافلاً دون أن تحالجه الشكوك . أما في هذه الحالة فقد انتاب الخوف الفتاة ، وكانت قد عرفت ما يسعى إليه . لقد حدثت عن الرجل الذي كانت مخطوبة له . ورغم هذا فقد أرغمتها على أن تحمل ملابسها كلها ( فقد أثبت الكشف على الحثة أن الملابس كانت قد علمت ثم أعيد ارتداؤها من جديد ) . ولا ريب أنه استمتع بأحاساسه بالقوة والسيطرة وهو



يراقبها وهي تطلع ملاينها أمامه . ومع هذا فقد كانت شخصاً - وليست مجرد موضوع للشهوة الجنسية . لقد أرغمها على أن ترقد على ظهرها ، ثم ألقى نفسه فوقها ، وواجه مشكلة ممارسة الجنس مع عذراء شابة متوترة ومرتبعة . ورغم كل هذا فقد استمر في عمله ، وفي خلال فترة الساعات القليلة التالية ، كجزء العملية على الأقل مرتين . وبنيتي كورونوك رابياً يقول بأن الفتاة كانت قد أقدمت وعليها في ذلك الوقت - كانت مؤخرة رأسها قد جرحت جرحاً بليغاً بسبب ضربة مقبلة . ومن الواضح أنها ضربت بالمسدس اللحية ، الذي كان من النوع العالي الثقيل . ولا أستطيع أنا أن أقبل هذا الرأي . لأن لينجارد إذا كان قد ضربها حتى أفقدها الوعي قبل أن تبرح السيارة . فإنها ما كانت لتظل فاقدة وعيها لمدة تزيد على الساعة . أنا أعتقد أنه أخذ يتحدث معها ، بل ربما كانت قد أبدت نوعاً من الاهتمام به والعاطف معه . كانت مقتنعة بأنه حينما يتسبى من أمره معها وبنال بعينه ، فإنه سيركبها لرحل في سلام . وتركها هو تعتقد ذلك وتصدقه ، ولكنه كان يعرف أن هذا لن يحدث . فإنها ما كان عليها إلا أن تذكر أوصافه لشرطة ليندز . فيصبح رهين الحيس في خلال ساعات . وفي وقت ما بعد أن حل الظلام - وربما بعد منتصف الليل - جعلها تقود السيارة عائدة إلى ليندز ، بينما جلس هو في المقعد الخلفي ، وتوقفت السيارة في الشارع الساكن القريب من فناء كنيسة سانت ماري ، على بعد أقل من نصف ميل من منزلها . وجعلتها ضربة عنيفة واحدة على مؤخرة جمجمتها تحثي إلى الأمام فاقدة وعيها . ونظر إلى كل الجهات لكي يتأكد من أن الشارع كان خالياً من كل إنسان ، ثم جرها إلى خارج السيارة حتى فناء الكنيسة وختنها . وكانت الفتاة قد ماتت منذ ما يقرب من ثماني ساعات حينما عبر على جسدها في الساعة التاسعة من الصباح التالي . ثم بدأ بعد ذلك يتساءل : ألم يترك وراءه أي شيء عند مسرح جريمة الاغتصاب ؟ يبدو لي هذا هو التفسير المقنع الوحيد القادر على الإجابة عن سبب عودته بالسيارة إلى المروج . أما الاحتمال الثاني فهو أنه كان يقطن في مدينة برادفورد . وكان القيام بأخذ السيارة طول الطريق إلى برادفورد

قادراً على أن يوجه البحث إلى هناك . وهكذا فقد ترك السيارة في منتصف الطريق ، وسار على قدميه ما بقي من الليل ...

فإذا كانت إعادة تسج الجريمة على هذا النحو صحيحة ، فإني أعتقد إذن أنه من الهام من الناحية السيكلوجية أن تقيد حربه وأن يمنع من الاتصال بالمجتمع . هنا توجد قضية حيث الجريمة كلها قد فاحت والحنها . لقد قصد بها عدداً أن تكون نوعاً من انفجار الشهوة ، ثم تحولت إلى نوع من ابتزاز فتاة على قدر كبير من الحلاوة والعاطفية ، بل إن عملية الاغتصاب نفسها قد فسدت بعنيتها وتوترها العصبي . إن الخاصية المميزة لنوع الجريمة الذي يرتكبه آرثر كانت هي أنها جريمة ترتكب لكي تتناسب مع عالم أحلامه ، ولكن هذه الجريمة كانت حقيقية أكثر مما يمكن احتمالها وواقعية أكثر مما يمكن اغتفاره . إنه لم يرد أن يقتلها - وإلا لكان قد قتلها في منطقة المروج المنزلة الثانية . فوفر بذلك على نفسه قدراً كبيراً من المشاكل . ولكنه قتلها بناء على حساب دقيق بارد وبدافع هذا الحساب وحده . لأنه لم يكن يستطيع أن يتحمل نتائج ما ستنتلي به من أقوال - وهي الأقوال التي لا بد كانت ستنتلي بها - ولم يستطيع أن يتيق بعونها - الذي لا بد كانت قد قطعت له على نفسها - من أنها لن تسيء إليه . ولا بد أنه بينما كان يسير عائداً إلى بيته في تلك الليلة ، لا بد أنه تخنى من كل قلبه لو أنه لم ير تلك السيارة الرياضية الحمراء ولم يقع بصره عليها أبداً ، ولا بد أنه تخنى لو أن مارتا أيجوي كانت في تلك اللحظة راقدة في فراشها في هدوء وراحة كاملة . لقد تركته الجريمة مثقلاً بمشاعر المرارة والاحساس بالذميمة والشر .

فأي دليل هناك على هذا الرأي ؟ حسناً ، هناك الحقيقة المقررة التي تشير إلى أن هذه كانت هي آخر ما ارتكبه من جرائم جنسية ، ورغم أنه كانت أمامه ستة أخرى يعيشها في الحرية . وهذا في حد ذاته جذير بالملاحظة . إن أغلب المجرمين الجنسيين يستمرون في ارتكاب جرائمهم حتى يلقى القبض عليهم . كما أن جرائمهم تزداد تقارباً كلما تقدم بهم الوقت . أما آرثر لينجارد فقد

ارتكب خمس جرائم جنسية في الفترة الواقعة بين شهر يولية عام ١٩٥٦ حتى شهر يوليوي عام ١٩٦٢ ، ثم توقف بعد هذا . وقد حاولت أن أثبت أنه في كل تلك الحالات كان دافعه هو الانتقام - من آجي ومن بولين - بقدر ما كان هذا الدافع هو الجنس . ولكنه يقتل مارثا آجوي ، تسالت الحقيقة الواقعة إلى حلم اليقظة الجنوني ، وتوقفت جرائم القتل .

• • •

في اليوم السادس والعشرين من شهر أغسطس - وبينما كان كورنوك ما يزال يحاول أن يكتشف هوية زو - اتصل بي فرانك سلبور تليفونياً لكي يقول إنه يريد أن ينقل لينجارد إلى مصحة برودمور في رامبتون على الفور . فيما كان أحد الحراس ينقل له قميصه المشدود - قبل اطعامه - انجني آرثر إلى الأمام وأطبق على أصبع الحارس بأسنانه . وظل بعض بقوه ، وانفرت أسنانه في عظام الأصبع . وظل بعض ، رغم الضربات الجنونية التي كالمها الحارس له على وجهه . وحينما أجبر في النهاية على فتح فكيه ، أغمى على الحارس ، وبصق آرثر من فمه بصفة كبيرة من الدماء ، ثم طوح صينية الطعام فبعثرها على الأرض .

ووافقت على نقله فوراً . وكانت الحقيقة هي أن آرثر وضع في قميص لجانين ذي الأربطة ، ليس لأنه كان ببساطة ميالا إلى العنف ، وإنما لأنه كان من السهل عليه جداً أن يهرب من سجن هورزهيل ، لو أنه بدل أي مجهود حقيقي من أجل الهرب .

وفي يوم السابع والعشرين من أغسطس نقل إلى برودمور ، ولم أصحبه في رحلته . فقد أرسلت سلطات برودمور سيارة شاحنة صغيرة لنقله . وبعد ذلك بيومين ، حينما اتصلت بالمدير لكي أسأله إن كان يريدني أن أזור آرثر قال إنه قد يكون من الأفضل أن أبقى بعيداً عنه في تلك الفترة . وكان آرثر قد استفر في سجنه الجديد بسرعة ، ولم تبد عليه أية علامة على الميل إلى العنف . وكان قادراً على الدخول في محادثة عاقلة بهدوء .

في اليوم التالي لتلك المحادثة ، سافرت إلى لندن مع كورنوك ، بدعوة من اسكوتلانديارد . وقد أردت أيضاً أن ألقى نظرة على ملفات الصحف في قاعة مكتبة كولنديل . وقد حدث هناك أن تحققت من التشابه الجسدي للعض بين بولين وزويولي . وكان كورنوك يأمل أن يقضي آثار حركات آرثر خلال القترات التي لم يكن لبولين فيها عناوين معروفة - في خلال سنة ١٩٥٨ ، وفيما بين شهر يولية عام ١٩٦٢ والقاء القبض عليه بسبب جريمة القتل في بيت المرعة في العام التالي . وقد حدث خلال اليوم التالي من اقامتي في لندن أن وصلت إلى اكتشاف حكاية مارثا آجوي في ليدز - حينما كنت أفحص ملف اسكوتلانديارد الخاص بجرائم القتل التي لم يتم التوصل إلى نتيجة بشأنها . ومنذ ذلك الحين فصاعداً ، أصبحت المسألة بين يدي كورنوك ، وبين يدي رئيس المفتشين هو كيتز في اسكوتلانديارد . وقد قررت أيضاً أن أخصص يوماً أهم فيه بمسألة اهتماماً شخصياً : فقد أردت أن أقابل مسز رول - وهي التي كان اسمها السابق هو آجي لينجارد . ولا بد لي أن أعترف أنني لم أكن أشعر لإزاعها بفضول كبير . فقد كانت بولين هي الأكثر أهمية بين الاثنين : أما أجنيس فقد اتسقت بشكل سلمي ، تازكة للأشياء أن تقع وللأمور أن تجري في مجراها دون تدخل منها . كان من الواضح أنها واحدة من أولئك النساء الماديات غير الميالات إلى الشجار أو المتاعب دون قدر ملحوظ من الحيوية أو الذكاء . ولكنه بدا لي أن من المؤسف أن أعود إلى يور كشاير دون أن أراها .

قدت سيارتي في عصر يوم الخميس ، وأنا أفكر في أنني أسير الآن في نفس الطريق الذي سار فيه آرثر حينما كان يقود السيارة الصغيرة البيضاء .

كان الريف يبدو أنحصر اللون يسوده السلام والهدوء ، وكانت اليباتين ملأى بشمار التفاح ، والحدائق تتألق بالزهور . ولم يكن ثمة أثر لحو الخريف في الهواء . عثرت على منطقة المروج على بعد نصف ميل من القرية ، وكان هناك كوخ جميل مائل السقف ، ومن الواضح أنه قد شيد في غضون العشرين

تماماً الأخيرة . لم لأنني أبة اجابة حينما ضغطت على جرس الباب الأمامي .  
والحلقة خشيت أن تكون زيارتي غير المعلقة مبقاً مجرد اضاعة للوقت .  
ولكنني سمعت بعض الأصوات في الخديفة . فسرت حول جانب المنزل .  
في تلك لحظه من نوع البوكسر فشرع في التباح . وكنت أعرف من طباع  
الكلاب ما معني من التراجع فتقدمت نحوه . فراح يتشميني ثم سار إلى  
جانبي بهلوه .

كانت الخديفة الخلفية واسعة . وكانت هناك ثلاث سيدات جلستن في ظل  
الأشجار . يشرن الشاي . وكان هناك عدد من الأطفال في ثياب الاستحمام  
يتفاهرون خارجين من مياه بحري قريب من نهاية الخديفة أو قافزين إليه . وقتت  
سيدة شاحبة رقيقة ترندي ثوباً يجمع بين اللونين الأزرق والأبيض وجاءت لكي  
تستقلني . ذكرني وجهها برسوم وجه فيرجينيا وولف - فقد كانت لها  
نفس العيون الواسعة والأجفان الكبيرة . وكانت ابتسامتها حلوة بشكل غير  
عادي . وكان هذا راجعاً من ناحية إلى عينيها . وراجعاً من ناحية إلى أسنانها  
الأمامية البيضاء التي كانت احداها قد ركبت فوق الأخرى بدرجة خفيفة .  
سألها :

هل مسز رول موجودة من فضلك ؟

أجل - أنا مسز رول . ماذا يمكنني أن أفعل لأجلك ؟

نظرت إليها مذهوشاً . كان شعرها أشقر فاتح الشفرة . يكاد يكون في لون  
الرماد . وبشكل ما ، كنت قد تصورت آجي على الدوام . ذات شعر داكن .  
مثل أبناء عمها . وأنها ذات بشرة سمراء . وجدت نفسي أفاغي . وأنا أقول :  
اسمي كاهن . الدكتور صامويل كاهن . وأنا أريد أن أتحدث  
معك بشأن ابن عمك آرثر .

شحب لون وجهها وقالت :

أما أخواله ؟ أين هو ؟

أخشى أن أقول لك إنه في سجن بروكهور . لقد أصيب بالتهار

عقلي بالغ القسوة .

أوه . يا إلهي !

كانت لكتبتها هي لكثة لانكتشاير تماماً . وكان صوتها فضياً منعماً . نظرت  
نحو الخديفة الخلفية بطريقة تدل على الانزعاج وقالت :  
أسمح بأن تنفضل إلى الداخل ؟ اسمح لي بدقيقة أخير صديقاني  
بالأمر .

التأبني الفضول إلى معرفة صديقاتها . فسرت ورائها إلى الخديفة الخلفية .  
صاحت فتاة شقراء جميلة في حوالي الساعة من عمرها بصوت رفيع :

مامي . آرثر يضربني بمسدس الماء .

تجاهلتها آجي . وقالت لاحدى صديقتها :

ماري - هذا السيد يريد أن يتحدث معي عن ابن عمي آرثر .

أسمحين بأن نلاحظي الأطفال ؟

ونظرت إلي بطريقة مرتبكة وغامضة كما لو كانت قد نسبت فجأة سبب  
وجودي في منزلها - وكان يوسعي أن أؤمن أن الحسم والكفاءة ليسا من فضائلها  
الأساسية - ثم قررت أن من الواجب أن تقدمني للصديقتين . فقالت :

مسز كاهن . أعني الدكتور كاهن . هذه مسز ميرسر . وهذه

مسز آدامز .

كانت إحدى المرأتين صغيرة السن وفائقة الجمال - وربما كانت زوجة  
مهندس تنفيذي شاب . وكانت الأخرى في نحو الخمسين من عمرها - وبدت -  
وكان هذا واضحاً - كما لو كانت زوجة حوري الكنيسة المحلية .

قالت آجي : أسمح بالمجيء إلى المنزل يا دكتور ؟

تعنها وأنا ألاحظ أن ولدها آرثر بعيد الشبه عن قريبه بقدر ما يمكن أن  
يبعد الشبه . فقد كان ضخم الجسم مثلنا أشقر الشعر والبشرة .

فأذني غير النوافذ النورسية إلى حجرة مشرفة ذات أثاث جيد . وهناك  
رفوف الأسطوانات الموسيقية فوق جهاز الحاكي المزوج الصوت .

أومات يوفار وقالت : « بالطبع . إلي ما زلت أحيه » .

كانت تتعمق بالقدرة على دفعي إلى الأمامة من الارتباك والدعشة بأن تقول الأشياء بطريقة توحى بأنها لا تتألم بها دون حرارة ، كما لو كان الزيد لا يمكن أن ينصهر في قمعها . وبينما كنت أحاول أن أجمع شتات ذهبي ، قالت :

« كم شخصاً قتل ؟ »

قاطعتنا دخول ابنها الصغير الذي اندفع إلى الحجره وهو يلهث . وحينما هزت له رأسها مستكبرة قال إنه أصبح قطاراً ينفث الدخان . ثم اقترب منها ووقف عند ركبته وقال :

« عن أي شيء تتكلمان ؟ »

« عن آرثر » .

« هل مات ؟ »

قلت : « كلا . إنه ما يزال حياً » .

قال الولد بايتهاج : « حسناً . إذن فكل شيء على ما يرام . مامي ، لماذا ترفض ماري أن تجعلني أمسك بها الصغير قليلاً .. ؟ »

شعرت بصدمه . أجل ، إن كل شيء على ما يرام . إذن فماذا فسد في داخل آرثر وسار في الطريق الخطأ ؟ كيف أمكنه أن يصبح شخصاً سالباً إلى هذه الدرجة ؟

وبينما كنت أهدق فيها وهي تلاطف شعر ابنها الصغير ، ترامت لي فجأة صورتها وهي ترقد عارية على الساطع في الحجره الأمامية في شارع بينيكت . وكانت لرؤيتي حبوية هلوسة المحموم . وفجأة خطرت لي فكرة أخرى : لم يكن يوسع آرثر أبداً أن يصدق أن هذه الفتاة الرقيقة الهشة يمكن أن تهجره . إنها ما تزال تحب آرثر بالطبع . لقد كانت من النوع الذي إذا منع حبه لا يعود فيحبه أبداً .

وحينما جرى الطفل خارجاً مرة أخرى سألتها :

« هل جاء آرثر إلى هذا المنزل ؟ »

اعتذرت عن المجيء في وقت غير مناسب ، ثم تلخصت لما قصة علاقتي بابن عمها ، محاذراً من أن أقول شيئاً عن جرائم القتل . أصغت إلي بطريقة تدل على الارتباك وقد اتسعت عيناتها ، ووجدت نفسي أتساءل عن مقدار ما كانت تدركه من حديثي . ولكنها قالت عندما فرغت من سرد القصة :

« لقد فعل آرثر شيئاً مرعباً ، أليس كذلك ؟ »

أومات برأسي وقالت :

« لقد قتل فتاة » .

حنقت في وجهي دون تعبير ، وتساءلت ببني وبين نفسي إن كانت قد أدركت معنى ما قلت . ثم قالت :

« كنت أعرف دائماً أنه قد يفعل ذلك » .

« كيف عرفت ذلك ؟ »

قلت : « لقد أراد أن يقتلني » .

« ماذا ؟ ! كذلك صحت وأنا أكاد أقتر من مكاني » .

« هذا هو السبب الذي جعل بريان - وهذا اسم زوجي - يقول له ألا يعود إلى هذا المنزل ثانية أبداً . وقد قال لي إنه مقتنع بأن آرثر قد انتهى أن يأتي إلى المنزل فيقتلني حينما يجديني بتفردتي » .

« وماذا ظننت أنت ؟ »

« لقد ظننت ... » وبدأ عليها الارتباك ثم أضافت تقول :

« ظننت أنه يستطيع ذلك . هل أنت ... هل تعرف كل شيء عن آرثر ... ؟ »

أقلت عبارتها فقلت :

« أعرف أنكما كنتم عاشقين .. أجل ! »

ابتسمت ابتسامة شاحبة وقالت : « لم تكن عاشقين - إنه لم يجني أبداً » .

« ولكنك أنت أحببه ؟ »

« أوه ، أجل . سبع مرات أو ثمانى . كان هذا بعد زواجنا بقرة  
قصيرة جدا . كنت حاملا في ماندي في ذلك الوقت . »

كان مقدوري أن تخيل الصورة . آجي في ثوب حملها الأموي ، في هذا  
المنزل الذهبي . آجي . ناعمة وحائنة بهرمونات الأمومة التي تندفق في داخلها  
بيدوم . تتسم في غرام رقيق لزوجها الذي حملها بعيدا مثل الفارس . وآرثر .  
الغريب ، اللامتمي ، بأحلامه ورواه عن كوكب المريخ ، وحقيقته الكبرية  
المحملة بجيانه اليومية في الجريمة . والنتيجة ؟ لقد قرر أن يكون أفقا مهلبا ،  
نصايا ، بدلا من أن يكون نصا ...

تقرت زوجة الحوري نقرات خفيفة بأصابعها على النوافذ الفرنسية وقالت :

« أوه ، معذرة ... أظن أنه لا بد لنا أن نذهب . لقد وقع روبيين في  
الماء وبلل ملبسه ... »

نهضت آجي ، واعتذرت عن انصرافها ، وخرجت . جلست أنظر من  
النافذة . كان من المدهش أن اتبين أن آجي كانت - بطريقتها الخاصة - لا تفل  
بهجة عن يولين . ربما كانت أقل منها حيوية ، ولكنها كانت أكثر أنوة .  
يستطيع المرء أن يتخيل طريقتها إذ تغضب . ومن الواضح أن هذه الحياة قد  
لا معناها . كان بإمكانني أن أرى المنزل الأخضر وراء أشجار الصفاح في الحديقة ؛  
كانت يداها الصغيرتان بيضين وخشنتين . إنهما يدا امرأة كانت تستمتع بحفر  
الأرض وزراعتها . فاذا كانت بشرتها ذات يوم شاحبة وغير صحية ، فقد  
اكتت الآن لونا ذهبيا دافئا ، بشرة امرأة تمضي الكثير من وقتها لخارج المنزل  
تحت الشمس وفي الهواء الطلق . كانت فتاة من النوع الذي يحب بعض الرجال  
- من ذوي الميول الأبوية مثلي أنا شخصيا - أن يربنوا عليها وأن يدللواها . كان  
شكلها جميلا جدا ، وخاصة شكل جسمها - نحىلا ومستقيما - وكان يداها  
ما يزالان ممتاسكين . كانت قد تعودت أن تعطي جسدها للرجال منذ كانت  
طفلة ؛ لقد شعرت منذ ذلك الحين أن من حقهم أن يأخذوها . كانت حديرة  
بأن تسمح لهم بممارسة الجنس ، بينما ظل عقلها متعلقا برغائه الخاصة :

الأطفال ، ومترلا له حديقة ، وتغار الفراولة مع الشاي في أيام الأحد . كانت  
تخوذها للمرأة التي رسمها بليك : « روح البهجة الحلوة » التي لا يمكن تشويقها  
ولا إفسادها أبدا . فإذا كان يمكن أن تعرفه عن صور البعض السرداء ونوبات  
الغضب التي كان آرثر يمر بها بينما كان يتجه إليها في سيارته ؟ لو أنني كنت  
قد رأيتها جالسة في الحديقة مع المرأتين الصديقتين ، تصب الشاي وتلاحظ  
الأطفال وهم ينفذون في مجرى الماء . لكنك قد اهرضت أنها ابنة عائلة من  
نبلاء الريف . لقد كانت تشع جوانم السموم الأخلاقية الأصيل .

كان آرثر بحاجة إليها . ومعنى ما . كان بحاجة إليها إلى درجة أكثر من  
احتياجه إلى يولين .

رأيت أن تلميذة جميلة في نحو الرابعة عشرة من عمرها كانت تلعب الآن  
في الحديقة مع الطفلين ، وكان من الواضح أنهما يحاولان أن يجذباها من فزارعها  
كل من أحد الجالسين . ودخلت آجي مرة ثانية ، قالت :

« إنها ابنة الجيران الملاصقين لنا ، إنها تساعطني في أمور المنزل أحيانا .  
جلست وحدثت فيما ورائي . ثم قالت :

« ماذا سبحتت لآرثر ؟ »

قلت : « لا شيء » . سوف يبقى في السجن . »

« هل سيفدونه إلى المحاكمة سبب الفتاة ؟ »

« إذا استرد قواه العقلية ، أجل . »

بدأت تيكى . وكان علي أن أكنح وعيني في أن أقرب منها لكي أربت  
على شعرها . ولكي أصرف انتباهها . أخرجت « القصيدة » من جيبى وناولتها  
لها . ومثل الطفلة ، مسحت الدموع عن عينيها بظاهر كفها ، ونظرت إليها .  
وبدا عليها أنها قرأتها دون أن تفهمها . قالت :

« ولكنها تعمل توقيعها باسم جوك ... »

« هذا جاك الخناق . »

« أوه . أجل . أعرف معناها الآن ، إنني أفهم هذا السطر الذي يتحدث

وأخبريني بما فهمته .

« كان كتابا عن جاك الخناق ، وكان مؤلفه رجلا يدعى مانرز ... كلا ، مانرز . وقد جلس آرثر في المطبخ ليقرأه ، وكان هناك عشب لبعض الخنافس السوداء في ثقب من الركن . وقد ظل يقرأ هذا الكتاب حتى تفككت إلى أجزاء متناثرة ... وأذكر شيئا آخر .. كان ذلك في عيد الميلاد وعمر آرثر على عظمة الأمنيات في كتف اللجاجة ، وجذبتها معه فحصل هو على النصف الأكبر . ولكنه قال لي : « تخمي أنت ، فلا فائدة لي من التخي . » وبذلك تخميت شيئا لا أذكره . ثم قال : « لا يمكنني أبدا أن أحصل على الشيء الذي أريده أكثر من أي شيء آخر . » فسألته : « وما هو ؟ » فأجابني : « أن أعرف من كان جاك الخناق حقا . »

لم تكن لدي أدنى فكرة إن كنت قد عبرت على مفتاح رئيسي جديد ، أم أنني وقعت فقط على أثر زائف آخر . جاك الخناق ، القاتل الجماعي الإنجليزي الوحيد الذي لم يلق القبض عليه أبدا ... أكان هو الصورة الخيالية التي حلت في ذهنه محل موريارتي حينما هجرته آجي ؟

نظرت بتموض إلى الورقة التي في يدها وقالت :

« لماذا هي ممزقة بهذا الشكل ؟ »

قلت : « لأنه لم يستطع أن يقرر إن كان يطعنني عليها أم لا . »

ماذا كان الحرف الذي عشن في مؤخرة عقله وهو يرتجف في ركن زياته . الكلب ؟ كلب آجي ؟ وفجأة سطعت في ذهني صورة أخرى . كانت صورة لهذا المنزل في وقت متأخر من الليل ، وهناك نافذة وحيدة ما زال الضوء يشع منها . وآرثر واقف عند الباب ، يحدق في النافذة . عناه جاحظتان ، والعرق يتفصد من وجهه وينساب على صدغيه . وقد أمسك في يده سكيناً .

سألته : « أتصدقين أنه كان يوسع آرثر أن يحاول إلبه ذلك ؟ »

ابتسمت في وجهي ، تكاد انسامتها ثم عن الاشفاق لي أو الرثاء لأحلي .

وقالت :

« كلا . بالطبع لا أصدق هذا . »

بقيت مع آجي طوال ما بقي من وقت العصر حتى حل المساء . كانت تشترك في شيء واحد مع ابنة عمها بولين : صراحة غريبة . لقد لاحظت الطريقة الواضحة التي أخبرت بها زوجة الخوري أنني جئت لكي أكلهما عن ابن عمها آرثر ، نزيل السجن ... كان من الواضح أنه يبدو لها ، ببساطة كاملة ، أن لا شيء يستحق أخفاه أو الكذب لأجله أو بشأنه .

جاء زوجها إلى البيت قبيل الساعة السادسة بقليل ، وهو يقود سيارة كبيرة فاخرة من نوع « جاجوار » . كان رجلا شابا وسيما ، له شعر باهت اللون ووجه بارز التقاطع . وقال لي إن هوايته كانت الموسيقى ، وأن طفليه كليهما يتلقيان دروسا في العزف على البيانو . وفجأة بدا لي بوضوح : كانت هذه الحياة هي الحياة التي تنتمي إليها آجي حقا ، وليس الحياة في شارع بينكيث . لقد كانت غريبة عن الحياة هناك بقدر غربة آرثر عنها . وكان هذا هو السبب الذي جعله يبعها .

سار زوجها معي إلى السيارة التي كنت قد استأجرتها لذلك اليوم ، سأته عن فكرته عن آرثر . فقال :

« إنه من نوع مضحك . إنه لم يرق لي أبدا بشكل حقيقي . كانت الطريقة التي كان ينظر إلى بها تذكرني دائما بشكل الثعبان . وقد كان يأتي إلى هنا كثيرا . »

« أجل ، في عام ١٩٥٦ . لقد ذكرت زوجتك هذا . »

« أجل ، كان هذا هو ما يحدث . كانت آجي حاملا بمالدي في ذلك الوقت . ومالدي هي الكبرى - إنها في المدرسة الابتدائية . وقد كان لسدي إحساس بأن آرثر يكرهنا كليتنا كراهية حقيقية . وكان هذا هو السبب الذي جعلني أقول في النهاية أن بظل بعيدا عنا . » وهز رأسه ثم استنرد يقول :

« لكي أكون أميناً معك أقول لك إن ما حصلته إلينا من أخبار يعطلي  
أنفس الصعده . إنني أظن أن وجوده في السجن أفضل له وللجميع .  
إن آجي نجح على الدوام بالطبع . وقد أصرت على أن تطلق إسمه على  
ابنتنا الأصغر . »

صاحبتني من خلال نافذة السيارة وقال :

« تذكّر أنني لم أتمنّ له أبداً أي أذى أو ضرر . وأنا أرحب بأن يأتي  
إلى هنا . من أجل آجي . »  
« أعشى أنه لن يأتي أبداً . »

ولوحت لي آجي بيدها وهي ترف على الباب الأمامي . وكان ابنتها الصغير  
يدفع ساقها بيده . محاولاً أن يجذب انتباهها إليه .

\*\*\*

قتل آرثر لينجاره في اليوم الثاني عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٦٧ ، بعد  
سبعين من نقله إلى سجن رامبتون . وكان الرجل الذي قتله يقضي حكماً عليه  
أببالسجن بسبب جرائم جنسية أيضاً واسمه : تشارلس دولي . وهو « خناق ديلين » .  
كان دولي مجنوناً جنوناً حقيقياً ، وهو رجل تملكه دافع يجعله يخنق النساء عند  
اكتمال القمر . ولم يبدل أية محاولة لاختفاء أجساد ضحاياه أو لاختفاء نفسه .

وما زال ما حدث غير واضح حتى الآن . لقد بدا أن كلا من الرجلين  
قد راق للآخر . وكانا تحت مراقبة أحد الحراس ، يتبادلان الحديث في الخديقة .  
وابتعد الحارس قليلاً لكي يتبادل يقص كلمات مع حارس آخر . وحينما نظر  
خلفه ، رأى آرثر على الأرض ، ويدي دولي الضخمتين مطبقتين على عنقه .  
ومات فيما بعد . دون أن يسترد وعيه . ولم يقل دولي إلا كلمات عنيدة ظل  
يرردها دون توقف : « هو الذي بدأ الشجار . » وزعم سجين آخر أن آرثر  
قد قفز على دولي وبدأ يلكزه بقبضتيه . ويبدو أن سبب المشاجرة كان سروالا  
نساءياً أسود اللون زعم آرثر أن دولي قد سرقه من الدرج الخاص به .  
لقد سررت بعد ذلك إلى بيتي مع أسرني . وحينما عدت إلى المنزل . اندفع

ابني نخوي لكي يختصني ، وسقط الكتاب الذي كان يقرأه على الأرض .  
والتقطت له الكتاب . كان هو نسخة قصة « أميرة الربيع » الذي التقطته من  
تحت سرير آرثر في سجن « رورهيل » حينما دخلت المحبرة لآخر مرة .

نظرت بسرعة إلى الصفحة التي فتح الكتاب عندها وشعرت بسلعة توتر  
مفاجئة . كان الفصل تحت عنوان : « من المذبح إلى جوى » . سطر القصيدة  
الذي راع مني كثيراً ولم استطع أن أدرك مغزاه . رحت أقرأ الفصل لكي أرى  
إن كان له أي مغزى خاص بالنسبة لآرثر . ولكنني لم أستطع أن أكتشف أي  
مغزى .

وحينما وصلت إلى نهاية الفصل . رأيت عنوان الفصل التالي : « من جوى  
إلى الموت » .

كان آرثر يعرف الكتاب معرفة جيدة جداً للدرجة أنه لم يكن مضطراً إلى  
إعادة النظر فيه .

تمت

## هذه الرواية

بدأ الطبيب النفسي علاجه للسجين وهو يؤمن بأن الدوافع الجنسية الغريزية، مثلها مثل الوضع الاجتماعي للإنسان، قدر لا فكاك منه. ولا شك أن السجين المصاب بحالة الأعماء العقلي والتصلب الجسدي، كان ضحية من ضحايا الحرب والفقر والتخلف الذهني والتفكك الاسري والتحلل الاخلاقي، ولكنه كان يملك خيالا وقدره على تكوين ارادة خاصة ومثل اعلى، فهل يمكن الاستمرار في النظر اليه باعتباره مجرد « ضحية » سلبية للظروف؟ وهل يمكن ان يظل اداة طيبة، مثل الذميمة، في يد عوامل « قدرية » او يريد البعض ان يضعوها في موضع القدر الآخي القديم، مثل الدافع الجنسي او الوضع الاجتماعي؟ ولكن هل يمكن ان يحكم على القاتل الجنسي « آرثر لينجارد » من وجهة النظر الاخلاقية وحدها؟ هل من وظيفة الطبيب النفسي ان يصدر حكماً بالادانة، رغم انه « ادرك » الاسباب، وشعر بالابوة تجاه مريضه السجين؟ ان كولن ولسون يمضي في اعماله الروائية - مع القدرة على تجديد بنائها الفني واسلوبها - بخطوات ثابتة تم عن قدرته - في الفن - على استيعاب الوضع الانساني بشكل شامل، وعلى طرح قضايا التناقض بين قوى « القدر » المعصري: الجنس او المجتمع وبين ارادة الانسان وقدرته الخاصة على التحميل وخلق المثل العليا واختيار طريق حياته بوحى من رغباته الحرة، بصرف النظر عن قواعد السلوك الحميد « التي اصبح من الصعب ان يلتزم بها حتى القديسون » ومن ناحية اخرى، فان رواية « القاتل » التي اسميناها « الحالم » بوحى من رغبة المؤلف نفسه، قد تكون دليلا على قدرة « الفن » على مساعدة المفكر في اكتشاف الحقيقة الانسانية، اكثر من مجرد الفلسفة!

« المترجم »